

الوساطة
بين النبي وخصومه

للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني

تحقيق وشرح
محمد أبو الفضل إبراهيم
علي محمد البجاوي

المكتبة العصرية
سكيدا - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - 2006 م

موقعنا على الإنترنت:

www.almaktaba-alassrya.com

شركة أبناء شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع

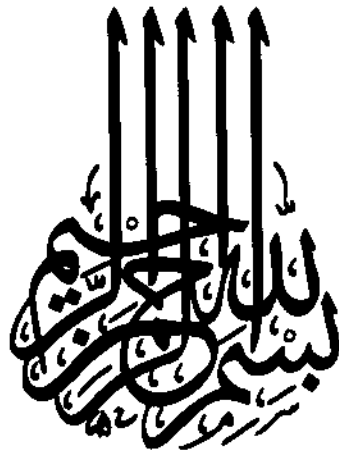
المكتبة العصرية

الدار النموذجية المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب. ٨٣٥٥ - ١١ - تليفون ٦٥٥-١٥ ٩٦١١
صيدا - ص.ب. ٢٢١ - تليفون ٧٢-٣١٧ ٩٦١٧

E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN- 9953-34-496-5



فهرس المحتويات

٥	تقديم
١١	مقدمة
١٤	أغاليط الشعراء
١٧	بعض ما كان يجري بين الرواة والشعراء
١٨	احتجاج النحاة
١٨	عود إلى أغاليط الشعراء
٢٣	الشعر
٢٣	القدماء والمحدثون
٢٤	اختلاف الشعر باختلاف الطبائع
٢٥	أثر التحضر في الشعر
٢٦	تكلف أبي تمام وتفاوت شعره
٢٨	اختلاف شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة
٣٠	الأسلوب عند المؤلف
٣١	المطبوعون من الشعراء
٣١	السهل الممتنع من شعر البحتري
٣٣	طبع البحتري في المدح
٣٤	العذب من شعر جرير
٣٦	الحشو في الشعر
٣٩	البديع
٣٩	مثل من الاستعارة الحسنة
٤٤	مثل من الاستعارة السيئة
٤٥	الفرق بين التشبيه والاستعارة
٤٥	التجنيس المطلق
٤٦	التجنيس المستوفى
٤٧	التجنيس الناقص

- المطابقة ٤٧
- التصنيف ٤٩
- التقسيم ٤٩
- جمع الأوصاف ٥٠
- الاستهلال والتخلص والخاتمة ٥١
- بدء الوساطة ٥٢
- القدماء والشعر الحديث ٥٣
- إسحاق الموصلي والأصمعي ٥٣
- شعر أبي داود وعدي بن زيد ٥٣
- أبو رياش القيسي وشعر البحثري ٥٤
- التحامل في النقد ٥٤
- موازنة بين ابن الرومي والمتنبي ٥٥
- تفاوت شعر أبي نواس ٥٦
- جيد شعر أبي نواس ٥٦
- رديء شعر أبي نواس ٥٨
- الللحن في شعر أبي نواس ٦١
- فساد العقيدة في الشعر ٦١
- خطأ الوزن في شعر أبي نواس ٦٢
- فساد العقيدة عند أبي نواس ٦٢
- تفاوت شعر أبي تمام ٦٤
- الجيد من شعر أبي تمام ٦٤
- الرديء من شعر أبي تمام ٦٦
- معنى الأيم لغة وشرعاً ٧٥
- شعر المتنبي ٧٧
- كثرة استعماله لاسم الإشارة ٨٨
- التعقيد في شعره ٩٠
- الحكم على الشعر ٩١
- قصيدة لابن المعتدل في الحمى ١٠٩
- موازنة بين المتنبي وابن المعتدل ١١٠
- حسن التخلص والخروج ١٣٤

١٣٦ المستكره من تخلصه
١٣٦ ابتداءاته
١٣٨ حسن ابتداءاته
١٤٠ ضياع كثير من الشعر
١٤٣ أفراد من شعره
١٥٥ تعقيب
١٥٧ عود إلى نقد شعر المتنبي
١٦٠ فلسفته في شعره
١٦١ السرقات الشعرية
١٦١ المعاني المشتركة والمتداولة
١٦٣ التفاضل في الشعر المتداول
١٦٥ السرقة الممدوحة
١٧٤ سرقة المعاني والأغراض
١٧٧ التفنن في السرقة
١٧٩ مناقضة الشعراء
١٨١ ادعاء السرقة في شعر البحري وأبي نواس وأبي تمام
١٨٥ السرقة داء قديم
١٨٦ سرقات المتنبي
٣٤٢ مواقع الكلام
٣٤٤ دفاع المؤلف عن أبي الطيب
٣٤٨ غُلُو القُدَامِي
٣٥١ عود إلى الدفاع عن أبي الطيب
٣٥٦ الإفراط في الاستعارة
٣٦٠ من مآخذ العلماء على أبي الطيب ودفاع المؤلف عنه
٣٦٦ ما عاب العلماء على أبي الطيب
٣٩٧ فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصل النقد في القرن الرابع إلى أوجه، فصار خصباً، متسع الآفاق، معتمداً على الذوق الأدبي السليم، مؤتسماً بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح؛ إن حلل فبذوق سليم، وإن علل فمبني على سديد، وإن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها^(١).

واختفى - أو كاد - تبعاً لذلك، أو نتيجة له، من حَلْبته اللغويون والنحاة، وحمل رايته الأدباء؛ يتميز نقدهم باستقصاء البحث، وشُمُول الفكرة، وتوضيح العلل، والموازنة العامة بين الشعراء، وعُنُوا بدراسة الشعر وتقدير رجاله، وتخاصموا فيهم؛ فهذا ينتصر لأبي تمام، وذاك يتشيع للبحثري، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبي وينسبون إليه كل فضيلة في الشعر، وأولئك ينتقصون منه ويؤمنونه بالتعقيد والمعازلة والالتواء؛ وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب؛ وسارت مقالاتهم وكتبهم في كل صُقع وواد.

من هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبو علي الحاتمي، وأبو الحسن بن لُتْكَ البصري، والآمدي، والجرجاني... إلا أن أبا الحسن الجرجاني كان أضرَحَهُم نقداً، وأوسعهم أفقاً، وأشملهم بحثاً.

فقد ظهر المتنبي فملاً الدنيا وشغل الناس، كما يقول ابن رشيقي، واختصم الأدباء في شعره، وقطعوا الأزمان المتواصلة في تحديد أغراضه؛ وتعصب له فريق، وغض من شأنه فريق، وكان من الذين غَضُوا من شعره الصاحب بن عباد، وألّف فيه رسالة سماها: «الكشف عن مساوئ المتنبي»، أقامها على التنقص منه، والخط من مقداره. وقد ذكر الرواة أن الصاحب كان هَيِّن المِكانة حين وفد المتنبي على ابن العميد، وكان يودّ لو قصده أبو الطيب؛ فلما تجاهله جزع وسخط، وألّف فيه هذه الرسالة؛ وذكر فيها من شعر المتنبي أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهها.

(١) تاريخ النقد الأدبي للأستاذ طه أحمد إبراهيم: ١٤٧.

وكان أبو الفتح عثمان بن جني من ناحية أخرى يرفع من مقداره؛ ويشيد من ذكره؛ وأصبح لكل منهما أشياخ.

كتاب الوساطة:

في هذه الحلّبة وذلك المعترك ألف القاضي علي بن عبد العزيز كتاب «الوساطة». قال الثعالبي في اليتيمة:

«ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار «مساوي المتنبّي» عمل القاضي أبو الحسن كتابه «الوساطة بين المتنبّي وخصومه في شعره»؛ فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبخّره في الأدب وعلم العرب، وتمكّنه من جودة الحفظ، وقوة النقد؛ فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنث كتبه وإن أصبحَتْ دارُهُ شاحِطَةً
كتاب الوساطة في حُسْنِهِ لعِقْدٍ معاليك كالوَأَيْطَةِ

وقال صاحب كشف الظنون:

«أما القاضي أبو الحسن فإنه ادّعى التوسط بين خصوم المتنبّي ومحبيه، وذكر أن قوماً مالوا إليه، حتى فضّلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقوماً لم يعدّوه من الشعراء وأزْدَرَوْهُ غاية الأزدراء حتى قالوا: إنه لا ينطق إلا بالهوى؛ ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء، ومعانيه كلها مسروقة. فتوسط بين الخصمين، وذكر الحق من القولين».

وليس كتاب الوساطة مختصاً بشعر المتنبّي كما يفهم من عنوانه، بل إنه عرّض للأصول الأدبية التي عرفت في عصره، وحلّل أشعار القدماء والمُحدّثين؛ وأورد كثيراً من محاسنهم وعيوبهم، وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض، وأخذ وسرقة، واستعارة حسنة أو رديئة، ثم عرض للبيئة وأثرها في الشعر والبداءة وما تحدّثه من جفوة في الطباع، والحضارة وما ينشأ عنها من رِقّة وسهولة، ثم عرض لخصوم المتنبّي وأنصاره، ومعانيه المأخوذة أو المخترعة... كل ذلك وغيره أوردّه في أسلوب واضح، وعرض شامل؛ بما ستراه حين تمضي في قراءة الكتاب.

مؤلف الكتاب:

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي. ولد في جُرْجَان سنة ٢٩٠هـ، ونشأ بها. وكانت الدولة الإسلامية قد بلغت

نُضجها العلمي، وتعددت الحواضر الإسلامية تزخرُ بالعلم والعلماء، وأصبحت الرحلة سبيلَ التعلم والدُّرس؛ فجاب الأرض، وزار العراق والشام والحجاز، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره، واقتبس العلوم والآداب، وصار فيها علماً وإماماً.

اشتهر بالفقه، وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء، وفسر القرآن الكريم، وذكره السيوطي في طبقات المفسرين، واشتغل بالتاريخ وله فيها آثار، ثم هو شاعر مُتقن، وكاتبٌ مترسل، وناقد لودعي بصير. وفيه يقول صاحب البيئمة:

«حَسَنَةُ جُرْجَانٍ، وَفَرْدُ الزَّمَانِ، وَنَادِرَةُ الْفُلْكِ، وَإِنْسَانُ حَدَقَةِ الْعِلْمِ، وَدُرَّةُ تَاجِ الْأَدَبِ، وَفَارَسُ عَسْكَرِ الشُّعْرِ، يَجْمَعُ خَطَّ ابْنِ مُقَلَّةٍ، إِلَى نَشْرِ الْجَاحِظِ، وَنَظْمِ الْبِحْتَرِيِّ؛ وَيَنْظُمُ عَقْدَ الْإِحْسَانِ وَالْإِتْقَانِ فِي كُلِّ مَا يَتَعَاطَاهُ».

وفيه يقول الصاحب بن عباد:

إِذَا نَحْنُ سَلَّمْنَا لِكَ الْعِلْمِ كُلَّهُ فِدْعُنَا وَهَذَا الْكُتْبِ نَحْسُنُ صِدْوَرَهَا
فَإِنَّهُمْ لَا يَرْتَضُونَ مَجِيئَنَا بِجَنْعٍ إِذَا نَظَّمْتَ أَنْتَ شِدْوَرَهَا

عرف له الصاحب فضله فوله قضاء الرئي، وكانت حضرة الصاحب محط رحال العلماء والشعراء والأدباء. واحتف به من نجوم الأرض وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يُربي عددهم على من اجتمع على أبواب الرشيد، مثل: أبي الحسن السلمي، وأبي بكر الخوارزمي، وأبي طالب المأموني، وأبي القاسم الزعفراني، وأبي الفضل الهمداني... وغيرهم.

ولكن القاضي علي بن عبد العزيز كان أثرهم عنده، وأقربهم إليه؛ لفضله ومكانته، وعلو منزلته، وشرف نفسه. قال أبو نصر التهذيبي:

سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفت يوماً من دار الصاحب - وذلك قبيل العيد، فجاءني رسوله بعطر الفطر، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مَشْتَاقَةٌ
أَهْدِيكَ عِطْرًا مِثْلَ طَيْبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدِي لَهُ أَخْلَاقَهُ

قال، وسمعته يقول: إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيته يوماً من قُرْبِ تَحْقِيهِ بي، وتواضعه لي، فأشدني:

أَكْرَمُ أَخَاكَ بِأَرْضِ مَوْلِدِهِ وَأَمِدُّهُ مِنْ فَعْلِكَ الْحَسَنِ
فَالعَزْمَ مَطْلُوبٌ وَمَلْتَمَسٌ وَأَعَزُّهُ مَا نِيلَ فِي الْوَطَنِ

وكتب إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب يقول: «قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش - دام علوه - من كتبي ما أعلم أنني لم أؤدّ فيه بعض الحقّ، وإن كنتُ دلّلتُ على جملةٍ تنطق بلسان الفضل، وتكشفُ عن أنّه من أفراد الدّهر في كل قِسم من أقسام الأدب والعلم؛ فأما موقعه منّي فالموقع الذي تخطب فيه هذه المحاسن، وتوجبه هذه المناقب؛ وعادته معي ألا يفارقني مقيماً وظاعناً، ومسافراً وقاطناً. وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان، بعد أن شرطتُ عليه تصيير المقام كالإمام، فطالبني مكائده بتعريف الأمير مصدره ومورده؛ فإنّ عنّ له ما يحتاج إلى عرّضه وجدّ من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله؛ ليتعجّل انكفاؤه إليّ بما رسم - أدام الله أيامه - من مظاهرتة على ما يقدم الرحيل، ويفسح السبيل؛ من بذرقه^(١) إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبة لبعض من في الطريق يتعرف التّهج فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجّل ردّه؛ فإنني ما غاب كالمضللّ الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد؛ إن شاء الله».

وقد عرف القاضي أبو الحسن للصاحب كيف ينجزيه عن وُدّه، ويكافئه عن تحفيّه به؛ فسيرّ فيه مدائح يقول فيها الثعالبي: «أخلصت على قصد، وأتت من فزد، وما فيها إلا صوب العقل، وذوب الفضل».

ومن قوله فيه يهنته بالبؤر من المرض:

أفسي كلُّ يوم للمكارم روعةٌ	لها في قلوب المكرمات وجيبٌ
إذا ألمت نفس الوزير تألمت	لها أنفُسٌ تحيا بها وقلوبٌ
ووالله لا لاحظتُ وجهاً أحبه	حياتي وفي وجه الوزير شحوبٌ
وليس شحوباً ما أراه بوجهه	ولكنه في المكرمات نُدوبٌ
تهلّل وجهه المجد وابتسم الندى	وأصبح غُضن الفضل وهو رطيبٌ
فلا زالت الدنيا بملكك طليقةً	ولا زال فيها من ظلالك طيبٌ



قال الحاكم في تاريخ نيسابور: «ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا، وحُمل تابوته إلى جرجان فدفن بها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض

(١) البذرة: الخفارة في الطريق.

راجلين^(١). وكان ذلك - كما يقول ابن خلكان - سنة ٣٦٦^(٢)؛ وعمره ٧٦ عاماً.

أدبه وآثاره:

أما آثاره فقد ذكر منها ياقوت في معجم الأديباء «تفسير القرآن الكريم»، وكتاب «تهذيب التاريخ»؛ نقل عنه ابن خلدون في تاريخه الكبير، وذكره الثعالبي فقال: «إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ، وصحة الروايات، وحسن التصرف في الانتقادات»، وأورد فصلين منه في يتيمة الدهر؛ ثم كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» - وقد سبق الحديث عنه - وله ديوان شعر ذكره ابن خلكان؛ يجمع بين العذوبة والجزالة؛ وترقرق فيه شمائله السمحة الرضية، ونفسه الكريمة الأبية؛ فمن غزله الرقيق:

أفدي الذي قال وفي كَفِّهِ مثلُ الذي أشربُ مِن فيه
الوردُ قد أَيْتَعَ في وَجَنَّتِي قلتُ: فَمَيِّ باللُّثْمِ بِجَنِيهِ
ومن قوله في الحنين إلى بغداد:

أراجعة تلك الليالي كعهدها إلى الوصلِ أم لا يُزْتَجِي لي رجوعُها
وصحبة أحبابٍ لبست لفقدهم ثيابَ حدادٍ يُسْتَجَدُّ خَلِيْعُها
إذا لاح لي من نحو بغداد بارق تجافت جُفُونِي واستطير هُجوعُها
سقى جانبي بغداد كل غمامة يحاكي دموعَ المستهام هُموعُها
معاهدُ من غزلانٍ أنس تحالفت لواحظها ألا يُداوى صريعُها
يحن إليها كل قلبٍ كأنما يُشاد بحبّاتِ القلوب ربيعُها
فكلُّ ليالي عيشها زَمَنُ الصِّبَا وكلُّ فصولِ الدهرِ فيها ربيعُها
ومن قوله يصف نفسه:

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقفِ الدُّلِّ أَحْجَمَا
وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً من الدَّمِ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا
إذا قيل هذا مشربٌ قلتُ قد أرى ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتمل الظمَّ
ولم أقضِ حقَّ العِلْمِ إن كان كلِّما بدا مطمَعٌ صَيْرْتُهُ لِي سُلْمَا
ولم أبتذل في خدمة العِلْمِ مُهْجَتِي لأخْدُمَ مَنْ لا قِيَتْ لَكِن لأخْدَمَا
أشقى به عُرْساً وأجنيه ذلَّةً إذا فابتياغُ العَجهلِ قد كان أَحْزَمَا

(١) راجلين: سائرین علی أقدامهما.

(٢) في معجم الأديباء: جزء ١٤ صفحة ١٥: مات بالري يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. وكذلك في تاريخ أدب اللغة لجورجي زيدان ٢ - ٣٩٢. وفي ابن خلكان (١ - ٥٨٤): وقال غير الحاكم: توفي سنة ٣٩٢، ونقل الحاكم أثبت وأصح.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس تعظماً
وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء^(١)، والثعالبي في يتيمة الدهر^(٢)، طائفة من
شعره، تدور حول الفخر والمدح، والغزل وغيرها من فنون الشعر.

مخطوطة الكتاب وعملنا فيه:

وهذا الكتاب كان قد نشره الأديب الأستاذ أحمد عارف الزين بمطبعة العرفان في
صَيْدَا سنة ١٣٣١هـ، وذكر أنه اعتمد على مخطوطتين إحداهما عراقية والثانية في
المكتبة الأزهرية. ثم طبع مرة أخرى في مطبعة محمد علي صبيح.

وكلتا هاتين المطبوعتين تخلوان تماماً من الضبط، ويشيع فيهما الخطأ. ولما
شرعنا في نشر هذا الكتاب رجعنا إلى نسخة مخطوطة بالمكتبة الأزهرية برقم ١٥٢٦
أدب، وهي في نحو ١٣٠ ورقة كتبها بخطه سويقي بن أحمد العدوي سنة ١٣٢٨هـ
عن نسخة كتبت في سنة ١٣٢٦هـ، وهذه الأخيرة كتبت عن نسخة مكتوبة سنة
١٣١٦هـ وهي نسخة يشيع فيها الخطأ والتحريف وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) كما
رمزنا إلى النسخة المطبوعة في صيدا بالحرف أ.

ثم عملنا إلى مراجعة نصوص الشعر على دواوين الشعراء وكتب الأدب،
وضبط الأعلام على المعاجم وكتب التاريخ، وشرحنا بعض ما غمض من الكلمات
والعبارات؛ لنذلل الصعاب ونساعد القارئ على متابعة أفكار المؤلف والانطلاق في
آفاقه.

ثم وضَّحنا معالم الكتاب بعُنواناتٍ تقرَّب مرَّماه، وتوضَّح غايته، ومعظمها
اقتباس من نصِّ المؤلف؛ إذ كان الكتاب كله رسالة واحدة، ومقالة يمضي فيها
المؤلف من أول الشوط إلى نهايته، وشفعناه بالفهارس المتنوعة.

وفي هذه الطبعة الجديدة عدنا إلى الكتاب فزدنا في شرحه وضبطه وتحقيقه؛
كفاء لما لاقى الكتاب من إقبال وتشجيع.

ونرجو أن نكون قد جعلناه في صورة أدنى إلى الكمال، وأقرب إلى الإتقان؛
ونسأل الله أن يجعله عملاً نافعاً مقبولاً.

شعبان سنة ١٣٨٦ (نوفمبر سنة ١٩٦٦).

المحققان

(١) الجزء الرابع عشر صفحة ١٥ وما بعدها.

(٢) الجزء الرابع صفحة ٣ - ٢٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

التفاضل - أطال الله بقاءك - داعية التنافس؛ والتنافسُ سببُ التحاسد^(١)؛ وأهل النقص رجُلان: رجل أتاه التقصيرُ من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه^(٢)؛ وآخر رأى النقص ممتزجاً بخلقته، ومؤثلاً في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به الهمة عن انتقاله؛ فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وستر ما كشفه العجزُ عن عورته اجتذابهم إلى مشاركته، ووسمهم بمثل سيمته، وقد قيل^(٣):

وإذا أَرَادَ اللّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتَ أَسَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تستثريها المحاسد^(٤) لم تبرخ في الصدور كامنة، ومنقبة لو لم تُزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزت فتناولتها ألسنُ الحُسد^(٥) تجلّوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتشهّرها وهي تحاول أن تسترها؛ حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسن معرض، واكتست من فضله أزين ملبس؛ فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من برِّ والدها فنوّعت بذكره، وقدرت على قضاء حق صاحبها فرفعت من قدره ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شَيْعًا وَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولم تزل العلوم - أيدك الله - لأهلها أنساباً تتناصرُ بها، والآدابُ لأبنائها أرحاماً تتواصلُ عليها، وأدنى الشرك في نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتعاضُ له، والمحاماةُ دونه، وما من حفظ دمه أن يسفك، بأولى ممن رعى حريمه أن يهتك^(٦)

(١) في ب «الحسد».

(٢) في ب «سعيه».

(٣) البيت لأبي تمام، ديوانه ص ٧٦. (٤) في أ «المحاسدة»، وما أثبتناه عن ب.

(٥) في ب «الفضاح».

(٦) في ب: «وما حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك» وفي أ «وما من حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك».

ولا حرمة أولى بالعناية، وأحقّ بالحماية، وأجدر أن يبذل الكريم دونها عِزَّه، ويمتهن في إعزازها ماله ونفسه من حُرمة العلم الذي هو رَوْتَقُ وجهه، ووقاية قَدْره، ومَنَارِ اسمه، ومِطْيَةِ ذِكْرِهِ.

ويَحْسَبُ عِظَمَ مزيته وعلو مرتبته يعظم حقّ التشارك فيه، وكما تجب حياطته، تجب حياة المتصل به وبسببه، وما عقوق الوالد البِرِّ، وقطيعه الأخ المشفق، بأشنع ذُكْرًا، ولا أقبح وَسْمًا من عقوق مَنْ نَاسَبَكَ إلى أكرم آبائك، وشاركك في أفخر أنسابك، وقاسمك في أزين أوصافك، ومَتَّ إليك بما هو حظك من الشرف، وذريعتك إلى الفخر.

وكما ليس من شرط صِلَة رحمك أن تَحِيفَ لها على الحق، أو تَمِيلَ في نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حُكْمِ مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرّف على حكم العدل كيف صرّفك، وتقف على رَسْمِهِ كيف وَقَفَكَ، فتتصّف تارة وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهداً لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة - إذا قامت - محتجاً عنك إذا خالفت، فإنه لا حال أشدّ استعطافاً للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالةً للنفوس المشمّزة، من توقّفك عند الشبهة إذا عرّضت، واسترسالك للحجة إذا قهرت، والحكم على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبه خصمك على مكامن حيلك إذا ذهب عنها؛ ومتى عرّفت بذلك صار قولك برهاناً مسلماً، ورأيك دليلاً قاطعاً، وأنهم خصمك ما علمه وتيقنه، وشكّ فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإن عدلتهم المحبّة^(١)، وجبّ عن إظهار حُججه وإن لم تكن فيها غميمة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والثدرة.

وما زلت أرى أهل الأدب - منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم - في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبّي فئتين: من مُطنب في تقريره، منقطع إليه بجملته، منحط في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقبه إذا ذُكرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم، ويُعجب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير، ويتناول من ينفّسه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عثر على بيت مختل النظام، أو يبه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلله ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائب يروم إزالته عن رُتبته، فلم يسلم له فضله، ويحاول حطّه عن منزلة بؤاه إياها أدبه؛ فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معاييه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته^(٢).

وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه؛ وكما أن الانتصار جانب من العدل لا

(١) في أ، ب: «المحنة» وهو تحريف. (٢) في ب «وإبداء معاييه».

يسده الاعتذار؛ فكذاك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومن لم يفرّق بينهما وقفت به الملامة بين تفریط المقصر، وإسراف المفرط؛ وقد جعل الله لكل شيء قدراً، وأقام بين كل حديث فضلاً؛ وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند آدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم؛ وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان؛ فاستسقاط من عزّ حاله حيف، والتحامل على من وجّه إليه ظلم. وللفضل آثارٌ ظاهرة، وللتقدم شواهدٌ صادقة، فمتى وجدت تلك الآثار، وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم؛ فإن عُثِرَ له من بعدُ على زلّة، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة انتجّل له عذرٌ صادق، أو رخصة سائغة؛ فإن أعوز قيل: زلّة عالم، وقلّ من خلا منها، وأيُّ الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً، ولم نسيّم به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأيُّ عالم سمعت به ولم يزل ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهف ولم يسقط!

أغاليط الشعراء

ودونك هذه الدواوينَ الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجدُ فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القَدْحُ فيه؛ إمّا في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهلَ الجاهلية جُدُوا^(١) بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القُدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مُستردّلة، ومردودة منفيّة، لكنّ هذا الظنُّ الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظّنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذّبّ عنهم كلّ مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام، وما أراك - أدام الله توفيقك - إذا سمعتَ قول امرئ القيس^(٢):

أَيَا زَاكِبًا بَلَّغَ إِخْوَانِنَا مَنْ كَانَ مِنْ كِنْدَةَ أَوْ وَايِلَ
فَنصّب «بلغ»، وقوله^(٣):

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ^(٤)
فسكن «أشرب»، وقوله^(٥):

لَهَا مَثْنَتَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ الثُّمُرُ^(٦)
فأسقط النونَ من «خَطَّاتَا» لغير إضافة ظاهرة^(٧).
وقول لييد^(٨):

تَرَاكَ أَمَكْسِنَةَ إِذَا لَمْ أُرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ الثُّفُوسِ حَمَامُهَا

(١) يقال: جددت يا فلان (على من لم يسم فاعله)، أي صرت ذا جد والجد: الحظ.

(٢) في الضرائر ص ١٠١، غير معزو لقائل.

(٣) ديوانه ص ١٥٠.

(٤) المستحقب: المكتسب للإثم، والواغل: الداخل على القوم في شراهم.

(٥) ديوانه ص ١٤. اللسان (١٨: ٢٥٤).

(٦) البيت في وصف الفرس. والمتنتان: جنبتا الظهر، والخظاة: المكتنزة من كل شيء. والمعنى: لها متنتان كساعدي النمر المبارك في غلظهما.

(٧) هذا رأي الفراء، وقال: حذفت النون تخفيفاً. وقال الكسائي: أراد خطّتا؛ فلما حرك التاء رد الألف التي هي لام الفعل، لأنها إنما كانت حذفت لسكونها وسكون التاء، فلما حرك التاء ردّها فقال: «خظّاتا».

(٨) شرح المعلمات للتبريزي ص ١٥٥.

فسكن «يرتبط» ولا عمل فيها لئلم . وقول طرفة^(١) :

قد رُفِعَ الفَخُّ فماذا تحذري

فحذف النون . وقول الأسدي :

كنا نرقعها وقد مُزقت واتسع السخزق على الراقع

فسكن «نرقعها» . وقال الآخر^(٢) :

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسباً وابتنا نزار وأنتم بيضة البلد^(٣)

فسكن «تعرف» ، وقول الآخر :

يا عجباً والدهر جم عجبهُ من عتزي سبني لم أضربه

فرفع «أضربه» . وقول الفرزدق^(٤) :

وعض زمان يا ابن مزوان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف^(٥)

فضم مجلفاً . وقول ذي الخزرق الطهوي^(٦) :

يقول الحنى وأبعض المعجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار الجدع^(٧)

فأدخل الألف واللام على الفعل . وقول رؤبة^(٨) :

أقفرت الوعشاء والعشاعت من بغيهم والبرق البرارث^(٩)

(١) شعراء النصرانية ص ٢٩٨ ، يصف قبرة؛ وبقية البيت :

ونسقري ماشئت أن تنسقري

(٢) نسيه صاحب اللسان إلى الراعي يهجو ابن الرقاق العاملي .

(٣) رواية اللسان (٨ : ٣٩٤) .

تأبى قضاة لم تعرف لكم نسباً وابتنا نزار فأنتم بيضة البلد

وعلى هذه الرواية لا يكون الاعتراض . وبيضة البلد : السيد .

(٤) النقااض : ٢ - ٢٤٨ ، الضرائر : ٣٩ ، اللسان : ١٠ : ٣٧٥ .

(٥) المسحت : المهلك ، والمجلف : الذي بقيت منه بقية . ووجه الإنكار عطف مرفوع على

منصوب . قال أبو عمرو بن العلاء : لا أعرف لها وجهاً ، وكان يونس لا يعرف لها وجهاً . قيل

له : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه . فقال : كان ينشدها على الرفع ، وأنشدها رؤبة

على الرفع . وتأوله النحاة على الإضمار ، فكانه قال : «هو مجلف» .

(٦) خزانة الأدب للبغدادى : ١ - ١٠ ، اللسان (٩ : ٣٩٠) .

(٧) أراد : الذي يجده . وحمار مجده : مقطوع الأذن .

(٨) اللسان : ٢ - ٤٢٠ ، وروايته :

أقفرت الوعشاء فالعشاعت من أهلها فالبرق البرارث

(٩) في الأصول «البوارث» .

والوعث من الرمل : ما غابت فيه الأرجل والأخفاف ، والعشاعت : جمع عثمثة ؛ وهي الأرض

اللينة البيضاء ، والبرق : أماكن في بلاد العرب .

وإنما هي البراث جمع بَرَث؛ وهي الأماكن السهلة من الأرض، وروى البوارث وكأنه جمع بارثة.

وقول بعض الرّجّاز^(١)؛ أنشده المفضل:

كانت عجوزاً عُمّرتَ زمانا وهي ترى سيئها إحسانا
تعرفُ منها الأنفَ والعَيْنانَا^(٢)

ففتح النون من العينانا. وقول آخر منهم - أنشده أبو زيد:

طاروا عليهنّ قَطِرٌ عَلاها واشدُّ بَمَثْنِي حَقْبٍ حَقْوَاهَا^(٣)
ناجِيَةٌ وناجِيًا أباهَا

فرفع حَقْوَاهَا، وحَقُّه النصب، كما قد نصب أباهَا، وحَقُّه الرفع. وقول الأقيشير^(٤):

وقد بَدَا هَنتك من المئزرِ

وقول نقيع [بن]^(٥) جُرموز:

أَطوَّفُ ما أَطوَّفُ ثم آوي إلى أمي ويزويني النقيع^(٦)
فأدخل الألف في أمي لغير نداء ولا ضرورة.

وغيرُ هذا مما هو أسهلُ منه قول امرئ القيس^(٧):

كأن ثبيراً من عَرانين وئله كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمِّلٍ^(٨)

(١) الضرائر ١٦١، شرح المفصل (٣: ١٢٩)، (٤: ١٤٣) ونسبه أبو زيد إلى رؤية، وقال ابن هشام: إنه شعر مصنوع، وقال المفضل: إنه لرجل من ضبة.

(٢) بعده:

ومنخريين أشبها ظبيانا

(٣) الحقب: حبل يشد به الرجل إلى بطن البعير، والحقو: الكشح، شرح المفصل: (٣: ١٢٩)، اللسان (٩: ٣٢٢)، ورواية اللسان:

طاروا علاهن فسل علاها

(٤) أنشده سيبويه في الكتاب (٢: ٢٩٧)، وصدرة:

رحت وفي رجلك ما فيهما

وموضوع المواخذه تسكين النون في هنك؛ وحقه التحريك.

(٥) زيادة من معجم الشعراء للمرزباني ص ١٩٥. قال: «أراه سمي النقيع بهذا البيت».

(٦) النقيع والتقيعة: المحض من اللبن يبرد. والبيت في اللسان ١٠: ٢٣٨.

(٧) شرح المعلمات للتبريزي ص ٥٢، واللسان ٣: ٣٣٠.

(٨) ثبير: جبل، والعرانين: الأوائل، والويل: ما عظم من المطر، والبجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب، ومزمل: ملتف.

فخفّض «مُرَمَّلاً»^(١)، وهو وصفٌ كبير. وقول الفرزدق^(٢):
 بِخَيْرِ^(٣) يَدَيَّ مَنْ كَانَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَجَارِيهِ وَالْمَقْتُولِ لَلَّهِ صَائِمِ
 فخفّض صائم. وقول رؤبة:
 قَدْ شَفَّهَا النُّوحُ بِمَا زُولِ^(٤) صَيَّقِ
 ففتح الياء. ومثال ذلك مما يُخرج الكتاب عن عَرَضِهِ.

بعض ما كان يجري بين الرواة والشعراء

ثم استعرضت إنكارَ الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهاها، وما جرى بين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه في قوله^(٥):
 فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجْوَتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا^(٦)
 ففتح الياء من موالي في حال الجبر، وما جرى له مع عَنبَسَةَ^(٧) الفيل النحوي حتى قال فيه:

لقد كان في معدان^(٨) والفيل شاغل لعنْبَسَةَ الرَّاوي عليّ القصائدا

وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى؛ حتى قال البردخت^(٩) لبعض النحويين:

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كمثلي العود مما تتبّع

- (١) تأول النحاة لخفضه فقالوا: إنه على الجوار مثل قولهم: هذا جحر ضب خرب (بكسر خرب).
- (٢) النقائض: ٢ - ٥٢. (٣) في الأصول «تحير»، وصوابه من النقائض.
- (٤) المأزول: المضيق عليه.
- (٥) خزنة الأدب: ١ : ١١٤.
- (٦) المولى: الحليف، وهو: المعاهد؛ والرجل إذا كان ذليلاً يوالي قبيلة ليعتز بأفرادها، وإذا والى مولى كان أذل من الذليل. وأراد بالموالي الحضرميين، وكانوا موالي بني عبد شمس بن عبد مناف.
- (٧) هو عنبسة بن معدان الفيل، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه، وكانت لزياد ابن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال: ادفعوها إلي وأكفيكم المؤونة، وأعطيتكم عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصرأ، ونشأ له ابن يقال له عنبسة، فروى الأشعار وظرف وفتح، وروى شعر جرير والفرزدق، وبلغ الفرزدق أن عنبسة يفضل عليه جريراً فهجاه. (معجم الأدباء) (١٦ : ١٣٣).

(٨) في أ، ب «بغداد»، وهو تحريف والبيت وقصته في نزهة الألباء ص ٥.

(٩) البردخت الضبي: هو علي بن خالد؛ وأصل اسمه بالفارسة پرادخت؛ بمعنى الفارغ. هجا جريراً فبلغه الهجاء، وأخبر باسمه فقال: ما البردخت؟ قيل: الذي لا عمل له؛ فقال: ما كنت لأجعل له عملاً ولا شغلاً. ولم يجبه. معجم الشعراء ص ٢٨٠.

تَتَبَّعُ لِحْنًا فِي كَلَامِ مُرَقَّشٍ وَخَلَقْتُكَ مَبْنِيًّا عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعِ
فَعَيْنَاكَ إِقْوَاءَ وَأَنْفِكَ مُكْفَأً وَوَجْهُكَ إِطْيَاءَ فَأَنْتَ الْمُرَقَّعُ^(١)

وقول الأَصْمَعِيِّ فِي الْكُمَيْتِ: جُرْمَقَانِي^(٢) مِنْ جَرَامِيْقِ الشَّامِ لَا يُحْتَجُّ بِشَعْرِهِ،
وَمَا أَنْكَرَهُ مِنْ شَعْرِ الطَّرِمَاحِ، وَلِحْنٍ فِيهِ ذَا الرُّمَّةِ.

احتجاج النحاة

ثم تصفحت مع ذلك ما تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج إذا أمكن: تارة يطلب التخفيف عند توالي الحركات، ومرة بالإتباع والمجاورة؛ وما شاكل ذلك من المعاذير المتمدّحلة، وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجة؛ وتبيّنت ما راموه في ذلك من المرامي البعيدة، وارتكبوا لأجله من المراكب الصعبة، التي يشهد القلب أن المحرك لها، والباعث عليها شدة إعظام المتقدم، والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد، وألفته النفس.

عود إلى أغاليط الشعراء

ثم عدت إلى ما عدده العلماء من أغاليطهم في المعاني، كقول امرئ القيس^(٣):

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا شَعْرٌ مُنْتَشِرٌ^(٤)
وهذا عيب في الخيل. وقول زهير^(٥):
يَخْرُجْنَ مِنْ شَرِبَاتٍ مَاؤُهَا طَحْلٌ^(٦) عَلَى الْجَذُوعِ يَخْفَنَ الْغَمَّ وَالْغَرْقَا^(٧)

(١) الإقواء في الشعر: مخالفة القوافي في الإعراب، والإكفاء: مخالفة هجاء القوافي، والإيطاء: تكرير القافية باللفظ والمعنى.

(٢) قال في القاموس: «الجرامقة» قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل صدر الإسلام، الواحد جرمقاني.

(٣) ديوانه ص ١٢، واللسان: ١٠: ٤٥١.

(٤) رواية الديوان: «سعف». الخيفان من الجراد: المهازيل، وفرس خيفانة: تشبه الجراد في خفتها. قال الأصمعي: وإذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريماً. ورواية اللسان:

لَهَا ذَنْبٌ خَلْفَهَا مَسْبَطٌ

(٥) ديوانه ص ٤٠.

(٦) اللسان (١٣: ٤٢٤)، الموشح ص ٤٧.

(٧) البيت في وصف الضفادع. الشربيات: جمع شربة؛ وهي حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويهما، والطحل: الكدر، ويريد بالجدوع جذوع النخل، قال المرزباني: «والضفادع لا تخرج من الماء لخوفها من الغمر والغرق، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ».

والضفادع لا تخاف شيئاً من ذلك . وقول سلمة بن الخرشب^(١) :
 إذا كان الحزامُ لِقْضَرَيْنِهَا أماما حيث يَمْتَسِكُ البَرِيمُ^(٢)
 يقول : إن الحزامَ يقرب في جولانه إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصريين .
 قال الأصمعي : أخطأ في الوصف ؛ لأن خيرَ جزِي الإناث الخضوع ، وإنما
 يُختار الإشراف^(٣) في جَزِي الذكور ، فإذا اختضعت تقدّم الحزام ، كما قال بشر بن أبي
 خازم^(٤) :

نُسُوفٍ^(٥) لِلحِزَامِ بِمِرْقَتَيْهَا يَسُدُّ خَوَاءَ طُبَيِّئِهَا الغُبَارُ^(٦)
 وقد ساعد مُتَمِّمٌ بن نُؤيرة على هذا الوصف سلمة فقال^(٧) :
 وكأنه قَوَتْ الجَوَالِبُ جَانِئاً رِثْمٌ تَضَايَفَهُ كِلابٌ ، أَخْضَعُ^(٨)
 فوصف الذكر بالخضوع ، وإنما يُختار له الاشتِراف . وكقول الجعدي :
 كأن تواليهما بالضحي نواعم جَعْلٍ من الأثاب^(٩)
 والجَعْلُ : صغار النخل ، وإنما المراد الكبار ، وبه يصحُّ الوصفُ فيما زعموا .
 وقول أبي ذؤيب يصف الفرس^(١٠) :
 قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فَشَرَّحَ لَحْمَها بالثِّي فهي تَتَوَخَّعُ فيها الإضْبَعُ^(١١)

(١) شرح المفضليات : ١ - ٣٨ .

(٢) يصف فرسه . القصريان : مثنى القصري ، هي الضلع ، والبريم : خيط تشده المرأة في وسطها .
 أراد أنها تلتفت إذا جال حزامها واضطرب لكثرة عدوها ، فصار أمام قصرييها في مثل الموضع
 الذي تشده فيه المرأة على حقوها .

(٣) الخضوع والإشراف : ضربان من سير الخيل .

(٤) المفضليات (٢ : ١٤٣) ، اللسان (٨ : ٢٧٠) ، والبيت في وصف فرس .

(٥) في أ ، ب «تسوق» ، وهو تحريف .

(٦) تنسف الحزام : تدفعه . الخواء : الفرجة . الطبي من الفرس ؛ بمنزلة الضرع من الشاة والبقرة ؛
 يقول : إذا امتلأت عدوا ستر الغبار ما بين طبييها .

(٧) المفضليات (١ : ٤٩) ، اللسان (١ : ٤٣) .

(٨) فوت : فاتتا الجوالب ؛ مصدر وقع حالاً ؛ والجوالب : من قولهم : جلب الفارس على الفرس
 إذا رصد له قوماً في طريقه يصيحون به في الرهان . جانئاً : مكباً ، يقال : جنأ في عدوه ، إذا
 ألح وأكب . الرثم : الطبي الخالص البياض . تضايفه الكلاب : أخذن بضيفيه - بكسر الصاد -
 أي بناصيته ، جئنه من هاهنا وهاهنا . وهن كلاب الصائد . أخضع : متطامن الرقبة ، وهو من
 الخضوع . وتقدير البيت : كأنه رثم أخضع تضايفه كلاب . شرح المفضليات (١ : ٤٩) .

(٩) الأثاب : شجر ينبت في بطون الأودية في البادية .

(١٠) المفضليات (٢ : ٢٢٧) ، اللسان (٣ : ١٣٠) .

(١١) قصر الصبوح لها : جعل صبوحها اللبن دون الماء ، وشرح اللحم : خالطه الشحم . والنتي =

قال الأصمعي: حمارُ القصار خيرٌ من هذا، وإنما يُوصف الفرسُ بصلابة اللحم.

وقول أبي التجم:

تَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُو أَوْلَاهُ

واضطراب مآخير الفرس قبيح. وقول المسيّب بن علس^(١):

وَكَأَنَّ غَارِبَهَا رُبَاوَةٌ مَسْخَرِمٌ وَتَمُدُّ نَيْبِي جَدِيلَهَا بِشِرَاعٍ^(٢)

أراد تشبيه العنق بالدقل^(٣) فغلط، كما غلط طرفة في السكّان فقال:

كُسْكَانٌ بُوصِيٍّ بِدَجَلَةٍ مُضْعِدٍ^(٤)

وإنما يريد الدقل. وقول امرئ القيس^(٥):

إِذَا مَا الثَّرِيَّانَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضْتِ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُقْصَلِ

والثريا لا تتعرض، وإنما تتعرض الجوزاء. وقول رؤبة:

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا قَى الْأَسْوَدِ^(٦)

فجعل الأفعى دون الأسود، وهي أشدُّ نكاية منه. وقول زهير^(٧):

كَأَحْمَرٍ عَادِثٍ تَرْضِعُ فَتْفَطِمُ

= الشحم. وتشوخ فيها الإصبع، أي لو أدخل أحدهم إصبعه في لحمها لدخل لكثرة لحمها وشحمها.

(١) شرح المفضليات (٢: ٦٠).

(٢) الغارب: ما بين السنام والعنق. والرباوة: منقطع الجبل حيث استدق. والمخرم: مقطع أنف الجبل، والجديل: الزمام. وثنيه: ما اثني منه، أراد تمد جدليها بعنق طويلة، فشبها بشراع السفينة.

(٣) الدقل: خشبة طويلة في وسط السفينة يمد عليها الشراع.

(٤) صدره:

وأُتْلِعَ نَهَاظٍ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ

المعلقات بشرح التبريزي ص ٦٩.

السكّان: ذنب السفينة. والبوصي: نوع من السفن، أو هو الملاح.

(٥) ديوانه ص ٢٥.

(٦) الأفعى: حية عريضة رقشاء دقيقة العنق، لا تنفع معها رقية ولا ترياق. والأسود حية خبيثة تسليخ جلدها كل عام، وتسمى أسود سالخ.

(٧) في وصف الحرب. وصدره:

فَتَنْتِجُ لَكُمْ غُلْمَانَ أَشَامَ كُلِّهِمْ

المعلقات بشرح التبريزي ص ١١٣.

وإنما هي أحمَرُ ثمود^(١). وقول ليلي. ويروى لَحْمَيْد:

لما تخايلت^(٢) الحُمُولَ حسبتها دُوماً بأَيْلَةَ ناعماً مَكْمُوماً^(٣)
والدُّومُ لا أكام له .

هذا ما يعرفونه صباحاً ومساءً . ويمارسونه على طول الدهر؛ فدَغ ما يخفى
عليهم ويبتعد عن أبصارهم . كقول أبي ذؤيب في الدُّرَّة^(٤):

فجاء بها ما شئت من لَطْمِيَّةٍ يدور الفرات حولها ويموج
فالفرات هو العذب، والدرُّ، لا يوجد إلا في الملح . وقول الآخر^(٥):
فيه الرماح وفيه كلُّ سابغةٍ جدلاءٍ مُحَكِّمةٍ من نَسِجِ سَلامٍ^(٦)
وقول الآخر^(٧):

وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تُبْعِيَّةٌ ونَسِجٌ سُلَيْمٍ كلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٨)
أرادا داود فغلطاً إلى سليمان، ثم حرِّفاً اسمه فقال أحدهما: سَلام، وقال
الآخر: سُلَيْم، كما قال الآخر:

والشيخ عثمان بن عف

أراد ابن عقان . وقال الآخر:

ومحورٍ أخلص من ماء اليلب^(٩)

(١) أحمر ثمود: لقب قدار بن سالف، عاقر ناقة صالح، وإنما قال: كأحمر عاد لإقامة الوزن لم
يمكنه أن يقول كأحمر ثمود، أو وهم فيه .

(٢) في المزمهر (٢: ٣١٣): «لما تحاملت» .

(٣) قال السيوطي: في المزمهر: الدوم: شجر المقل، والمكموم لا يكون إلا النخل، فظن أن
الدوم هو النخل .

(٤) اللسان ١٦: ١٧، وروايته:

فجاء بها ما شئت من لطمية تدور البحار فوقها وتموج
واللطمية: هي الدرة .

(٥) هو الحطينة، والبيت ورد في اللسان - مادة سلم بهذه الصورة، وورد أيضاً فيه - مادة جدل:

فيه الجياد وفيه كل سابغة

(٦) السابغة: الدرع الوسيعة . ودرع جدلاء: محكمة النسيج .

(٧) هو النابغة الذبياني . ديوانه ص ٦٤ .

(٨) الصموت من الدروع: اللينة المس . ونثلة: واسعة . وتبعية: منسوبة إلى تبع وهو ملك اليمن .

والقضاء: المحكمة . ودرع ذائل: طويلة الذيل .

(٩) في الأصل: ومحور من ماء اليلب . وما أثبتناه عن اللسان (٢: ٣٠٦) .

جعل اليَلْب حديداً وإنما هي سيور؛ كما قال غيره:
 لم تَذِرِ ما نَسَجَ اليرْبَنْدَجُ قَبْلَهَا^(١)
 [فإنه ظن أن اليرندج نسج^(٢)]، وإنما اليرْبَنْدَجُ جلود. وقول الآخر^(٣):
 بَرِيَّةٌ لَمْ تَأْكُلِ المَرْقُوقَا ولم تَذُقْ مِنَ البُقُولِ الفُسْتُقَا
 فجعل الفُستق بَقْلا.

وأشبه ذلك مما يكثر تعقبه، ولم يذكر إلا اليسير منه فيما نريده - شككت في
 أن نفع هذا الحكم عام، وجدواه شامل، وأن المتقدم يضرب فيه بسهم المتأخر،
 والجاهلي يأخذ منه ما يأخذ الإسلامي، وأنه قول لا حظ له في العصبية، ولا نسب
 بينه وبين التحامل.

وليس يجب إذا رأيتني أمدح مُخَدَّثاً أو أذكرُ محاسن حَضْرِي أن تظن بي
 الانحراف عن متقدم، أو تُنسبني إلى الغَضُّ من بدوي؛ بل يجب أن تنظر مغزاي فيه،
 وأن تكشف عن مقصدي منه، ثم تحكم علي حكم المنصف المتثبت، وتقضي قضاء
 المُقْسِط المتوقف.

(١) تمامه:

وَدَرَسَ أَعْوَصَ دَارِسَ مَتَخَدِّدَ

(٢) زيادة من اللسان (٣: ١٠٨).

(٣) هو أبو نخيلة. اللسان ٢: ١٨٤.

الشعر

أنا أقول - أيدك الله - إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء، ثم تكون الدُّرّية مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مرّتبته من الإحسان.

القدماء والمحدثون

ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمُخَضَّرِ^(١)، والأعرابي والمولّد؛ إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمّس، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر؛ فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلّة فيها أن المطبوعَ الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية؛ ولا طريقاً للرواية إلا السمع؛ وملاك الرواية الحفظ، وقد كانت العرب تروي وتحفظ، ويُعرف بعضها برواية شعرٍ بعض؛ كما قيل: إن زهيراً كان راوية أوس، وإن الحُطَيْئَةَ راوية زهير، وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جُوَيّة؛ فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم، وكان عبيد راوية الأعشى ولم تُسمع له كلمة تامة، كما لم يسمع لحسين راوية جرير، ومحمد بن سهل راوية الكُمَيْت، والسائب راوية كُثَيْب؛ غير أنها كانت بالطبع أشدّ ثقةً وإليه أكثر استئناساً؛ وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة، وإنما تُفَضَّلُ القبيلةُ أختها بشيء من الفصاحة. ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفْلِقاً، وابن عمه وجارَ جنابه ولصيقَ طُئبه بكياً مُفْحَماً^(٢)؛ وتجد فيها الشاعرَ أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب؛ فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحِدّة القريحة والفطنة!

وهذه أمور عامة في جنس البشر لا تخصيص لها بالأغصّار، ولا يتصف بها دهرٌ دون دهر. فإن قلت: فما بال المتقدمين حُصّوا بمتانة الكلام وجزالة المنطق وفخامة

(١) شاعر مخضرم: أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد. قال ابن بري: أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم (بكسر الراء) لأن الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا أذان إبلهم، ليكون علامة لإسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا، ويقال لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم. وأما من قال: مخضرم (بفتح الراء) فتأويله عنده أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام.
اللسان (٥: ٧٥).

(٢) البكي: من قل كلامه خلقه. والمفحم: من لا يقدر أن يقول شعراً.

الشعر، حتى إن أعلّمنا باللغة وأكثرنا رواية للغريب لو حفظ كل ما ضمت الدواوين المروية، والكتب المصنفة من شعر فحل، وخبر فصيح، ولفظ رائع - ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوط مروياً، وجُلّ الغريب محفوظ منقول - ثم أعانه الله بأصح طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة، ثم حاول أن يقول قصيدة، أو يقرض بيتاً يقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أسره، وصلابة معجّمه لوجده أبعده من العيوق^(١) مُتناولاً، وأصعب من الكبريت الأحمر مطلباً؟ قلت: أحلتك على ما قالت العلماء في حماد^(٢) وخلف^(٣) وابن دأب^(٤) وأضرابهم، ممن تحلّ القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أضعافه، وضعب على أهل العناية إفراذه وتعرّس، مع شدة الصعوبة حتى تكلف فلي الدواوين واستقراء القصائد فنفي منها ما لعله أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقيل^(٥) وهؤلاء محدثون حضريون، وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِر الاحتجاج بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقاة الشعراء.

فإن قلت: فما بال هذا النّمط والطريقة، وهذه المنقبة والفضيلة ينفرد بها الواحد في العصر وهو مشحون بالشعر، وكان فيما مضى يشمل الدّهماء ويعم الكافة؟ قلت لك: كانت العرب ومن تبعها من السلف تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره، ولا أسها سواه، وكان الشعرُ أحد أقسام منطقتها، ومن حقّه أن يُختص بفضل تهذيب، ويُفرد بزيادة عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمّل والصنعة خرج كما تراه فحماً جزلاً قوياً متيناً.

اختلاف الشعر باختلاف الطبائع

وقد كان القوم يختلفون في ذلك، وتباین في أحوالهم، فيرق شعرُ أحدهم، ويضلب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّرُ منطِقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق؛ فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام

- (١) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها.
- (٢) هو خلف بن حيان. أصله من خراسان، من سبي قتيبة بن مسلم؛ وكان من أفرس الناس لبيت شعر؛ وكان شاعراً يحمل الشعر على لسان العرب، وينحله إياهم. توفي سنة ١٨٠. فهرس ابن النديم ص ٧٤.
- (٣) هو حماد بن سابور؛ من سبي الديلم. كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها؛ وهو الذي جمع السبع الطوال. توفي سنة ١٥٥. وفيات الأعيان (١: ١٦٤).
- (٤) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب. كان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم؛ وكان يضعف في روايته. وكان في المدينة يضع الشعر وأحاديث السمير وكلاماً ينسبه إلى العرب، فسقط وذهب علمه؛ وحضيت روايته. توفي سنة ١٧١. المزهر (٢: ٢٥٩)، معجم الأدباء (١٦: ١٥٢).
- (٥) كذا في ب، وفي أ: «قيل».

بقدر دَمَائَةِ الْخَلْقَةِ وَأَنْتَ تَجِدُ ذَلِكَ ظَاهِرًا فِي أَهْلِ عَصْرِكَ وَأَبْنَاءِ زَمَانِكَ، وَتَرَى الْجَافِي الْجِلْفَ مِنْهُمْ كَثْرَ الْأَلْفَاظِ، مَعْقِدَ الْكَلَامِ، وَغَرَّ الْخَطَابِ؛ حَتَّى إِنَّكَ رُبَّمَا وَجَدْتَ أَلْفَاظَهُ فِي صَوْتِهِ وَنَعْمَتِهِ، وَفِي جُرْسِهِ وَلَهْجَتِهِ. وَمِنْ شَأْنِ الْبِدَاوَةِ أَنْ تُحْدِثَ بَعْضَ ذَلِكَ؛ وَلَأَجْلِهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ بَدَأَ جَفَا». وَلِذَلِكَ تَجِدُ شِعْرَ عَدِيِّ - وَهُوَ جَاهِلِي - أَسْلَسَ مِنْ شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ وَرَجَزَ رُؤْبَةَ وَهَمَّا أَهْلَانِ؛ لِمَلَاظِمَةِ عَدِيِّ الْحَاضِرَةِ وَإِيطَانِهِ الْرِيفِ، وَبُعْدِهِ عَنِ جِلَافَةِ الْبَدْوِ وَجَفَاءِ الْأَعْرَابِ، وَتَرَى رِقَّةَ الشِّعْرِ أَكْثَرَ مَا تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الْعَاشِقِ الْمَتِيمِ، وَالْغَزَلِ الْمَتَهَالِكِ؛ فَإِنَّ اتَّفَقَتْ لَكَ الدَّمَائَةُ وَالصَّبَابَةُ، وَانْضَافَ الطَّبَعُ إِلَى الْغَزْلِ؛ فَقَدْ جُمِعَتْ لَكَ الرِّقَّةُ مِنْ أَطْرَافِهَا.

أثر التحضر في الشعر

فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأذب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا، وألطفها من القلب موقعا؛ وإلى ما للعرب فيه لغات فاقصروا على أسلسها وأشرفها؛ كما رأيتهم يختصرون [الألفاظ] ^(١) الطويل؛ فإنهم وجدوا للعرب فيه نحو من ستين لفظة؛ أكثرها بشيع ^(٢) شنع؛ كالعسنت والعنطنط والعشنتق، والجسرب والشوقب والسلب والشودب، والطاط والطوط، والقاق والقوق ^(٣)، فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان، وقلة نبؤ السمع عنه. وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسمحو ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق، فانتقلت العادة، وتغير الرسم، وانتسخت هذه السنة، واحتدوا بشعرهم هذا المثال، وترفقوا ما أمكن، وكسوا معانيهم اللفظ ما سنع من الألفاظ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يبين فيها اللين، فيظن ضعفا، فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقا، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا؛ فإن رام أحدهم الإغراب والاقداة بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف، وأتم تصنع؛ ومع التكلف المقت، وللنفس عن التصنع نفرة، وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق، وإخلاق الديباجة.

(١) زيادة يقتضها السياق.

(٢) في ب: «أكثرها فيه شنع».

(٣) وردت هذه الألفاظ في الأصلين محرفة ومصحفة، فأصلحناها من لسان العرب وفقه اللغة للشعالي. وكل هذه الألفاظ ترادف الطويل.

تكلف أبي تمام وتفاوت شعره

وربما كان ذلك سبباً لطمس المحاسن؛ كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام، فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على توغير اللفظ، فقبح^(١) في غير موضع من شعره، فقال^(٢):

فكأنما هي في السَّماعِ جنادِلٌ وكأنما هي في القلوبِ كواكِبُ

فتعسف ما أمكن، وتغلغل في التصعب كيف قدر، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف إليه طلب البديع، فتحمله من كل وجه، وتوصل إليه بكل سبب، ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية، فاحتمل فيها كل عث ثقيل، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل؛ فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكدّ الخاطر، والحمل على القريحة؛ فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حسره^(٣) الإعياء، وأوهن قوته الكلال. وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن، أو الالتذاذ بمستظرف؛ وهذه جريرة التكلف!

ولست أقول هذا غصاً من أبي تمام، ولا تهجيناً لشعره، ولا عصبية عليه لغيره. فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وأتحل موالاته وتعظيمه، وأراه قبلة أصحاب المعاني، وقُدوة أهل البديع! لكن ما سمعتني أشرطه في صدر هذه الرسالة أنه يحظر إلا إتباع الحق وتحري العدل والحكم به لي أو علي. وما عدوت في هذا الفصل قضية أبي تمام، ولا خرجت عن شرطه أن يقول في يوسف السراج شاعر مصر في وقته^(٤):

فلو نَبِشَ المقابرَ عن زُهَيْرٍ لعول^(٥) بالبكاء وبالنَّحيبِ
متى كانت معانيه^(٦) عيالا على تفسير بقراط الطبيب
وكيف ولم يزل للشعر ماء يرفُّ عليه ربحانُ القلوبِ

(١) في أ «فتبيح».

(٢) ديوانه ص ٢٩.

(٣) حسره: أكله وأضعفه.

(٤) ديوانه ص ٤٨٩.

(٥) عول: رفع صوته بالبكاء: ورواه الديوان «الصرح».

(٦) رواية الديوان «قوافيه».

فخبرني هل تعرفُ شعراً أوحج إلى تفسير بقراط وتأويل أرسطوليس من قوله^(١):
 جَهْمِيَّةُ الأوصافِ إلا أنهم قد لَقَّبُوها جَوْهَرَ الأشياءِ^(٢)
 وقوله^(٣):

يومَ أفاض جوى أغاصَ تَعَزَّياً خاض الهوى بَحْرِي حجاج المزيِّدِ
 وأيُّ شعرٍ أقلَّ ماءً، وأبعد من أن يَرفَّ عليه رِيحانُ القلوب من قوله^(٤):

خَشُنتُ عليه أخت بني الحُشَيْنِ وأنجح فيك قول العاذِلَيْنِ
 ألم يُثْنَعك فيه الهجرُ حتى بَكَلتُ^(٥) لقلْبِه هجراً يَبِينِ^(٦)

فهل رأيت أغثَ من «بكلت» في بيت نسيب! ومن قوله^(٧):

أطلالَ الرسومِ لَطالَما قد أطلتَ منك أجيادُ الظباءِ
 بها شُغِلت دبابيجُ^(٨) البهاءِ فضخوةٌ وجهها نشر الضَّحاءِ
 لنا أيام لم تُذم الليالي بذكر البَيْنِ عَزَّيْنِ الصفاءِ
 فأضحى البينُ لا يرضى لَطَرْفي نواه بالبيكيِّ من السبكاءِ
 لقد طلع الفراقُ على ابن صَبْرِي فأثكله جلابيبُ العَزاءِ
 فالعجب كلُّ العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله^(٩):

أَيامنا ما كُنْتَ إلا مَواهباً وكنْتَ بإسعافِ الحبيبِ حَبائباً

(١) ديوانه ص ٣.

(٢) يصف الخمر. والجهمية في الأصل: فرقة دينية تنسب إلى جهم بن صفوان؛ ومذهبهم أنه لا فعل للمخلوقين؛ وإنما الفاعل هو الله سبحانه؛ فكانهم يصفون المخلوقات بالضعف. فهو يعيب للخمر التي صدق عليها نعت الجهمية بالضعف أن يسميها غيرهم جوهر الأشياء؛ أي أصلها.

(٣) ديوانه ص ١١١.

(٤) ديوانه ص ٣٢١؛ الموشح ص ٣١٠.

(٥) بكل: خالط، ورواية الديوان: «قرنت».

(٦) قال المرزباني في الموشح: «ومن ابتداءات أبي تمام المذمومة:

خَشُنتُ عليه أخت بني حُشَيْنِ

وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهم، وإنما أوقعه فيه محبته هنا للتجنيس».

(٧) لم نثر عليها في نسخ الديوان.

(٨) في الأصل: «دبابيج»، ولم نجد لها في كتب اللغة، فأصلحناها كما رأينا، لأن الديج النقش، والديجاج يجمع على دبابيج ودبابيج. المعرب ١٤٠، ١٤٣، الجمهرة (١: ٢٧)، اللسان (٣: ٨٦).

(٩) ديوانه ص ١٦.

سُغْرِبَ تَجْدِيداً لَعَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ
وَمَعْتَرِكَ لِلشُّوقِ أَهْدَى بِهِ الْهُوَى
كَوَاعِبِ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ
سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرِّ أَوْجِهِ
وَجَوْهَ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبُ
وَقَوْلُهُ (٢):

وَلَقَدْ أَرَاكَ فَهَلْ أَرَاكَ بِغَبْطَةِ
أَعْوَامٍ وَضَلَّ كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أَرْدَقَتْ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلَهَا
وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غِلَامٌ
ذَكَرَ النَّوَى، فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
بِجَوَى (٣) أَسَى، وَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامٌ

كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغث! وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه العُرَرِ في ديوانه كيف يرضى أن يقرن إليها تلك العُرَرِ! وما عليه لو حذف نصف شعره، فقطع السنَّ العيب عنه، ولم يشرع^(٤) للعدو باباً في ذمّه!

اختلاف شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة

ومن جنائيات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعه أن أخذهم بينا هو مُسْتَرْسِلٌ فِي طَرِيقَتِهِ، وَجَارٍ عَلَى عَادَتِهِ يَخْتَلِجُهُ (٥) الطَّبَعُ الْحَضْرِي، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الخنث، فإذا أنشد في خِلَالِ الْقَصِيدَةِ، وَجَدَ قَلْقًا بَيْنَهَا نَافِرًا عَنْهَا؛ وَإِذَا أَضِيفَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ وَأَمَامَهُ تَضَاعَفَتْ سُهُولَتُهُ، فَصَارَتْ زَكَكَةً. وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبعه، فينظم أحسن عقْد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة، حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعز طريق، ويتعسف أحسن مَرْكَب، فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طلاوة ما قد قدّم؛ كما فعل أبو تمام في كثير من شعره؛ ومنه قوله (٦):

لَوْ حَارَ (٧) مَرْتَادُ الْمَنِيَةِ لَمْ يَجِدْ
قَالُوا الرَّحِيلَ؛ فَمَا شَكَّكَتْ بِأَنَّهَا
إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا
فِي الْحَبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنْ تَلْذَا

(١) نجل: جمع نجلاء. وهي العين المتسعة.

(٢) ديوانه ص ٢٧٩. (٣) في الديوان: «نحوي».

(٤) شرعت الباب إلى الطريق؛ أنفذته إليه، وشرع الباب: أفضى إلى الطريق، وأشرعه إليه.

(٥) اختلجه: جذبته، وفي الأصل: حتى يخلججه.

(٦) ديوانه ص ٢٤٢. (٧) رواية الديوان: «جاء».

أَتظنني أجد السَّبِيلَ إلى العَزا
رُدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أسهلُ مطلباً
ذَكَرْتُكُمْ الأنواءَ ذَكَرَى بَعْضُكُمْ^(١)
إنِّي تأملت النوى فوجدتها
ثم عدل عن النسب فقال:

لو جاز سلطان القنوع وحكمه
من كان مزعى عزمه وهمومه
فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخسرواني، والوشي المنمنم، حتى
يقول:

لأله ذرُّك أي مغبر قفرة
أوما تراهها لا تراهها هزة
لا يوحش ابن البيضة الإخفيلاً^(٢)
تشأى العيون تعجرفاً وذملاً^(٣)

فنعص عليك تلك اللذة، وأحدث في نشاطك فترة؛ وهذه الطريقة أحد ما نعي
على أبي الطيب، وسنقول فيها وفي غيرها إذا استوفينا هذه المقدمة. ولو لم تكن هذه
الآبيات متناسقة مقترنة، ولم يكن يجمعها قصيدة، وتسمع في حال واحدة لكان أخفى
لعيها، وأستر لشيئها؛ فإنك تعلم بُعد ما بين قوله:

كادت لعرفان النوى ألفاظها
من رقة الشكوى تكون دموعاً
وقوله^(٤):

هن البجاري يا بجير
أهدى لها الأبوس الغوير
وقوله^(٥):

أهيس أليس لجا إلى همم
تغرق الأسد في آذيها أليسا^(٦)
لكنها افتقرت فغابت، ولم تقترن فتعرب وتشهر.

(١) في ديوانه: «بعضهم».

(٢) خرج إلى صفة الناقة بغير ذريعة إلى الخروج. وابن البيضة: الظليم. والإخفيل: الكثير الإخفال.

(٣) التعجرف: النشاط في السير. والذميل: نوع منه. وتشأى: تسبق.

(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحثري ص ١١.

(٥) ديوانه ص ١٥٣.

(٦) الأهيس: الشجاع، والأليس مثله. والليس: جمع أليس؛ وهو الشجاع الذي لا يبالي الحرب ولا يروعه. والآذي: الموج.

الأسلوب عند المؤلف

ومتى سمعتني أختارُ للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على الطبع، وأحسن له التسهيل؛ فلا تظنن أنني أريدُ بالسُّمَّح السُّهْلَ الضَّعِيفَ الرِّكِيكَ، ولا باللطيف الرشيق الخَيْتَ المؤنث؛ بل أريدُ التَّمَطَّ الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السُّوقِيَّ، وانحط عن البدويِّ الوحشيِّ، وما جاوز سَفْسَفَةَ نُضْرٍ ونُظْرَائِهِ، ولم يبلغ تَعَجْرُفَ هِمِّيَّانِ بن قُحَافَةَ^(١) وأضرابه؛ نعم، ولا أمركُ بإجراء أنواع الشعر كلِّه مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعة مذهبٍ بعضه؛ بل أرى لك أن تُقسِّم الألفاظ على رُتَبِ المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك؛ ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك؛ بل ترتب كلاً مرتبته وتوقيه حقّه، فتلطف إذا تغزلت، وتُفخِّم^(٢) إذا افتخرت، وتتصرّف للمديح تصرّف مواقعه؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدَام؛ فلكل واحد من الأمرين نَهْجٌ هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه.

وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصود على الشعر دون الكتابة، ولا بمختصّ بالنظم دون النثر؛ بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلاف كتابك في التشوق والتهنئة واقتضاء المواصلة، وخطابك إذا حدّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت وميّت.

فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قرّبت معانيه وسهّل حفظه؛ وأسرع علوّقه بالقلب ولُصوقه بالنفس؛ فأما القذف والإفحاش فسبب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم.

(١) هميان بن قحافة: أحد بني عامر؛ راجز إسلامي محسن؛ عاش في الدولة الأموية.

(٢) يقال: فخم الكلام، إذا عظمه، ومنطق فخم: جزل.

المطبوعون من الشعراء

وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعِظَمَ غَنَائِهِ فِي تَحْسِينِ الشعر، فتصَفَّحْ شعَرَ جَرِيرِ وَذِي الرُّمَّةِ فِي الْقَدَمَاءِ، وَالْبَحْتَرِيِّ فِي الْمَتَأَخِرِينَ، وَتَتَّبِعْ نَسِيبَ مَتَيْمِي الْعَرَبِ، وَمَتَغَزَلِي أَهْلِ الْحِجَازِ؛ كَعُمَرَ، وَكُثَيْبِ، وَجَمِيلِ، وَنُصَيْبِ، وَأَضْرَابِهِمْ، وَقِسْهُمْ بِمَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْهُمْ شِعْرًا، وَأَفْصَحَ لَفْظًا وَسِبْكَأً؛ ثُمَّ انظُرْ وَاحْكَمْ وَأَنْصَفْ، وَدَعْنِي مِنْ قَوْلِكَ: «هل زاد على كذا!» و«هل قال إلا ما قاله فلان!» فإن رُوَعَةَ اللَّفْظِ تَسْبِقُ بِكَ إِلَى الْحَكْمِ، وَإِنَّمَا تَفْضِي إِلَى الْمَعْنَى عِنْدَ التَّفْتِيْشِ وَالْكَشْفِ. وَمِثْلُكَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْبَابِ خَاصَّةً تَرْكُ التَّكَلُّفِ وَرَفْضُ التَّعَمُّلِ وَالِاسْتِرْسَالُ لِلطَّبِيعِ، وَتَجَنُّبُ الْحَمْلِ عَلَيْهِ وَالْعَنْفَ بِهِ؛ وَلَسْتُ أَعْنِي بِهَذَا كُلِّ طَبْعٍ، بَلِ الْمَهْدَبُ الَّذِي قَدْ صَقَلَهُ الْأَدَبُ، وَشَحَذَتْهُ الرُّوَايَةُ، وَجَلَّتْهُ الْفِطْنَةُ، وَأَلْهِمَ الْفَصْلَ بَيْنَ الرَّدِيِّ وَالْجَيِّدِ، وَتَصَوَّرَ أَمْثَلَةَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ.

السهل الممتنع من شعر البحتري

ومتى أردت أن تعرف ذلك عياناً، وتستثبته مُوَاجِهَةً، فتعرفَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَصْنُوعِ وَالْمَطْبُوعِ، وَقَفْضَ مَا بَيْنَ السَّمْحِ الْمُنْقَادِ وَالْعَصِيِّ الْمَسْتَكْرَهِ فَاعْمِدْ إِلَى شِعْرِ الْبَحْتَرِيِّ، وَدَعْ مَا يَصْدُرُ بِهِ الْإِخْتِيَارَ، وَيَعْدُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الْجُودَةِ، وَيَتَبَيَّنُ فِيهِ أَثَرُ الْإِحْتِفَالِ، وَعَلَيْكَ بِمَا قَالَهُ عَفْوُ خَاطِرِهِ، وَأَوَّلُ فِكْرَتِهِ، كَقَوْلِهِ^(١):

أَلَا مَعْ عَلَيَّ هَوَاكَ وَوَلَيْسَ عَدْلًا	إِذَا أَحْبَبْتُ مِثْلَكَ أَنْ أَلَامَا ^(٢)
أَعْيِدِي فِي نَظَرَةٍ مُسْتَثْبِي	تَوْخَى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَلَامَا
تَرَنِي كَبِدًا مَحْرَقَةً وَعَيْنَا	مُؤَرَّقَةً وَقَلْبًا مَسْتَهَامَا
تَنَاءتْ دَارُ عَالُوَةٍ بَعْدَ قُرْبِ	فَهَلْ رَكِبْتُ يَبْلُغُهَا السَّلَامَا!
وَجَدَّدَ طَيْقَهَا عَثْبًا عَلَيْنَا	فَمَا يَغْتَادُنَا إِلَّا لِمَامَا
وَرُبَّتْ لَيْلَةٌ قَدِ بَتَّ أَشْقَى	بِعَيْنَيْهَا وَكَمْفِيهَا الْمُدَامَا
قَطَعْنَا اللَّيْلَ لَثْمًا وَاعْتِنَا	وَأَفْنَيْنَاهَا ضَمًّا وَالتَّزَامَا

(١) ديوانه (٢: ٢٢٥).

(٢) الأثام: الإثم.

وقوله^(١):

إن كان أفضى الود عندك ينفع
منك الصدود ويان وصلك أجمع
وَجِدِي ويدعوني هواك فأتبع
أني امرؤ كلف بحبك مولع

أضفيك أفضى الود غير مقلل
وأراك أحسن من أراه وإن بدأ
يعتادني طربي إليك فيعتلي
كليفاً بحبك مولعاً ويسرني
وقوله^(٢):

أو فاشركيه في اتصال شهاده
خليت^(٣) عنه ونمت عن إشعاده
باتت تقلقل في صميم فؤاده
وجنبتة^(٤) فرأيت ذل قياده
وذي ولم أمليك عسير واداه
فبليت بعد صدوده ببعاده
وقوله^(٥):

رُدِّي على المشتاق بعض رُقاده
أشهرته حتى إذا هجر الكرى
وقسا فؤادك أن يلين للوغة
ولقد عززت فهان طوعاً للهوى
من منصفي من ظالم ملكته
ما كنت أعرف غير سالف وده
وقوله^(٥):

خيال إذا أب الظلام تأوياً
هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا
إليه وإلا قلت: أهلاً ومرحبا
يريني أناة الخطو ناعمة الصبا
وقامت مقام البدر لما تعيياً
غليلاً ولافتكت أسيراً مُعذباً
جهاًما^(٦) وإن أبرقت خلباً^(٧)
دلالاً فما إن كان إلا تجئباً
وآمن خواناً وأعتب^(٨) مُذنباً

أجدك ما ينفك يسري لزينبا
سرى من أعالي الشام يجلبه الكرى
وما زارني إلا ولهت صباية
وليلتنا بالجزع بات مساعفا
أضرت بضوء البدر، والبدر طالع
ولو كان حقاً ما أتاه لأطفأت
علمتُك إن منيت منيت مؤعداً
وكنت أرى أن الصدود الذي مضى
فوا أسفي حتام أسأل مانعاً

(١) ديوانه (٢: ٧٥).

(٢) ديوانه (١: ٥٥).

(٣) خلى الأمر وتخلي عنه: تركه.

(٤) يقال جنب فلان فلاناً، إذا دفعه وأقصاه.

(٥) ديوانه (١: ١٢٩).

(٦) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٧) البرق الخلب: المطمع المخلف.

(٨) أعتبه: طلب منه العتبي؛ والعتبي: الرضا.

سأنتني فؤادي عنك أو أتبع الهوى إليك إن استعفى^(١) فؤادي أو أبى
ثم انظر: هل تجد معنى مبتدلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً! وهل ترى صنعة
وإبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً! ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقّد ما
يتداخلك من الارتياح، ويستخفك من الطرب إذا سمعته، وتذكر صبوة إن كانت لك
تراها ممثلة لضميرك، ومصورة تلقاء ناظرك.

طبع البحترى في المدح

فإن قلت: هذا نسيب والنفس تهش له، والقلب يعلّق به، والهوى يسرع إليه،
فأنشد له في المديح قوله^(٢):

بلوناً ضرائب من قد ترى فما إن وجدنا لفتح^(٣) ضريباً
هو المرء أبدت له الحادثا ت عزمًا وشيكا ورأيا صليبا
تنقل في خلقي سؤددٍ سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جئته صارخا وكالبحر إن جئته مستثيبا
فتى كرم الله أخلاقه وألبسه الحمد بُرداً قشيبا
وأعطاه من كل خير يُعد دحظاً ومن كل مجد نصيبا
فدينك من أيّ خطب عرا ونائبة أو شككت أن تُثوبا

ثم خرج إلى الاستعطاف وأخذ في العتاب:

وإن كان رأيك قد حال فيّ فألبستني^(٤) بعد بشر قطوبا
وحَيَّبت أسبابي النازعات إليك وما حقها أن تخيبا
يُرِيبني الشئىء تآني به وأكبرُ قدرك أن أسثريبيا
وأكره أن أتمادى على سبيل اغترار فألقى شعوبيا^(٥)
أكذب ظني بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذمّ الزمان وأشكو الخطوبا
ولا بد من لومة أنتحي عليك بها مخطئاً أو مُصيبيا

(١) في ديوانه: «استعصى».

(٢) ديوانه (١ : ٥١).

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، كان أديباً شاعراً فصيحاً. اجتمعت له خزانة كتب حافلة،
وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧.

(٤) في ديوانه: «فلقيتني».

(٥) شعوب: النية.

أَبْصَبِحَ وَرَدِّي فِي رَاحَتَيْهِ
أَبِيعَ الْأَحْبَةَ بَيْعَ السَّوَامِ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ
وَمَا كَانَ سَخَطُكَ إِلَّا الْفِرَاقُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا لَمَا
سَأَصْبِرُ حَتَّى الْأَقْيِ رِضًا
أَرَاقِبُ رَأْيَكَ حَتَّى يَصْحَ

كَ رَنْقًا وَمَزْعَايَ مَخْلًا جَدِيبًا
وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ حَبِيبًا حَبِيبًا
يُشَقِّقُ فِيهِ الْوَدَاعُ الْجِيُوبَا
أَفَاضَ الْعَيْونَ وَأَشْجَى الْقُلُوبَا
تَخَالَجَنِي الشُّكُّ فِي أَنْ أَتُوبَا
كَ إِمَّا بَعِيدًا وَإِمَّا قَرِيبَا
وَأَنْظُرُ عَطْفَكَ حَتَّى يَتُوبَا

العذب من شعر جرير

وإنما أخلتُك على البُخترِي؛ لأنه أقرَّبَ بِنَا عَهْدًا، ونحن به أشدُّ أنسًا، وكلامه أليقُ بطباعتنا، وأشبهُ بعاداتنا؛ وإنما تألَّفَ النَّفسُ ما جَانَسَهَا، وتَقَبَّلَ الأَقْرَبُ فالأَقْرَبُ إليها. فإن شئتَ أن تعرفَ ذلك في شعرِ غيره كما عرفته في شعره، وأن تعتبرَ القديمَ كاعتبارِ المولَّدِ فأنشد قولَ جرير^(١):

أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَيْلُهُ
إِذَا مَا أَرَادَ الْحَيَّ أَنْ يَتَفَرَّقُوا^(٢)
فِيَا لَيْتَ أَنَّ الْحَيَّ لَمْ يَتَزَيَّلُوا^(٤)
إِذِ الْحَيُّ فِي دَارِ الْجَمِيعِ كَأَنَّمَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّ بِالْعُورِ حَاجَةٌ
نَظَرْتُ بِرَهْبًا^(٦) وَالطَّعَائِنُ بِاللَّوَى^(٧)
وَمَا أَبْصَرَ النَّارَ الَّتِي وَضَحَتْ لَنَا
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى أَيْحَ^(٩) لِي الْهَوَى
حَلِيلِي لَوْلَا أَنْ تَطَّلْنَا بِبِي الْهَوَى

إَلَيْنَا نَوَى ظَمِيَاءَ حَيِّيَّتِ وَإِدِيَا^(٢)
وَحَنَّتْ جَمَالَ الْحَيِّ حَنَّتْ جَمَالِيَا
وَأَمْسَى^(٥) جَمِيعًا جِيرَةً مُتَدَانِيَا
يَكُونُ عَلَيْنَا نِصْفُ حَوْلٍ لِيَالِيَا
وَأُخْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بَدَا لِيَا
فَطَارَتْ بِرَهْبًا شُعْبَةً مِنْ قُوَادِيَا
وَرَاءَ جُفَافِ^(٨) الطَّيْرِ إِلَّا تَمَارِيَا
عَلَى مَا تَرَى مِنْ هِجْرَتِي وَاجْتِنَابِيَا
لَقُلْتُ سَمِعْنَا مِنْ عَقِيلَةَ دَاعِيَا

(١) نقائض جرير والفردزق (١: ١٥٩)، ديوانه ص ٦٠١.

(٢) يقول: أنبت هذا الوادي عشبا، فانتجعتهم ظمياء وأهلها، فأقاموا فيه، فالتقينا به.

(٣) في النقائض والديوان: «يتزولوا»، وهي بمعنى يتفرقوا.

(٤) في النقائض والديوان: «يتفرقوا».

(٥) في أ «وأمسوا».

(٦) رهبا: قاع في الصمان في ديار بني تميم: معجم البلدان.

(٧) اللوى: واد من أودية بني سليم.

(٨) جفاف الطير: ماء لبني جعفر بن كلاب.

(٩) في النقائض: أبيع.

قَرِيبٌ وَمَا ذَاتَيْتُ بِالوُدِّ دَانِيَا
وإن كَانَ قَدْ أَغَيَا الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
مَنْعَتِ وَحَلَّاتٍ^(١) القُلُوبَ الصَّوَادِيَا
شَمْسَنَ^(٢) وَوَلَّيْنَ الخُدُودَ العَوَاصِيَا
بِخَيْرٍ وَجَلَى عَمْرَةَ عَن فُؤَادِيَا
وَأَنْ أَكْثَمَ الوُجْدَ الَّذِي لَيْسَ خَافِيَا
قَرِيبَا وَتَلَقَى خَيْرَهُ مِنْكَ نَائِيَا
عَلَى وَضِلَ لَيْلَى قُوَّةً مِنْ جِبَالِيَا
يَخُوضُ خُدَارِيَا^(٣) مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا
مَزَارَا عَلَى ذِي حَاجَةٍ مُتْرَاحِيَا^(٤)

سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي اخْتِمَالِيَا
مِنَ الأَرْضِ أَنْ تَلَقَى أَخَا لِي قَالِيَا
أَبْعَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ المَوَالِيَا^(٥)
فَمَا لِكَ فِيهِمْ مِنْ مَقَامٍ وَلَا لِيَا
قُدُوتِكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
لِيَالِي أَرْجُو أَنْ مَالِكَ مَالِيَا
فإنْ أَعْرَضْتَ أَيَقْنَتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا^(٦)
قَطَعْتَ القُوى مِنْ مَحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا

قِفَا فَاسْمَعَا صَوْتَ المُنَادِي لَعَلَّهُ
وَلَوْ أَنَّهَا شَاءَتْ شَفَثْنِي بِهَيِّينِ
فإنَّكَ إِن تُعْطِي قَلِيلًا قَطَالِمَا
دُوَّ عِتَاقِ الطَّيْرِ أَسْمَحَنَ بَعْدَمَا
إِذَا اكْتَحَلْتَ عَيْنِي بِعَيْنِكَ مَسْنِي^(٧)
وَيَأْمُرْنِي العُدَالُ أَنْ أَغْلِبَ الهَوَى
فِيَا حَسَرَاتِ القَلْبِ فِي إِثْرٍ مَنْ يَرَى
تُعَيِّرُنِي الإِخْلَافَ لَيْلَى وَأَفْضَلْتَ
تَخْطَى إِلَيْنَا مِنْ بَعِيدِ خِيَالِهَا
فحُيِّيتَ مِنْ سَارٍ تَكَلَّفَ مَوْهِنَا

ثم خرج فقال:

وَإِنِّي لَعَفُ القَفْرِ مُشْتَرِكِ العِنَى
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ وَالخَرْقُ^(٨) بَيْنَنَا
وَقَائِلَةٍ، وَالدَّمْعُ يَغْسِلُ كُحْلَهَا:
فَرُدِّي جَمَالَ النِّبِينِ^(٩) ثُمَّ تَحْمَلِي
تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَّرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي
وَإِنِّي لَمَغْرُورٌ أَعْلَلُ بِالمُنَى
فَأَنْتَ أَجْبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً
بِأَيِّ نَجَادٍ^(١٠) تَحْوِلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا

(١) حلّات: منعت؛ والصوادى: العطاش.

(٢) شمسن: امتنعن.

(٣) أي الاكتحال.

(٤) الخدارى: الأسود.

(٥) الموهن: الجزء من الليل، والمتراحى: البعيد.

(٦) الخرق: القفر.

(٧) الموالى: بنو العم.

(٨) فى النقائض: الحى.

(٩) رواية النقائض:

فلن عرضت فلاني لا أبا ليا

فأنت أباى ما لم تكن لى حاجة

(١٠) نجاد السيف: حمائله.

بَأْيِ سِنَانٍ تَطْعَنُ الْقَرْمَ^(١) بَعْدَ مَا
 أَلَمَ أَكْ نَاراً يَضْطَلِّيهَا عَدُوَّكُمْ
 وَبَسِطَ خَيْرٍ فِيكُمْ بِيَمِينِهِ
 إِذَا سَرُّكُمْ أَنْ تَمْسُحُوا وَجْهَ سَابِقِ
 أَنَا ابْنُ صَرِيحِي خَنْدِفٍ غَيْرِ دَعْوَةٍ
 وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ
 أَلَا لَا تَخَافَا نُبُوَّةَ فِي مِلْمَةٍ

نَزَعَتْ سِنَاناً مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
 وَحِرْزاً لِمَا أَلْجَأْتُمْ مِنْ وَرَائِيَا
 وَقَابِضَ شَرِّ عَنَّاكُمْ بِشِمَالِيَا
 جَوَادٍ فَمُدُّوا وَابْسُطُوا مِنْ عِنَائِيَا
 يَكُونُ مَكَانُ السَّيْفِ مِنْهَا مَكَانِيَا^(٢)
 وَلِلسَّيْفِ أَشْوَى^(٣) وَقَعَةٌ مِنْ لِسَانِيَا
 وَخَافَا الْمَتَايَا أَنْ تَفُوتَكُمَا بِيَا

وإنما أثبتت لك القصيدة بكمالها، ونسختها على هيئتها، لترى تناسب أبياتها وازدواجها، واستواء أطرافها واشتباهاها، وملاءمة بعضها لبعض، مع كثرة التصرف على اختلاف المعاني والأغراض.

الحشو في الشعر

وقد علمت أن الشعراء قد تَدَاوَلُوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان؛ حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا في النادر الفذ؛ ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس^(٤):

تَضُدُّ وَتُبْدِي عَنُ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي
 بِنَاظِرَةَ مِنْ وَخَشِ وَجِرَّةَ مُطْفَلٍ^(٥)
 أو قابلته بقول عدي بن الرقاع:
 وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا
 عَيْنِيهِ أَخْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ^(٦)

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قربهما منه؛ والمعنى واحد، وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيدٌ عن البديع؛ إلا ما حَسُنَ به من الاستعارة اللطيفة، التي كسته هذه البهجة. هذا وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذِفَ لاستغني عنه وما لا فائدة في ذكره؛ لأن امرأ القيس قال: «من وَخَشِ وَجِرَّة»، وعدياً قال: «من جآذر جاسم»، ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما في إتمام

(١) القرم: السيد. ورواية النفاض: «القوم».

(٢) الصريح: الخالص؛ ويريد بصريحي خندف: مدركة وطابخة ابني إلياس بن معد. والدعوة: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه.

(٣) يقال رمى فأشوى؛ إذا لم يصب.

(٤) الديوان ص ٢٨.

(٥) وجرة: موضع بين مكة والبصرة. والمطفل: ذات الطفل من الإنسان.

(٦) اللسان (١٤: ٣٦٦). وجاسم: موضع بالشام. والجؤذر: ولد البقرة.

النظم، وإقامة الوزن، ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وَجْرة وجاسم، وإنما يَطْلُبُ به بعضهم الإغرابَ على بعض؛ وقد رأيتُ طبَّاءَ جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الأطباء. وسألت من لا أَحْصِي من الأعراب عن وحش وَجْرة فلم يَرَوْا لها فضلاً على وحش ضَرِيَّة^(١) وغزلان بَسِيْطَة^(٢)، وقد يختلف خَلْقُ الطُّبَّاءِ وألوانها باختلاف المَشْأِ والمرْتع؛ وأما العيون فقلُّ أن تختلف لذلك؛ وأمَّا ما تَمَّم به عدي الوصف، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على إثر هذا البيت^(٣):

وَسَنَانٌ أَيْقَظُهُ^(٤) الثُّعَاسُ فَرَّتْكَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ

فقد زاد به على كلِّ مَنْ تقدم، وسبق بفضله جميع من تأخر، ولو قلتُ: اقتطع هذا المعنى فصار له، وحَظَرَ على الشعراء ادِّعاء الشُّرك فيه لم أرني بَعُدْتُ عن الحق، ولا جَانَبْتُ الصُّدُق. وقد تغزل أبو تمام فقال^(٥):

دَعْنِي وَشُرْبَ الهوى يا شَارِبِ الكَاسِ فَإِنِّي لِلَّذِي حَسِيْتَهُ حَاسِي
لا يُوحِشُكَ ما استعجمت من سَقَمِي فَإِنَّ مَنْزَلَهُ من^(٦) أَحْسَنِ النَّاسِ
من قَطَعِ أَلْفَاطِهِ^(٧) توَصِيلُ مَهْلِكَتِي وَوَضِلَ أَلْحَاطِهِ تَقْطِيعُ أُنْفَاسِي
متى أَعِيشَ بِتَأْمِيلِ الرَّجَاءِ إِذَا ما كان قَطْعُ رَجَائِي فِي يَدِي يَاسِي^(٨)

فلم يَخُلُ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة؛ طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من عَزَلِه. وحق لها؛ فقد جمعت على قِصْرِها فنونا من الحُسن، وأصنافاً من البديع، ثم فيها من الإحكام والمتانة والقوة ما تراه؛ ولكنتي ما أظنك تجد له من سَوْرَةِ الطُّرْبِ، وارتياح النفس ما تجده لقول بعض الأعراب^(٩):

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسِ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالضُّمَارِ^(١٠)
تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدِ فَمَّا بَعَدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ^(١١)

(١) ضرية: موضع بنجد.

(٢) اللسان (١١: ٤١٨).

(٣) رواية اللسان «أقصده»، ورنق النوم في عينه. خالطها.

(٤) ديوانه ص ٤٤٥.

(٥) في الأصلين في. وهذه رواية الديوان.

(٦) في الأصل: أوصاله.

(٧) اليأس: قطع الأمل.

(٨) ديوان الحماسة (٣: ٢١٤)، واللسان (٦: ٢٣٥)، ونسبها للصفمة بن عبد الله القشيري.

(٩) المنيفة: ماء لبني تميم، والضمار: موضع.

(١٠) يقال: تمتع بكذا ومن كذا، والشميم: مصدر شم، والعرار: وردة ناعمة صفراء، طيبة الرائحة.

أَلَا يَا حَبِيبًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيَّارَوْضِهِ غِبِّ الْقَطَارِ^(١)
وعيشك إذ يحلُّ القوم نَجْدًا^(٢) وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ
شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٌ وَلَا سِرَارِ^(٣)
فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ
فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المآخذ، قريب التناول.

وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتُسَلِّمُ السُّبْقُ فِيهِ لِمَنْ وَصَفَ فَأَصَابَ، وَشَبَّهَ فِقَارِبَ، وَبَدَّهَ فَأَغْزَرَ، وَلِمَنْ كَثُرَتْ سَوَائِرُ أَمْثَالِهِ وَشَوَارِدُ آيَاتِهِ؛ وَلَمْ تَكُنْ تَعْبَأُ بِالتَّجْنِيسِ وَالمُطَابَقَةِ، وَلَا تَحْفِلُ بِالإِبْدَاعِ^(٤) وَالاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض.

(١) النفع: تضيوع الرياح بالطيب، والرياء: الرائحة، وغب كل شيء: عاقبته، والقطار: جمع قطر؛ وهو المطر. ورواية الحماسة واللسان:

ورياروضه بعد القطار

(٢) رواية الحماسة:

وأهلك إذ يحل الحسي نجدا

(٣) سرار الشهر: آخره.

(٤) يقال: أبدع الرجل؛ إذا أتى بالبديع.

البدیع

وقد كان يقع ذلك^(١) في خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد؛ فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميَّزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسمَّوه البديع؛ فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفترط.

مَثَل من الاستعارة الحسنة

فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير^(٢):

وَعُرِّي أفراس الصُّبَا ورواحله^(٣)

وقول لبيد^(٤):

إذ أَصْبَحَتْ بيد الشَّمَالِ زمامها^(٥)

وقول ابن الطُّرَيْبِ^(٦):

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالت بأعناقِ المطيِّ الأباطِخِ^(٧)

(١) ذلك؛ أي استعمال البديع والاستعارة.

(٢) ديوانه ص ٢٤.

(٣) صدره:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

قال الأعلام: «هذا مثل ضربه؛ أي ترك الصبا وركوب الباطل. وتقدير لفظه: عريت أفراس ورواحل كنت أركبها في الصبا وطلب اللهو».

(٤) شرح المعلمات للتبريزي ص ١٥٨، نهاية الأرب (٧: ٤٩).

(٥) صدره:

وغداة ریح قد وزعت وقرة

والضمير في أصبحت يعود على الغداة؛ أي أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال؛ وهي أبرد الرياح.

(٦) أسرار البلاغة ص ١٦. وقيله:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو مسح

وشدت على دهم المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

(٧) الأباطخ: جمع أبطخ، وهو المسيل الواسع فيه دفاق الحصى.

وقول الحارث بن جِلْزَة^(١):

حتى إذا التَفَعَ الطُّبَاءُ بِأَطْفَالِهِمْ
راف الظَّلَالِ وَقِلْنَ فِي الكُنُسِ^(٢)
وقول أبي نُؤاس^(٣):

أعطتك ربحانها العُقار

وقوله:

بصحن خَدُّ لَمْ يَغْضُ مَاؤُهُ
ولم تخضه أَعْيُنُ النَّاسِ
وقوله^(٤):

جَرَيْتُ مَعَ الصُّبَا طَلُقَ الجُمُوحُ
وهان عليّ مَأْتُور القَبِيحِ
وقوله:

مباحة ساحة القلوبِ له
يرتع فيها أطايب الثمر
وقوله:

وإِذَا بَدَأَ افْتَادَتْ مَحَاسِنُهُ
فَسُرَّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الحَدَقِ
وقوله يصف الكأس^(٥):

بنينا على كِسْرَى سماءِ مُدَامَةٍ
مُكَلَّلَةٌ حَافَاتُهَا بِنَجُومِ
وقول مسلم:

ولما تلاقينا قضى الليلُ نَحْبَهُ

وقوله^(٦):

ظلمتُك إن لم أَجْزِلِ الشُّكْرَ إِنَّمَا
جَعَلْتَ إِلَى شُكْرِي نَوَالِكَ سُلْمًا
فانظر كم بين استعارته السُّلْمَ، واستعارة أبي تمام له في قوله^(٧):

مَاضِرٌ أَرْوَعَ يَزْتَقِي فِي هِمَّةٍ
رُوعَاءُ^(٨) أَنْ لَا يَرْتَقِي فِي سُلْمِ

(١) شعراء النصارية ص ٤٢٠.

(٢) قطن: نمن وقت القائلة؛ وهي الظهيرة. والكنس: جمع كناس؛ وهو مكان الأطباء في الشجر.

(٣) ديوانه ص ٢٧٤، عجزه:

وحن من ليلك السفار

(٤) ديوانه ص ٢٥٧.

(٥) ديوانه ص ٣٢٧.

(٦) مختارات البارودي (١: ١١٥).

(٧) ديوانه ص ٣١٣. ومختارات البارودي (١: ٢١٣).

(٨) في الديوان ومختارات البارودي: «علياء».

- وأوَّل من علمناه افتتح هذه اللفظة الحُصين بن الحُمَام المُرِّي في قوله^(١) :
 فلستُ بمبتاع الحياة بذلة ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشِيَةِ الموت سُلْمَا
 وهذا قريب من الحقيقة، وإن كان فيه شُعْبَةٌ من ضرب المثل .
 وقول أبي تمام^(٢) :
 أَدَّتْ نِقَاباً عَلَى الخَدَّيْنِ وَأَنْتَقَبْتُ^(٣) لِلنَّاطِرِينَ بِقَدِّ^(٤) لَيْسَ يَنْتَقِبُ
 وقوله^(٥) :
 وَقَدْ عَلِمَ الأَفْشِينَ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يَصَانُ رِداءُ المَلِكِ عَن كُلِّ جاذِبِ^(٦)
 وقوله^(٧) :
 رَقَّتْ حَوَائِشي الدَهرِ فَهِيَ تَمَرَمُرُ وَعَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ^(٨)
 على أن لفظة «يتكسر» حَضْرِيَّةٌ مولدة .
 وقوله^(٩) :
 وَكَمْ سَرَقَ^(١٠) الدُّجَى مِنْ حُسْنِ صَبْرٍ وَغَطَى مِنْ جِلَادِ فَتَى جَلِيدٍ
 وقوله^(١١) :
 وَيَضْحَكُ الدَهرُ مِنْهُمْ عَن عَطَارِقَةٍ^(١٢) كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ
 وقول البحترى^(١٣) :
 يُذَكِّرُنَا رِيًّا الأَحِبَّةَ كُلِّمًا تَنَفَّسَ فِي جَنحِ مِنَ اللَّيْلِ بارِدِ
 وقوله يصف الخيال^(١٤) :
 إِذَا نَزَعَتْهُ مِنْ يَدِيَّ انتِباهاةً عَدَدَتْ حَبِيباً راحَ مِنِّي أَوْ عَدَا

- (١) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٤) .
 (٢) ديوانه ص ٤٧ .
 (٣) في الديوان : «انتسبت» .
 (٤) في أ «بقد»، وصوابه من ب .
 (٥) ديوانه ص ٤٢ .
 (٦) الأفشين : كان عبداً للمعتصم فاصطنعه ورفع شأنه، ثم قتله . والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلي ؛ أحد قواد المأمون ثم المعتصم، مطلعها :
 على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
 وهي من عيون القصائد .
 (٧) ديوانه ص ١٥٦ .
 (٨) تمرمر : تتمايل . والثرى : التراب . والحلي : الزينة . وتكسر : تشنى .
 (٩) ديوانه ص ١٠٦ .
 (١٠) في الأصلين «شرق»، وما أثبتناه عن الديوان .
 (١١) ديوانه ص ٣٧٢ .
 (١٢) العطارقة : السادة .
 (١٣) ديوانه (١ : ١٣٦) .
 (١٤) ديوانه (١ : ١٧٤) .

وقوله (١):

وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ
بَرَقت مصابيح الدجى في كُتُبِهِ
وقوله (٢):

وَكُنْتُ إِذَا اسْتَبْطَأْتُ وَدَكَ زُرْتُهُ
بتفويف شِعْرِ كَالرِّدَاءِ الْمُحَبَّرِ (٣)
وقول ابن المعتز:

أَقُولُ وَدَمَعَ الْعَيْنُ تَسْرِقُهُ يَدِي
حذار لدمع الشامت المتودد
وقوله (٤):

سَارُوا وَقَدْ خَضَعَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ لَهُمْ
حتى توقد في ذيل الدجى الشفق
وقوله:

لَوْ تَرَانَا إِذَا انْتَبَهْنَا قَعُودًا
نستشف القرى عن الأحلام
وقوله (٥):

مَا زَالَ يَلْطِمُ خَدَّ الْأَرْضِ وَابِلَهَا
حتى وقَّت خدَّها العُذْرَانُ وَالْخَضْرُ
وشتان ما بين هذا اللطم ولطم أبي تمام في قوله (٦):

مَلْطُومَةٌ (٧) بِالْوَرْدِ أَطْلَقَ دُونَهَا
في الخلق فهو مع المئون مُحَكَّم
وإنما نازع أبا نُوَاسٍ قَوْلَهُ (٨):

يَبْكِي فَيَذُرِي الدَّرَّ مَنْ نَزَّجَسَ
وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بَعُثَابِ

فسبق أبو نواس بفضّل التقدّم والإحسان، وحصل هو على نَقْصِ السَّرِقِ
والتقصير؛ لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص.

وقول كُشَّاجِمٍ يَصِفُ السَّحَابَ (٩):

مُقْبِلَةٌ وَالْخَضْبُ فِي إِقْبَالِهَا
والرعدُ يحدو الوُزُقَ (١٠) من جمالها

(١) ديوانه (١ : ٦٨).

(٢) ديوانه (١ : ١٥٠).

(٣) البرد المفوف: الرقيق. والمحبر: الموشى.

(٤) ديوانه (١ : ٤١)، وقد رواه «في ثوب الدجى».

(٥) ديوانه (٢ : ١٢١).

(٦) ديوانه ص ٢٨٤.

(٧) رواية الديوان: «مظلومة للورد أطلق طرفها».

(٨) نهاية الأرب (٧ : ٤٦). وفي هامش ب قبله:

يَا قَمْرًا أَبْصَرْتَ فِي مَاتِمٍ يَنْدُبُ شَسْجَوًا بَيْسِنَ أَتْرَابِ

(٩) ديوانه ص ١٥٩.

(١٠) في الأصلين: والرعد يحدو البرق من أحجالها

وهذه رواية الديوان.

بخطبة^(١) أبدع في ارتجالها
تجلّها الریح عن استعجالها
فحين ضاق الجوّ عن مجالها
جثوبها تشكو إلى شمّالها
كأنما تسألها^(٥) عن حالها
وكاد أن ينهض لإستقبالها
حتى لقال^(٧) الثرب من تهطالها
ثم أنثنى يُثنى على فعّالها
وقول السري الموصلي^(٩):

أقول لحنان العشي المغرد^(١٠)
تبسم عن ري البلاد صبيبه^(١١)
ويا دبرها الشرقي لا زال رائح
عليلة أنفاس الرياح كأنما
يشق جيوب الورد في جنباته

فقد جاءك الحسن والإحسان، وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة

اللفظ .

(١) في الأصلين:

مخطبة أبدع في أرجالها

وهذه رواية الديوان .

(٢) في الديوان: «كما» .

(٣) رواية الديوان:

فحين ضاق الجوّ عن مجالها
كأنما يسألها عن حالها

والزهر قد أصغى إلى مقالها
وراحت الرياح من كلالها

(٤) يقال: جاء على أدّاله: أي وجهه، ورواية الديوان: «على دلّالها» .

(٥) في الديوان: «نسالها» .

(٦) في الديوان: «فسمحت» .

(٧) رواية الديوان:

حتى أتاك الشرب من هطالها

(٨) في الأصلين: «لي» .

(٩) ديوانه ص ٩٧، وقد قال هذه القصيدة يتشوق إلى الموصل ويذكر خرابها .

(١٠) في الأصلين: «مغرد» . وهذه رواية الديوان .

(١١) في الديوان: حبيبه .

(١٢) في الديوان: «يغتدى» .

مُثَل من الاستعارة السيئة

فإذا سمعت بقول أبي تمام:	
باشرت أسباب الغنى بمدائح	ضربت بأبواب الملوك طُبُولا
وبقوله ^(١) :	
لها بين أبواب الملوك مَزَامِيرُ	من الذكر لم تنفخ ولا هي تزمُرُ
وبقوله ^(٢) :	
إذا ما الدهر جرَّ جرَّ ^(٣) جَرَّتْ أيادي	يديه ^(٤) فغَشَّتِ الدُّنْيَا ظِلَالَا
وبقوله ^(٥) :	
يا دهر قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ	أَضَجَّجْتَ هذا الأنام من حَرَقِكَ ^(٦)
وبقوله ^(٧) :	
إلى ملك في أَيْكَةِ المجد لم يَزَلْ	على كَبِدِ المَعْرُوفِ من نيله بَزْدِ ^(٨)
وبقوله ^(٩) :	
كَأَنَّنِي حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ	عَضِبَ ^(١٠) صَبِيَتْ بِهِ مَاءَ عَلى الزَّمَنِ ^(١١)
وقول أبي نُؤاس:	
يا عمرو أضححت مبيضة كَبِدِي	فاصبغ بياضا بعصفر العنْبِ
فاسد مسامعك، واستغش ^(١٢) ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات	نحوه؛ فإنه مما يُصدئ القلب ويُغميه، ويطمس البصيرة، ويكدّ القريحة.

(١) ديوانه ص ١٦٠.

(٢) في الديوان: «جار».

(٣) ديوانه ص ٢١٠.

(٤) الأخدعان: عرقان في العنق، والخرق: الحمق.

(٥) ديوانه ص ١٠٨.

(٦) الأيكة: الشجر الملتف. ورواية الديوان:

(٧) لدى ملك من أَيْكَةِ الجود لم يزل

(٨) ديوانه ص ٣٣٤.

(٩) في الديوان: «غضا».

(١٠) كذا رواه، وفي مختارات البارودي (١: ٢١٦).

(١١) كأنني يوم حررت الرجاء له

(١٢) يقال: استغشى ثيابه، وتغشى بها: تغطى بها حتى لا يرى ولا يسمع؛ وفي التنزيل:

﴿واستغشوا ثيابهم﴾.

الفرق بين التشبيه والاستعارة

وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارةً وهو تشبيه أو مثل؛ فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس:

والحُبُّ ظَهْرٌ أَنْتَ رَاكِبُهُ فإذا صرَفْتَ عِناهُ انصَرَفَا
ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر، أو الحب كظهر تُديره كيف شئت إذا ملكت عِناهُ؛ فهو إمّا ضرب مَثَلٍ أو تشبيه شيء بشيء؛ وإنما الاستعارة ما اكتُفِيَ فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكها تقريب الشَّبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر.

التجنيس المطلق

فأما التجنيس؛ فقد يكون منه المطلق، وهو أشهر أوصافه، كقول النابغة^(١):
وَأَقْطَعُ الحَرْقُ الحَرْقَاءَ قَدْ جَعَلْتُ بعد الكلالِ تشكِّي الأَيْنِ والسَّامَا^(٢)
وقول الشَّنْفَرَى^(٣):
فَبِئْسَ مَا كَانَ البَيْتِ حُجْرًا فَوْقَنَا برِيحَانَةٍ رِيحَتْ^(٤) عِشَاءً وَطُلَّتْ
وقول رؤبة:

أَحْضَرْتُ أَهْلَ حَضْرَمَوْتِ مَوْتَا

فجانس في موضعين في بيت رجز.

وقول أبي تمام^(٥):

تَطَلُّ الطَّلُولُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَتَمَثَّلُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارُ المَوَائِلُ^(٦)

(١) ديوانه ص ٦٧.

(٢) الحرق: الواسع من الأرض الذي ينحرق فيه الريح. والخرقاء: الناقة التي بها هوج من نشاطها. والأين: الإعياء. والسأم: الفتور والملل؛ يشير إلى بعد السفر وطوله، وأنه استعمل هذه الناقة نشيطة في أول أمرها حتى أعييت من طول السفر؛ فلو كانت مما يشتكي لشكت طوله. شرح ديوان النابغة للبطلوسي ص ٦٧.

(٣) مهذب الأغاني (١: ٩٦).

(٤) ريحت: أصابتها ريح، فجاءت بنسيمها.

(٥) ديوانه ص ٢٥٥.

(٦) تطل: تسكب. الطلول: الآثار. وتمثل: تقتله بتعذيب. الموائل: الدوارس.

فجانس في المصراعين .

وقول البحتري^(١) :

صَدَقَ العُرَابُ لَقَدْ رَأَيْتَ حَمُولَهُمْ^(٢) بِالْأَمْسِ تَغْرِبُ عَنِ جَوَانِبِ غَرْبِ
فجانس بثلاثة ألفاظ .

التجنيس المستوفى

وقد يكون منه التجنيس المستوفى، كقول أبي تمام^(٣) :

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ^(٤) يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٥)

فجانس بيحيا ويحيى، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر؛ وإنما عُدَّ في هذا الباب لاختلاف المعنيين؛ لأن أحدهما فعلٌ والآخر اسم؛ ولو اتفق المعنيان لم يُعَدَّ تجنيساً، وإنما كان لفظة مكررة، كقول امرئ القيس^(٦) :

فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا^(٧) فَشَوِباً نَسَيْتُ وَثَوِباً أُجْرَ

فقد تكرر في البيت ذكر الثوب، كما تكرر ذكر يحيى في بيت أبي تمام، إلا أن هذين اتَّفَقَ معناهما، واختلف ذلك المعنيان؛ فَعُدَّ الأول من البديع .

ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعضُ أهل الأدب قول الأعشى^(٨) :

إِنَّ تَسَدَّ الحُوصِ^(٩) فَلَمْ تَعُدَّهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ

فأقول: إنه قد جانس بعامر وعامر؛ لأن الأول اسم رجل^(١٠)، والآخر اسم قبيلة . وأراه يخالف قول الآخر^(١١) :

قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضُّبَيْعَاتِ كُلِّهَا ضُبَيْعَةَ قَيْسٍ لَا ضُبَيْعَةَ أَضْجَمَا

لأن كليهما قبيلتان، فكأنما جمع بين رجلين مُتَّفَقِي الاسم .

(١) ديوانه ص ١٩ . (٢) رواية الديوان والعمدة : «شموسهم» .

(٣) ديوانه ص ٣٤١ ، نهاية الأرب (٧ : ٩٠) ، الطراز (٢ : ٣٥٧) .

(٤) رواية الديوان :

من مات من حدث الزمان فإنه

(٥) من قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد الله .

(٦) ديوانه ص ٩ .

(٧) تسديتها: تناولتها وقصدت إليها .

(٨) قصص العرب (٣ : ١٠٥) .

(٩) الحوص: هم قوم الأحوص بن جعفر بن كلاب، وعمرو بن الأحوص .

(١٠) هو عامر بن الطفيل، أحد فتاك العرب وشعرائهم .

(١١) العمدة (١ : ٢٢٧) .

التجنيس الناقص

ومنه التجنيس الناقص، كقول الأَخْس بن شهاب:
 وحامي لواء قد قَتَلْنَا وحاملٍ لواءٍ منعنا والسيوفُ شوارعُ
 فجانس «بحامي وحامل»، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر.

ومثله قول أبي تمام^(١):

يَمْدُون من أيدي عواصمٍ عواصمٍ تطول^(٢) بأسيافٍ قواصٍ قواصٍ
 فأما قوله:

خَلَفْتُ بالأفق الغربي لي سَكَنًا قد كان عيشي به حُلُوأً بحلوان
 فهو من الأول وليس بناقص؛ لأن الألف والنون في حلوان زائدتان.

ومنه التجنيس المضاف، كقول البحري^(٣):

أيا قمر التمام أعنت ظُلماً عليّ تطاول الليل التمام^(٤)

ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يُعَدَّ تجنيساً؛ ولكنَّ أَحَدَهُمَا صار موصولاً بالقمر، والآخر بالليل؛ فكانا كالمختلفين. وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفرد بالمضاف، وقد تكون الإضافة اسماً ظاهراً ومكنياً، وقد تكون نسباً. ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد^(٥):

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب وإن كان مرضياً فقل شعر كاتب^(٦)

المطابقة

وأما المطابقة فلها شعبٌ خفية، وفيها مكانن تَغْمُض، وربما التبست بها أشياء

(١) ديوانه ص ٤٢، أسرار البلاغة ص ١٣، نهاية الأرب (٧: ٧)، الطراز (٢: ٣٦٢).

(٢) في الديوان: «تصول».

(٣) ديوانه ص ٢٤٦.

(٤) أتم القمر: اكتمل، وهو بدر تمام (بفتح التاء وكسرهما، ويرى ابن دريد أنه بكسرهما)، وليل التمام: أطول ليالي الشتاء.

(٥) العمدة (٢: ٤).

(٦) قال ابن رشيق: «وهو داخل عندي في باب التردد؛ إذ كان قوله عند السخط «شعر كاتب» إنما معناه التقصير به، وبسط العذر له؛ إذ ليس الشعر من صناعته، كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون نحو كتابي إذا لم يكن مجوداً. وقوله عند الرضا: «شعر كاتب» إنما معناه التعظيم له وبلوغ الغاية في الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات؛ فقد ضاد وطابق في المعنى وإن كان اللفظ تجنيساً مردداً».

لا تتميز إلا للنظر الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضع هو أملك به. ولم نفتح هذا الكلام وقصدنا ما جرى بنا القول إليه؛ لكن الحديث شجون، وربما احتاج الشيء إلى غيره فذكر لأجله، وربما اتصل بما هو أجنبي منه فاستصحبه.

ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دغبل^(١):

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
وقول مسلم بن الوليد:

مستغبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب
وقول أبي تمام^(٢):

وتنظري حبيب الركاب ينصها^(٣) مخبي القريض إلى مميت المال
وقوله:

أرضى الثرى وأسخط الغبارا

وقوله^(٤):

هذا الذي عرفت يدها ساحتي من بعد ما جهل البخيل مكاني
فكل هذا باب واحد، وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي، كقول البحري^(٥):

يقبض لي من حيث لا أعلم الهوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم
لما كان قوله: «لا أعلم» كقوله: أجهل، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر
بمثابته. ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجد منه قول أبي تمام^(٦):

مها الوحش إلا أن هاتا أو أيسر فنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فطابق «بهاتا وتلك»، وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب، فكانا نقيضين في
المعنى. وبمنزلة الضدين.

وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه؛ كقول كعب بن سعد^(٧):
لقد كان: أمّا جلّمه فمروّح علينا وأمّا جهله فعزيب^(٨)

(١) نهاية الأرب (٧: ١٠٠). (٢) مختارات البارودي (١: ١٩٧).

(٣) النص: السير السريع. (٤) ديوانه ص ٢٩٩.

(٥) ديوانه (٢: ٢٢٩).

(٦) ديوانه ص ٢٢٧، نهاية الأرب (٧: ٩٩)، وقد نسيه هناك إلى ابن المعتز.

(٧) جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٥، والأمالى ٢: ١٤٨؛ من قصيدته التي مطلعها:

تقول سليمان ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الطعام طيب

(٨) مروح علينا: قريب منا. والعزيب: البعيد، مثل العازب.

لما رأى الحلم والجهل، ومرّوحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة. ولو أَلْحَقْنَا ذلك بها لوجب أن نُلْحِقَ أكثر أصناف التقسيم، ولأنّسَع الخَرْقُ فيه حتى يستغرق أكثر الشعر. ولنا في استيفاء هذا الكلام وتحديد هذه الأضرب قول سَنُفَرِّد له كتاباً يُحتمل استقصاؤه فيه.

التصحيّف

ومن أصناف البدیع التصحيّف؛ كقول الشاعر^(١):

ولم يكن المغترُّ بالله إذ سرى ليُعْجِز، والمعترُّ بالله طالبُه
وقوله^(٢):

فكأنَّ السَّليل والنُّثرة الحَضْءُ بَدَاء منه على سَلِيل غَرِيف^(٣)
وقوله^(٤):

ما بعيني هذا الغزال الغرير من فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ من فُتُورٍ
وقول إسماعيل بن عبّاد:

عَمَائِمٌ هُنَّ فَوْقَ أَرْؤُسِنَا عَمَائِمٌ لَمْ يُدْلَنَ بِالخَرْقِ^(٥)

وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس؛ لكن ما أمكن فيه التصحيّف فله بابٌ على جِباله، وجانبٌ يتميّز به عن غيره.

التقسيم

ومنه التقسيم، وقد يكون موصولاً، كقول زهير^(٦):

يَطْعَنُهُمْ ما ارتَمَوْا حتى إذا أطَعَتْوا ضارِبٌ حتى إذا ضارَبُوا اعْتَنَقَا^(٧)

فقسّم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم أَلْحَقَ بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولاً به، مقروناً إليه. ونحوه قول عترة^(٨):

إن يَلْحَقُوا أكرر وإن يَسْتَلْجِمُوا^(٩) أشدد وإن نزلوا بضيق أنزل

(١) هو البحرى، ديوانه (١ : ١٨).

(٢) ديوانه (١ : ١٠٤).

(٣) الشليل: غلالة تلبس تحت الدرع، والنثرة: الدرع الواسعة، والحصداء: المحكمة، والغريف:

القبياء. وسليل الغريف: الأسد. والبيت من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.

(٤) ديوانه (٢ : ١٤).

(٥) أي لم يجعل ذيلهن من الخرق.

(٦) ديوانه ص ٤١.

(٧) يقول: إذا ارتسى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا

ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيف اعتنق كل قرن قرنه والتزمه.

(٨) ديوانه ص ١٠٠.

(٩) يقال: استلحمتنا رجل من العدو أي تبعنا.

فهذا كالأول في الصنعة، وإن كان إنما أزوج كل قسم بقريته، وما هو وفقه، ولم يرض الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدماً، وارتفع عليه درجة. وقد تكون القسمة مطلقه غير مشفوعة، كقول النابغة^(١):

فلله عينا من رأى أهل قبة أضرّ لمن عَادَى وأكثر نافعاً
وأعظم أحلاماً وأكرم سيدياً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً
فهذا ضربٌ من التقطيع على معانٍ مختلفة؛ ولستُ أسمح بتسميته تقسيماً؛ وقد رأيتُ من يُطلق له هذه التسمية.

جمع الأوصاف

ومما يقارَبُ هذا جمعُ الأوصاف، كقول أبي دُوَادَ:
بعيد^(٢) مدى الطرف خَاطِي البضيع مُمَرَّ المَطَا سَمُهري العَصَب^(٣)
وقد يجمع على نوع آخر كقول النابغة^(٤):
حَدِيدُ الطَّرْفِ والمنكِـب والعُرْقوب والقَلْبِ
وقد يُعدّ فيه التَّقْفِيَة والترصيع، كقول امرئ القيس^(٥):
والماء مُنْهَمِرٌ والشَّدُّ مُنْحَدِرٌ والقُصْبُ مُضْطَمِرٌ والتمن مَلْحُوبٌ^(٦)

(١) لم نعر عليهم في الديوان، وهما في العمدة (٢: ٢٢).

(٢) في أ «بديع»، وصوابه في ب.

(٣) خاطي البضيع: ممتلى اللحم، وممر: مفتول، والمطا: جبل المتن، والسهمري: الشديد، والعصب؛ جمعه أعصاب؛ وهي أطناب المفاصل التي تلاثم بينها وتشدها، وفي العمدة: «سهمري القصب».

(٤) نسبة أبو علي القالي إلى أبي دُوَادَ. وقال أبو عبيد البكري: «الصحيح أنه لعقبه بن سابق الهزاني». وقبله:

طويـل طامـح الطـرف إلى مـفـزعة الكـلب
(٥) ملحق ديوانه ٢٢٦. وقد قال ابن بري: زعم الجوهري أنه لامرئ القيس، والبيت لإبراهيم بن عمران الأنصاري؛ قال وقبله:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني
إذا تبصرها الراؤون مقبلة
رقساقها ضرم وجريها خذم
والعين قاذحة واليد سابحة
واللسان (٢: ١٧٠).

وله في اللسان (٢: ٢٣٣) رواية أخرى غير متسوية:

فالعين قاذحة والرجل ضارحة والقصب مضطمر والتمن ملحوب
(٦) القصب: أسفل البطن من الأمعاء، ويريد به الخصر على المجاز؛ والمضطمر: المهزول، ويقال: لحب متن الفرس وعجزه: املاس في حدود.

وقد يمتنع بعضُ الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعاً؛ لكنه أحدُ أبواب الصنعة، ومعدود في حلِّي الشعر، وله أشباه تجري مجراه، وتذكر معه؛ كالاتفات والتوصل وغيرهما، ولو أقبلنا على استيعابها، وتمييز ضرورها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال. ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شغلنا معظمه بغيره؛ وإنما قدمنا هذا البُند^(١) توطئةً لما نذكره على أثره، وتدرجاً إلى ما بعده؛ ليكون كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره.

الاستهلال والتخلص والخاتمة

والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تَسْتَعْظِفُ أَسْمَاعَ الحُضُورِ، وتَسْتَمِيلُهُمْ إِلَى الإصْغَاءِ، ولم تكن الأوائِلُ تخصُّها بِفَضْلِ مِرَاعَاةٍ؛ وقد احتذى البُحْثَرِيُّ على مثالهم إلا في الاستهلال، فإنه عُنيَ به فاتفت له فيه محاسن؛ فأما أبو تمام والمنتبي فقد ذهبا في التخلص كلِّ مذهب، واهتمَّ به كل اهتمام، واتفق للمنتبي فيه خاصة ما بلغ المراد، وأحسن وزاد.

(١) البند: الشيء القليل.

بدء الوساطة

ثم نعدل إلى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول: إن خَضَم^(١) هذا الرجل فريقان: أحدهما يعمُّ بالنقص كلُّ مُخَدَّث، ولا يرى الشعرَ إلا القديمَ الجاهليَّ وما سُلِكَ به ذلك المنهج، وأجْرِي على تلك الطريقة؛ ويزعم أن ساقه الشعراء رُؤْيَة، وابن هرْمَة، وابن مَيَّادَة، والحَكَم الخُضْرِي^(٢)، فإذا انتهى إلى مَنْ بعدهم - كبِشَّار وأبي نواس وطبقتهم - سَمَّى شعرهم مُلْحاً وطُرْفاً، واستَحَسَن منه البيتَ استِحْسَانُ النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة؛ فإذا نزلت به إلى أبي تمام وأضرابه نَفَضَ يده، وأقسم واجتهد أن القوم لم يقْرِضوا بيتاً قَطَّ، ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد.

ومَنْ [كان] هذا رأيه ومدبه، وهذه دعواه ونُحَلَّتَه فقد أعطاك ما أردت من وجهٍ وإن مانعك سواه، وسَمَحَ لك بما التمسْت وإن التوى عليك في غيره؛ لأن الذي انتصبت له، وشغلت عنيتك به - إلحاق أبي الطيب بهذه الطبقة، وإضافته إلى هذه الجملة، وقد بذل ذلك، وقرب مطلبه عليك؛ فإن تكن الجماعة منسلخة من الشعر، موسومة بالنقص، مستحقة للنفي، فصاحبك أولهم؛ وإن تكن قد عَلِقَتْ منه بسبب، وحظيت منه بطائل، وكان له فيه قدم، ومنه حظ وموقع، فهو كأحدهم.

وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المحدث والمُخَدَّث سبيل؛ كما لا نسب بينه وبين تفضيل قديم على قديم، وإنما يستعيب لك هذه المخاطبة مَنْ وافقك على فضل أبي تمام وحزبه، وسلّم محل مسلم ومَنْ بعده، فتجعل هؤلاء شهودك وحججك، وتقيم شعرهم حكماً بينه وبينك؛ فإنك لا تدعي لأبي الطيب طريقةً بشار وأبي نواس، ولا منهاج أشجع والخريمي، ولو ادّعيته فإنما كنت تخادع نفسك، أو تُباهت^(٣) عقلك، وإنما أنت أحد رجلين: إما أن تدعي له الصنعة المحضه فتُلجِّقه بأبي تمام وتجعله من حزبه، أو تدعي له فيه شركاً وفي الطبع حظاً، فإن ملت به نحو الصنعة فَضَّلَ مَيْلَ صيرته في جَنَبَةٍ^(٤) مسلم، وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلاً نحو البُخْري.

(١) الخصم: يستوي فيه المفرد والجمع.

(٢) في الأصلين: «الحضري»، تصحيف. وهو الحكم بن معمر، منسوب إلى الخضر، قبيلة في قيس عيلان.

(٣) أصل باهته: استقبله بأمر لا يعلمه وهو منه بريء، فيبهت منه.

(٤) الجنبية: الناحية.

وأنا أرى لك إذا كنت متوخيًّا للعدل، مؤثراً للإنصاف أن تقسم شعره؛ فتجعله في الصدر الأول تابعاً لأبي تمام، وفيما بعده واسطة بينه وبين مُسلم.

القدماء والشعر الحديث

وما أكثر مَنْ ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جَلَّة الرواة، مَنْ يلهج بعيب المتأخرين؛ فإن أحدهم يُنشد البيت فيستحسِّنه ويستجيده، ويَعْجَب منه ويختاره؛ فإذا نُسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذَّب نفسه، ونَقَض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون مَحْمَلاً وأقل مَرْزَأَةً من تسليم فضيلة لِمُحَدَّث، والإقرار بالإحسان لمولِّد.

إسحاق الموصلي والأصمعي

حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: أنشدت الأصمعي:

هَلْ^(١) إِلَيَّ نَظْرَةَ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُبَلِّ الصَّدَى وَيُشْفَى الْعَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال: واللَّهِ هذا الدُّبْيَاجُ الخُسْرَوَانِيُّ، لِمَنْ تنشدي؟ فقلت: إنهما ليلتهما فقال: لا جرم والله إن أثر التكلُّف فيهما ظاهر^(٢).

وعن ابن الأعرابي^(٣) في أبيات أبي تمام في الرُّوضِ نحو من هذا. وله نظائر مشهورة تُحكى عن الأصمعي ومن بعده. وقد بعدت بهم العصبية في ذلك إلى تناول بعض المتقدمين.

شعر أبي دُوَادٍ وعدي بن زيد

زعم الأصمعي أن العرب لا تُزوِي شعر أبي دُوَادٍ وعدي بن زيد؛ لأن ألفاظهما ليست بَنَجْدِيَّة؛ وكيف يكون ذلك! وهذا معاويةٌ يفضِّل عدياً على جماعة الشعراء. وهذا الحطيئة يُسأل: مَنْ أشعر الناس؟ فيقول: الذي يقول، وأنشد لأبي دُوَادٍ^(٤):

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَكُنْتُ مِنْ قَدْرُزْنَتِهِ الْإِعْدَامُ
مِنْ رَجَالِ مِنَ الْأَقْرَابِ مَاتُوا مِنْ حُدَاقِ هِمِّ الرَّؤُوسِ الْكِرَامِ^(٥)
فِيهِمْ لِلْمُلَايِنِينَ أَنَاةٌ وَعُغْرَامِ^(٦) إِذَا يُسْرَادِ عِرَامِ

(١) الأغاني (٥: ٧١).

(٢) رواية الأغاني: «فقال: هذا الدُّبْيَاجُ الخُسْرَوَانِيُّ، هذا الوشي الإسكندراني: لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليته؛ فتبينت الحسرة في وجهه، وقال: أفسدته أفسدته: أما إن التوليد فيه ليبن».

(٣) انظر أخبار أبي تمام للمصولي ص ١٧٣.

(٤) مهذب الأغاني (١: ١٤٨)، وروى البيت الثاني في اللسان (١١: ٣٢٤) هكذا:

ورجال من الأقارب كانوا من حذاق هم الرؤوس الخيار

(٥) حذاق: رهط أبي دواد الإيادي. (٦) العرام: الشراصة والأذى.

أبو رياش القيسي وشعر البحري

ولقد يتفق لأحد هؤلاء غلبة الإنصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت، فيخلع رداء العصبية، ويضعي ويميز فيرجع. حدثني جماعة من أصحاب [أبي] رياش القيسي^(١)، ولا نعرف في زماننا راوية تقدمه، وكان معروفاً بالتحامل على هؤلاء والغض من أبي تمام والبحري خاصة، حتى إن نسخ هذين الديوانين قلت بالبصرة في وقته؛ لقلّة الرغبة فيهما: أنه أنشد ذات يوم قول البحري^(٢):

نظرتُ إلى طَدَانٍ فقلّلت ليلى هناك وأين ليلى من طَدَانٍ^(٣)!
ودون^(٤) مزارها إيجاف^(٥) شهر وسبع للمطايا أو ثمان
ولما غربت أعراف سَلَمَى لهنّ وشرقت قُنن القينان^(٦)
تصوبت^(٧) البلاد بنا إليكم وغنّى بالإياب الحاديان

فقال: أحسن والله! من هذا البدوي المطبوع؟ فقيل: إنها للوليد بن عبيد، فقال: أعد، فأعيدت، فرجع عن رأيه فيه، وحض الناس على رواية شعره.

التحامل في النقد

ولو أنصف أصحابنا هؤلاء لوجد يسيرهم أحق بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار؛ لأن أحدهم يقف محصوراً بين لفظ قد ضيق مجاله، وحذف أكثره، وقلّ عدده، وحظر معظمه. ومعان قد أخذ عفوها، وسبق إلى جيدها؛ فأفكاره تنبأ في كل وجه، وخواطره تستفتح كل باب؛ فإن وافق بعض ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل: سرق بيت فلان، وأغار على قول فلان. ولعل ذلك البيت لم يقرع قطّ سمعه، ولا مرّ بخلده؛ كأن التوارد عندهم ممتنع، واتفاق الهواجس غير ممكن! وإن افتزع معنى بكراً، أو افتتح طريقاً مبهماً لم يرض منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وألذّه في السمع؛ فإن دعاه حبّ الإغراب وشهوة التنوّق إلى تزيين شعره وتحسين

(١) هو أحمد بن إبراهيم أبو رياش القيسي اللغوي. روى عن مشايخ البصرة، وروى عنه عبد السلام البصري وطبقته. إنباء الرواة (١: ٢٥).

(٢) ديوانه (٢: ٢٨١).

(٣) طدان: قال ياقوت: هو موضع بالبادية في شعر البحري. وفي الأصلين «ظاران»، والتصحيح عن الديوان.

(٤) رواية الديوان: «ودون لقاتها». (٥) الإيجاف: نوع من السير.

(٦) في الأصلين:

ولما عرفت أعراف ليلى لهنّ وشرقت قنن القيان
وهذه رواية الديوان.

والأعراف: جمع عرف، وهو كل عال مرتفع، والأعراف أيضاً: ضرب من النخل.

(٧) في الأصلين: «فصويت»، وهذه رواية الديوان.

كلامه، فوشَّحه بشيء من البديع، وحلَّاه ببعض الاستعارة قيل: هذا ظاهرُ التكلف، بيِّن التعسف، ناشف الماء، قليل الرُّونق. وإن قال ما سمَّحتُ به النفس ورضي به الهاجس قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل؛ فإحسانه يُتَأوَّل، وعيوبه تُسَمَّحَل، وزلته تتضاعف، وعذره يُكذَّب؛ فلا تشتغلن بهذه الطائفة ما دمت تنظر بين المتنبِّي وأهل عصره، وأخر المنازعة في هذا الرأي، وإن كان الخلاف الأكبر، فإن لكل مقام مقالا. وإنما خصمك الألدُّ، ومخالفك المعاند، الذي صمذت لمحاكمته، وابتدأت بمُنَازَعته ومحاَجَّته، مَنْ استحسن رأيك في إنصاف شاعر، ثم ألزمت الحيفَ على غيره، وساعدك على تقديم رَجُل، ثم كلَّفك تأخير مثله؛ فهو يسابقك إلى مدح أبي تمام والبحثري، ويسوِّغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومي؛ حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله، وأسميته في عداد مَنْ يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور، ونفر بفار المَضِيم، فغضَّ طرْفه، وثنى عِظفه، وصعَّر حَدَّه، وأخذته العزة بالإثم، وكأنما زوى بين عينيه عليك المحاجم.

وأقبل عليك أيها الراوي المتعجب فأقول لك: خَبَّرني عمن تعظَّمه من أوائل الشعراء، ومَنْ تفتتح به طبقاتِ المحدثين؛ هل خلص لك شِعْر أحدهم من شائبة، وصفا من كدير ومعبأة؟ فإن ادَّعيت ذلك وجدت العيان حَجيجك، والمشاهدة خَصْمك؛ وُعَدنا بك إلى أضعاف ما صدرنا به مخاطبتك، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دَعواك، ويَحْجُزُك إن كان بك أدنى مُسْكة عن قولك. فإن قلت: قد أغثر بالبيت بعد البيت أنكره، وأجد اللفظ بعد اللفظ لا أستحسنه، وليس كل معانيهم عندي مرضية، ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة. قلنا لك: فأبو الطيب واحدٌ من الجملة، فكيف خُصَّ بالظلم من بينها، ورجل من الجماعة فليَمَ أفرد بالحيف دونها؟ فإن قلت: كَثُرَ زَلُّهُ، وقلَّ إِحْسَانُهُ، واتسعت معايبه، وضافت محاسنه. قلنا: هذا ديوانه حاضرًا وشعره موجوداً ممكناً؛ هلم نستقرئه ونتصَفَّحه، ونقلبه ونمتحنه، ثم لك بكل سيئة عشر سنوات، وبكل نقيصة عشر فضائل، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته، وقادك الاضطراب إلى القبول أو البهت، ووقفت بين التسليم والعناد عُدنا بك إلى بقية شعره فحاججناك به، وإلى ما فضل بعد المقاصة فحاكمناك إليه.

موازنة بين ابن الرومي والمتنبِّي

وقد تجد كثيراً من أصحابك يتحلل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره، وهي تناهز المائة أو تُزبى أو تُضَعِف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين؛ ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها، جارية على رسلها؛ لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ، وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تُختار، ومعان تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء، وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار.

تفاوت شعر أبي نواس

ولو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل، ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه، وعددت منفيّه ومختاره، لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت، ولأكبرت من شأنه ما استحققت، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدث شعراً أعم اختلالاً، وأقبح تفاوتاً، وأبين اضطراباً، وأكثر سفسفة، وأشد سقوطاً من شعره هذا؛ وهو الشيخ المقدم والإمام المفضل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي، وفسر ديوانه ابن السكيت.

جيد شعر أبي نواس

- فهل طمست معاييه محاسنه؟ وهل نقص رديه من قدر جيده؟ وهل ضرّ قوله^(١) :
يحميك مما يستسر بفعله ضحكات وجه لا يريبك مشرق
حتى إذا أمضى عزيمة أمره أخذت بسمع عدوه والمنطق
وقوله^(٢) :
يا نائق لا تسأمي أو تبُلغي ملكا تقبيل راحته والركن سيان
متى تحطّي إليه الرّحل سالمةً تستجمعي الخلق في تمثال إنسان
وقوله^(٣) :
لعمرك ما غاب الأمين محمدٌ عن الشيء يعنيه إذا حضر الفضل
ولولا مواريت الخلافة أنها له دونه ما كان بينهما فضل
فإن كانت الأحساب^(٤) فيها تباينٌ فقولهما قولٌ وفعلهما فعلٌ
أرى الفضل للدينا وللدين جامعاً كما السهم في الفوق والرّيش والتّصل^(٥)
وقوله^(٦) :
إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنت كما تُثني وفوق الذي تُثني

(٢) ديوانه ص ٦٥.

(١) ديوانه ص ٦٢.

(٣) ديوانه ص ٨٧.

(٤) رواية الديوان ومختارات البارودي: «الأجسام».

(٥) الفوق: موضع الوتر من السهم، والرّيش: ما يوضع في السهم، والنصل: حديدة السهم.

(٦) مختارات البارودي (١: ١١٤).

وإن جرت الألفاظ مِثًا بمدحة
لغيرك إنساناً^(١) فأنت الذي تُعني
وقوله^(٢):

لَا أَدُودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجَرٍ
خَفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدًا
خَابَ مَنْ أَسْرَى إِلَى مَلِكٍ^(٤)
فَامُضْ لَا تَمُتْنِ عَلَيَّ يَدَا
رُبَّ فَتْيَانٍ زَيَّاتِهِمْ
فَاتَّقُوا بِي مَا يَرِيْبُهُمْ
وقوله^(٦):

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي
وإذا عددت سنِّي كم هي لم أجذ
وقوله:

بَانُوا وَفِيهِمْ شَمُوسٌ دُجِنُ^(٨)
تَعُومُ أَعْجَازُهُنَّ عَوْمًا
وقوله^(٩):

وكأسٍ كمصباح السماء شربتها
أنت دونها الأيام حتى كأنها
على قبلة أو موعده بلقاء
تساقط نور من فُتُوق سماء

(١) في أ «إنسان»، وصرابه في ب. (٢) ديوانه ص ٦٦.

(٣) جاء في شرح ديوان أبي نواس ما نصه تعليقاً على هذا البيت:

لا أدود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
فقال: أخبرك؛ كانت لي صديقة تحبني كثيراً، فقبل لي: إنها كانت تختلف إلى آخر من أهل
الريب، فلم أصدق حتى تتبعتها فرأيتها تدخل إلى منزل ذلك الرجل، ثم إن ذلك الرجل جاءني
- وكان لي صديقاً - فكلمني فصرفت وجهي عنه وقلت:

أيها المنتاب من عفره لست من ليلي ولا سمره
ثم جعلت ذلك صدر مديح العباس الهاشمي.

(٤) في الديوان: «إلى بلد».

(٥) ربات: حرست، والعيوق: نجم معروف، والسحر: قبيل الفجر، ومسقط: منصوب على الظرفية.

(٦) ديوانه ص ٢٩٥.

(٧) رواية الديوان:

قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدي عن أن تحث إلى فمي بالكاس

(٨) ديوان المعاني: (١: ٢٤٦)، والقرون: جمع قرن: وهو الضفيرة من الشعر.

(٩) مختارات البارودي (٤: ٤).

وقوله^(١):

قامت تريك وأمر الليل مجتمع صباحاً^(٢) تولد بين الماء والعنب
 كأن صغرى وكبرى من فواقعها^(٣) خصباء دُرّ على أرض من الذهب^(٤)
 كأن تزكاً قياماً في جوانبها تواتروا الرمي بالنشاب من كئب^(٥)
 وإن كان التحويون ينكرون صغرى وكبرى بغير ألف ولا م.
 وقوله^(٦):

فإذا علاها الماء ألبسها زبدأ شبيهة جلاجل الججل^(٧)
 حتى إذا سكنت جوامحها^(٨) كتبت بمثل أكارع النمل^(٩)
 خطين من شتى ومجتمع غفل من الإعجاب والشكل
 وقوله^(١٠):

فتمثت في مفاصلهم كتمشي البُرء في السقم
 ومن سلك هذا المسلك من شعره فقد صافح السماء وتناول النجوم.

ردية شعر أبي نواس

[هل ضرّ قوله هذا] غثاة^(١١) قوله يمتدح الأمين^(١٢):

فعضانده بإراحتي أعلوبها الإفلاس قَرعاً

- (١) ديوانه ص ٢٤٣، ومختارات البارودي (٤ : ٥).
 - (٢) في الأصلين: «صبح»، وصوابه من الديوان.
 - (٣) كذا في الأصلين، وفي الديوان ومختارات البارودي. والذي في كتب الشواهد: «فقاوعها»؛ وهي ما يعلو الخمر.
 - (٤) الحصباء: الحصى.
 - (٥) شبه الحبيب بنشاب يختلف من ترك يترامون من كئب، ذلك لأنه في كأس، وهو موضع ضيق.
 - (٦) ديوانه ص ٣١١، ومختارات البارودي (٤ : ١٥).
 - (٧) الضمير في علاها يعود على الخمر في بيت قبله:
- صفراء مجدها مرازبها جللت عن النظراء والمثل
 والجالجل: جمع جلجل وهو الجرس الصغير، والحجل: الخلدخال، وفي الأصلين «خلاخل»
 وهو تحريف. ورواية البارودي:
- فإذا علاها الماء ألبسها نمشا شبيهه جلاجل الحجل
 (٨) في الأصلين: «جوانحها».
- (٩) أكارع النمل: أرجله. أخذه من قول الأخطل:
 - (١٠) مختارات البارودي (٤ : ١٦). (١١) غثاة: فاعل ضر في ص ٥٢؛ والزيادة ليتضح المعنى.
 - (١٢) ديوانه ص ١٢٤.

وعليّ سورّ مانعٌ فلو أنّ دهرأ زابني وقوله ^(٢) :	من جوده إن خفتُ كسعا ^(١) لصفعته بالكفّ صفعا
مالرجل المالِ أضحث مالأموالك من جأ وقوله:	تشتكي منك الكلالا ء اختشى منها وكألا
أيا من وجهه الداحي ^(٣) أماليّ منك يا ظا وضعفُ قوله:	ومن منزله الماحي لم إلا اللاهي واللاحي
ألا يا قمر الدار ويا نفحة نسرين ويا جدول بستان ويا كغبين من عاج ويا زرداً لفتيان ويا مشواك جمّاش وقوله:	ويا منكة عطار ويا وردة أسحار على شاطئ أنهار ويا غرّة دینار ويا لغبة أكار ويا طنبور شطار ^(٤)
قد غنينا عن الشتا وعن الحشول لعلما وعن الفرش والوطا قدم الصيف بالولا بالمناديل والغلا والطنابير والطبو يُحشّرُ الناس في القيا أنامالي ولربما لست ممن يطوف في أركبُ المرد في الديا	وعن اللبس لئفرا مة والكنّ والضلا ^(٥) ببيوت بلا كرا ية قدامه اللوا لة والتعلم والرّدا ل وبالرقص والغنسا مة مُزدا بلا لحي ط وللعزّو والفدا عرفات ولا منى روفي الممدن والقري

(١) في الأصلين «لسعا»، وما أثبتناه عن الديوان.

(٢) ديوانه ص ١١٩.

(٣) الداحي: المنبسط.

(٤) الجماش: المتعرض للنساء، والشطار: الخليج.

(٥) الصلاة: الرقود.

فإذا ما تمنعوا وعصوا أبذل الرشا
وهو كما تراه في سُخْف اللفظ، وسوء النظم، وسقط المعنى، وقوله:
خَمْدَان مَالِك تَغَضِبُ عَلِيٍّ مِنْ غَيْرِ مُغْضَبٍ
فقد حلفتُ يميناً فثق بذلك مني
فالبخر أصبح شاني وقد تسألينتُ ألا
وقوله:

ذاك الذي من يد اللـ
فكلُّ جانبِ قلبي ويللي! وليس يرى لي
ويللي! وما هكذا إخـ
لم يَخْتَرِقْ بَيْتِنَا حَتَّى بَدَأَ مِنْهُ مَا لَمْ
ولا اهْتَدَى بِاحْتِيَالٍ مَا أَفْصَحَ الطَّرْفَ حِدا
وقوله:

ونائح هب في الغصون ضحى
يدعو بذكر على اسمه لهوى
وقوله:

فاردُّ عليَّ حياتي
وقوله^(١):

قد حكى البدر بهاكبا
وازدهى بالحُسنِ لماً
وقوله:

علسيو ياريموده
وقد علمت لعمُرُ الـ
بالاستلاب إذا ما
أصبحت لي مستعدّه
إلّه أنك جلدّه
مشيت لي مشى نجده

ورجرجت من وزاها
وقوله:
أرداف إيزار بسنده

قد صبغت بنت المدينية
وسألت ماشطها أجرة
فاسلفوا يا قوم في...
فإنها أعشقت بغاية
يا عمرو ما بال المدينة
لا تأكل العصبان مشويه
للفطريا عباس فوهيه
واشترطت في المشط رازيه
من نقد بيت المال بخيه
لهذه المعصوبة النيه

ونحو هذا مما يمل الناظر، ويضيع وقت الكاتب. ولو وجد لأبي الطيب بيت مثله، وحرف يقاربه لعصب بعاره، ولانطلقت الألسن بعبه، وصدر به ديوان مثاله وصحيفة مساويه.

اللحن في شعر أبي نواس

فإن طلب اللحن والغلط أخذ عليه مثل قوله^(١):
وضيف كأس محدثه ملك
تیه مَعْنٌ وظرف زنديقي
فسكن الهاء، وقوله: «يا ربّي الجبار». فرغ «الجبار».
وقوله^(٢):

يا خيّر من كان ومن يكون
إلا النبي الطاهر الميمون
وقوله^(٣):

فلما خشي الإيبا
ء من صخب وجلّاس
وإنما هو الإباء.
وقوله^(٤):

وإذا نزعنا إلى الغواية فليكن
لله ذاك النزع لاللسناس

فساد العقيدة في الشعر

وإنما هو نزاع عن الشيء نزوعاً، وأبيات كثيرة يضعف عذره في معظمها، وإن كان باب التأويل يتسع، ومذاهب الاحتيال في النحو لا تضيق.
ووجد له في الإحالة مثل قوله^(٥):

وأخفت أهل الشرك حتى إنّه
لتخافك النطف التي لم تخلق

(١) ديوانه: ص ٨٩.

(٢) الموشح: ص ٢٦٧.

(٣) ديوانه ص ٩٥.

(٤) ديوانه ص ٢٩٥.

(٥) الموشح ص ٢٦٨.

وقوله:

حتى الذي في الرحم لم يك نطفة لفسؤاده من خوفه خفقان
وقوله يصف الباري، جلّ أن يُوصف:
إن الذي لا يخيب سائله جوهره غير جوهر البشر
وقوله:

كانت ذخيرة صانع متنوّق^(١)

يعنيه - جل وعز .

خطأ الوزن في شعر أبي نواس

ومن الخطأ في الوزن قوله:

رأيت كل من كان ن أحما ماعتوها
فسي ذا السزمان صار المقدم الوجيها
يارب نذل وضيع نوهته تنسويها
هجوته لكيما أزيده تشويها
فبعضه «مستعلن مفعول وفعل»، وبعضه «مستعلن فاعلان».

فساد العقيدة عند أبي نواس

والعجب ممن يتقص أبا الطيب، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله^(٢):

يترشّفن من فمي رشفات هُنّ فيه أخلى من التوحيد
وقوله^(٣):

وأبهر آيات الشامي أنه أبوكم^(٤) وإحدى ما لكم من مناقب
وهو يحتمل لأبي نواس قوله:

قلت والكأس على ك أن لا أعرف ذلك الس
وقوله^(٥):

يا عاذلي في الدهر ذا هجر لاقدر صح ولا جبر

(١) متنوق: متأنق. ديوانه (١: ٣١٥).

(٢) ديوانه (١: ١٥٤). (٤) رواية الديوان: «أبوك».

(٥) الموشح ص ٢٧٦، وروي البيت الأول هكذا:

يا ناظراً في الدين ما الأمر لاقدر صح ولا جبر

ما صح عندي من جميع الذي
فاشرب على الدهر وأيامه
وقوله^(١):

عاذلتي بالسفاه والزجر^(٢)
باح لساني بمضمرة السر
بين رياض السرور لي شيع
موقنة بالممات جاحدة
وليس بعد الممات مُنقلب
وقوله:

أترك لذة الصهباء نقداً
حياة ثم موت ثم بَعث
وقد روي أنهما لديك الجن .
وقوله^(٤):

فدع الملام فقد أطمعت غوايتي
ورأيت إيثار اللذّاذة والهوى
أحرى وأحزم من تنظر آجل
إنني بعاجل ما ترين موكل
ما جاءنا أحدٌ يخبر أنه

فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر،
لوجب أن يُمَحَى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُذت الطبقات،
ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون
كعب بن زهير وابن الزُبَيْرِ وأضرابهما ممن تناول رسولَ الله ﷺ وعاب من أصحابه
بُكْماً خرساً، وبِكاء^(٥) مفحمين؛ ولكنَّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر.

(١) الموشح: ٢٧٧.

(٢) في أ «الهجر»، وما أثبتناه عن ب.

(٣) بيضة العقر: آخر بيضة تبيضها الدجاجة إذا هرمت.

(٤) الموشح ص ٢٧٧، مع تغيير في رواية الأبيات.

(٥) البكاء: جمع بكيء، وهو من قل كلامه خلقة.

تفاوت شعر أبي تمام

الجيد من شعر أبي تمام

ولو لزمتم هذا المثال في شعر أبي تمام لتظاهرت عليك الحُجج، وكثرت عندك الشواهد، فقوي في نفسك رأيي واعتقادي، وتصور لك صدقي وإصابتي؛ إذ رأيتَه يقول^(١):

أموسى بن إبراهيم دعوة خامس
جليد على عتب الخطوب إذا عَزَتْ^(٣)
أأمْنُحْ هَجْرَ القَوْلِ من لو هَجْوَتَه^(٤)
كريمٍ متى أمدحُه أمدحُه والورى
أرْدُ يدي عن عِرْضِ حرٍّ ومَنْطَقِي
فإن يك سُخْطٌ عَن أوتِكَ هَفْوَةٌ
ويقول^(٥):

ومن لم يسلم للنوائب أضبَحَتْ
وقد يَكْهَمُ^(٦) السيف المسمى مَنِيَّةً
خلائقه جَمْعاً عليه نَوَائِبَا
وقد يرجع المرء المظفَّرُ خَائِبَا

(١) ديوانه ص ١٢٨، ومختارات البارودي (١: ١٦٤).

(٢) الخامس: الظمان لم يرد الماء منذ أربعة أيام، والتثريب: اللوم. وموسى بن إبراهيم ممدوح أبي تمام.

(٣) رواية البارودي:

جليد على عتب الخطوب إذا التوت

ورواية الديوان:

جليد على ريب الخطوب وعتبها

(٤) رواية البارودي:

أ ألْبَسَ هَجْرَ القَوْلِ من لو هَجْوَتَه

ورواية الديوان:

اسربل هجر القول من لو هجوته

(٥) ديوانه ص ١٧، ومختارات البارودي (١: ١٧).

(٦) يكهم: يقطع.

فأفة ذَا أَلَا يُصَادِفَ مَضْرِبًا^(١) وآفة ذَا أَلَا يُصَادِفَ ضَارِبًا
وقوله^(٢):

أقول وقد قالوا استراحت لموتها من الكرب : روح الموت شرٌّ من الكرب
لقد نزلت ضنكا من اللحد والثرى ولو كان رحب الذُّرْع^(٣) ما كان بالرحب
وكنت أَرْجِي القُرْب وهي بعيدة فقد نُقلت بعدي عن البُعد والقرب
لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتها ويقول^(٤):

أرى الناسَ مِنْهَاجِ الندى بعد ما عَفَّتْ مهايغُه المثلَى وَمَحَّتْ لَوَاجِبِه^(٥)
ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه
فيا أيها السَّاري اسرِّ غير محاذر جنان^(٦) ظلام أوردى أنت هائبه
ويقول^(٧):

ذو الوُدِّ مني وذو القربى بمنزلةٍ وإخوتِي أسوةٌ عندي وإخواني
في دهري الأول المذموم أعرفهم فكيف أنكرهم في دهري الثاني
عصابة جاورت آدابهم أدبي فهم إن فُرِّقوا في الأرض جيرانِي
ويقول^(٨):

فتى مات بين الضرب والطعن مينةً تقوم مقام النصر إذ فاته النَّصر
لئن أبغض الدهرُ الخؤون لفقده لَعَهْدِي به مَمَّنْ يُحَبُّ له الدهر
وكيف احتمالي للسحاب صنيعة بإسقائه قبراً وفي لحده البَحْرُ
ويقول^(٩):

وما اشْتَبَهَتْ طريقَ المجدِ إلَّا هداك لِقبلةِ المعروفِ هادي
وما سافرتُ في الآفاقِ إلَّا ومن جَدُّواك راحلتي وزادي
مقيم الظن عندك والأمانِي وإن قلقت ركابي في البلاد

(١) رواية البارودي والديوان: «راميا».

(٢) ديوانه ص ٣٥٦.

(٣) الذرع: الطاقة.

(٤) ديوانه: ٤٥.

(٥) عفت: درست. والمهايع: الطرق الواسعة. ومحت: بليت. واللواحب: الطرق الواضحة.

(٦) جنان الظلام: قلبه.

(٧) ديوانه ص ٣٣٢.

(٨) ديوانه ص ٣٦٩.

(٩) ديوانه ص ٧٩، ومختارات البارودي (١: ١٥٣).

الردىء من شعر أبي تمام

فيترقى في هذه الدَّرَجِ العالية، ويتصرف هذا التصرف المعجز، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب، ويقول^(١):

أصبحت نيء العقل فاضل لميسمٍ بيدي ألحج الناس في الإنضاج
ويقول^(٢):

ألا لا يمدُّ الدهرُ كفاً بسيتي إلى مجتدي نضر فتقطع للزُّند^(٣)
ويقول^(٤):

لو كان كلُّها عبيداً حاجةً يوماً لزنى شدقماً وجديلاً^(٥)
وأظنه لو وجد لفظه أسقط من «زنى»، وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها.
ويقول^(٦):

نم وإن لم أئنم كراي كراكا شاهدي الدمع إن ذاك كذاكا^(٧)
طال ضربي نفسي فداؤك بل من أنا حتى تكون نفسي فداكا^(٨)
ضاق صدري بل كيف أستطيع أن أضحى إذ كان ناظري لا يراكا
ذهبت مقلتاي بالدم والدمح إلى النار^(٩) إذ نجت مقلتاكا
ويقول^(١٠):

بنفسي من هواه أخي وتزبي وجببه رضيع بنات قلبي
ومن قد شقني وصبرت حتى ظننت بأن نفسي نفس كلب

(١) ديوانه ص ٤٩١.

(٢) ديوانه ص ١١٥.

(٣) في الأصل: «من الزند».

(٤) ديوانه ص ٢٤٣، والموشح ص ٣١١.

(٥) البيت في وصف المطايا، وعبيد: هو عبيد الراعي. قال شارح ديوان أبي تمام: شدقم وجديل: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر اللخمي؛ يضرب بهما المثل. ورواية الديوان: «لأنسى».

(٦) ديوانه ص ٤٥٥.

(٧) رواية الديوان:

شاهدي منك أن ذاك كذاكا

(٨) رواية الديوان:

طال صبري تغديك نفسي وقلت نفسي مثلي عن أن تكون فداكا

(٩) في الديوان: «ففي النار».

(١٠) لم نجدهما في الديوان.

ويقول :

فَسَمَّتْ لي وقاسمتني بسلطا في من السحر مقلتا عبْدوسِ
فالقسيم القسام عن لحظات منهما يختلسن حب النفوس
فالذي قاسمت بلخُظ إذا اللي ل تمطى من الكرى المنفوسِ
ولست أدري - يشهد الله - كيف تصوّر له أن يتغزل وينسب، وأي حبيب
يستعطف بالفلسفة! وكيف يتّسع قلب عبدوس هذا؛ وهو غلام غرّ، وحدث مُتْرَف
لاستخراج العويص وإظهار المعمى!

ويقول^(١) :

لم يبرح البينُ المُشْتُ جَوَانِحِي حتى تروّث من دم مسموم
ويقول^(٢) :

أترك حاجتي غرّض التواني وأنت الدلوّ فيها والرّشاء^(٣)
ويقول^(٤) :

ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت العجاج تخاله مخراثا^(٥)
ويقول^(٦) :

تُشْفَى^(٧) الحربُ منه حين تغلي مراجلها بشيطان رجم
ويقول^(٨) :

ولّى ولم يُظلم وما ظلم امرؤ حث النّجاء^(٩) وخلفه التّنين^(١٠)

(١) ديوانه ص ٣٠٦، وفي الديوان: «من هوى مسموم».

(٢) ديوانه ص ٣٩٤.

(٣) الرشاء: الحبل.

(٤) ديوانه ص ٦٤.

(٥) الضاحي: البارز؛ والمحيا: الوجه، والهجير: شدة الحر، والقنا: الرماح، والعجاج: الغبار، وتخاله: تظنه.

(٦) ديوانه ص ٢٨٨، والموشح ص ٣٠٦.

(٧) في الأصلين: «تنمي» وما أثبتناه عن الديوان والموشح: وتشفى: تجعل أثافي، وهي الحجارة. والمراجل: القدور.

(٨) ديوانه: ٣٢٧، والموشح: ٣٠٨.

(٩) في أ «حيث»؛ والتصحيح عن ب، وهو يوافق ما في الديوان والموشح.

(١٠) قال المرزباني في الموشح تعليقا على هذا البيت:

«فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفسين (الممدوح) هل كان يزيد على أن يسميه التنين! وما سمعت أحدا من الشعراء شبه به ممدوحاً بشجاعة ولا غيرها».

فهو يجعل الممدوح تارة دلوأ، وتارة محراثاً، ومرة رشاء، وأخرى تثنياً وشيطاناً رجيماً؛ وأظنه جَسَرَ على ذلك لما سمع قول جرير^(١):

أيام^(٢) يدعو نني الشيطانَ من غزلي وهنَّ يهوينني إذ كنتُ شيطاناً

وما أبعد ما بين الكلامين، وأشد تفاوت ما بين الموضوعين! ويقول^(٣):

كان الزمان بكم كلباً^(٤) فغادركم بالسيف والدهرُ فيكم أشهرُ الحرم

ويقول^(٥):

فحرام عليك أن تقرعيها مة قلبي بدمعك المهرق

وما تكاد قصيدة من شعره تسلم من أبيات ضعيفة؛ وأخرى غثّة، لا سيما إذا طلب البديع وتتبع العويص؛ فجاء بمثل قوله^(٦):

لعمري لقد حرّرتُ يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يُبرِّد

وقوله^(٧):

لن يأكلواهم ولا عشيرتهم ما كنزوه من صامت الحسب^(٨)

وقوله^(٩):

ذُلتُ بهم عُنق الخليلِ وربما كان المُمْتَعُ أخدعاً وصَلِيفاً^(١٠)

وقد أولع بذكر الأخدع؛ فردده في عدة أبيات لم يوفق إلا في واحد منها.

قال^(١١):

سأشكر فُرْجَةَ^(١٢) اللَّبِّبِ^(١٣) الرخوي ولبينَ أخادع الزَّمِينِ الأبِي

وقال^(١٤):

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

(١) ديوانه ص ٥٩٧. (٢) رواية الديوان: «أزمان».

(٣) ديوانه ص ٢٧٠. (٤) رواية الديوان: «حرباً».

(٥) لم نجدتها في الديوان. (٦) ديوانه ص ١٠١، والموشح ص ٣٠٨.

(٧) ديوانه ص ٤٨٧.

(٨) رواية الديوان:

(٩) ديوانه ص ٢٠٦، والموشح ص ١٨٣. لم يأكلواهم ولا عشيرتهم ما كنزوه من صامت النشب

(١٠) الخليلط: المخالط. والأخدع: عرق في العنق. والصليف: عرض العنق.

(١١) ديوانه: ص ٣٤٤. (١٢) الفرجة: السعة.

(١٣) اللبب: المنحر، وفي الديوان: «الليت» وهو صفحة العنق.

(١٤) ديوانه ص ٢١٠.

وقال^(١):

فَضْرِبْتَ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادِرْتُهُ عَوْدًا^(٢) رَكُوبًا
وقد أحسن في قوله^(٣):

وما هو إلا الوحيُّ أو حدُّ مَرْهَفٍ تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعِي كُلِّ مَائِلِ
وقد ذكره البحرني صفحا، فقال^(٤):

عَطَفَ إِذْ كَارُكَ يَوْمَ رَامَةَ أَخْدَعِي شَوْقًا وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ قَوَاصِدُ
فوقع من الحلاوة والحسن في الموقع الذي تراه.

وقوله^(٥):

لَوْلَمْ تَفْتِ مُسِنَّ الْمَجْدِ مَذْزَمِينَ بِالْجُودِ وَالْبَاسِ كَانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا
وقوله^(٦):

كَانُوا رِدَاءَ^(٧) زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَأَنَّمَا لَبَسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا
وقوله^(٨):

وَلِيَدِيكَ آلَاتُ جَنُوبٍ كُلِّهَا فَاحْطَمِ بِأَصْلِبِيهِنَّ أَنْفَ الشُّمَّالِ
فإن حمل نفسه على التكلف، وفارق الطبع إلى التعمق أراك مثل قوله^(٩):

أَلَا سَبِيلَ نَدَى إِلَّا سَبِيلَ بِلَى لَوْ كُنْتَ حَيًّا لِأَضْحَى لِلنَّدَى سُبُلِ
وقوله^(١٠):

لَوْلَمْ يَمْتِ بَيْنَ أَطْرَافِ الرَّمَاحِ إِذَا لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ
وقوله^(١١):

أَبْعَدَ التِّي مَا قَبْلَهَا أَفْبَعْدَهَا مَقَامَ لِحْرَقْتَ أَنْتَ عَجُولُ^(١٢)

(١) ديوانه ص ٢٧.

(٢) في الديوان: «قودا»، والعود: المسن من الإبل.

(٣) ديوانه ص ٢٤٩.

(٤) ديوانه (١: ١٤٢).

(٥) ديوانه ص ٢٠٤، وتفت: تدق، والبأس: الشدة.

(٦) الموشح ص ٣١٣، وديوانه ص ٢٠٦.

(٧) رواية الديوان: «برود». (٨) ديوانه ص ٢٣٦.

(٩) ديوانه ص ٣٨٤. (١٠) ديوانه ص ٣٨٨.

(١١) ديوانه ص ٤٠٨.

(١٢) رواية الديوان:

أبعد التي ما بعدها متلوم عليك لحرقت أنت ملوم

وقوله^(١):

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أم مذهب
وقوله^(٢):

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمن منك إلا بالرضا
بلغنا أن إسحاق بن إبراهيم الموصلبي سمعه ينشد هذا البيت، فقال له أن:
يا هذا، لقد شقت على نفسك، إن الشعر لأقرب مما تظن.
فإن أظهر التعجرف، وتشبه بالبدو، ونسي أنه حضري متأدب، وقروي متكلف
جاءك بمثل قوله^(٣):

قد قلت لما أطلختم الأمر وانبعثت عشواء تالية غبساء دهاريسا^(٤)
وقوله^(٥):

فعنيقها يعضيدها ووشيجها سعدائها وزميلها تئومها^(٦)
وقوله^(٧):

إن الأشاء إذا أصاب مُشَدَّبٌ منه اتمهل ذرى وأث أسافلا^(٨)
وقوله^(٩):

وحادث^(١٠) أخرق داويئته رداعة داهية دزدبيسن^(١١)
وقوله^(١٢):

ومزحزحاتي عن ذراك^(١٣) عوائق أضحرن بي للعنفير المؤبد^(١٤)

(١) الموشح ص ٣٠٩، وأسرار البلاغة ص ٤، وديوانه ص ٣٩.

(٢) ديوانه ص ١٨٧. (٣) ديوانه ص ١٧١.

(٤) أطلختم: أظلم، وعشواء: ضعيفة البصر، والغبس: جمع غبساء وهي المظلمة، والدهاريس: الدواهي.
(٥) ديوانه ص ٣١٢.

(٦) العنيق: المعانق. واليعضيد: بقلة تشبه الهندباء البري. والوشيج: اشتباك القرابة، والسعدان:
نبت من أفضل مراعي الإبل. والزميل: الرفيق. والتنوم: شجر.

(٧) ديوانه: ٣٨٠.

(٨) الأشاء: صغار النخل. اتمهل: انتصب واعتدل. أث الثبت: كثر والتف.

(٩) ديوانه ص ١٨٠.

(١٠) في الديوان: «وحائن»، والحائن: الأحمق، وكذلك الأخرق.

(١١) الرداعة: من ردع فلان إذا وجع جسده كله، والدردبيسن: الداهية.

(١٢) ديوانه ص ١١٤.

(١٣) في الديوان: «هواك».

(١٤) أضحرن: قصدن الصحراء. العتقير: الداهية. والمؤبد: من الأبدية.

وقوله^(١):

مُقَابِلٌ فِي ذِي الْأَذْوَاءِ مَنْصُبُهُ عَيْصاً فَعَيْصاً وَقُدْمُوساً فَقُدْمُوساً^(٢)
ثم لو لزم ذلك واستمر عليه ديناً وعادة، واتخذها إماماً وقبلةً لقلنا: بدويٌّ جرى
على طبعه، أو متحضرٌ حنٌّ إلى أصله؛ لكنه يُعْرِضُ عَنْهُ صَفْحاً، ويتناساه جملة،
ويقول وهو يمدح خليفة^(٣):

ما زلت في العفو للذنوب وإطـ سَلَاقِي لِعَانٍ فِي جُرْمِهِ عَلِيْقٌ^(٤)
حتى تمسني البراء أنهم عندك أمسوا في القيد والحلق^(٥)

فنازعه المعنى، وانفرد دونه بالعيب؛ لأن أبا ذهبل زعم أن البراء يتمنون أن
يُذْنِبُوا فَيُصِيبُوا عَفْوَهُ، ولا تَقْصُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَمْدُوحِ؛ لِأَنَّ انْفِرَادَهُ بِالْعَفْوِ مُتَعَدِّرٌ،
وإنما سببه إلى ذلك ذنب المجرم وخطأ الجاني.

وزاد أبو تمام فزعم أنهم يتمنون اليثم؛ ليصلوا إلى رِفْده، ويلحقوا بالآيتام في
تَكْفَلِهِ، والممدوح ممكن من إفاضة العدل، وبتَّ العُرف، وإغنائهم عن هذا التمني
الذي لا يختاره العاقل إلا بعد بلوغ الجهد منه، ووصول القنوط إلى قلبه، واستيلاء
الضنك على معيشته؛ وليس من صفة الجواد أن يعرض مَدَاحِهِ وَقَصَادِهِ، وَمَنْ عَلَقَتْ بِهِ
أَمَالُهُ، وَسَمَتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ لِسُوءِ الْحَالِ، وَيَكْلَفُهُمُ الْأَمَانِي الرَّذْلَةَ. وقد مدح أبا
المغيث^(٦)، فقال^(٧):

اسقِ الرعيّة من بشاشتكَ التي لو أنها ماءٌ لكان مسوساً^(٨)
إن البشاشة^(٩) والندی خيرٌ لهم من عفة جمست عليك جموساً^(١٠)

(١) ديوانه ص ١٧٢.

(٢) الذرى: الأعالي. والأذواء: هم ملوك اليمن، منهم ذو يزن وذو رعين. والمنصب: المرتبة.
العيس: الأصل. والأعياص من قریش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر. والقدموس: الملك
العظيم.

(٣) كذا في الأصلين، وهذان البيتان ليسا لأبي تمام، كما هو واضح من كلامه بعد، وهما لأبي
دهبل الجمحي، والبيت الذي يشير إليه لأبي تمام هو:

وتكفل الأيتام عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتام
وقد أخذ هذا من قول أبي دهبل. وبهذا تفهم عبارته.

(٤) العاني: الأسير، وغلق الأسير والجاني: لم يفد.

(٥) البراء: الأبرياء. والقيد: سير من جلد غير مدبوغ.

(٦) هو موسى بن إبراهيم الرافقي.

(٧) ديوانه ص ١٧٧.

(٨) المسوس هنا: العذب الصافي.

(٩) في الديوان: «إن الطلاقة».

(١٠) جمست: جمدت.

لو أن أسباب العَفَافِ بلا تُقَى نفعت لقد نفعت إذا إبليساً
فليت شعري عنه لو أراد هَجُوه، وقصد الغَضَّ منه، هل كان يزيدُ على أن يذمَّ
عِفْته، ويصفها بالجموس والجمود، وهما من صفات البرد والثقل، ثم يختم الأمر بأن
يضرِبَ له إبليس مثلاً، وقيمه بإزائه كُفُوءاً، هذا وهو يقولُ في مثل ذلك غيرَ مَادِح،
وبحيث يحتمل الاتساع ولا يضيق التصرف^(١):

عجبا^(٢) لعمري أن وجهك مُغْرِض عني وأنت بوجه نفعك مقبل
أولا ترى أن الطلاقة جئة من سوء ما تجني الظنون ومغفل!
ومودة مطوية منشورة فيها إلى إنجاحها متعلل
إن يُغَطِّ وجهاً كاسفاً من تحته كرم وطيب خليقة لا تدخل^(٣)
فلرب سارية الغمام مطيرة جادت بوابلها وما تهلل^(٤)

على أنه قد تحامل بقوله: «إن يعط وجهاً كاسفاً»، وبقوله في مثله^(٥):

ليس يدري إلا اللطيف الخبير أي شيء تطوى عليه الصدور
فتطلق^(٦) مع العناية إن ألب بشر في أكثر الأمور بشير
إنما البشر روضة فإذا كا ن ببذل فروضة وعدير
فتكلم بما تُجْمِجُ^(٧) فالمن طق عنوان ما يجن الضمير

فيتوصل إلى مراده أحسن ما توصل، ويُعبر عن ذات نفسه بأنطف عبارة؛ وقوله^(٨):

شكوت إلى الزمان نحول جسمي فأرشدني إلى عبد الحميد^(٩)

وإنما يُرشد في نحول الجسم إلى الأطباء، فأما الرؤساء والممدوحون فإما
يُلْتَمَسُ عندهم صلاح الأحوال؛ وقوله^(١٠):

تكاذ عطاياه يجن جئونها إذا لم يعوذها بنعمة طالب^(١١)

(١) ديوانه ص ٢٤٠، وقد قالها لأبي دلف.

(٢) في الديوان: «عجب».

(٣) في الديوان:

كسرم وحلم خليقة لا يجهل

(٤) السارية: السحابة. العارض: المعارض في الأفق. يتهلل: يبرق، ورواية الديوان:

فلرب سارية عليك مطيرة قد جاء عارضها وما يتهلل

(٥) ديوانه ص ٣٩٧.

(٦) تطلق الشيء: سر به فظهر ذلك في وجهه.

(٧) الجمجمة: ألا يبين الإنسان كلامه. جنه وأجنه: ستره.

(٨) ديوانه ص ١٣٦. (٩) في الديوان: «نحول حالي».

(١٠) ديوانه ص ٤١. (١١) التعويد: الرقية يرقى بها الإنسان.

وما بالها يُخوجها إلى الجنون، ويَلْتَمِس لها العُوذ^(١) والرُقَى، هَلَّا فَكَّ أَسْرَهَا،
وقدم خلاصها، ولم ينتظر بها نعمة الطالب، ففعل ما قاله أبو الطيب^(٢):

وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبًا
وقد تَدَاوَل النَّاسُ هَذَا الْمَعْنَى، فقال مُسْلِمُ:

أَخ لِي يَعْطِينِي إِذَا مَا سَأَلْتُهُ وَلَوْ لَمْ أَعْرِضْ بِالسُّؤَالِ ابْتِدَانِيَا
وقال أبو العتاهية:

وَإِنَّا إِذَا مَا تَرَكْنَا السُّؤَالَ فَلَمْ نَبِغْ نَائِلَهُ يَبْتَدِينَا
وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبِغْ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا
وقال أبو تمام^(٣):

فَأَضَحَّتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرْدَا^(٤) تَسَائِلُ فِي الْآفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلٍ
وقوله^(٥):

وَرَأَيْتَنِي وَسَأَلْتُ^(٦) نَفْسِكَ سَبَبَهَا لِي ثُمَّ جَدتْ وَمَا انْتَضَرَتْ سُؤَالِي
وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله:

أَنْفَقْتَهُ^(٧) فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبًا
وقوله^(٨):

قُلْتُ^(٩) مِنَ الرِّيقِ نَافِعَ الذُّؤُوبِ إِلْ سَلَا أَنْ بَرُدَ الْأَكْبَادِ فِي جَمْدِهِ
فقد سلك مُفَسِّرُو هَذَا الْبَيْتِ غَيْرَ طَرِيقٍ، وَقَالُوا فِيهِ غَيْرَ قَوْلٍ، فَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى
تَأْكِيدِ الْمَحَالِّ بِالْمَحَالِّ، وَإِضَافَةِ الْخَطَأِ إِلَى الْخَطَأِ، وَمَا مَعْنَى جَمْدِ الرِّيقِ؟ وَكَيْفَ
يَكُونُ بَرْدُ الْأَكْبَادِ فِي جَامِدِهِ دُونَ ذَاتِهِ! وَقَدْ أَعْطَاكَ أَنْ ذُوبَهُ نَاقِعَ مَرٍّ، وَهَلْ بَعْدَ الرِّيقِ
بَرْدُ الْأَكْبَادِ!

ويقوله^(١٠):

الَّذِي مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ عَلَى الظُّمَأِ وَأَطْرَفَ مِنْ مَرِّ الشَّمَالِ بِبَعْدَادِ

(١) العوذ (بفتح الواو): جمع عوذة، وهي الرقية أيضاً.

(٢) ديوانه (١: ١٣٢). (٣) ديوانه ص ٢٤٧.

(٤) في الديوان: «شزبا»؛ والشزب: الضامرة.

(٥) ديوانه ص ٢٤٧. (٦) في الديوان: «فسألت».

(٧) في أ «لأنفقتة»، تحريف، صوابه من ب والديوان.

(٨) ديوانه ص ٩١.

(٩) التقلت: الثقرة في الصخر فيها ماء. الناقع: قاطع العطش.

(١٠) لم نجده في الديوان.

فجعل الشمال طرفه ببغداد، وهي أكثر الرياح بها هبوباً. وقد رواه بعض الرواة «أظرف»؛ ولا أعرف معنى الظرف في الريح؛ وقوله^(١):

ورحبَ صَدْرٌ لو أَنَّ الأرضَ واسعةً كوسعِه لم يضقَ عن أهله بلدٌ

وهذا المعنى فاسد؛ لأنه جعل البلادَ إنما تضيق بأهلها لضيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتساعَ صدره لم تضيق البلادُ. ونحن نعلم أن البلاد لم تُحْطَط في الأصل على قدر سعة الأرض وضيقها، وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة، ولا تتسع ما فيها من المدن أيضاً، وهي على حالها؛ وإنما تُؤسس وتبتدئ على قدر الحاجة إليها؛ فإذا استمر بها الزمان وكثرت العمارة، وظهر فيها ما يستدعي الناس إليها ضاقت، فإن جاورتها فسُخَّ وعِرَاص^(٢) وسعت، وإلا احتمل لها بعض الضيق؛ فلو اتسعت الأرض حتى امتدت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها. وقوله^(٣):

سبعون شهراً كلُّها في كُله لي عائقٌ عن منزلي وبلادي

فجعل لكل كلاً، كما جعل للدهر دهرأ في قوله^(٤):

تحملتُ ما لو حُمِلَ الدهرُ شَطْرَه لَفَكَّرَ دَهْرأ أي عبأيه أثقلُ وقوله^(٥):

رقيقٌ حواشي الحلم لو أن جِلْمه^(٦) بكفِّيك ما ماريت^(٧) في انه بُرْدُ

والبرد لا يوصف بالرقعة، وإنما يوصف بالصفافة والذقة. وقد أقام الرقة مقام اللطف والرشاقة في موضع آخر، فقال^(٨):

لك قد أرق^(٩) من أن يحاكي بقضيب في الثعبت أو بكثيب^(١٠)

والقذ لا يوصف بالرقعة. وقوله^(١١):

لآل إذا مرّت على السمع ناسبتْ لدقة معنى نظمها لؤلؤ العقد

ومناسبة اللآلئ في دقة النظم لا يُفتَحَر بها، ولا يجعل ما يناسبه في ذلك لآل؛ وإنما يشبه باللالئ في الصفا والرونق والحسن، وقد يكون من سقط الخرز وصغاره ما

(١) ديوانه ص ٩٧.

(٢) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس بها بناء، وجمعها عراض.

(٣) لم تجده في الديوان. (٤) ديوانه ص ٢٤٥.

(٥) ديوانه ص ١٢١. (٦) في الديوان: «لو أن خلقه».

(٧) ماريت: جادلت. البرد: الثوب. (٨) ديوانه ص ٤٣٤.

(٩) في الديوان: «أدق». (١٠) الكثيب: التل من الرمل.

(١١) لم تجده في الديوان.

هو أدقُّ نظماً من اللؤلؤ؛ وقد تَنظَّم الأعراب تيجانها من حَبِّ الحَنْظَل، وهو أدقُّ نظماً من كل جوهر نفيس، وإنما أراد ذِكْرَ السبب الذي أفاده شبه اللؤلؤ فزلاً عنه. وقوله^(١):

من الهيف لو أن الخلاخلُ صُبِّرت لها وشحاً جالت عليها الخلاخلُ^(٢)
أراد وصفها بدقَّة الحُضْر، فوصفها بغاية القصر والضؤولة؛ لأن الوشاح يؤخذ من العاتق ويوشح إحدى طرفيه الصَّدْر والبطن، والآخِرُ الظهر، حتى ينتهيا إلى الكشح ويلتقيا على الورك. وكيف حالٌ من يَجُول الخللخال من عاتقها وكشحها، وهل تكون هذه من البَشْر فضلاً عن أن تُنسب إلى الحُسن! وقوله^(٣):

يَدي لمن شاء رَهْنٌ لم يَذق جِزْعاً مِنْ راحتيك دَرَى ما الصَّابُ^(٤) والعَسَل
فحذف عمدة الكلام، وأخلَّ بالنظم؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن (إن كان) لم يذق. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه. وقوله^(٥):

حَلَّتْ محلَّ البِكر من مُعطَى وقد رُقت من المعطى زِفَاف الأيم

معنى الأيم لغة وشرعاً

فجعل الأيم مقابل البكر في التقسيم، والأيم قد تكون بكراً؛ وإنما هي التي لا زوج لها، يقال: أمت المرأة تئيم أيمّة. وكذلك الرجل إذا مات امرأته؛ وإنما لأهل اللغة قولان: أحدهما أن المرأة قد تكون أيمّاً إذا لم يكن لها زوج؛ وإن لم تكن نُكِّحت قطّ. والثاني أنها لا تكون أيمّاً إلا وقد نُكِّحت، ثم حَلَّت بموت أو طلاق؛ بكراً كانت أو غير بكر، بَنَى عليها الزوج أو لم يَبْنِ. ويقال: تأيمت المرأة؛ إذا لم تُنكح بعد موت زوجها.

فأما قول النبي ﷺ: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها». فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة؛ فجعلوا الأيم عاماً في الثيب والبكر، وجعلوا اللفظة الثانية مفردة بحكم، وداخلة من الثانية في حكمها، وأبى أصحابنا ذلك؛ فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيم الثيب، وليس يُحفظ عنه، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم والثيب في اللغة عبارتان عن معنى واحد، فيجد العائب طريقاً

(١) ديوانه ص ٢٥٦.

(٢) الهيف: الرقيقات. والخلاخل: حلى يلبس في الساق. والوشح: شبه قلائد عريضة تشد بين الكنف والخاصرة.

(٣) ديوانه ص ٢٢٨.

(٤) الصاب: عصير نبت مر.

(٥) ديوانه ص ٣١٣.

إلى عيبه، ولكنه لطف في الفكر فتوصل به إلى استخراج ما غمض على غيره؛ وذلك أنه رأى الخبر تضمن ذكر الأيم والبكر، ووجد البكر معطوفاً على الأيم؛ وكان ظاهر الخطاب وحقيقة اللغة يقتضي تغيّر المعطوف والمعطوف عليه. ومن الظاهر عند أهل اللسان أنّ الشيء لا يُعْطَف على نفسه؛ هذا هو الأصل المطرد، فإنّ وُجد في الكلام ما يَخْرُج عنه، وأُصِيب ما يخالف هذه القضية فزائل عن الظاهر تابع لدليله؛ كما يوجد عموم يُخَصّ، وأمر يُحْمَل على النَّدْب، وخبرٌ يراد به الأمر؛ فلا يُتْرَك له موضوعات الأصول ولا يُعْتَرَض به على حقائق اللغة.

وكما لا يُعْطَف بالشيء على نفسه؛ فكذلك لا يُعْطَف به على جُملة هو بعضها؛ لأنه يكون معطوفاً به على نفسه وعلى شيء آخر معه.

ولو قال قائل من أهل اللغة موثوق بسداده: جاءني عمرو وأكرمني أبو زيد؛ لوجب أن يكون أحدهما غير الآخر في مقتضى الظاهر؛ وكذلك لو قال: وجدت عبد الله عاقلاً وأبا محمد فاضلاً لكان المعقول منهما تغيّرهما، وإن أمكن أن يكون المسمّى هو المكنى.

فلما تقرّر عنده الأصل، ووجد الأدلة تُقوِّده إليه فَصَل بين المعطوف والمعطوف عليه، فجعل الأيم غير البكر؛ وليس غير الأبيكار إلا الثيب. وليس يعترض هذا قول من يزعم أنه إقرار بالعدول عن الظاهر، ومفارقة الحقيقة، فقد سلم للمخالف ورفعت المنازعة في هذه الدلالة؛ لأننا نقول: إنّ في الخبر ظاهرين متقابلين؛ أحدهما حقيقة الأيم وهو انطلاؤها على كل خالية من حُرْمَة النكاح، والثاني ظاهر العطف ووجوب تمييز المعطوف عليه، فلما تقابل هذان الظاهران، ولم يكن من رفض أحدهما بُدّ اتبع المتعارف، واستسلم لعادة الخطاب؛ وعادة الاستعمال في اللغات مقدّمة على حقائقها، وهي أولى بالظاهر من أصولها.

وأما أنا فأرى ظاهر الترتيب من ظاهر الألفاظ المنفردة، وإن كان من أصحابنا مَنْ يُخَالَفني فيه.

وفي الإفصاح بما أشرت إليه، وتبيين ما أجملته كلاماً يتسع، ولا يتصل بالعرض الذي قصدناه، وإنما نبذت منه نبذا اقتضاها فصلُّ أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام، جمع فيه بينه وبين الشافعي في النكير، ووازن بين قولهما في الخطأ، ولم أستحسن ما يتسرع إليه أصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة، والتشبّث بالشواذ المردودة، ووجدت المعنى الذي ذكرته مستقيماً على اللغة والمعقول، وكالمصرّح به في لفظه؛ فأومات إليه.

شعر المتنبي

ثم أعود إلى نسق الكتاب وأكتفي بما قدّمته من هفوات أبي تمام وإن كان ما أغفلته أضعاف ما أثبتته؛ إذ البغية فيه الاعتذار لأبي الطيب، لا التعي على أبي تمام. وإنما خصّصتُ أبا نُوَاس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي المطبوعين، وإمامي أهل الصنعة، وأريك أن فضلهما لم يحومهما من زلل، وإحسانهما لم يصف من كدر؛ فإن أنصفت فلك فيهما عبرة ومقنع، وإن لججت فما تُغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

وقد رأيتك - وفكك الله - لما احتفلت وتعمّلت، وجمعت أعوانك واحتشدت، وتصفّحت هذا الديوان حرفاً حرفاً، واستعرضته بيتاً بيتاً، وقلّبتَه ظهراً وبطناً، لم تزد على أحرف تلقّطتها، وألفاظ تمحلّتها، اذعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضاً بالتعسف والغثاءة، وبعضاً بالضعف والركاكة، وبعضاً بالتعدّي في الاستعارة؛ ثم تعدّيت بهذه السّمة إلى جملة شعره، فأسقطت القصيدة من أجل البيت، ونفيت الديوان لأجل القصيدة، وعجلت بالحكم قبل استيفاء الحجة، وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة، فعبت قوله^(١):

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأَيْتُهُ فِي زَمَانِهِ وَمَا قَلَّ جُزْءُ بَعْضِهِ الرَّأْيَ أَجْمَعُ^(٢)
وقوله^(٣):

وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلُ
وقوله^(٤):

فَقَلَّقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحَشَا قَلَّوَلَّ عَيْسٍ^(٥) كُلُّهُنَّ قَلَّوَلَّ^(٦)

(١) ديوانه (٢: ٢٤٢).

(٢) رواية الديوان:

أقل جزئي بعضه الرأي أجمع

(٣) ديوانه (٣: ١٧٤).

(٤) ديوانه (٣: ١٧٥).

(٥) في أ «عش». - تحريف. والعيس: إبل يخالط بياضها شقرة.

(٦) قال أبو نصر بن المرزباني: «ثلاثة من الشعراء رؤساء؛ شلشل أحدهم، وشلسل الثاني، وقلقل =

- عَثَاةٌ عَيْشِي أَنْ تَغِيْتُ كِرَامَتِي وليس بَعْتُ أَنْ تَغِيْتُ^(١) الْمَاكِلُ
وقوله^(٢):
- لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٌ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّادِقِيَّةِ^(٣) لَا حِقُّ
وقوله^(٤):
- عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعُظْمُ عُظْمًا عَنِ الْعُظْمِ
وقوله^(٥):
- وَلَسْتُ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْعَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلَفَهُ خَلْفُ
وَلَا وَاحِدًا فِي دَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَعْضُ مِنْ كُلِّ وَلِكِنَّكَ الضَّعْفُ
وَلَا الضَّعْفُ حَتَّى يَتَّبِعَ الضَّعْفُ ضِعْفَهُ وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضَّعْفِ بِلِ مِثْلِ أَلْفُ
وقوله^(٦):
- قَبِيلُ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشَرِّ الْمَلِكِ الْهُمَامُ
وقوله^(٧):
- كَيْفَ تَرْتَبِي السِّي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رءَاهَا^(٨) غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي
وقلت: ما زلنا نتعجب من قول مسلم بن الوليد^(٩):
- سُلْتُ وَسَلْتُ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَآتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولا
حتى جاء المتنبي، فملاً ديوانه من هذا الجنس، فأنساناً بيتَ مسلم.
- وقوله^(١٠):
- أَبَا شُجَاعٍ بِقَارِسٍ عَضَدَ الدِّ دَوْلَةَ فَنَّا خُسْرُو شَهَنشَاهَا^(١١)

= الثالث؛ فالذي شلشل الأعمى، وهو من رؤساء شعراء الجاهلية، وهو الذي يقول:
وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول
والذي سلسل مسلم بن الوليد، وهو من رؤساء المحدثين، قال:
سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولاً
وأما الذي قلقل فالمتنبي: شرح ديوان المتنبي (٣: ١٧٦).

- (١) الغث: الهزال. (٢) ديوانه (٢: ٣٥٠).
(٣) اللادقية بلد الممدوح (الحسين بن إسحاق التنوخي)، وهي من بلاد الساحل بالشام.
(٤) ديوانه (٤: ٥٨). (٥) ديوانه (٢: ٢٩٠).
(٦) ديوانه (٤: ٧٩). (٧) ديوانه (٢: ٣٦٢).
(٨) رءاهها: رآها. رقا الدم والدمع؛ إذا انقطع، وإنما أبدل الهمزة ياء لأنه آخر البيت.
(٩) التبيان (٣: ١٧٦). (١٠) ديوانه (٤: ٢٧٥).
(١١) يمدح بالبيت عضد الدولة؛ وقد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته، وسماه بملك الملوك: «شاهنشاه».

وقوله^(١):

رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسْبِطَةٌ^(٢) وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَمَالٍ
يُعَلِّلُهَا نَطَاسِي^(٣) الشُّكَايَا وَوَاجِدَهَا نَطَاسِي الْمَعَالِي
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا اللَّوَاتِي تَعْدُ لَهَا الْقُبُورَ مِنَ الْحِجَالِ^(٤)
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارُ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ^(٥)

وقوله^(٦):

أَوْهٍ مِنْ أَنْ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَصْلُ وَاهِبًا وَأَوْهٍ مَرَاهَا^(٧)

وقوله^(٨):

كَيْفَ يَتَّقَى بِكَفِّكَ الزُّنْدُ وَالْآ أَنْتَ فِيهِ^(٩) وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ
فَاقَ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ يَسْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلَاقِ
وقوله^(١٠):

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فَرَاشِ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايِ^(١١) حَاشِ
وقوله^(١٢):

وَرَبَّمَا يَشْهَدُ^(١٣) الطَّعَامَ مَعِي مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ
وقوله^(١٤):

إِنِّي عَلَى شَعْفِي بِمَا فِي خُمْرِهَا لِأَعْفُ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا

(١) ديوانه (٣ : ١٣)، (٣ : ١٦)، (٣ : ١٧)، يرثي والدة سيف الدولة.

(٢) المسبطر: الممتد. قال صاحب: ذكره الاسطرار في مرثية النساء من الخذلان.

(٣) النطاسي: الحاذق في الأمور. الشكايا؛ واحدها شكوى.

(٤) الحجال: ما يستر النساء، وهو الخدر.

(٥) الجنازة، بالفتح والكسر: النعش.

(٦) ديوانه (٤ : ٢٧٠).

(٧) يقول: أتوجع لأنني لا أرى محاسنها، وأصل توجعي وتعجبي أنني رأيتها فهويتها.

(٨) ديوانه (٢ : ٣٦٩، ٣٧١)، والآفاق: جمع أفق. وهو نواحي الدنيا.

(٩) الضمير يرجع إلى الدهر في البيت قبله، وهو:

ليت لي مثل جد ذا الدهر في الأد هسر أو رزقه من الأرزاق

(١٠) ديوانه (٢ : ٢٠٧).

(١١) في الأصلين: «حشاه»، وهذه رواية الديوان.

(١٢) ديوانه (٣ : ٢٧٠).

(١٣) في الأصلين: «أشهد»، وهذه رواية الديوان.

(١٤) ديوانه (١ : ٢٢٦). والخمر: جمع خمار، وهو ما تختمر به المرأة.

- وقوله^(١) :
- لَا خَلْقَ أَسْمَحَ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِبًا^(٢)
- وقوله^(٣) :
- لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُرَّادُ وَهَمَّتِي أُوذُ^(٤) اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشُّطْرُ
- وَمَا أَنَا وَخَدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرَ كُلُّهُ وَلَكِنْ لِشُعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ^(٥)
- وقوله^(٦) :
- وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا^(٧)
- وقوله^(٨) :
- قَسَا فَالْأَسْدُ تَفْرَعُ مِنْ يَدَيْهِ^(٩) وَرَقٌّ فَنَحْنُ نَفْرَعُ أَنْ يَذُوبَا
- وقوله^(١٠) :
- وَسَيْفِي لِأَنَّ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ لِيضْرِبَ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ^(١١)
- وقوله^(١٢) :
- أَيْفِطْمَهُ التَّوْرَابُ^(١٣) قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ^(١٤)
- وقوله^(١٥) :
- إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مَسْتَمْتَعًا بِهِ تَحَرَّفَتْ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَحَرَّقْ

- (١) ديوانه (١ : ٢٣٢).
- (٢) راء: مقلوب رأى، كما يقال: ناء ونأى.
- (٣) ديوانه (٢ : ١٥٨).
- (٤) أود: جمع ود، والشطر: النصف. قال العكبري: «ذا حشو».
- (٥) يقول: أنا ما انفردت بعمل هذا الشعر؛ ولكن شعري أعانني على مدحك؛ لأنه أراد مدحك كما مدحته.
- (٦) ديوانه (١ : ١٤٢).
- (٧) يريد أنه شيخ في شبابه لعقله وكمال رأيه، وإن كان شاباً.
- (٨) ديوانه (١ : ١٤٢).
- (٩) في الديوان: «من قواه».
- (١٠) ديوانه (٢ : ٦).
- (١١) يريد: وغمذك من الحديد الذي منه السيف.
- (١٢) ديوانه (٣ : ٥٠).
- (١٣) التوراب: التراب.
- (١٤) في الأصلين: «إلى الأرض». وهو خطأ، صوابه من الديوان.
- (١٥) ديوانه (٢ : ٣٠٧).

وقوله^(١):

أَعْرَكُمُ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَزُّهَا
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِبَلِيثٍ إِلَّا قَرِيصَةً
عَلَيَّ^(٢) شَرُوبٌ لِلْجِيُوشِ أَكُولُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِبَلِيثٍ إِلَّا قَرِيصَةً
غَدَاهُ^(٣) فَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فَيْلُ
إِذَا الطُّغْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةً
هِيَ^(٤) الطُّغْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَدُوُّ
إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ
فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ^(٥) لَهَا وَطُبُولُ
وقوله^(٦):

فَكُلُّكُمْ أَتَى مَا أَتَى أَبِيهِ
فَكُلُّكُمْ أَتَى مَا أَتَى أَبِيهِ
وقوله^(٧):

مُلِيْتُ الْقَطْرِ أَعِشْطَهَا رُبُوعًا
أَسَائِلُهَا عَنِ الْمَتَدِيرِيهَا
وَالْإِذَا فَاسَقَهَا السُّمَّ النَّقِيغَا^(٨)
فَلَا تُذْرِي وَلَا تُذْرِي دُمُوعَا^(٩)
لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نُزُوعَا^(١٠)
كَمَا تَتَّالَمُ الْعَضْبُ الصَّنِيغَا^(١١)
يُظَنُّ ضَجِيعُهَا الزُّنْدُ الضَّجِيعَا^(١٢)
ثَبِيرَا^(١٣) أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيغَا
وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيغَا^(١٤)

(١) ديوانه (٣: ١٠٧، ١٠٨)، يمدح سيف الدولة.

(٢) هو اسم سيف الدولة.

(٣) غداه: صار له غداء، والضمير راجع إلى الليث.

(٤) في الأصلين: «هو». والضمير يعود على الشجاعة، وهذه رواية الديوان.

(٥) عيب على المتنبي جمع بوق على بوقات؛ والقياس يعضده؛ إذ له نظائر.

(٦) ديوانه (١: ٨٥).

(٧) ديوانه (٢: ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٧).

(٨) الملت: الدائم المقيم. والرُبُوع: جمع ربع. والنقيغ: المتنع.

(٩) تدير المكان: اتخذه داراً، وتذري: تلقي دموعاً.

(١٠) قبله:

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحيها شسوعاً

(١١) الدرز: موضع الخياطة المكفوفة من الثوب. العضب: السيف، والصنيع: المحكم الصقل والصنعة.

(١٢) الدملج: المعضد من الحلي؛ يصف ذراعها بالغلظ.

(١٣) ثبير: جبل بالحجاز. وابن إبراهيم هو علي بن إبراهيم التنوخي، الممدوح.

(١٤) الكناس، وحضرموت، وكندة، والسبيغ: أمكنة بالكوفة، سميت بأسماء من سكنها، وفي

الأصلين «أمنسي السكون». يقول: أنت أنسيتني بإحسانك والدتي وبلدي وأهلي.

وقوله^(١):

جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفَّهُ
وُثُوقَيْنِ فِي وَقْفَيْنِ: شُكْرٍ وَنَائِلٍ
وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا
سُمُورًا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنْ اسْمَهُ كَفَّ^(٢)
فَنَائِلُهُ وَقَفٌ، وَشُكْرُهُمْ وَقَفٌ^(٣)
عَلَيْهِ فِدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(٤)

وقوله^(٥):

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمَجِيطُ لِقَاصِدٍ
وَمِنْ تَخْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفٌ
وَقَوْلُهُ^(٦):

رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ^(٧)
وَقَوْلُهُ^(٨):

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ
سُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ حَالِي
وَقَوْلُهُ^(٩):

لَا يَسْتَكِينُ الرَّغْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
تَتَقَاصِرُ الْأَوْهَامُ عَنْ إِذْرَاكِهِ
يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانَ أَنْ لَا يُحْسِنًا^(١٠)
مِثْلُ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالذُّنَا^(١١)
وَقَوْلُهُ^(١٢):

وَلَيْدًا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا
مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ^(١٣)

(١) ديوانه (٢: ٢٨٥).

(٢) يقول: هو جواد علت كفه في الخير والشر؛ الخير لأوليائه والشر لأعدائه. والدهر يتمنى أن يكون كفا يشارك كفه.

(٣) يقول: الناس والممدوح فريقان واقفان في شينين وقفين؛ أحدهما على الناس منه وهو العطاء، والثاني على الممدوح من الناس وهو الثناء.

(٤) يقول: لما فقدنا نظيره ومن يكون له مثلاً، (لأنه عديم المثل) دام الكشف عن مثل له، ثم بطل لأننا أيسنا من وجود مثله.

(٥) ديوانه (٢: ٢٨٩).

(٦) ديوانه (٣: ١٩٨).

(٧) العنبر الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والصلصال: الطين اليابس.

(٨) ديوانه (٣: ٢٠١).

(٩) ديوانه (٤: ٢٠١).

(١٠) أي لا يحسن عدم الإحسان، والإحسان الأول مصدر والثاني ضد الإساءة.

(١١) الذنأ: جمع دنيا؛ كالعلا جمع عليا والقصا جمع قصيا.

(١٢) ديوانه (٣: ٢٥٢).

(١٣) يقول: إنما سميت أغطية العيون جفونها؛ لأنها ضمت أحداقاً تعمل عمل السيف.

وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ .
وقوله (١) :

جَفَخَتْ (٢) وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرَدِ لَدَائِلُ
وقوله (٣) :

الطَّيْبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَائِلُ
وقوله (٤) :

فَتَبَيْتُ تُسَيْدُ مُسَيْدًا فِي نِيَّهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ (٥)
وقوله (٦) :

كُفِّي أَرَانِي وَنِكَ لَوْمَكَ أَلْوَمَا هُمْ أَقَامَ عَلَى فُرَادٍ أَنْجَمًا (٧)
وقوله (٨) :

رَمَانِي خَسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ وَأَخْرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ (٩)
وقوله (١٠) :

فَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ عَنِ الْأَرْضِ لِأَنهَدَتْ وَنَاءَ بِهَا الْجَمْلُ
وقوله (١١) :

أَتَى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقْلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدًا
وقوله (١٢) :

خَفَّ اللَّهُ وَاسْتُرَ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْزَعِ فَإِنْ لَحَتْ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ (١٣)

(١) ديوانه (٣ : ٢٥٨).

(٢) جفخ: تكبر وفخر. والشيم: جمع شيمة، وهي الخليفة. والأعر: الأبيض.

(٣) ديوانه (٣ : ٢٦١).

(٤) ديوانه (١ : ١٧).

(٥) الإسعاد: الإسراع في السير، أو سير الليل بلا تعريس، أو سير الإبل بالليل مع النهار. والنيء: الشحم. والمهمة: المغازة. والإنضاء: فاعل لاسم الفاعل.

(٦) ديوانه (٤ : ٢٧).

(٧) كفي: دعى واتركي، أنجم: أفلح؛ يقال: أنجمت السماء؛ إذا أفلعت من المطر.

(٨) ديوانه (٣ : ١٧٤).

(٩) خساس الناس: أراذلهم، والصائب، بمعنى المصيب؛ يقال: صابه يصيبه وأصابه يصيبه فهو صائب ومصيب.

(١٠) ديوانه (٣ : ١٨٨).

(١١) ديوانه (١ : ٣٤٠).

(١٢) ديوانه (٢ : ٣٤٩).

(١٣) العواتق: جمع عاتق، وهي الجارية المقاربة للاحتلام. وفي رواية: فإن لحت ذابت في الخدور العواتق

وقلت: لما أنكر عليه حاضرت غيره فجعله ذابت .

وقوله^(١):

مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَمُنْ بِهِ يُتْمَهُمْ فَالْمُوتِمُ الْعَجَابِرُ الْيَتِيمُ^(٢)

وقوله^(٣):

تَحَرَّجَ عَنِ حَقْنِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ

أَطْعَمَكَ طَرَعِ الدَّهْرِ يَابِنَ ابْنَ يُوسُفِ

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي

فَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصِ نَفْسُهُ

وَقَائِلَةٌ وَالْأَرْضُ أَغْنِي تَعَجُّباً

وقوله^(٩):

وَأَنْتَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمَا

وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بَنَّا

وقوله^(١١):

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ

لِيَيْلَلُنَا الْمَمُوطَةُ بِالتَّنَادِ^(١٢)

(١) ديوانه (٤ : ٥٣).

(٢) الموتم الجابر اليتيم: مبتدأ وخبر، أي أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى الأبناء الأيتام ويصطنعهم.

(٣) ديوانه (٤ : ٥٤، ٥٦).

(٤) التحرج: الكف عن الشيء والإمساك عنه، وحقن الدماء: حفظها وتركها في أبدانها. يريد: أنه يريق دماء الأعداء ولا يحفظها.

(٥) ارتفع «الحاسدون» عطفاً على الضمير المرفوع في «أطعمتك»، وحذف النون في: «الحاسدون» لأنه شبه باسم الموصول؛ كأنه قال: والذين حسدوك. وقد جاء مثله فيما أنشده سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتهم من ورائهم وكف

(٦) القرن: كفاء الرجل في شجاعته، والجائزة: ما يعطاها الشاعر، والكلم: الجرح، أي أعطني ذهباً بقدر ما تسع ضربتك الواسعة.

(٧) القرى: الظهر. والمكمن: المخفي والمستتر، الدهم: الكثير.

(٨) الوقر: الثقل.

(٩) ديوانه (٢ : ٢٤٧).

(١٠) الضمير في «فيه» للقلب، يقول، قلبك قد أحاطت به الدنيا، وهو فيها من جملة ما فيها، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه.

(١١) ديوانه (١ : ٣٥٣).

(١٢) التناد: يوم القيامة.

وقوله (١):

وَأَبْعَدُ (٢) بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ



قلت: قد جمع في هذه الأبيات وفي غيرها مما اختدَى به حذوها بين البرد والعشاة، وبين الثقل والوخامة، فأبعد الاستعارة، وعوّص اللفظ، وعقد الكلام، وأساء الترتيب، وبالغ في التكلف، وزاد على التعمق؛ حتى خرج إلى السخف في بعض، وإلى الإحالة في بعض. وقلت: كيف يعدّ في الفحول المقلقين من يقول (٣):

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمْ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُؤَادَا
فَعَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَلَتْ ثِيَابَهُ بَدَمَ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الْأَفْحَادَا
أَعْجَلَتْ أَنْفُسَهُمْ (٤) بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنِ قَوْلِهِمْ لَا فَارِسَ إِلَّا دَا
طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَقَدْ نَشَأَ (٥) مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إِلَى كَلُودَا
فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلُوءَةً أَوْ ظَنَّهَا الْبَرْزِيَّ وَالْأَرَادَا (٦)

وقوله (٧):

بَشَّرْتُ صَوْرَ غَايَةِ فِي آيَةٍ يَنْفِي الظُّنُونَ وَيُفِيدُ التَّقْيِيسَا
يَا مَنْ نَلُودُ مِنَ الزَّمَانِ بِظُلْمِهِ أَبْدَا وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيسَا
إِنِّي نَشَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقَدُ (٨) كَثْرَ الْمَدْلَسِ فَاخْذِرِ التَّدْلِيسَا (٩)
حَجَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ إِنْطَاكِيَّةٍ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتِ عَرُوسَا

(١) ديوانه (١: ٣٥٨).

(٢) الضمير في أبعد وقرب يعود على المسير في بيت قبله. وقرب وبعد، نصبهما نصب المصادر.

(٣) ديوانه (٢: ٨٣).

(٤) في الديوان: «أعجلت ألسنهم»، جمع لسان.

(٥) في الديوان: «ونشؤه»، وكرخايا وكلوذا: قريتان من أعمال بغداد.

(٦) البرني والأزادة: نوعان من أجود التمر.

(٧) ديوانه (٢: ١٩٧ - ٢٠٠).

(٨) انتقد الدراهم: أخرج الزيف منها.

(٩) صدره من قول الحكمي:

نشرت عليك الدر يا در هاشم
وعجزه ينظر فيه إلى قول ابن الرومي:
أول ما أسأل من حاجة
ثم كفاني بالسذي ترتبي
فيا من رأى درأ على الدر ينشر
أن يقرأ الشعر إلى آخره
في جودة الشعر وفي شاعره

يَأْوِي الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاؤُوسَا ^(١)	خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا وقوله ^(٢) :
لُعُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيْزِ حَمِيْدِ نَ وَمَرْوِي ^(٣) مَرْوَلِبْسُ الْقُرُودِ	وَلَعَلِّي مُؤَمَّلٌ بَعْضَ مَا أَبْ لِسَرِّي لِبَاسُهُ خَشِيْنُ الْقُطْطِ وقوله ^(٤) :
عَلَى الْخَصِيْبِي ^(٥) عِنْدَ الْقَرْضِ وَالسُّنَنِ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِئْنِ ^(٦)	أَلْقَى الْكِرَامُ الْأَلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ فَهُنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كَلَّمَا عَرَضَتْ وقوله ^(٧) :
لَأَتُكَّ بِالْيَدِ لَا تُجَعَلُ ^(٨)	جَعَلْتُكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةٌ وقوله ^(٩) :
وَتُرْضِي الَّذِي يُسَمَى الْإِلَهَ وَلَا يُكْتَى	وَنُصْفِي الَّذِي يُكْتَى أَبَا الْحَسَنِ ^(١٠) الْهَوَى وقوله ^(١١) :
بَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ	وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَخْ وقوله ^(١٢) :
رِي وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِبَبَازِ	لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ ^(١٣) بِالرُّوْدَبَا

(١) الناووس: مقابر النصارى، وقيل: مقابر المجوس.

(٢) ديوانه (١: ٣٢٠).

(٣) مروى مرو: ثياب رفاق تنسج بها.

(٤) ديوانه (٤: ٢١٤).

(٥) باد الشيء: هلك، وأباهه غيره: أهلكه. الخصيبي: هو الممدوح نسبة إلى الجد، وهو أبو عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي.

(٦) أصل الحجر المنع، وحجر القاضي على فلان: منعه من التصرف. والمئن: جمع منة، وهو ما يمكن به الإنسان على صاحبه.

(٧) ديوانه (٣: ٧١).

(٨) يقول: جعلتك بالقول عدة أعتدها، وعصمة أعتقدها؛ لأنك أرفع قدرًا من أن تتناول بالجوارح.

(٩) ديوانه (٤: ١٦٦).

(١٠) أبو الحسن: هو علي بن عبد الله سيف الدولة الممدوح.

(١١) ديوانه (٢: ٣١).

(١٢) ديوانه (٢: ١٧٩).

(١٣) في الأصلين «البزاة»، وهذه رواية الديوان. والسراة: الأشراف، جمع سري على غير قياس. والروذباري: هو الممدوح نسبة إلى بلد أبيه، وهي من بلاد المعجم.

فارسي له من المجد تاج
فكان الفريد والدر واليا
تفضم الجمر والحديد الأعادي
وقوله (٣):

وتهب نفوس أهل النهب أولي
ومن قبل النطاح وقبل يأتي (٥)
تطاعن كل خيل سرت فيها
أتى خبز الأمير فقييل كروا
ويقول (٨):

مستقل لك الديار ولو كما
ولو أن الذي يخر من الأم
أنت أعلى محلّة أن تهني
ولك (٩) الناس والبلاد وما يس
يفضح الشمس كلما ذرت (١٠) الشم
إنما الجلد ملبس وإيضاض الند
ويقول (١١):

ما أنصف القوم ضبة (١٢)
وأمة الطرطبة (١٣)

- (١) أبرواز: هو أبرويز أحد ملوك العجم، وإنما غيره للوزن.
(٢) الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، أو الكبار منه. والسام: عروق الذهب؛ يقول: كأن هذه الأشياء مأخوذة من لفظه لحسنه ونفاسته.
(٣) ديوانه (٢: ٢١٠، ٢١٣).
(٤) القماش: متاع البيت ومتاع الإنسان.
(٥) يأتي: يحين؛ من أتى الشيء؛ إذا حان، وأراد: قبل أن يأتي.
(٦) رواية الديوان: «ولو كان النبيط»، والنبيط: قوم بسواد العراق حراثون.
(٧) الكر: الرجوع على القرن بعد الفر للجولان، وشاش: موضع بما وراء النهر.
(٨) ديوانه (١: ٣٢).
(٩) في الأصلين: «ملك».
(١٠) ذرت الشمس: بدت أول ما تطلع. (١١) ديوانه (١: ٢٠٤، ٢٠٨).
(١٢) ضبة اسم من يهجو بهذه القصيدة، وهو ضبة بن يزيد العتبي؛ وكان فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب.
(١٣) الطرطبة: القصيرة الضخمة، وقيل: المسترخية الثديين.

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَنَاكُوا الْأُمَّ غُلْبَةً^(١)
 فَلَا بَمَنْ مَاتَ فُخْرٌ وَلَا بَمَنْ نِيكَ رَغْبَةٌ
 وَإِنَّمَا قَلْتُ مَا قَلْتُ تَرْحَمَةً لَا مَحْبَبَةَ
 مَا كُنْتُ إِلَّا ذُبَابًا نَفَثْتَ عَنَّا مِذْبَبَهُ
 وَكُنْتُ تَنْخَرُ^(٢) تَيْهًا فَصِرْتُ تَضْرِبُ رَهْبَهُ
 وَإِن بَعُدْنَا قَلِيلًا حَمَلْتُ رُمْحًا وَحَرْبَهُ
 ويقول^(٣):

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبَرِّ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ
 وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْدِ تِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ

كثرة استعماله لاسم الإشارة

وقلت: وهو أكثر الشعراء استعمالاً لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صنعة الشعر، دالة على التكلف، وربما وافقت موضعاً يليق بها، فاكستت قبولاً؛ فأما في مثل قوله في هذين البيتين: «ومن حق ذَا الشريف عليك»؛ و«في وقتك ذَا»، وقوله^(٤):

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذُ^(٥) مِنْكَ هُوَ عَقِمْتَ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَاءَ
 وقوله^(٦):

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللَّيُوثُ كَمَالَهُ يُنْسِي الْقَرِيسَةَ حَوْقَهُ بِجَمَالِهِ
 وقوله^(٧):

وَإِن بَكَيْنَا^(٨) لَهُ فَلَا عَجَبٌ ذَا الْجَزُرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَغْهُودٍ
 وقوله^(٩):

ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ [دَيْيَّة^(١٠) دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ]
 وقوله^(١١):

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمِسْتَقِ^(١٢) مُقَدِّمٌ قَفَاهُ عَلَى الإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَأَيْمٌ

(١) الغلبة: المغالبة. (٢) في الديوان: «تفخر».

(٣) ديوانه (٢: ٣٨٤).

(٤) ديوانه (١: ٣١).

(٥) اللذ: لغة في الذي. (٦) ديوانه (٣: ٥٩).

(٧) ديوانه (١: ٢٦٢).

(٨) رواية الديوان: وإن جزعنا. وجزر البحر: رجوع مائه إلى خلف ونضوبه.

(٩) ديوانه (٤: ٢٦٣).

(١٠) يقال هو ابن عمي دنية: وهو القريب. (١١) ديوانه (٣: ٣٨٩).

(١٢) الدمستق: صاحب جيش الروم.

وقوله^(١) :

أَبَا الْمَسْكَ ذَا الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إليه ، وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيًا^(٢)

وقوله^(٣) :

نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي بُرِيَ مِيْلَادُهُ
كَلِمَا قَالَ تَائِلٌ^(٤) : أَنَا مِثْلُهُ سَرَفٌ ، قَالَ آخِرٌ : ذَا أَقْتِصَادُهُ

وقوله^(٥) :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فهذا وَإِلَّا فَالْهُدَى ذَا فَمَا الْمَهْدِي !

وقوله^(٦) :

يُعَلِّئُنَا هَذَا الزَّمَانَ بَدَا الْوَعْدِ وَيُخَدِّعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ^(٧)

وقوله^(٨) :

وهَذَا أَوَّلُ النَّاعِيْنَ طُرًّا لِأَوَّلِ مِئْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ^(٩)

وقوله^(١٠) :

فَإِنْ أَتَى حَطُّهَا^(١١) بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وقوله^(١٢) :

حَلَفْتُ لِدَا بَرَكَاتِ عُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا قَاتَهُمْ أَمَلٌ

فهذا صالح ، وقوله^(١٣) :

فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوِ رَكَضَتْ بِالخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَا^(١٤)

(١) ديوانه (٤ : ٢٨٩).

(٢) أبو المسك : كنية كافور ، وناق يتوق توقا ، إذا نازعه الحنين إلى الوطن وغيره . يخاطبه ويناديه : يا أبا الحسن ، هذا الذي كنت أشتاق إليه وأحن ، وهذا الوقت الذي كنت أرجو لقاءه وأتمناه .

(٣) ديوانه (٢ : ٤٨) .

(٤) في الأصلين : « قائل » .

(٥) ديوانه (٢ : ٦٧) .

(٦) ديوانه (١ : ٦٨) .

(٧) النقد : خلاف النسيئة .

(٨) الناعون : جمع ناع ، وأصله رفع الصوت . و« طرا » : نصب على الحال ، والبيت من قصيدة في رثاء أم سيف الدولة .

(٩) ديوانه (٤ : ٢٧٨) .

(١٠) الضمير يعود على همم في البيت الذي قبله ، وهو :

تسجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

(١١) ديوانه (٣ : ٣١١) .

(١٢) ديوانه (١ : ١٤٢) .

(١٤) الفاء واقعة في جواب أما فيما قبل .

فهو - كما تراه - سخافة وضعفا، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعافاً ذكره من هذه الإشارة؛ وأنت لا تجد منها في عده دواوين جاهلية حزفاً، والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والتدرة، أو على سبيل العلط والقلته.

التعقيد في شعره

وقلت: احتملنا له ما قدمناه على ما فيه من فنون المعاييب، وأصناف القبائح؛ كيف يُحتمل له اللفظ المعقد، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجها، وتقوم فائدة الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه، كقوله^(١):

وفاؤكُما كالربيع أشجاء طاسمُه بأن تُسعدَا والدمعُ أشفاهُ ساجمُه^(٢)

ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة، وأن في طيها الغنيمه الباردة؛ حتى إذا فتشها، وكشف عن سترها، وسهر ليلي متواليه فيها حصل على أن «وفاء كما يا عاذلي بأن تُسعداني إذا درس شجاي، وكلما ازداد تدارساً ازدادت له شجواً؛ كما أن الربيع أشجاء دارسه».

فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوة اللفظ، وبهاء الطبع، ورونق الاستهلال، ويشخ عليها حتى يهلهل لأجلها التسنج، ويُفسد النظم، ويُفصل بين الباء ومتعلقها بخير الابتداء قبل تمامه، ويقدم ويؤخر، ويعمي ويعوص!

ولو احتمل الوزن ترتيب الكلام على صحته فليل: «وفاؤكُما بأن تُسعدَا أشجاء^(٣) طاسمُه كالربيع»، أو «وفاؤكُما بأن تسعدَا كالربيع أشجاء طاسمه»، لظهر هذا المعنى المضمون به، المتناقس فيه؛ فأما قوله: «والدمعُ أشفاه ساجمُه» فخطاب مستأنف، وفصل منقطع عن الأول، وكأنه قال: «وفاؤكُما والربيع أشجاء ما طسم، والدمعُ أشفاه ما سجم».

وكذلك قوله^(٤):

أحَادٌ أم سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ^(٥)

(١) ديوانه (٣: ٣٢٥).

(٢) الطاسم: الدارس، والساجم: السائل.

(٣) هذه الجملة خبر: وفاؤكُما.

(٤) ديوانه (١: ٣٥٣).

(٥) اللييلة: تصغير ليلة، والمنوطة: المعلقة، والتنادي: كناية عن القيامة. يقول: إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة، فهي لطولها بمنزلة ليلي الدهر كلها؛ إلا أن كل واحدة من تلك الليالي طويلة أيضاً؛ حتى كأنها ست ليال في ليلة.

تعرض فيه لوجوه من الطعن: منها قوله: «سُدَّاس»، وقد زعموا أنها غير مَرْوِيَّة عن العرب، وإنما رُوِي أَحَادٌ وَثْنَاءٌ وَثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ وَعُشَارٌ، وهذه معدولات لا يُتجاوز بها السماعُ، ولا يسوغُ فيها القياس.

ومنها أنه أقام أحادا وسُدَّاسا مقام واحد وستة؛ والعربُ إنما عدلوا به عن واحد واحد، واثنين اثنين، ولذلك لا يقولون للاثنين والثلاثة. هذا ثناء وهذا ثلاث؛ وإنما يقولون: جاء القوم أحاد ومثني وثلاث: أي واحداً واحداً، واثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة؛ وبذلك نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِدٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتْنٍ وَفَرْدَيْنِ﴾ [سبأ: ٤٦]. أي اثنين اثنين، وقال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنٍ وَثَلَاثٍ وَرُبْعٍ﴾ [النساء: ٣]، أي اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً.

ومنها أنه صغر الليلة، ثم وصفها بالطول، ووصلها بالثناء، حتى احتاج إلى إطالة الاعتذار إلى التناول والاستشهاد. وأنت إذا امتحنت الذي عزاه لم تجد أكثر من «أواحدة ليلتنا هذه أم ست ليال في واحدة» وهل يساوي ذلك - وإن عرض سَمحاً مطاوعاً ووجد سهلاً مواتياً - أن يُفتتح به قصيدة، أو تُعقد عليه قافية!

وما باله خصَّ سُدَّاساً، وعُشَارٌ أكثر إن أراد التكثير! واجتماع عشر ليالٍ أطول من اجتماع ست. فإن ادعى مدَّع أنه أراد استيفاء ليلي الأسبوع، فجمعها في الست والواحدة، فكمملت سبعا استدلت النابه على ضعف بصره بالحساب؛ لأن الست في الواحدة ست، فأين السابعة؟ ولم اقتصر على الأسبوع وهو يريد المبالغة في الطول؟ وهلا بلغ أقصى ما يحتمله الوزن وأكثر ما يُمكنه النظم!

فإن توسعت في الدعاوى فضل توسع، ومِلت مع الحيف بعض الميل حتى تناولت طائفة من المختار، فجعلته في المنفي، وأخذت صدرأ من الجيد فجعلته مع الرديء - ولسنا نُنازعك في هذا الباب - فهو باب يضيق مجال الحجة فيه، ويصعب وصول البرهان إليه. وإنما مداره على استشهاد القرائح الصافية، والطباع السليمة، التي طالت مُمارستها للشعر، فحدقت نَقْدَه، وأثبتت عياره، وقويت على تمييزه، وعرفت خلاصه، وإنما تُقابل دعواك بإنكار خصمك، وتعارض حجتك بالزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن، ونسبته إلى الإحالة والمناقضة، فأما، وأنت تقول: هذا غثٌ مستبَرَد، وهذا متكلف متعسف، وإنما تخبر عن بُيُوف النفس عنه، وقللة ارتياح القلب إليه.

الحكم على الشعر

والشعر لا يحبُّ إلى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلِّي في الصدور بالجِدال والمُقايسة؛ وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقرِّبه منها الرونق والحلاوة؛ وقد يكون

الشيء مُتَقَنَّاً مُحْكَمًا، ولا يكون حُلُومًا مقبولاً، ويكون جَيِّدًا وثِقًا، وإن لم يكن لطيفاً رشيقاً. وقد يجدُ الصورةَ الحسنةَ والخَلِقةَ الثَّامَّةَ مقليةً ممقوتةً، وأخرى دونها مُسْتَحْلَاةٌ مَوْموقةٌ؛ ولكلِّ صناعةٍ أهلٌ يُرْجَعُ إليهم في خصائصها، ويُسْتَظْهَرُ بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها.

وما أنكرُ أن يكونَ كثير مما عددته من هذه الأبيات ساقطةً عن الاختيار، غيرَ لاحقةٍ بالإحسان، وأن منها ما غلبَ عليه الضعْفُ، ومنها ما أثر فيه التعسُّفُ؛ ومنها ما خانهُ السَّبْكُ؛ فسَاءَ تربيتهُ، وأخلَّ نظمه. ومنها ما حمل عليه التعمُّقُ؛ فخرج به إلى الغَثَاةِ والبُرْدِ، وإن كان أكثرها لم يأت من قِبَلِ المعنى وشرفه، وكنا نجد لكل واحد منها مثلاً يحسنه، وشبيهاً يعضده ويسدده. ولكن الذي أطلبك به وألزمك إياه ألا تستعجلَ بالسيئة قبل الحسنة، ولا تقدِّمَ السُّخْطَ على الرحمة، وإن فعلت فلا تُهْمَلِ الإنصافَ جملةً، وتخرج عن العَدْلِ صِفْراً؛ فإن الأديبَ الفاضل لا يستحسن أن يعقد بالعثرة على الذنب اليسير من لا يحمد منه الإحسان الكثير؛ وليس من شرائط النُصْفَةِ أن تنعي على أبي الطيب بيتاً شذَّ، وكلمةً ندرت، وقصيدةً لم يُسْعِدْ فيها طبعه؛ ولنظفةٍ قصرت عنها عنايته، وتَنَسَّى محاسنَه، وقد ملأت الأسماعَ، وروائعَه وقد بهرت. ولا من العدل أن تُؤَخَّرَ الهَقْوَةُ المنفردة، ولا تقدمه الفضائلُ المجتمعة، وأن تحطه الزلةُ العابرة ولا تنفعه المناقبُ الباهرة.

وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين لهذه الأبيات التي أنكرتها، ولم تسلِّم له قصب السَّبْبِ ونصال النضال، وتُعَنون باسمه صحيفة الاختيار لقوله^(١):

هُوَ الْجَدُّ^(٢) حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَكُونَ^(٣) الْيَوْمَ لِيَوْمٍ سَيِّدًا^(٤)
وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَازَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا!
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا^(٥)
أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ^(٦) فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا

(١) ديوانه (١: ٢٨٦)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويهنته فيها بعيد الأضحى.

(٢) الجدد: الحفظ.

(٣) في الديوان: «بصير».

(٤) يقول: الحظ يفرق بين الشيء وما يساويه، فيجعل لأحدهما مزية على الآخر؛ حتى لقد يقع التفاضل بين العين وأختها.

(٥) أنت في الشطرين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور، والبيت تأكيد لما قبله.

(٦) الكبت: الصرف والإذلال.

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ^(١) حَمَلْتُهُ
 أَجْرَنِي إِذَا أُتِشِدَّتْ شِعْرًا فَإِنَّمَا
 وَدَعْتُ كُلَّ صَوْتٍ دُونَ صَوْتِي فَإِنِّي
 تَرَكْتُ السَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
 وَقَيِّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً
 إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ أَيَّامَهُ الْغِنَى
 وَقَوْلُهُ^(٥):

وَأَطْمَعُ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهِمْ
 وَكَانَتْ^(٧) بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّهَا
 وَكَانَتْ السَّيْفَ قَائِمَةً إِلَيْهَا^(٨)
 وَظَلَّ الطَّعْنُ فِي الْخَيْلِينَ خَلْسًا
 مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ
 إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوْءَ عَنْهُمْ
 وَإِنْ جُنْحُ الظَّلَامِ أَنْجَابَ عَنْهُمْ
 إِذَا فَاتُوا الرَّمَاحَ تَنَاوَلْتَهُمْ
 يَرُونَ الْمَوْتَ قُدَّامًا وَخَلْفًا

وَنَزَقَهَا اخْتِمَائِكَ وَالْوَقَارُ^(٦)
 تُفُوسًا فِي رَدَّهَا تُسْتَشَارُ
 وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالغِرَارُ^(٩)
 كَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَهُمْ^(١٠) اخْتِصَارُ^(١١)
 لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِشَارُ
 دَجَا لَيْلَانٍ: لَيْلٌ وَالغُبَارُ
 أَضَاءَ الْمَشْرِفِيَّةُ^(١٢) وَالنَّهَارُ
 بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ
 فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ اضْطِرَارُ

(١) السمهري: الرمح؛ منسوب إلى سمهر؛ اسم رجل كان يقوم الرماح، وفي الأصلين «السمهري»، وهذه رواية الديوان.

(٢) الصدى: الصوت الذي يسمع من بعيد كأنه يحكي قولك أو صياحك.

(٣) السرى: مشي الليل. والمسجد: الذهب. يقول: استغنيت عن السرى بوصولي إليك، فتركته خلفي لمن أحوجه الفقر إليه، وأثريت بنعمتك؛ حتى لو شئت أنعلت أفراسي بالذهب.

(٤) في رواية: «جعلتك».

(٥) ديوانه (٢: ١٠١)، من قصيدة يصف إيقاع سيف الدولة بالقبائل العربية.

(٦) عامر: اسم قبيلة، ولذلك منعها من الصرف، وقال «عليهم»، وفي رواية: «عليها». ونزقها: حملها على النزق، والنزق: الخفة والطيش.

(٧) الضمير في «وكانت» يعود على الفرسان في بيت قبله.

(٨) في الديوان: «إليهم».

(٩) الغرار: الحد.

(١٠) في الديوان: «بينهما».

(١١) يريد أنهم ما زالوا يتخالسون الطعن، فيسرع إليهم الموت؛ فكانهم يختصرون الأجال.

(١٢) جنح الليل: جانبه، والمشرافية: السيوف.

إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ^(١) غَيْرَ هَادٍ
فَمَنْ طَلَبَ الطَّعَانَ فَذَا عَلَيَّ
يِرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعَبٌ
بَنُو كَعَبٍ وَمَا أَثَرْتُ فِيهِمْ
بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ
لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فِي نِزَارِ
لَعَلَّ بَنِيهِمْ لِبَنِيكَ جُنْدٌ
وَقَوْلُهُ^(٤):

نَزَلُوا فِي مَصَارِعِ عَرَفُوهَا
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ أَلْهَا
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا
أَبْصَرُوا الطَّغْنَ فِي الثُّلُوبِ دِرَاكَا
يَنْفُضُ الرُّوْعَ أَيْدِيًا لَيْسَ تَنْذِرِي
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ
إِنَّ دُونَ النَّبِيِّ عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحَدِ
عَصَبَ الدَّهْرِ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا
إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سِبَاغٌ
مَنْ أَطَاعَ التَّمَّاسَ شَيْءٌ غَلَابًا

يَنْذُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ
م وَتَنْذِرِي^(٥) عَلَيْهِمُ الْأَوْصَالَ
وَتُرِيهِ لِكُلِّ عَضْوٍ مِثْلًا
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ حَيْثُ لَا^(٦)
أُسَيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَعْلَالَ^(٧)
طَلَبَ الطَّغْنَ وَخَدَّهُ وَالنِّزَالَ^(٨)
دَبَّ وَالتَّهْرَ مِخْلَطًا مِزْيَالًا^(٩)
وَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالًا
يَتَفَارَسُنَ جَهْرَةً وَاعْتِيَالَ^(١٠)
وَاعْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَ^(١١)

(١) السماوة: بادية بين الكوفة والشام.

(٢) الحرار: العطاش. الأسل: الرماح.

(٣) القرخ من الخيل: جمع قارح، وهو الذي استكمل سنه.

(٤) ديوانه (٣: ١٤٠)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر نهوضه لغزو الروم.

(٥) الهام: الرؤوس، وتذري: تشر وتفرق. ويريد بالأوصال: الأعضاء.

(٦) الدراك: التابع، وحيالاً: متخيلاً.

(٧) الروع: الخوف والفرع. والأغلال: جمع غل، وهو رباط تشد به اليد إلى العنق.

(٨) قال العكبري: وهذا من قول الحكيم «الجبين ذلة كامنة في نفس الجبان؛ فإذا خلا بنفسه أظهر شجاعته».

(٩) الدرب: المدخل من أرض العدو. والأحدب: جبل. والتهر: موضع. وفلان مخلط مزيال:

موصوف بالشجاعة وجودة الرأي، أي كثير المخالطة للأمور ثم يزايها، أو مزيال عن أطراف بلاده.

(١٠) الأنيس: جماعة الناس. والتفارس: القتال. والاعتيال: القتل بالخدعة.

(١١) الغلاب: الغلبة. والاعتصاب: الأخذ بالقهر.

وقوله (١):

قَادَ الْجِيَادَ^(٢) إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْدُ
 إِنَّ حُلَيْتَ رُبَطْتَ بآدَابِ الوَعَى
 فِي جَحْفَلٍ^(٤) سَتَرَ العُيُونَ عُبَارُهُ
 يَزْمِي بِهَا البِلْدَ البَعِيدَ مُظْفَرٌ
 حَتَّى عَبْرَنَ بِأَرْسَنَاسٍ^(٥) سَوَابِحاً
 يَقْمُضَنَ فِي مِثْلِ المُدَى مِنْ بَارِدٍ
 بَخْرٍ تَعَوَّدَ أَوْ يُذِمُّ لِأَهْلِيهِ
 فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَدَمٌ مِنَ الوَرَى
 نَظَرُوا إِلَى زُبَيْرِ الحَدِيدِ كَأَنَّمَا
 وَقَوَارِسٍ يُحْيِي^(١٠) الجِمَامَ نَفُوسَهَا
 مَا زَلَّتْ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكَا فِي الذَّرَى
 خَصَّ الجِمَاجِمَ وَالوُجُوهَ كَأَنَّمَا
 وقوله (١٣):

لَوْ كَلَّتِ الخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمَلُهُ
 تَحْمَلْتُهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الِهْمَمُ^(١٤)

- (١) ديوانه (٤ : ١٧٦).
- (٢) الجياد: جمع جواد على غير قياس.
- (٣) الوعى: من أسماء الحرب. والأرسان: جمع رسن، وهو ما يكون في رأس الدابة.
- (٤) الجحفل: الجيش العظيم.
- (٥) أرسناس: نهر بالشام بارد الماء جداً، يسيل من ذوب الثلج.
- (٦) يقمصن: يثبن لشدة برده. والمدى: جمع مدية، وهي السكين. والخصيان: جمع خصي من الخيل.
- (٧) الذمام: العهد. والحدثان: حوادث الدهر.
- (٨) آدم: أجار، وبنو حمدان: قبائل سيف الدولة.
- (٩) زبر الحديد: قطعه. والعقبان: جمع عقاب، وهو من سباع الطير.
- (١٠) في الأصلين: «يحيي». والحمام: الموت.
- (١١) الدراك: التتابع: وذرى الشيء: أعلاه.
- (١٢) الجماجم: جمع جمجمة، وهي أعلى الرأس. يريد أن الضرب لا يقع إلا في وجه أو رأس ولا يتعرض لسائر الجسد.
- (١٣) ديوانه (٤ : ١٦).
- (١٤) كلت: ضعفت. والهمم: جمع همة، وهي العزيمة.

سُحِبَتْ تَمْرٌ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمَسِكَةٌ
وَشُرِبَ أَحْمَتِ الشُّعْرَى شِكَايَمَهَا
تَزْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ
وَمَا يَصُدُّكَ عَنِ بَحْرِ لَهُمْ سَعَةٌ
ضَرَبْتَهُ^(٥) بِضُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةٌ
وفيها:

هِنْدِيَّةٌ^(٦) إِنْ تُصَعَّرَ مَعَشِرًا صَعُرُوا
قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقِ^(٧) فَكَانَ لَهَا
وَقَدْ تَمَسَّوْا عَذَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجْبِ
فَكَانَ أَثَبَتْ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةٌ
لَا يَأْمَلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ
أَلْهَى الْمَمَالِكِ عَنِ فُخْرٍ قَلَّتْ بِهِ
مُقَلِّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبِ^(١١)
وقوله^(١٢):

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

- (١) حصن الران: موضع من بلاد سيف الدولة. والنقم: جمع نقمة، كنعم جمع نعمة.
- (٢) الشرب: جمع شازب؛ وهي الفرس الضامر. الشعري: نجم يطلع في الصيف ويكون فيه شدة الحر. الشكائم: جمع شكيمة، وهي رأس اللجام، والحكم: جمع حكمة، وهي ما على أنف الفرس.
- (٣) الشفرات: جمع شفرة، وهي حد السيف. والباترات: القاطعات. ومكامن الأرض: الخفيات منها. والغيطان: جمع غائط، وهو المظمتن من الأرض.
- (٤) الطود: الجبل، والشمم: العلو.
- (٥) في الأصلين «ضربتهم»، والضمير في ضربه للنهر، وهو أرسناس السابق.
- (٦) هندية: منسوبة إلى الهند. (٧) تل بطريق: بلد.
- (٨) الدرب: موضع. واللجب: اختلاف الأصوات.
- (٩) يقول: كانت جسامهم الثابتة ساقطة بين يديك وأرواحهم منهزمة.
- (١٠) يريد أنهم لا يضربون ضربة إلا قطعوا بها رأساً، فالرؤوس المقطوعة على قدر الضربات.
- (١١) ذا شطب: سيقاً فيه طرائق، والضمير في «منهما» للشكر والسيف.
- (١٢) ديوانه (٣: ٣٦٦)؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويعاتبه.

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً
وَمُهْجَةً مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا
رِجْلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ
يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِشُكْرِمَةٍ
إِنْ كَانَ سَرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً
مَا أَبْعَدَ الْعُيُوبَ وَالْتِفْصَانَ مِنْ شَيْئِي (٥)
لَيْتَ الْعَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ
وَشَرُّ مَا قَنَصْتُهُ رَاحَتِي قَنَصٌ
ويقول (٩):

السَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهَهُ
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا
تُشِيدُ أَتْرَابِنَا مَدَائِحَهُ
إِذَا مَرَزْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا
يَا زَاجِلًا كُلِّ مَنْ يُودَعُهُ
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ
والدهر لفظ وأنت معناه
والبأس باع وأنت يُمنأه
بالسن ما لهن أفتواه
أغثته عن مسمعه عينأه
مودع دينه ودنياه
فيك مزيد، فزادك الله

- (١) المهجة: الروح. والهم: ما اهتمت به. والجواد: الفرس الكريم. والحرم: ما لا يحل انتهاكه.
- (٢) أي إذا فارقتكم ووجدنا كل شيء، فوجدانه والعدم سواء لأنه لا يغني غناءكم أحد.
- (٣) أخلقنا: أحرانا. الأمم: القصد؛ يقول: ما كان أحراناً ببركم لو كان أمركم في الاعتقاد لنا مثل أمرنا في الاعتقاد بكم.
- (٤) النهي: العقول. الذم: المهود.
- (٥) في الديوان: «من شرفي».
- (٦) المطار: الأمطار.
- (٧) يصم: يعيب.
- (٨) الرحم: جمع رحمة، وهي طائر يشبه النسور في الخلقة. والشهب: جمع أشهب، وهو ما فيه بياض يخالطه سواد، والبراة جمع باز؛ وهو من جوارح الطير.
- (٩) ديوانه (٤: ٢٦٣). من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر، ويودعه حين سفره.

وقوله^(١):

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَهَا
فَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلْقُ
قَادَ الْمَقَانِبِ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهْلٌ
لَا يَعْتَقِي^(٥) بَلَدَ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدِ
يُطْمَعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ
دَمَ الدُّمُسْتَقِ عَيْتِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ
فِيهَا الْكُمَاةُ الَّتِي مَفْطُومُهَا رَجُلٌ
كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكِهِمْ
إِذَا دَعَا الْعَلِجُ عِلْجاً حَالَ بَيْنَهُمَا
لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ
وَإِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ أَنْتَ فَارِسُهُ
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
لَا يُسْلِمُ الْكُرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهَجَّتُهُ
وَمَا حَمِدْتُكَ فِي هَوْلٍ نَبَتْ لَهُ

فِي الدَّرْبِ وَالدَّمُ فِي أَعْطَافِهَا دَفْعُ^(٢)
وَأَعْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدْغُ^(٣)
عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذْنَى سَيْرِهَا سَرَعُ^(٤)
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبْعُ
حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقْعُ
سُودَ الْعَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَرْعُ^(٦)
عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلَيْهَا جَذَعُ^(٧)
فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَابِ مَا تَسْعُ
أَظْمَى^(٨) تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضَّلْعُ
فَلَيْسَ يَأْكُلُ إِلَّا الْمَيْتَةَ الضَّبْعُ
لِكِي يَكُونُوا بِلَا فَسْلِ^(٩) إِذَا رَجَعُوا
وَكَانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(١٠)
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضْعُ
إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشَّيْعُ^(١١)
حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَيْطَالَ تَمْتَصِعُ^(١٢)

- (١) ديوانه (٢: ٢٢٣)، من قصيدة، أنشدها سيف الدولة، وقد عاد منهزماً من غزو الروم.
- (٢) خفت: أسرعت في الهزيمة. وقرها: ثبتها. والدرب: المضيق. وأعطافها: جوانبها. والدفعة من الشيء: ما انصب منه بمرة.
- (٣) أوحدته: تركته وحيداً. والقذع: الفحش.
- (٤) المقانب: جمع مقنب، وهو زهاء الثلاثمائة من الخيل، والنهل: الشرب أول مرة.
- (٥) يعتقي: يعوق.
- (٦) الدمستق: صاحب جيش الروم، والقزع: المتفروق من السحاب.
- (٧) الضمير يعود على «سود الغمام» في البيت قبله. الجذع: الذي أتى عليه حولان، والحولي: الذي أتى عليه حول.
- (٨) العليج: الرجل من كفار العجم. والأظمي: الرمح.
- (٩) الفسل: الدنيء العاجز من الرجال.
- (١٠) يشينك: يعيبك. الضرع: الضعيف.
- (١١) أسلمه: خذله. والكر: الرجوع مرة بعد أخرى. والأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر كل شيء. والشيع: الأتباع.
- (١٢) تمتصع: تذهب في الأرض هاربة. يقول: لم أحمدك في مواقف الهول إلا بعد أن اختبرتك، وعرفت ثباتك.

فقد يُظنُّ شجاعاً مَنْ به حَرَقٌ
وقوله^(٢):

وقد يُظنُّ جَبَاناً مَنْ به زَمَعٌ^(١)

خَلِيلِيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَا تَعْجَبَا إِنْ السُّيُوفَ كَثِيرَةً
لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِ
وَلَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ
وَمِنْ شَرَفِ الإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمْ
وَأَنْ دَمًا أُجْرِيَتْهُ بِكَ فَاخِرٌ
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّدَى
نَهَبَتْ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
وقوله - يرثي عبداً لسيف الدولة^(٥):

فَلَيْمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
وَمِنْ عَادَةِ الإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ^(٣)
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ
عَلَى القَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ^(٤)
وَأَنْ فُرَادَا رُغَيْتَهُ لَكَ حَامِدٌ
وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدٌ
لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى
سُيقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فُلُو عَاشَ أَهْلُهَا
وَأَوْفَى حَيَاةِ الغَابِرِينَ لِصَاحِبِ
وفيها:

بَكَى بَعُيُونِ سَرَّهَا وَقُلُوبِ
مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَنِيَّةٍ وَذُحُوبِ
حَيَاةِ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيْبِ

فَإِنْ يَكُنِ العِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ
كَأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَاجِدِ
وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيِّنَاتِنَا
تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَبْنِكَ فَأَيُّمَا
وقوله^(٦):

فَمِنْ كَفِّ مِثْلَافِ أَعْرٍ وَهُوبِ
إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بَعُيُوبِ
عَقَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
بَكَيْتَ وَكَانَ الضُّخْكَ بَعْدَ قَرِيبِ

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ^(٧) نَمْشِي كَرَامَةً
لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِيمَ بِهِ رَكْبَا

(١) الزمعة: رعدة تعترى الشجاع من الغضب.

(٢) ديوانه (١: ٢٧١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة؛ وقد أراد الذهاب إلى خرشنة، فعاقه الثلج.

(٣) انتضى السيف: جرده، يريد أنه سيف يجرده كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة، ويغمد ما تعوده من الإحسان والصفح.

(٤) الشاكد: المعطي.

(٥) ديوانه (١: ٤٩).

(٦) ديوانه (١: ٥٦)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر ببناء مرعش.

(٧) الأكوار: جمع كور؛ وهو رحل الناقة.

تَذُمُّ السَّحَابَ العُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ
ذَكَرْتُ بِهِ وَضَلًّا كَانَ لَمْ أَفْزِ بِهِ
وقوله فيها:

مَضَى بَعْدَ مَا أَلْتَفَّ الرَّمَاحَانِ سَاعَةً
وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطُّغْنِ سُوْرَةٌ
أَرَى كَلْنَا يَبْغِي الحَيَاةَ بِسَعْيِهِ (٣)
فَحُبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أوردَهُ التَّمْيِ
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالفِعْلُ وَاجِدُ
وفيها:

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَيْسَةُ رَحْمَةً
وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ
وَجَيْشٌ يُشْنِي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُعَارَاهُ (٦)
ويقول - يذكر رسول صاحب الروم (٧):

رَأَى مَلِكَ الرُّومِ ازْتِيَاخَكَ لِلنَّدَى
وَخَلَّى الرَّمَاخَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا
وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامِهَا
وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكِ مِنْهَا رَسُولُهُ
كَتَبْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ
فَقَامَ مَقَامَ المُجْتَدِي المُتَمَلِّقِ
لأَذْرَبَ مِنْهُ بِالطُّعَانِ وَأَخَذَقَ (٨)
قَرِيبٍ عَلَى حَيْلِ حَوَالِيكَ سُبْقِي
فَمَا سَارَ إِلا فَوْقَ هَامِ مُقَلِّقِ
كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الدُّمُسْتَقِ (٩)

(١) في الديوان: «وثبا».

(٢) أراد بقوله «الرماحان» رماح الفريقين. والهدب: شعر الجفن. أي نهزم بعد ما اشتبكت الرماح ساعة، واختلط بعضها ببعض، كما تختلط الأهداب العليا والسفلى عند النوم.

(٣) في الديوان: «لسعيه».

(٤) في الأصلين: «الحرب».

(٥) الخريق: الريح الشديدة.

(٦) مغاره: إغارته. واللجاجة: الغبار.

(٧) ديوانه (٢: ٣١١).

(٨) السمهرية: الرماح المنسوبة إلى سمهر؛ وهو رجل كان يقوم الرماح. والصاغر: الذليل. وأدرب، من الدربة، وهي العادة والجرأة على الأمر.

(٩) القدال: مؤخر الرأس.

وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ
حَبِيساً^(١) لِفَادٍ أَوْ رَفِيقاً لِمُعْتِقِي
وقوله^(٢):

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ ذَهْرِهِمْ
أَشَدُّهُمْ فِي النَّدَى هِرَّةً
سَمَا بِكَ هَمِّي فَسَوْقِ الْهُمُومِ
وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَاعِلٌ
وَعِنْدِي لَكَ الشَّرْدُ السَّائِرَا
وَكُنْ إِذَا سِرْنَ مِنْ مِسْقُولِي^(٣)
وقوله^(٤):

وَرَعْنُ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلِّ سَابِحٍ^(٥)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ
تَمَلُّ الْحُضُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا
وَلَمَّا رَأَوْهُ وَخَدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ
فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وَشَيَّعَ قَلْبَهُمْ^(٦)
وَأِنَّا لَتَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِ
وقفيها:

شَرِيكَ الْمَتَايَا وَالثُّفُوسُ غَنِيَّةً
فكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُؤْتَهُ غُلُولُ^(٩)

(١) في الديوان: «أسيراً».

(٢) ديوانه (٢: ٩٦) من قصيدة أنشدها سيف الدولة، وقد استبطأ مدحه وأنكر ذلك.

(٣) رواية الديوان:

قواف إذا سرن عن مسقولي

ويروى أيضاً: «وهن إذا سرن».

(٤) ديوانه (٣: ١٠٢).

(٥) السابح: الفرس الذي يمد يديه عند الجري. وغمرة الماء: مجتمعه. والمسيل: مجرى ماء المطر.

(٦) التليل: العنق. (٧) الفل: المنهزم.

(٨) رواية الديوان:

بضرب حزون البيض فيه سهول

(٩) الغلول: ما أخذ من الغنائم قبل القسمة.

فِيَا تَكُنِ الدُّوَلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا
لِيَمَنْ هَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً
وَقَوْلُهُ (١):
لِمَنْ بَاشَرَ الْمَوْتَ الزُّوَامَ تَدُولُ
وَلِيَبْيُضَ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَلِيلُ

أَيَذْرِي مَا أَرَابِكَ (٢) مَنْ يُرِيبُ
يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوَى وَحُبًّا
[وَكَيْفَ تُعَلِّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ] (٤)
وَكَيْفَ تُثَوِّبُكَ الشُّكُورَى بِدَاءِ
مَلَيْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ
وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا
مُجَلِّحَةً (٨) لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي
وَقَوْلُهُ (١٠):

وَالْمَجْدُ عَوْفِي إِذْ عَوْفِيَتْ وَالْكَرَمُ
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ
وَلَاخَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضِي (١٢) مَلِكِ
وَمَا أَخْضُكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ
وَقَوْلُهُ (١٣):

مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ (١٤)
مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ
يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرُ
فَلَا انْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرُ

(١) ديوانه (١: ٧٢).

(٢) أرابك: أفزعك، والذي أفزع سيف الدولة دمل شكاه منه.

(٣) المقمة: الحب.

(٤) زيادة من الديوان.

(٦) دم صيب: مصبوب.

(٧) الجنيب: المجتوب. والعشير: الغبار.

(٨) مجلحة: مصممة ماضية.

(٩) في الأصلين: المناحل. والمناحر: جمع منحور وهو موضع الذبح من الحلق.

(١٠) ديوانه (٣: ٣٧٥)، من قصيدة أنشدها يمدح سيف الدولة وقد عوفي من مرضه.

(١١) الاديم: جمع ديمة، وهي السحابة.

(١٢) العارض: ما يلي الناب من داخل الفم.

(١٣) ديوانه (٢: ٩٧)، من قصيدة يهتئ بها سيف الدولة بعيد الفطر.

(١٤) روضة أنف: لم ترع.

فَإِنْ حَطَّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا^(١) شَرَفٌ
 وقوله يذكر رسول صاحب الروم^(٢) :
 وَأَنْتَى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ
 وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَنْسِقِي جِيَادَهُ
 أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عَنْقَهُ
 فَمَا بَلَّغْتُهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً
 وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةً بَعَثْتَ بِهِ
 فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ
 إِذَا عَايَنْتَكَ الرَّسُلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا
 وَقَدْ رَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ
 وَمَا كَانَ أذْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا
 وقوله^(٧) :

طَلَبْتُهُمْ عَلَى الْأَمْوَاهِ حَتَّى
 وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْقَلَوَاتِ حَتَّى
 إِذَا مَا سِيرْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ
 وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ عَزَا كِلَابًا
 وَلا قَى دُونَ ثَايِهِمْ^(٨) طِعَانًا
 وَخَيْلًا تَغْتَذِي رِيحَ الْمَوَامِي^(٩)
 ويقول^(١٠) :

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا
 وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْعَمَائِمُ^(١١)

(١) الضمير في تكرارها للأعوام . (٢) ديوانه (٣ : ١١٢) .

(٣) القساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذي تثيره الخيل بحوافرها .

(٤) في الديوان : « تحت الذعر » .

(٥) الجحافل : جمع جحفل ، وهو الجمع العظيم ، واستنظرته : انتظرته .

(٦) نظر فيه إلى قول البحرني :

لحظوك أول لحظة فاستصغروا من كان يعظم عندهم ويبجل

(٧) ديوانه (١ : ٧٦) ، أشدها سيف الدولة وقد أوقع بيني كلاب .

(٨) في الأصلين : « نأيهم » . والثاني : جمع ثاية ، وهي حجارة تجعل حول البيت يأوي إليها الراعي ليلاً ؛ وهي مبارك الإبل ومرابض الغنم .

(٩) الموامي : جمع مومة ، وهي المفازة . والسراب : الذي تراه نصف النهار كأنه ماء .

(١٠) ديوانه (٣ : ٣٨٠) .

(١١) الحدت : قلعة ، وسميت حمراء لأنها بنيت بحجارة حمر ، أو لكثرة ما جرى عندها من الدماء .

فلما دنا منها سَقَّتْهَا الْجَمَاجِمُ
ومن جُنَّتِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمٌ^(١)
على الدِّينِ بِالْحَطِيّ وَالِدَهْرُ رَاغِمٌ
وَهُنَّ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمُ
سَرَوْا بِجَيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتُغْرُكَ بِاسِمُ
تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
وصار إلى اللَّبَاتِ وَالنَّضْرُ قَادِمُ

سَقَّتْهَا الْعَمَامُ الْعُرُ قَبْلَ نُزُولِهِ
وكان بها مثلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ
طَرِيدَةً دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا
تُفِيثُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ
وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِيُوقِفِ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى^(٢) هَزِيمَةٌ
ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً
بَضْرِبِ أُمَّيِ الْهَامَاتِ وَالنَّضْرُ^(٣) غَائِبٌ
وقوله^(٤):

وَأَيَّامُهَا^(٥) فَيَسَمَا يُرِيدُ قِيَامُ
وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرَمَاتِ إِمَامُ
وَعُنْوَانُهُ لِبَلِّغِ الظَّاهِرِينَ قِتَامُ^(٦)
وَمَا أُضْضُ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامُ^(٧)
وقد كَعَبَتْ بِنْتُ وَشَبَّ غُلَامُ^(٨)
إلى الْعَايَةِ الْقُضْوَى جَرِيَتْ وَقَامُوا

وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِساً
وَكُلُّ أُنَاسٍ يَشْتَبِعُونَ إِمَامَهُمْ
وَرُبُّ جَوَابٍ عَنِ كِتَابِ بَعَثْتُهُ
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نُشْرِهِ
وَرَبَّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى أَصَبْتَهَا
جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا
وقوله^(٩):

أَكَانَ سَخَاءٌ مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا
لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعِ الْقَلْبِ بَاكِيَا

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى
خُلِفْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصُّبَا

- (١) الجثث: جمع جثة، وهي الجسد. والتمايم: العود، واحدها تيمية. جعل الاضطراب بالفتنة فيها جنوناً لها.
- (٢) كلمي: جرحي، وهزيمة: مهزومة.
- (٣) في الأصلين: «والدهر غائب».
- (٤) ديوانه (٣: ٣٩٣)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة.
- (٥) في الأصلين «وأيامه».
- (٦) القتام: الغبار.
- (٧) البيداء: الأرض المقفرة البعيدة. والفض: الكسر. والختام: طابع الكتاب.
- (٨) الكاعب: التي بدا ثديها للنهود. وشب الغلام: نشأ وكبر.
- (٩) ديوانه (٤: ٢٨٤)، من قصيدة يمدح بها كافوراً، وهي أولى مدائحه له.

فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ عُدْرَ بَرِيئِهَا
وَجُرُوداً مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا
تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتْ الصَّفَا
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعَا
تُجَادِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً
قَسَاوِصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكِ غَيْرِهِ
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ
تُحَوِّزُ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي
وقوله (٤):

وما زال أهل الدهر يشتهبون لي
يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتَ جَيْشاً وَرَيْهُ
وَأَلْقَى النِّقْمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ
فَكُنْ فِي اضْطِرَاعِي مُحْسِناً كَمُجْرِبِ
وما الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ
فإنك ما مرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبِ
وقوله (٧):

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
وعَادَى مُجِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِ (٨)
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمِ
وَأَعْرِفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالشُّكْلِمِ

(١) يريد خيلاً قليلاً الشعر، وهو مدح للفرس. والعوالي: الرماح.

(٢) الصفا: الصخر. والبزاة: جمع باز. وحوافا: جمع حاف.

(٣) في رواية: «وتنظرن».

(٤) ديوانه (٢: ٢٧)، من قصيدة يمدح فيها كافوراً.

(٥) يشتهبون بمعنى يتشابهون. يقول: ما زال أهل الدهر يتشابهون إلى قبل وصولي إليك، حتى ظهرت أنت لي؛ فإذا أنت فردهم.

(٦) التقريب: ضرب من العدو، وكذلك الشد. والجواد: الفرس.

(٧) ديوانه (٤: ١٣٥)، من قصيدة يمدح بها كافوراً، وقد أهدها فرساً أدهم.

(٨) نظر فيه إلى قول الشاعر:

وما فسدت لي - يشهد الله - نية
عليك بل استفسدتني فاتهمتني

وما كلُّ هاءٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
وَأَبْلَجٌ^(١) يَعْصِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَةٍ
فَسَاقٍ إِلَيَّ الْعُزْفَ غَيْرَ مُكَدِّرٍ
فَأَحْسَنَ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهٌ مُحْسِنٍ
ولو كنتُ أدري كم حياتي قَسَمْتُهَا
وقوله^(٢) :

أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى
وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ^(٥)
وَعَيْنِي إِلَى أَدْنَى أَعْرَ^(٦) كَأَنَّهُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنِ جَسْمِهِ فِي إِهَابِهِ
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ أَدْنَى عِنَانِهِ
وَأَصْرَعُ أَيُّ الْوَحْشِ قَفِيئُهُ بِهِ
وما الخيلُ إِلَّا كالصديقِ قَلِيلَةٌ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِيهَا^(٩)
وفيها :

يُرِيدُ بِكَ الْحُسَّادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ
إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أَعْطُوا وَحَكَّمُوا
وَسُمُرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُدْرَبُ^(١٠)
وإن طلبوا المجد الذي فيك خيُّبوا

- (١) في الديوان: «أبلج»، بالخاء، وهو العظيم، وهو من صفة الملوك. أما الأبلج بالميم فهو الجميل الوجه.
- (٢) المجمع: الذي لا يفهم. يقول: لم يكدر إحسانه إلي بالمن، ولم ينغصه بالأذى.
- (٣) ديوانه (١: ١٧٧)، من قصيدة يمدح فيها كافوراً.
- (٤) الاستفهام للتعجب، وتناهي: تفاعل، من النأي وهو البعد.
- (٥) كمنته، أي كمنته فيه، فترك الحرف ونصب الضمير مفعولاً به.
- (٦) الأعر: ذو الغرة، وهي البياض، ويريد به الفرس.
- (٧) الإهاب: الجلد. والرحيب: الواسع. يصف فرسه بعرض الصدر وسعة الجلد عليه؛ وكلاهما يقتضي سعة الخطو وسرعة العدو.
- (٨) قفيته: أتبعته؛ يقول: إذا طردت به وحشاً أدركه فصرعه. وأنزل عنه بعد الطرد وهو باق على نشاطه وقوة جريه؛ مثلما كان حين الركوب.
- (٩) الشيات: جمع شية، وهي اللون.
- (١٠) المدرب: المحدد.

ولو جاز أن يخوؤا علاك وهبتها
وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً
ويغنيك عما ينسب الناس أنه
وتغذني فيك القوافي وهمتي
وقوله^(١):

رأيتكم لا يظنون العراض جاركم
جزاء كل قريب منكم ملل
وتغضبون على من نال رفاكم
فغادر الهجر ما بيني وبينكم
تحبو الرواسم من بعد الرسيم بها
سهرت بعد رجيلي وحشة لكم
وإن بليست بوذ مثل ودكم
وقوله^(٧):

برغم شبيب^(٨) فارق السيف كفه
كان رقاب الناس قالت لسيفه
وهل ينفع الجيش الكثير التفافه
ثنى يده الإحسان حتى كأنها
وقوله^(١٠):

عيون رواجلي إن حرت عيني
وكل بعام راحة بغامي^(١١)

(١) ديوانه (٤ : ١٣٦)، من قصيدة قالها بمصر، وقد بلغه أن قوماً نوهه في مجلس سيف الدولة.

(٢) الضغن: الحقد والحسد. (٣) البهائم: الأرض التي لا يهتدى فيها.

(٤) الرواسم: الإبل التي سيرها الرسيم (ضرب من السير)، الثفن: جمع ثفنة، وهي واحدة ثفنت البعير، وهو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ.

(٥) المرير: جمع مريرة، وهي القوة من الخيل. واستمر: استقام. وارعوى: انزجر. والوسن: النعاس.

(٦) قمن: خليق وجدير. يقول: إن كنت في قوم آخرين وعاملوني معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم.

(٧) ديوانه (٤ : ٢٤٣)، من قصيدة يذكر فيها شبيباً ومخالفته كافوراً.

(٨) شبيب هذا هو ابن جرير العقيلي، من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة.

(٩) ثنى يده: ردها. والبنان: الأصابع؛ واحدها بنانة.

(١٠) ديوانه (٤ : ١٤٣)، من قصيدة يصف فيها الحمى التي كانت تعتاده بمصر.

(١١) حرت: تحيرت. البغام: صوت الناقة للتعب. ورزحت الإبل: سقطت من الإعياء هزلاً. شبه

نفسه في التحير بالبهيمة؛ لأنها لا تدري أين تذهب.

فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ
وَلَمَّا صَارَ وَدُ النَّاسِ خَبَاً^(٢)
وَصِرْتُ أَشْكَ فِيمَنْ أَضْطَفِيهِ
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً
وَقَوْلُهُ^(٣):

وَذَا لِرْتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً
بَذَلْتُ لَهَا الْأَمْطَارِيفَ وَالْحَشَايَا^(٤)
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَن نَفْسِي وَعَنْهَا
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي
أَرَايِبُ وَقَتَّهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ
وَيَضُوقُ وَغَدَهَا وَالصُّدُقُ شُرٌّ
ومنها:

أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدِي أَتُمْسِي
وَهَلْ أَزْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتِ
فَرُّتَمَا شَقِنْتُ غَلِيلَ صَدْرِي
وَضَاقَتْ حُطَّةٌ فَحَلَضْتُ مِنْهَا
وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ
تَصَرَّفَ فِي عَنَانٍ أَوْ زَمَامٍ^(٧)
مُحَلَّاةٍ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ^(٨)
بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامٍ
خَلَّاصِ الْخَمْرِ مِنْ تَسْجِجِ الْفِدَامِ^(٩)
وَوَدَّعَتْ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ

- (١) قال ابن السكيت: العرب إذا عدت للسحاب مائة برقة؛ لم تشك في أنها مطرة.
- (٢) الخب: المكر. والود: الحب والصدقة.
- (٣) ديوانه (٤: ١٤٦)؛ من القصيدة السابقة.
- (٤) المطارف: جمع مطرف، وهو من الثياب التي في طرفها علمان. والحشاي: جمع حشية، وهو ما حشي من الفرش مما يجلس عليه.
- (٥) قال الواحدي: يريد أنه يعرق لفراقها؛ فكأنها تغسله؛ لعكوفهما على ما يوجب الغسل. وإنما خص الحرام للفاقية؛ وإلا فالجماع على الحلال كالجماع على الحرام.
- (٦) بأربعة سجام؛ أي ذات سجام فحذف. وأراد بالأربعة اللحاظين والموقين.
- (٧) العنان للفرس، والزمام للإبل، يقول: يا ليت يدي علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان الفرس أو زمام الإبل!
- (٨) الراقصات: الإبل. اللغام: زيد يخرج من فم البعير.
- (٩) الفدام: ما يجعل على رؤوس الأباريق التي يكون فيها الخمر.

يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئاً
وَمَا فِي طَبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ
تَعَوَّدَ أَنْ يُعْبَرَ فِي السَّرَايَا^(٢)
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ^(٣) لَهُ فَيَزَعَى
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ
وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
أَضْرَبَ بِجِسْمِهِ طَوْلَ الْجَمَامِ^(١)
وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ
وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ
وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حَمَّ اغْتِرَامِي
سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ

وهذه القصيدة كلها مختارة؛ لا يعلم لأحد في معناها مثلها. والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد، قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها؛ فجاءت مطبوعة مصنوعة. وهذا القسم من الشعر هو المَطْمِيعُ المُوَيْسُ.

قصيدة لابن المعتدل في الحمى

وقد أحسن عبد الصمد^(٤) بن المعتدل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحمى، وقصر في الضادية وفي مقاطيع له في وصفها، وكان أبا الطيب قصد تنكب معانيه فلم يُلِمَّ بشيء منها؛ قال عبد الصمد^(٥):

وَبِئْتُ الْمَنِيَّةَ تَنْتَابُنِي
إِذَا وَرَدَتْ لَمْ يَدْعُ وَرَدَهَا
كَأَنَّ لَهَا ضَرَمًا فِي الْحَشَى
إِذَا لَمْ تَرُخْ أَضْلًا فِي الْعَشَى
لَهَا قُدْرَةٌ فِي جَسُومِ الْأَنَامِ
تَغَالَيْتُ بِأَسْمِ سِوَاهَا لَهَا
فَطَوْرًا أَلْقَبَهَا^(٨) سُخْنَةً
أَسْأَلُ أَهْيَ عَنِ سُخْنَتِي
هَدُوءًا وَتَطْرُقُنِي سُخْرَةً^(٦)
عَنِ الْقَلْبِ حَجَبٌ وَلَا سُتْرَهُ^(٧)
وَفِي كُلِّ غُضُوبٍ لَهَا جَمْرَهُ
فَأَقْصَى مَوَاعِدِهَا بُكْرَهُ
حَبَاهَا بِهَا اللَّئُ ذُو الْقُدْرَةِ
كَأَنَّ لَيْسَ لِي بِأَسْمِهَا خُبْرَهُ
وَطَوْرًا أَلْقَبَهَا قُتْرَهُ
وَأَمْنُحُهُمْ نَظْرَةً نَظْرَهُ

- (١) الجمام: أصله أن يترك الفرس فلا يركب؛ ويريد به هنا الراحة.
- (٢) السرايا: جمع سرية، وهي التي تسري إلى العدو في الحرب. والقنار: الغبار.
- (٣) لا يطال له: لا يرخى له الطول، وهو الحبل.
- (٤) هو من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، توفي نحو سنة ٢٤٠هـ.
- (٥) ديوان المعاني (٢: ١٦٧)، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات.
- (٦) السحرة كالسحر: آخر الليل قبيل الصبح.
- (٧) السترة: ما استترت به من شيء كائن ما كان.
- (٨) في ديوان المعاني: ألقبها (بالياء).

فأَجْزَعُ إن قَيْلَ لِي حُمْرَةٌ وَأَشْفِقُ إن قَيْلَ لِي صُفْرَه
 وَصِرْتُ إِذَا جُعْتُ يَوْمًا ظَلَلْتُ كَأَنَّ عَلَيَّ كَبِيدِي شَفْرَه
 وَيَرْبُو الطَّحَالُ إِذَا مَا شَبِعْتُ فَتَعْلُو التَّرَائِبُ وَالصُّدْرَه^(١)
 فَأَمْسِي كَأَنِّي مِنْ مَعْدَتِي لَبَسْتُ الثِّيَابَ عَلَيَّ زُكْرَه^(٢)
 إِذَا مَا رَأَيْتُ امْرَأً مَطْلَقًا لَهُ الْأَكْلُ تَخْتُقُنِي الْعَبْرَه
 كَأَنِّي فِي مَنْزِلِي مُخْصَبًا بَبْلَقَعَةٍ جَدْبَةٍ قَفْرَه

موازنة بين المتنبي وابن المعذل

فأحسن وأجاد، وملح واتسع، وأنت - إذا قُستْ أبيات أبي الطيب بها على قصرها، وقابلت اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظاً في النقد تبينت الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكره أن أبت حكماً أو أفضل قضاء، أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُخِين مصيب.



وقوله^(٣):

تَسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ العُدْرِ وَاللِّمَمِ^(٤)
 وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ اخْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ
 طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقْنَا بِنَا مِنْ جَوْشٍ وَالْعَلَمِ^(٥)
 فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَا رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزَّلَمِ^(٦)
 حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي: المَجْدُ لِلسَيْفِ لَيْسَ المَجْدُ لِلقَلَمِ
 اكْتُبْ بِنَا أبدأ بَعْدَ الكِتَابِ^(٧) بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالْحَدَمِ

(١) الصدر: الصدر.

(٢) الزكرة: زق يجعل فيه شراب أو خل.

(٣) ديوانه (٤: ١٥٥)، من قصيدة يذكره مسيره من مصر ويرثي فاتكا.

(٤) العذر: جمع عذار، والمراد به الشعر النابت في موضع العذار، واللمم: جمع لمة، وهي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

(٥) جوش والعلم: جيلان، والضمير يعود على البيت الذي قبله، وهو:

لا أبغضن العيس لكنني وقيت بها قلبي من الحزن أو جسمي من السقم

(٦) أخطروا أرواحهم: حملوا أرواحهم على الخطر. الأيسار: هم الذين يتحرون الجزور ويتقارعون عليها بالقداح، وهو ما كانت تفعله الجاهلية. والزلم: السهم.

(٧) الكتاب: مصدر كالكتابة.

مَنْ أَقْتَضَى بِسَوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
تَوَهَّمِ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجَزَ قَرَّبَنَا
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً
فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَسُورَهُمْ
صُنَا فَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
هَوْنٌ عَلَى بَصْرِ مَا شَقَّ مِنْظَرُهُ
وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقِي فَتُشْمِئَتْهُ
وقوله (٤):

تَزَا حَمَّ الْجَيْشِ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَابًا
فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصِّ وَأَغْيَبَهُ
وقوله (٥):

إِنْ تَرَيْنِي أَدْمُتُ بَعْدَ بَيَاضِ
صَحْبَتِنِي عَلَى الْفَلَاةِ فَتَاءُ (٧)
سَتَرْتُكَ الْجِجَالَ عَنْهَا وَلَكِنْ
وقوله (٩):

أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى
إِذَا حَارَ مَالًا فَقَدْ حَارَهُ
وقد عَلِمْتُ خَيْلَهُ أَنَّهُ
فَتَاءُ، وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ
فَتَى لَا يُسْرُ بِمَا لَا يَهَبُ
إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ

(١) في الديوان:

بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

- (٢) الخدم: جمع خذوم، وهو السيف القاطع.
(٣) الكرم: قصر اليد، وفي الأصل: الكرم. قال ابن القطاع: قد صحف هذا البيت جماعة فرووه. «الكرم»؛ ضد البخل، ولا معنى له هنا، وإنما الصحيح الكرم (بالزاي)، وهو قصر اليدين بالبخل.
(٤) ديوانه (٢: ٩٨).
(٥) ديوانه (٣: ١٥٠)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويشكره على هديته.
(٦) أدم: شحبه لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره. والقناة: الرمح.
(٧) يريد الشمس. وجعلها فتاة لأن الزمان لا يؤثر فيها.
(٨) اللمي: سمرة تكون في الشفتين.
(٩) ديوانه (١: ٩٩)، من قصيدة أرسلها إلى سيف الدولة وقد كتب إليه يستدعيه.

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعِ مَنْ أَرْضِيهِمْ
وَلَا تَغْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ
وَقَوْلِهِ - يصف السيف^(٢) :
إِذَا لَمْ تَخْطُ الْقَنَا أَوْ تَثِبْ

قَلْدَتْنِي يَمِيئُهُ بِحَسَامِ
كَلِمَا اسْتَلُّ ضَا حَكَّتْهُ إِيَاءُ
مَثَلُوهُ فِي جَفْنِهِ حَشِيَّةَ الْفَقْ
مُنْعَلٌ لَا مِنَ الْحَقِّ ذَهَاباً يَحُرُّ
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسُدُّ
جَمَعَ الدَّهْرُ حُدَّةً وَيَدْبِيهِ
وَقَوْلِهِ^(٦) :

تَبَدَّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
وَأَوْجُهُ فِثْيَانِ حَيَاءٍ تَلْتُمُوا
إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمِ مَوْدَّةٍ
وَمَنْ يَضْحَبُ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْسُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
كَأَنَّا أَرَادَتْ سُكْرُنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ
فَتَى فَاتَتْ الْعَدَوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى
وَمَبْثُوثَةٌ^(٩) لَا تُتَّقَى بَطْلِيَعَةٌ

تَجَائِبُ^(٧) لَا يُفَكِّرُنَ فِي التُّحْسِ وَالسَّعْدِ
عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفاً مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ
أَجَارَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ
يَسِرُ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ^(٨) وَالْأُسْدِ
فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاةَ سِوَى الرَّعْدِ
فَلَمْ يُخْلِنَا جَوْ هَبِطْنَا مِنْ رِفْدِ
فَمَا أَرَمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ
بِمَنْشُورَةِ الرَّيَايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ
وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا نَجْدِ

- (١) الضمير في أتاهم للدمستق، السيب: شعر الناصية والعرف والذنب. العسيب: منبت الذنب من الجلد والعظم.
- (٢) ديوانه (٢: ٥٠).
- (٣) إيابة الشمس: ضوءها. الأراد؛ يجوز أن يكون جمع راد وهو الضوء، وأن يكون جمع رمد، وهو التراب.
- (٤) الأثر: فرند السيف. وهو ماؤه وجوهره.
- (٥) المدجج: المغطى بالسلاح. البدادان: جانبا السرج.
- (٦) ديوانه (٢: ٦١)، من قصيدة قالها وقد ورد عليه كتاب من عضد الدولة يستزيره، فسار إليه، وودع ابن العميد.
- (٧) التجائب: جمع نجيب، وهو الكريم من الإبل.
- (٨) الأساود: الأفاعي.
- (٩) المبثوثة: الغارة التي تشن. وهذه الكلمة معطوفة على «كتائب» في بيت قبله وهو:
إذا ارتقبوا صباحاً رأوا قبل ضوئه كتائب لا يردي الصباح كما تردي

يَغْضُنْ إِذَا مَا عِرْزَنَ فِي مُتَّفَاقِدٍ^(١)
حَثَّتْ كُلُّ أَرْضٍ تُزْبِيَةً فِي^(٢) غُبَارِهِ
وقوله^(٤):

أرُوحُ وقد حَتَمْتُ عَلَى فِرَّادِي
لَعَلَّ اللَّئِمَةَ يَجْعَلُهُ رَجِيلاً
ولو أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي
وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِعَ لَيْسَ يَدْرِي
وفي الْأَحْبَابِ مُخْتَصِّصٌ بَوَجْدِي
إِذَا اسْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودِي
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طَرْقِي فَكُونِي
فَلَوْ سِرْنَا وفي تَشْرِينِ خَمْسُ
وقوله^(٧):

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي الْقَلْبَ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا
ولو لم تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسِ
وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ
وقوله^(٩):

عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ^(٨) وَالسُّبُلِ
عَرَائِبٌ يُؤَثِّرُنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ
أَبَتْ رَغَبَهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي
فَسَوْمَ بُلُوغِ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ
طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلْمِ^(١٠)

- (١) في الأصلين: «عدن». وفي الديوان «يغضن» بالصاد. المتفاقد الذي يفقد بعضه لكثرتة واضطرابه.
(٢) في الأصلين: «من».
(٣) الطرائق هنا: الخطوط في الشيء.
(٤) ديوانه (٢: ٣٨٧)، من قصيدة قالها عند وداع سيف الدولة.
(٥) الذرى: الكنف والناحية.
(٦) تشرين: شهر من أشهر الفرس، وهو أول سنتهم؛ والسماك يرى في هذا الوقت نفسه.
(٧) ديوانه (٣: ٢٩٣)، من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس.
(٨) السنايك: مقدم الحوافر.
(٩) ديوانه (٤: ٦٤)، من قصيدة يمدح فيها علي بن إبراهيم التنوخي.
(١٠) النحور: جمع نحر، وهو موضع القلادة، والكمأة: جمع كمي وهو المستتر في سلاحه، والحلم: البلوغ. يقول: بلوغ الغلام عند هؤلاء الممدوحين أن يحمل على الأعداء في الحرب فيقطعهم.

كَأَنَّمَا يُؤَلِّدُ النَّدَىٰ مَعَهُمْ إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُّوْا تَنْظُنُّ مِنْ فُقْدِكَ اِعْتِدَادَهُمْ^(٢) إِنْ بَرَقُوا^(٣) فَالْحَثُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ حَلَفُوا بِالْعُمُوسِ^(٤) وَاجْتَهَدُوا أَوْ رَكِبُوا الْحَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لِأَقْحَا^(٥) أَخَذُوا تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ أَعْيَدُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ وَقَوْلُهُ^(٦):

مَلِكٌ سَيْئَانُ فَنَائِهِ وَيَنَائِهِ إِنْ تَلَقَّه لَا تَلْقُ إِلَّا جَحْفَلًا وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا وَعَجَاجَةٌ تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا كَالْبَحْرِ يَفْئِذُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا وَقَوْلُهُ يَصِفُ كَلْبًا^(٩):

فَحَلٌّ كَلَابِي^(١٠) وَثَاقُ الْأَخْبُلِ
عَنْ أَشَدِّقِ مُسَوِّجِرٍ^(١١) مُسَلْسَلِ

- (١) الصنعية: ما صنعوا من المعروف؛ يقول: إذا عادوا فإنهم يظهرون بالعداوة، وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها.
- (٢) الاعتداد: ما يعتد به؛ يريد أنهم لا يعتدون بصنيعهم وإنعامهم؛ كأنهم لم يعلموا بذلك.
- (٣) برقوا: خوفوا وهددوا.
- (٤) الغموس: هي اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم.
- (٥) اللاقح: الحرب الشديدة.
- (٦) ديوانه (١: ١٢٥)، من قصيدة يمدح فيها علي بن منصور الحاجب.
- (٧) عرفا: معروفا. (٨) الجحفل: الجيش. القسطل: الغبار.
- (٩) ديوانه (٣: ٢٠٣)، من قصيدة يصف فيها كلباً أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي.
- (١٠) الكلاب: الذي يسوق الكلاب ويصيد بها.
- (١١) الأشدق: الواسع الشدق؛ والمسوجر: الذي في رقبته ساجور؛ القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب.

مَوْجِدِ الْفِقْرَةِ^(١) رِخْوِ الْمَفْصِلِ
 لَهُ إِذَا أذْبَرَ لَحْظَ الْمُثْبِلِ
 يَعْذُو إِذَا أَحْزَنَ عَذْوَ الْمُسْهَلِ
 يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُضْطَلِّي
 بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجَدَلِ
 فُتِلِ الْأَيْدِي رِبْدَاتِ^(٢) الْأَرْجَلِ
 آثَارُهَا أُمَّالُهَا فِي الْجَنْدَلِ
 يَكَاذُ فِي الْوَتْبِ مِنَ التَّفْتُلِ^(٣)
 يَجْمَعُ بَيْنَ مَثْنِهِ وَالْكَكْلِ
 وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ

وقوله^(٤):

أَغْرَّ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا
 يُفِيلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِحَةٍ^(٥)
 جَرْدَاءٍ مِلءِ الْجِرَامِ مُجْفَرَةٍ
 إِنَّ أذْبَرْتَ قُلْتُ: لَا تَلِيلَ^(٧) لَهَا
 سَارٍ وَلَا قَفْرَ فِي^(٨) مَوَاكِبِهِ
 إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا
 كَتِيْبَةٌ^(١٠) لَسْتُ رَبِّهَا نَقْلُ

بِالْهَرَبِ اسْتَكْثَرُوا الَّذِي فَعَلُوا
 أَرْبُعَهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ
 تَكُونُ مِثْلِي عَسِيْبَهَا الْخُصْلُ^(٦)
 أَوْ أَقْبَلْتُ قُلْتُ: مَا لَهَا كَفَلُ
 كَأَنَّ مَا كُلُّ سَبَسِ^(٩) جَبَلُ
 مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا
 وَيَلْدَةُ لَسْتُ حَلِيَّهَا عَطْلُ

(١) مؤجد: قوي موثق. رخو المفصل. شديد المتن لين المفاصل.

(٢) فتل: جمع فتلاء وهي اليد التي بانَتْ عن الصدر فلم يمسه عند العدو. الربذات: الخفيفات السريعات.

(٣) التفتل: الانفتال؛ وهو السرعة.

(٤) ديوانه (٣: ٢١٣)، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار، وقد فصد لعله.

(٥) السابحة: الفرس التي كأنها تسبح في جريها.

(٦) الجرداء: القليلة الشعر. مجفرة: واسعة الجوف. العسيب: عظم الذنب.

(٧) التليل: العنق. والكفل: الردف.

(٨) في الأصلين: «من».

(٩) السبسب: المتسع المستوي من الأرض.

(١٠) الكتيبة: الجماعة من الخيل. والنفل: الغنيمة. والعطل: التي لا حلي عليها. يقول: كل جماعة لست أميرها، فهي غنيمة لمن وجدها، وكل بلدة لست زينتها فهي عاطل.

ثم وصف خطأ الفاصد فقال :

عُدُّرَ الْمَلُومِينَ فِيكَ أَنَّهُمَا
مَدَّدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّبِيبِ يَدَا
خَامِرَهُ إِذْ مَدَّدَتْهَا جَزَعُ
أَبْلُغَ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبْ
وقوله (٣) :

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى
وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينِ شَيْءٍ
أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ
وقوله (٤) :

مَجْحُكٌ (٥) إِذَا مَطَّلَ الْغَرِيمُ بَدْيَيْنِهِ
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ
ثم وصف الأسد فقال (٦) :

وَقَعْتَ عَلَى الْأُرْدُنِّ (٧) مِنْهُ بَلِيَّةٌ
مُتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْقَوَارِسِ لِأَبْسٍ
مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنَّتَا
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرْفِقًا مِنْ تَبِيهِهِ
وَيَرْدُ غُفْرَتَهُ (٨) إِلَى يَأْفُوخِهِ
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ نَفْسَهُ
فَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطْيَ فَكَأَنَّمَا
أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ وَيَزِيرُ (٩) دُونَهَا

- (١) الآسي: الطبيب، والمبضع: حديدة الفاصد، والبطل: الشجاع.
(٢) خامره: خالطه، والحذاقة: الحذق.
(٣) ديوانه (٣: ٢٣١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.
(٤) ديوانه (٣: ٢٣٥)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر الأسد.
(٥) المحك: اللجوج.
(٦) ديوانه (٣: ٢٣٧).
(٧) الغيل: الأجمة.
(٨) الأردن: موضع بالشام.
(٩) الفريق: الجماعة.
(١٠) الغفرة: الشعر اجتمع على قفاه.
(١١) شكل الدابة: شد قوائمها بحبل.

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ
 أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
 فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٌ^(٢)
 نَيْالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا
 تَنذَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا
 مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زُورِهِ
 وَيَدُقُّ بِالصُّدْرِ الْحِجَارَ^(٤) كَأَنَّهُ
 أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكٌ
 وَالْعَارَ مَضَاضٌ^(٥)، وَلَيْسَ بِخَائِفٍ
 قَبَضَتْ مَنِيئُهُ يَدَيْهِ وَعَنْقَهُ

ولولا أبيات البحترى في هذا المعنى لعددت هذه من أفراد أبي الطيب؛ لكن البحترى قال يصف قتل الفتح بن خاقان أسداً عَرَضَ له^(٦):

عَدَاةٌ لَقِيَتْ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ
 يَحْضُنُهُ مِنْ نَهْرِ نَيْرِكَ مَغْقِلٌ
 إِذَا شَاءَ عَادَى عَانَةَ^(٨) أَوْ عَدَا عَلَى
 يَجْرُ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلِّ شَارِقٍ
 فَلَمْ أَرِ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا
 هَزْبُرٌ مَشَى يَبْغِي هَزْبُرًا وَأَغْلَبُ
 أَذَلُّ بِشَغْبٍ^(١٢) ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ

- (١) الأزل: القليل اللحم.
 (٢) ظامئة الفصوص: عطاش ليست برخوة رهلة. طمرة: وثابة.
 (٣) السوالف: جمع سالفة، وهي صفحة العنق، استحضرتها: حملتها على الحضر، وهو العدو.
 (٤) الحججار: الأحجار. الحضيض: قرار الأرض عند منقطع الجبل.
 (٥) مضاض: موجه ومحرق. والحتف الهلاك.
 (٦) ديوانه (١: ٥٦).
 (٧) في الديوان: «تسامى روضه». تأشب: التفت.
 (٨) العانة: القطيع من حمر الوحش.
 (٩) تقنص: اقتنص، اصطاد. الربرب: القطيع من بقر الوحش.
 (١٠) العبيط: من عبط الذبيحة إذا نحرها من غير علة وهي سمينة فتية. الرميل: الملطخ بالدم.
 (١١) النكس: الضعيف.
 (١٢) شغبهم وبهم وعليهم: هيج الشر عليهم.

فَأَخْجَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً وَأَقْدَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَكَ مَهْرَباً
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السِّيفَ، لَا عِزْمَكَ انْشَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَسْدَهُ نَسَباً
وَكُنْتُ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينُكَ تَهْتِكُ الضُّرْبَ رِيْبَةً أَوْ لَا تُبْقِ لِلسِّيفِ مَضْرِباً

فاستوفى المعنى، وأجاد في الصِّفة، ووصل إلى المراد، وأما أبو زيد فإنما وصف خلق الأسد وزئيره وجرأته وإقدامه، وكأنما هو مرعوب أو محذر، والفضل له على كل حال، لكن هذا غرض لم يرَّمه، ومذهب لم يسلكه.

وقوله (١):

نَيْطَتْ حَمَائِلُهُ بَعَاتِقِي مِخْرَبٌ (٢)
أَمْضَى إِزَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ (٣)
مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْشَى
وَاسْتَفْرَبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا
وقوله (٤):

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً
تُسِيءُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَةً
وَأَنْفَسُ مَا لِقَيْتِي لُبُّهُ
وَقَدْ مُسْتُ أَمْسٍ بِهَا مَوْتُهُ
تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ (٥)
وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ (٦)
وَدُوَّ السُّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ
وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ (٧)
وقوله (٨):

قِرَانُ تَلَاقِي الصَّلْتِ (٩) فِيهِ وَعَامِرٌ
فَجَاءَ بِهِ صَلْتٌ (١٠) الْجَبِينِ مُعْظَمًا
كَمَا يَتَلَقَى الْهِنْدُوَانِيَّ وَالنُّضْرُ
تَرَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمْ كَثُرُ
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشُّوقُ نَحْوَهُ
يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ

- (١) ديوانه (٤ : ١٩٩)، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.
- (٢) المحرب: صاحب الحرب الممارس لها. والضمير يعود على السيف وإن لم يذكره.
- (٣) قد: حرف لما مضى، وجعلها بمنزلة الأسماء؛ فأعربها.
- (٤) ديوانه (٢ : ٣٥٠) وهي أبيات أنشدها بدر بن عمار حين عرض عليه الصبحة.
- (٥) المدامة: الخمر؛ يقول: إنها تغلب العقل فلا تستطيع مقاومتها.
- (٦) أي تسيء أذبه في اللفظ والحركات؛ فلا يتقيد بأداب المجلس، وتحسن أخلاقه بما تظهر فيه من حب السماحة وطيب المفاكحة.
- (٧) جعل ذهاب عقله بالخمر موتاً، فقال: ومن مات مرة لا يشتهي أن يعود إلى الموت.
- (٨) ديوانه (٢ : ١٥٥)، من قصيدة يمدح فيها علي بن أحمد الأنطاكي.
- (٩) في الأصلين: «الصمت»، تحريف. والقران: مقارنة الكوكبين، استعارة لاجتماع جديه في نسبه. والصلت: جد الممدوح لأمه، وعمار: جده لأبيه. والهندواني: السيف المطبوع.
- (١٠) صلت الجبين: واضح الجبين.

وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامَ عَثْبِي كَأَنَّمَا
وقوله (٢):

وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجَدٍ قُلُوبِنَا
وَدُسْنَا بِأَخْقَافِ الْمَطِيِّ تُرَابِهَا
دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ
حَسَانُ التَّنْثِي يَنْقُشُ الْوُشْيَ مِثْلَهُ
وَيَبْسِمُنَّ عَنْ دُرٍّ تَقْلَدُنَّ مِثْلَهُ
مِنَ الْجِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
وفيها:

وَذِي لَجَبٍ (٥) لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ كَلِيلَةٌ
إِذَا ضَوْؤُهَا لَأَقَى مِنَ الطَّيْرِ فَرْجَةً
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةَ (٧)
وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ
حَمْتُهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

- (١) الخبير، بالضم والكسر: الاختبار.
(٢) ديوانه (٤: ١١٠)، من قصيدة يمدح فيها الحسن بن عبيد الله بن طغج.
(٣) الأذواد: جمع ذود؛ وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل.
(٤) التراقي: جمع ترقة، وهي العظام التي فوق الصدر. والمباسم: جمع مبسم، وهو الثغر.
(٥) اللجب: كثرة الأصوات في الحرب.
(٦) القشاعم: النسور. ورواية الديوان:

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة

- (٧) برقة: موضع ذو حجارة ورمل وطين. والضراب: المحاربة.
(٨) الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم. والردينيات: جمع رديني، وهو الرمح المنسوب إلى ردينة؛ امرأة من العرب كانت تقوم الرماح. والمعصم: موضع السوار من الساعد.
(٩) الضمير في حمته يعود إلى «ذي لجب» وهو الجيش، القمام: جمع قمقام، وهو السيد العظيم.

تَمَكَّنَ مِنْ أَدْوَادِنَا (٣) فِي الْقَوَائِمِ
فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ
بَطُولِ الْقَنَّا يُحْفَظُنَّ لَا بِالثَّمَائِمِ
إِذَا مَسَّنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ
كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالْمَبَاسِمِ (٤)
إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْجِلْمِ طُرُقَ الْمَظَالِمِ
فَتَسْقِي إِذَا لَمْ يَسْقِ مَنْ لَمْ يُزَاجِمِ
وِبِالنَّاسِ رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاجِمِ

بناج، ولا الوخش المثار يسالم
تطالعه من بين ريش القشاعم (٦)
تدور فوق البيض مثل الدرهم
ضراباً يمسي الخيل فوق الجماجم
عرفن الردينيات قبل المعاصم (٨)
سيوف بني طغج بن جف القمام (٩)

هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكُرَّى فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَأَحْسَنُ مِنْهُ^(١) كَرَّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ
 وَلَوْلَا احْتِقَارُ الْأَسَدِ شَبَّهْتُهُمْ بِهَا^(٢) وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ
 كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا لَقِيْتُهُ^(٣) كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَادِمٍ^(٤)
 وَكَادَ سُرُورِي لَا يَبْقَى بِئْسَ دَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ
 وَقَوْلُهُ^(٥):

وَشَامِخٌ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدُ^(٦)
 فَرْدٌ كَيَا فَوْخِ الْبَعِيرِ الْأَضِيدِ^(٧)
 يُسَارُ مِنْ مَضِيْقِهِ وَالْجَلْمَدِ^(٨)
 فِي مِثْلِ مَثَنِ الْمَسْدِ الْمُعَقَّدِ^(٩)
 زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ
 [لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالْتَّمْرُودِ]^(١٠)
 بِكُلِّ مَسْقِيِّ الدَّمَاءِ أَسْوَدِ
 [مُعَاوِدِ]^(١١) مُقْوَدِ مُقْلَدِ
 كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لَمْ يَخْقِدِ
 يَفْتُلُ مَا يَفْتُلُهُ وَلَا يَدِي^(١٢)
 فَتَارَ مِنْ أَحْضَرَ مَمْطُورِ نَدِي

- (١) في الأصلين: «منها» .
 (٢) هكذا بالأصل، قال في شرح العكبري: وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدون: «شبهتهم بها». وفي الديوان: «شبهتها بهم» .
 (٣) رواية الديوان:

كريم نفضت الناس لما بلغته

- (٤) المعنى: نفضت الناس لما وصلت نفص القادم حثالة زاده، لاستغناؤه عنه بعد القدوم عليه .
 (٥) ديوانه (٢: ٣) . اجتاز الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ببعض الجبال، فأثارت الغلمان ظلياً فتلقفته الكلاب، فأشد هذه الأرجوزة مرتجلاً .
 (٦) الأقود: المنقاد طولاً .
 (٧) الأصيد: الذي في عنقه اعوجاج من داء به . والصيد: داء يأخذ الإبل في أعناقها .
 (٨) الجلمد: الصخر .
 (٩) المسد: الحبل من ليف أو شعر .
 (١٠) الزيادة من الديوان . التمرد: اللعب والبطر .
 (١١) معاود: يعاود الصيد . مقود: جعل له مقود يقاد به إلى الصيد . ومقلد: له قلادة . والزيادة من الديوان .
 (١٢) لا يدي: أي لا يطالب بدية ولا تجب عليه دية .

كَأَنَّهُ بَدَأَ عِذَارَ الْأَمْرِ
فَلَمْ يَكْذِبْ إِلَّا لِحُتَيْفٍ يَهْتَدِي
وَلَمْ يَقْعِ إِلَّا عَلَى بَطْنِ يَدِ

وقوله (١):

فَتَى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُوهُ
فَقَدْ عَيَّبَ الشُّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ التَّدَى فِي بَنَانِهِمْ
أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ
لَعَلَّكَ فِي وَقْتِ شَعَلَتْ فَوَادَهُ
وقوله (٥):

قِرَاعَ الْعَوَالِي (٢) وَابْتِدَالَ الرِّغَائِبِ (٣)
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلَّ غَائِبٍ
أَعَزُّ أَمْحَاءَ مِنْ خُطُوطِ الرِّوَاكِيبِ (٤)
تَعَزَّ فِهَذَا فِعْلُهُ بِالْكَتَائِبِ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشِ مَحَارِبِ

يَرَى الْجُبْنَاءَ أَنْ الْجُبْنَ عَقْلٌ (٦)
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ
وقوله (٨):

وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ
وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ (٧) وَالْعُلُومِ

يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَغْ
بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِ
وَتَكَادُ الطَّبَيِّ لِمَا عَوَّدُوهَا

لَدَمَكُمُ فِي الْوَعَى مُتَوُّنُ الْعِتَاقِ (٩)
بِي فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ التَّلَاقِ
تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ

(١) ديوانه (١: ١٥٢)، من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي.

(٢) في الأصلين: «الأعادي»، وهذه رواية الديوان.

(٣) الرغائب: جمع رغبة، وهي العطية التي يرغب فيها.

(٤) الروايب: واحدها رايبة، وهي مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل، والفاطميون: أولاد فاطمة، الكتائب: جمع كتيبة، وهي الجماعة من الخيل.

(٥) ديوانه (٤: ١٢٠)، من قصيدة أنشدها أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج وقد غزا أنطاكية.

(٦) رواية الديوان:

يَرَى الْجُبْنَاءَ أَنْ السَّعْجَزَ عَقْلٌ

(٧) رواية الديوان:

عَلَى قَدْرِ الْقَرِيحَةِ وَالْعُلُومِ

(٨) ديوانه (٢: ٣٦٦)، من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي.

(٩) الحارث بن لقمان: جد أبي العشائر (الممدوح). والعِتَاق: الخيل الكرام.

وإذا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْفٍ
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا
جَاعِلٍ دِزْعَهُ مَنِيَّتَهُ إِنْ
كَرِمَ حَسَنَ الْجَوَائِبِ مِنْهُمْ
وَمَعَالٍ إِذَا أَدْعَاهَا سِوَاهُمْ
وقوله (٣):

سِزْ حَلَّ حَيْثُ تَحَلُّهُ النَّوَارُ (٤)
وَإِذَا ازْتَحَلَّتْ فَشِيْعَتِكَ سَلَامَةٌ
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْفِدَى
أَنْتَ الَّذِي بَجِحَ (٦) الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ
وقوله في بازٍ أطلق (٧):

وطائرة تَتَبَّعُهَا الْمَنَائِيَا
كَأَنَّ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غَلَاظٍ
فَأَقْعَصَهَا بِحُجْنٍ (١٠) تَحْتَ صُفْرِ
كَأَنَّ الرِّيشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ
فَقُلْتُ: لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمٌ سُوءٌ

- (١) الذمير: الرجل الشجاع، والمحاق - بضم الميم وكسرهما: نقصان القمر في أواخر الشهر.
(٢) الشفار جمع شفرة، وهي حد السيف، والرقاق: الحداد القاطعات.
(٣) ديوانه (٢: ٨٦)، يمدح سيف الدولة.
(٤) في رواية:

سِرَّ حَيْثُ شَتَّتَ يَحْلُهُ النَّوَارُ

- (٥) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. والمدرار: الدائم الدر.
(٦) بجح، بالكسر ويفتح: فرح.
(٧) ديوانه (١: ٢٥٩)، وهي أبيات أنشدها وقد أرسل أبو العنثر بازيا على حجلة فأخذها.
(٨) زجل الجناح: الذي يضرب بجناحيه إذا طار.
(٩) الجوجؤ: صدر الطير؛ يريد نقش صدره، فشبه سواد صدره برؤوس أقلام غلاظ مسحن في ثوب أبيض.
(١٠) القعص: دق العنق، وهو الموت السريع؛ وحجن: جمع أحجن، أحجن المخالب: معوجها.
(١١) في الأصلين: «فعل الأسنه والصفاح».

وقوله (١):

فَوَاهِبٌ وَالرَّمَاخُ تَشْجُرُهُ^(٢)
وكلما آمن البلاد سرى
وكلما جاهر العدو ضحى
وقوله (٣):

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ
وَمِنْ اِخْتِقَارِكَ^(٤) كُلَّ مَا تَخْبُوبُهُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفِهَا
فَإِذَا تَتَوَجَّحَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرَكِ
أَبْدَى سَحَاؤُكَ عَجَزَ كُلُّ مُشْمَرٍ
وقوله (٨):

فَكَأَنَّهَا^(٩) وَالدمعُ يَفْطَرُ فَوْقَهَا
نَشَرَتْ^(١٠) ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا
وقوله (١١):

وَشَكِيَّتِي^(١٢) فَقَدْتُ السَّقَامَ لِأَنَّهُ
قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَغْضَاءُ

(١) ديوانه (٣: ٢٧٣)؛ من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحمداني.

(٢) تشجره: تنفذ فيه وتخالطه.

(٣) ديوانه (٣: ٣٤٩)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

(٤) في الأصلين: «ومن ارتياحك».

(٥) الهاء في «سيفها» للدولة. والابتلاء: التجربة والاختبار.

(٦) تتوج: ليس التاج. يقول: الخليفة يتجمل بك؛ كما يتجمل بالتاج والخاتم.

(٧) المعرك: الحرب، وقائم السيف: ما يكون في يد الضارب.

(٨) ديوانه (٢: ٢٦٠)، من قصيدة يمدح فيها عبد الواحد بن العباس الكاتب.

(٩) الضمير في كأنها للصفرة في البيت قبله، وهو:

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاجرها ولم تك برقعاً

(١٠) في الديوان:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها

(١١) ديوانه (١: ١٤)، من قصيدة يمدح فيها هارون بن عبد العزيز الأدرجي.

(١٢) الشكية والشكوى والشكاية بمعنى.

مَثَلْتِ عَيْنِكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ
قوله: «فَتَشَابَهَا» كان حقه «فَتَشَابَهْتَا»، ولكن حمل الجراحة على الجرح والعين
على العضو.

تَفَذْتُ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرَبَّمَا تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ^(١)
وقوله^(٢):

كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي
لَبَسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ لَبَسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ
بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ حُوطٌ^(٤) بَانَ بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ حُوطٌ^(٤) بَانَ
وقوله^(٥):

كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِثْمًا كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِثْمًا
أَجْدُ الْجَفَاءِ عَلَى سِوَالِكِ مُرْوَةٍ أَجْدُ الْجَفَاءِ عَلَى سِوَالِكِ مُرْوَةٍ
وَأَزَى تَدَلُّكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا وَأَزَى تَدَلُّكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا
تَشْكُرُ زَوَادِكَ الْمَطِيئَةَ فَوْقَهَا تَشْكُرُ زَوَادِكَ الْمَطِيئَةَ فَوْقَهَا
وقوله^(٧):

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا
لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِيَّ هَجَرَ الْكَرَى لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِيَّ هَجَرَ الْكَرَى
بِنَا قَلْنَا حَلَيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا بِنَا قَلْنَا حَلَيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ
أَفْدِي الْمُوَدَّعَةَ الَّتِي أَنْبَعُثَهَا أَفْدِي الْمُوَدَّعَةَ الَّتِي أَنْبَعُثَهَا
وَأَلْدُ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَّا وَأَلْدُ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَّا
مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضَّنَى مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضَّنَى^(٨)
أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتَقَعْنَا تَلَوْنَا^(٩) أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتَقَعْنَا تَلَوْنَا^(٩)
أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ^(١٠) الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ^(١٠) الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا
نَظَرًا فَرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتِ نُنَا^(١١) نَظَرًا فَرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتِ نُنَا^(١١)

- (١) الصعدة: القناة التي نبتت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم، والسابري: الدرع العظيمة التي لا ينفذها شيء؛ وقيل السابري: الثوب الرقيق.
(٢) ديوانه (٣: ٣٢٢٢)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.
(٣) رواية الديوان: «ثرن»: أي أثاروها للرحيل.
(٤) الحوط: القضيبي، والعنبر: ضرب من الطيب.
(٥) ديوانه (٣: ٢٣٣)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.
(٦) الكحلاء: التي بعينها كحل. سولي؛ أي سؤلي، وأصله مهموز. والأجل: المدة.
(٧) ديوانه (٤: ١٩٥)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل.
(٨) الجرم: الذنب.
(٩) بنا: تفرقنا. وحليتنا: وصفتنا. وامتقع لونه: إذا تغير حياء أو خيفة.
(١٠) أراد أن تحترق. وأشفقت: خفت.
(١١) أراد «ثناء»، وقصر للفاية. كذلك سكن زفرات لضرورة الشعر.

أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً
ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(١)
وقوله^(٢):

إِلَامٌ^(٣) طَمَاعِيَّةُ الْعَاذِلِ
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ
وَإِنِّي لِأَعَشُّ مِنْ عَشِقِكُمْ
وَلَوْ زُلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبِكْكُمْ
أَيْنِكِرْ خُدْي دُمُوعِي وَقَدْ
أَوَّلُ دَمْعِ جَرَى فَوْقَهُ
وَهَبْتُ السَّلْوُ لِمَنْ لَأَمْنِي
كَأَنَّ الْجُفُونَ^(٧) عَلَى مُقْلَتِي
وقوله^(٨):

وَمَا عَشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأَجْبَةِ سَلْوَةٌ^(٩)
وإنَّ رَجِيلاً وَاحِداً حَالٌ بَيْنَنَا
إِذَا كَانَ سَمُّ الرُّوحِ^(١٠) أَدْنَى إِلَيْكُمْ
وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّراً
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا

(١) الديدن: العادة.

(٢) ديوانه (٣: ٢١)؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر استنقاذه تغلب بن داود من الأسر.

(٣) إلى: من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من «ما» استخفافاً، وكذلك يفعلون في: بم، فيم، عم. والطماعية: مصدر كالطمع.

(٤) يريد إن الطبيعة لا تنقاد لتأقلها، ولا تتأتى لمخالفتها.

(٥) في الديوان:

نحولسي وكل امرئ ناحل

(٦) المسلك السابل: الطريق الجادة.

(٧) في الأصلين: «جفوني».

(٨) ديوانه (٣: ٩٥)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

(٩) سلوة، منصوب بفعل محذوف تقديره: ما سلوتهم سلوة، أو بإسقاط حرف العجر، يريد عن سلوة. أو مفعول له.

(١٠) الروح: نسيم الرياح.

أَلَمْ يَرِ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكَ زُؤَيْتِي
لَقَيْتُ بِدَرْبِ الْقَلَّةِ^(١) الْفَجْرَ لُقَيْةً
وَبُومًا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عِلَامَةٌ
وقوله^(٢):

عَرَصَاتِهَا كَتَكَائِرِ اللَّوَامِ
تَبْكِي بِعَيْنِي عُزُورَةَ بِنِ حِزَامِ^(٣)
فِيهَا وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلَامِي
وقوله^(٤):

شَامِيَّةٌ^(٦) طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا
فَقَبَّلْتُ نَاطِرِي تَعَالِطُنِي
تَبْلُ خَدِّي كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ
مَا نَقَضَتْ فِي يَدِي عَدَائِرُهَا
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ^(٨) بِهِ
لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ^(٩) سَائِرَةٌ
كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُفْلَتَهَا
وقوله^(١٠):

أَوْمًا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً
مِمَّا أَرْقِرُقُ فِي الْفَرَاتِ دُمُوعِي^(١١)

(١) درب القلة: موضع ببلاد الروم.

(٢) ديوانه (٤ : ٧)، من قصيدة قالها في صباه.

(٣) عروة بن حزام: صاحب عفرأ، أحد العشاق المشهورين.

(٤) الكعاب: الكاعب، وهي الجارية التي قد كعب نهداها.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٧٠)؛ من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة.

(٦) شامية: نسبة إلى الشام. والمحيا: الوجه.

(٧) ما: يجوز أن تكون بمعنى الذي؛ فتكون مبتدأ خبره «جعلته»، وأن تكون شرطية. والغدائر:

الضفائر. والدمام: الخمر. وأفواه الطيب: أخلاطه. يقول: ضفائرها لكثرة الطيب فيها ينتفض

الطيب منها، فالذي ينتفض علي منها من الطيب يطيب به الخمر.

(٨) الحجال: جمع حجلة، وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس.

(٩) الحمول: الإبل التي تحمل الهودج؛ كان فيها نساء أو لم يكن.

(١٠) ديوانه (٢ : ٢٤٨)، من أبيات قالها في صباه.

(١١) الصرارة: نهر يأخذ من الفرات، فيسكب في دجلة. وقرق الماء: إذا صبه.

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحَلَتِي فَكَأَنَّمَا
وَقَوْلُهُ (١) :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى
مَا كُنْتُ أَمَلُّ قَبْلَ نَعْيِكَ أَنْ أَرَى
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَالِكٍ خَلْفَهُ
وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ
وَحَفِيفٌ أَجْتَحَهُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ
حَتَّى أَتَوْا جَدْنَا (٧) كَأَنْ ضَرِيحَهُ
كَفَلَ الشَّنَاءُ لَهُ بَرْدَ حَيَاتِهِ
وَقَوْلُهُ (٨) :

تَفَرَّ إِذَا غَابَتْ عُموذُ سُيوفِهِمْ
وَقَوْلُهُ (٩) :

وَمَنْ لَمْ يَعْشِقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا!
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ (١٠) حَتَّى
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ
وَهَانَ (١٢) فَمَا أَبَالِي بِالرَّرَايَا
وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِمِينَ طُرًّا

- (١) ديوانه (٢ : ١٢٩)، من قصيدة يرثي فيها محمد بن إسحاق التوخي.
- (٢) تغور: تذهب وتختفي.
- (٣) رضوى: اسم جبل في المدينة؛ شبه المرثي به لعظمته وفخامة قدره.
- (٤) الطور: جبل كلم الله موسى عليه.
- (٥) الواجفة: المضطربة، وتمور: تذهب وتجيء.
- (٦) الملائك: جمع ملك على غير قياس. وصور: جمع أصور، وهو المائل.
- (٧) الجدث: القبر.
- (٨) ديوانه (٢ : ١٣٣)، من القصيدة السابقة.
- (٩) ديوانه (٣ : ٨)، من قصيدة يرثي فيها والده سيف الدولة.
- (١٠) الأرزاء: جمع رزء، وهي المصيبات. والغشاء: ما يغطي الشيء ويشمله.
- (١١) النصال: جمع نصل، وهي الحديدية التي في السهم.
- (١٢) أضمر الفاعل لدلالة الكلام عليه، والتقدير: وهان رمي الدهر، لدلالة قوله: رمانى الدهر.

كَأَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسِ
صَلَاةِ اللَّهِ خَالِقَنَا حَنُوطًا^(١)
عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّزْبِ صَوْنًا
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصًا
وفيها:

أَتْتَهُنَّ الْمَصَائِبُ^(٣) غَافِلَاتٍ
وَلَوْ كَانَ النُّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
وقوله^(٥):

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا
لَكَ إِلْفٌ^(٦) يَجْرُهُ وَإِذَا مَا
وَوَفَاءٌ نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعُ
أَيْنَ ذِي الرَّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَزَنِ
أَيُّنَ خَلَفْتَهَا عَدَاةٌ لَقِيَتْ الرَّ
فَاسَمْتِكَ الْمَسُونُ شَخْصِينَ جَوْرًا
فَإِذَا قَسَنْتَ مَا أَخَذَنْ بِمَا عَا
وَتَيَمَّمْتِ أَنْ حَظُّكَ أَوْفَى
وَلَعَمْرِي لَقَدْ شَعَلْتَ الْمَنَايَا

- (١) الحنوط: طيب يستعمل في غسل الميت.
(٢) رفع «ذكرناه» بجديد؛ ووضع الضمير المتصل مكان المنفصل كما في قوله تعالى:
«أَنْزَلْنَاهَا»
(٣) رواية الديوان:

أَتْتَهُنَّ الْمَصِيبَةَ غَافِلَاتٍ

- (٤) في الأصلين: «مع».
(٥) ديوانه (٣: ١٢٤)، من قصيدة يعزي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى، ويسليه بالكبرى.
(٦) الإلف: السكون إلى الشيء والغبطة به، يجره: يسحب إليك الحزن.
(٧) الاستهلال: الانسكاب.
(٨) صل الحديد: إذا صوت.
(٩) تفلّى: تفصل.
(١٠) في الديوان: «أغدرن»، وهو مثل غادرن. وسرى: أذهب. وسلى: عزي.

وكم انتشتت بالسيف من الدهن^(١)
 عدتها نضرة عليه فلما
 وإذا لم تجد من الناس كفواً
 ولذيذ الحياة أنفس في التـ
 وإذا الشيخ قال أف فـمـمـمـم
 آله العيش صححة وشباب
 أبداً تسترد ما تهـبـ الدهن
 وهي مغشوقة على العذر لا تحـ
 كل دمع يسيل منها عليها
 شيم الغانيات فيها فلا أذ
 يا مليك الورى المفرق مخياً
 قلد الله دولة سيفها أنـ
 فيه أغنت الموالى بذلاً
 أيها الباهر العقول فما يـ
 من تعاطى تشبهاً بك أغيا
 وإذا ما انتهت خلودك ذاع
 وقوله^(٦):

النوم بعد أبي شجاع نافر
 إني لأجبن من فراق أحبتي

والليل مغي^(٧) والكواكب ظلع
 وتحس نفسي بالحمام^(٨) فأشجع

- (١) انتاشه من صرعة؛ إذا نعشه.
- (٢) في الأصلين: «صار».
- (٣) الضمير في رآه للدهر. صال: وثب. والتبل: الحقد والعداوة. والختل: افتراس الشيء على خديعة وحين غفلة.
- (٤) الشيم: الطبايع. والغانيات: النساء الشواب. يريد أن الدنيا طبعها طبع الغواني؛ لا تصونه وداً، ولا تقيم عهداً.
- (٥) في الديوان:

قال لا زلت أو نسرى لا مثلاً

- (٦) ديوانه (٢: ٢٦٨)؛ من قصيدة يرثي فيها أبا شجاع فانكا. وذلك بعد أن خرج من مصر.
- (٧) معي: من إعياء الماشي وهو كلاله، والطلع: التي تغمز في مشيها عرجا.
- (٨) الحمام: الموت.

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً
تَضْفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
وقوله (٤):

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا
تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا
فَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءَ عُنُضَرَهَا
وما (٧) ذَكَرْتُ جَمِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا
فَلَا تَنَلُكَ اللَّيَالِي إِذْ أَيْدِيهَا
وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وَرِيماً احْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا
وما قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَّائَتَهُ (١٠)

فَزِعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي
وَالْبُرْدُ (٥) فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ
فَإِنْ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَيْبِ (٦)
إِلَّا بِكَيْفِيَّتِ، وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبِ
إِذَا ضَرَبْتُمْ كَسْرَنَ النَّبْعِ بِالْغَرَبِ (٨)
فِيئْتُهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ (٩)
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ
وَلَا انْتَهَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبِ

- (١) يريد أنه لا يلين لأعدائه إذا غضبوا؛ بل يزيد قسوة عليهم، ويجزع عند عتب الصديق، فيلين له وينقاد.
- (٢) يسومها: يكلفها؛ أي وتصفو الحياة لمن يغالط نفسه في حقيقة الموت، ويمنيها السلامة والبقاء فتطمع في المحال، ولا تبالي بما ترى من العبر.
- (٣) تفرع: تضرب، ورعت: أخفت. يقول: إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء، فهو سلاح عليك لا لك.
- (٤) ديوانه (١: ٨٧). كانت قد توفيت أخت سيف الدولة بميفارقين، وورد خبرها إلى الكوفة؛ فقال المتنبّي قصيدة يرثيها، ويعزيه بها، وكتب بها إليه من الكوفة.
- (٥) البرد: جمع بريد، وهو الرسول، وسكن الراء على لغة تميم.
- (٦) تغلب الغلباء: إن كانت من تغلب الغالبين الناس لشجاعتهم وعزهم فإنها أفضل منهم.
- (٧) في الديوان: «ولا». أي بكيت لمودتي إياها، ولكل مودة سبب، وسبب مودتي ما ذكرت من صنائعها.
- (٨) النبع: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي. والغرب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار؛ أي لا أصابتك الليالي بسوء؛ فإنها تغلب القوي بالضعيف.
- (٩) يعن، من الإعانة، والضمير لليالي، والخرب: ذكر الحبارى.
- (١٠) الليانة: الحاجة، وكذلك الأرب.

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهَجَّتِهِ
وقوله (١):

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ (٢) فَمَا بَالُنَا
تَبَخَّلُ أَيْدِينَا بِأَزْوَاجِنَا
فهذه الأرواح من جَوْه
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى
لَمْ يَرِ قَرْنُ (٤) الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ
يَمُوتُ رَاعِي (٥) الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ
وربما زاد على عُمُرِهِ
وَعَايَةُ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ
حَاشَاكَ أَنْ تَضَعْفَ عَنْ حَمَلِ مَا
وقوله - يرثي جدته (٩):

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتَ بِنَا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السَّرُورُ فَإِنِّي
تَعَجَّبُ مِنْ حَظِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا (١٠)
وَتَلَسَّمَهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ
رَقًا (١٣) دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا

- (١) ديوانه (١: ٢١١)، من قصيدة يرثي بها عمه عضد الدولة، ويعزیه فيها.
(٢) في الديوان: «الموتى».
(٣) في الديوان: «هي».
(٤) قرن الشمس: أول ما يبدو منها.
(٥) يريد براعي الضأن: أحقر القوم وأجهلهم.
(٦) الضمير في عمره يعود إلى جالينوس. السرب هنا: النفس، والضمير في «زاد» يعود إلى الراعي.
(٧) أفرط في الأمر: جاوز الحد فيه.
(٨) السائر: الذي حمل إلى أبي شجاع عضد الدولة الكتاب بوفاتها.
(٩) ديوانه (٤: ١٠٤).
(١٠) في الأصلين: «كأنما».
(١١) الغراب الأعصم: الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وهو قليل الوجود.
(١٢) اللثم: التقبيل. وسحما: سودا.
(١٣) رقا الدم والدمع: إذا انقطع، وأصله الهمزة.

أَشَدُّ مَنْ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا^(١)
فقد صارت الصُّغْرَى التي كانت العُظْمَى
ولكن طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى

لَأَخُوكِ نَمَّ أَرْقٌ مِنْكَ وَأَرْحَمُ
أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ
وَلَوْ أَنَّهَا الْأَوْلَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ^(٢)
فَالشُّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلْتُمُ
يَقْقًا^(٥) يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَغْصِمُ
يَسْسَى الَّذِي يُوَلَّى وَعَافٍ يَنْدَمُ
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
ذَا عِقَّةٍ فَلِعِالَّةٍ لَا يَظْلِمُ
عَنْ جَهْلِهِ^(٨) وَخِطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ

مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ
تَحْتَ الْعُلُوجِ^(٩) وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ
مَطْرُوفَةٌ أَوْ قَتَّ فِيهَا حِضْرِمُ
قِرْدٌ يُقْمَهْقَهُ أَوْ عَجُورٌ تَلْطِمُ
حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ

وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا الْمَتَايَا، وَإِنَّمَا
وَكُنْتُ قَبِيلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
وَمَا انْسَدَّتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضَيْقِهَا
وقوله^(٢):

يَا أُخْتِ مُعْتَبِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى
يَزْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ
رَاعَتُكَ زَائِعَةُ الْبَيَاضِ بَعَارِضِي
لَوْ كَانَ يُمَكِّنِي سَفَرْتُ^(٤) عَنِ الصَّبَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى
وَالنَّاسُ قَدْ تَبَدَّوْا الْحِفَاطُ^(٦) فَمُطْلَقُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
الظُّلْمُ مِنْ شَيْمٍ^(٧) الثُّفُوسُ فَإِنْ تَجِدُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي
ثم هجا وقال:

يَحْمِي ابْنُ كَيْفَلِغِ الطَّرِيقِ وَعِرْسُهُ
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ
وَجُفُورُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ
يَقْلِي مُفَارَقَةَ الْأُكْفِ قَدْ أَلَهُ

(١) يقول: لم يسلبها عني إلا الموت، والموت الذي أذهب سقمها بالحزن لأجلي كان أشد من السقم.

(٢) ديوانه (٤: ١٢٢)، في هجاء ابن كيفلغ.

(٣) الرائعة: التي تروح الناظر. والأسحم: الأسود. والعارض: ما يلي الخد.

(٤) سفرت: أظهرت وكشفت. والتلمم: ستر الوجه.

(٥) أبيض يقق: شديد البياض.

(٦) الحفاظ: المحافظة على العهود وغيرها، وعاف: من العفو عن الإساءة.

(٧) الشيم: جمع شيمة وهي الخليقة. وفي الأصلين: «فالظلم».

(٨) لا يرعوي: لا يقلع. ورواية الديوان:

عن غيبه وخطاب من لا يفهم

(٩) العلوج: جمع علج، وهو الرجل الأعجمي، والحمار الوحشي.

وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
وَقَوْلُهُ (١):
وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً
أَمْ أَذُنُهُ فِي يَدِ التُّخَّاسِ دَامِيَةً
وَقَوْلُهُ (٢):
أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ (٢)

وَأَسْوَدُ أَمَّا الْقَلْبُ مِنْهُ فَضَيِّقُ
يَمُوتُ بِهِ غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ
إِذَا مَا عَدِمْتَ الْأَضْلَ وَالْعَقْلَ وَالنَّدَى
وَقَوْلُهُ (٥):
نَخِيبٌ (٤) وَأَمَّا بَطْنُهُ فَرَحِيبُ
كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتَكَ وَشَبِيبُ
فَمَا لِحَيَاةٍ فِي جَنَابِكَ طِيبُ

كَأَنَّ مَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ
نَائِرُهُ نَائِرُ السُّيُوفِ دَمًا
وَالْحَيْلُ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا
فَلْيُرْنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَايَدُهُ
وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرًا مَا نَشَرْتُ
بَخْرَ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَّمَا (٦)
وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا
وَالشُّعْمَ السَّابِغَاتِ وَالنُّقْمَا
أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهَا (٧) سَلِيمًا
وَإِنَّمَا عَوَّدَتْ بِكَ الْكَرْمَا (٨)



(١) ديوانه (٢: ٤٦)، من قصيدة قالها عند خروجه من مصر، يهجو فيها كافوراً.

(٢) الصيد: جمع أصيد، وهم الملوك ذوو الكبرياء.

(٣) لم نقف عليها في ديوانه.

(٤) النخيب: الجبان.

(٥) ديوانه (٤: ١٦٤)، من أبيات يمدح فيها عضد الدولة، وكان قد نشر ورداً.

(٦) العنم: شجر له ثمر أحمر؛ يشبه به بنان الجوارى.

(٧) يروى «جوده»؛ قال في التبيان: «من رواه مذكراً رجع إلى الممدوح، ومن رواه مؤنثاً رجع إلى اليد». والضمير في «منه» يعود إلى الورد.

(٨) يقول: قل للورد لست خيراً مما نثرت يده، وإنما جعلك - حين نشرك - عوذة للكرم.

حسن التخلص والخروج

ومن حُسن التخلص وحسن الخروج قوله^(١):

حَدَقَ يَذْمُ^(٢) مِنَ الْقَوَائِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْمَاعِيلًا
وقوله^(٣):

وَهَزُّ أَطَارِ السُّؤْمِ حَتَّى كَأَنِّي مِنْ السُّكْرِ فِي الْعَرَزِينَ ثَوْبُ شُبَارِقُ^(٤)
شَدَّوْا بَابِنِ إِسْحَاقِ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كَيْرَانُهَا وَالسُّمَارِقُ^(٥)
وقوله^(٦):

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِنِيهَا^(٧) فَفُلْتُ لَهَا مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا
فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلْمُعِيثِ يُرَى لَيْتَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلِ إِذَا انْتَسَبَا
وقوله^(٨):

وَحُبِيثٌ مِنْ خُوصِ الرُّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ^(٩) فَعَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا
حَالًا مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا

(١) ديوانه (٣: ٢٣٥).

(٢) يذم: يحير ويعطي الذمام، وأذمه: أجاره.

(٣) ديوانه (٢: ٣٤٤).

(٤) الهز: التحريك والإزعاج. أراد بالسكر: النعاس. الغرز: ركاب من خشب، وقيل: من جلد للإبل خاصة. الشبارق: الخلق المقطع.

(٥) الذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين، والجمع ذفريات وذفارى. والكيران: جمع كور، وهو الرحل، والنمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة تحت الراكب وغيره. أراد ما يكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز.

(٦) ديوانه (١: ١١٢).

(٧) الترب: اللدة، والشادن من الظباء وغيرها: الذي شدن قرنه وقوي وترعرع.

(٨) ديوانه (١: ١٢٥).

(٩) الخوص: جمع خوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدارش: ضرب من الجلود، وهو من جلد الضأن، يريد: بدلت من خوص الركاب بخف أسود من رديء الجلود، وأنا ماش راكب.

وقوله^(١):

جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذُ خَالِصٍ
حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رُؤُ
مَمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورٌ كَامِلٌ
يُثُّهُ الْمُتَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ^(٢)

وقوله^(٣):

وَمَقَانِبٍ^(٤) بِمَقَانِبٍ عَادَرْتُهَا
أَقْبَلْتُهَا^(٥) عُرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا
أَقْوَاتٌ وَخَشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَيْدِي بَنِي عَمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا

وقوله^(٦):

وَعَيْنٌ ظَنُّنَا تَحْتَهُ أَنْ عَامراً^(٧)
وَقَوْلُهُ^(٨):

إِذَا ضَلُّتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكِ
وَإِلَّا فَخَاثَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَنِي
وَأَنْ قَلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ
عَنْ ابْنِ عَبِيدِ اللَّهِ ضَعْفُ الْعَزَائِمِ

وقوله^(٩):

وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ التُّضَارِ
ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلٍ^(١٠)
وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ^(١١)

وقوله^(١٢):

تَوَدَّعِهِمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ
قَنَا ابْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبٍ فَيَلْقَى^(١٣)
وَقَوْلُهُ^(١٤):

وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارَ صَيْرَ ظَهْرَهَا
إِلَّا إِلَيْكَ عَلِيٌّ ظَهَرَ حَرَامِ
وَقَوْلُهُ^(١٥):

كَلِمَا رَحِبْتُ بِنَا الرُّوَضِ قُلْنَا
حَلَبٌ قَضَدْنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ

(١) ديوانه (٣ : ٢٥٤).

(٢) الهائل : المهيب المخيف .

(٣) ديوانه (١ : ٢٢٨).

(٤) المقانِب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

(٥) الضمير في أقبلتها للمقانب . وأقبلته الشيء : إذا وجهته إليه .

(٦) ديوانه (٢ : ١٥٣).

(٧) يريد عامراً الأنطاكي جد الممدوح . والقصيدة في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي . وقبر معطوف على خبر إن .

(٨) ديوانه (٤ : ١١٢).

(٩) ديوانه (٣ : ٢٣).

(١٠) أبو وائل : هو تغلب بن داود ، وهو ابن عم سيف الدولة .

(١١) القنا الذابل : الرقاق . (١٢) ديوانه (٢ : ٣٠٨).

(١٣) أبو الهيجاء : والد سيف الدولة ، والفيلق : الكتبية الشديدة .

(١٤) ديوانه (٤ : ٩).

(١٥) ديوانه (٣ : ١٥٣).

فِيكَ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(١)
وَالْمُسَمَّمُونَ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
وقوله^(٢):

لَوْ أَنَّ فَنَّاخُسَرَ^(٣) صَبَّحَكُم وَبَرَزْتِ وَخَذَكِ عَاقَهُ الْعَزَلُ
مَا كُنْتَ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمَلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ
أَتَمُّعِينَ قَرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَسْبِذِينَ لَهُ الَّذِي بَسَلُ
بَلْ لَا يَحُلْ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بُخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ

المستكره من تخلصه

ولعلك لا تجد له تخلصاً مستكرهاً إلا قوله^(٤):

أَحَبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيرًا أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيْعًا
وقوله^(٥):

فَأَفْتَى وَمَا أَفْنَتْهُ^(٦) نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ
وقوله^(٧):

لَوْ اسْتَطَعْتُ زَكَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُغْرَاتًا^(٨)
وقوله^(٩):

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَى^(١٠) سَرَجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيْسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وَبَخْرُ أَبُو الْمُسْكَ الْخِضْمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَخْرٍ زَخْرَةٌ وَعُجَابُ^(١١)
فهي وإن لم تكن حسنة مختارة، فليست من المستهجن الساقط.

ابتدائه

ومن عاب من ابتدائه مثل قوله^(١٢):

كُفِّي أَرَانِي وَنِكَ لَوْمِكِ أَلْوَمَا^(١٣)

- (١) الوجيف والذميل: ضربان من السير سريعان. (٢) ديوانه (٣: ٣٠٢).
(٣) فناخسار: من أسماء الديلم، وهو اسم عضد الدولة، وصيحهكم: أتاكم صباحاً للغارة.
(٤) ديوانه (٢: ٢٥٣). (٥) ديوانه (٢: ٢٨٤).
(٦) الضمير في: أفنته عائد على الضنى في البيت قبله، والكهف: الموضع الذي يمنع ويعصم من يأوي إليه.
(٧) ديوانه (٤: ٢٢٤). (٨) البعران: جمع بعير.
(٩) ديوانه (١: ١٩٣).
(١٠) الدنى: جمع دنيا، والسابح من الخيل: الشديد الجري.
(١١) الخضم: الكثير الماء، والزخر: تراكب الماء. وعباب البحر: شدته وقوته.
(١٢) ديوانه (٤: ٢٧).
(١٣) وبقية البيت: هم أقام على فؤاد أنجما

وقوله (١):

هذي بَرَزْتِ لَنَا فَهَجَّتِ رَسِيْسَا ثم انثَنَيْتِ وما شَقَيْتِ نَسِيْسَا (٢)

وقوله (٣):

أَوْهَ بَدِيْلٍ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا (٤) لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيْلُ ذِكْرَاهَا
وَاسْتَبْرَدَ قَوْلُهُ (٥):

أُمْسَاوِرٌ (٦) أَمْ قَزْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْتُ غَابَ يَثْدُمُ الْأَسْتَاذَا
وقوله (٧):

إِثْلِيكَ فَيَأْتَا أَيُّهَا الطَّلَلُ (٨)

وقوله (٩):

أَحَاذٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَاذٍ (١٠)

وقوله (١١):

مُلِيْتُ (١٢) الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعاً

وقوله (١٣):

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ ارْتِحَالَا وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُوا (١٤) لَا الْجَمَالَا
وقوله (١٥):

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتُهَا

(١) ديوانه (٢: ١٥٣).

(٢) هذي: يا هذه. والرسييس: ما رس في القلب من الهوى؛ أي ثبت. والنسييس: بقية النفس.

(٣) ديوانه (٤: ٢٦٩).

(٤) أوه: كلمة توجع، وواها: كلمة تعجب.

(٥) ديوانه (٢: ٨٢).

(٦) مساور: هو الممدوح، وهو ابن محمد الرومي. والأستاذ هو الوزير في لغة بعض أهل الشام.

(٧) ديوانه (٣: ٢٩٩).

(٨) بقية البيت:

نيسكي وترزم تحتنا الإبل

(٩) ديوانه (١: ٣٥٣).

(١٠) بقية البيت:

لييلتنا المنوطة بالتناد

(١١) ديوانه (٢: ٢٤٩).

(١٢) الملت: اللدائم المقيم، وبقية البيت:

وإلا فاسقها السم النقيعا

(١٣) ديوانه (٣: ٢٣١).

(١٤) زموا الجمال: خطموها بالأزمة.

(١٥) ديوانه (١: ٢٢٥).

وقوله^(١):

أنا لَأَيْمِي إِنْ كُنْتُ وَقَتَّ اللَّوَائِمِ

وقوله^(٢):

مَبِيَّتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاةً لِي بِحَرِّ حَشَايِ حَاشِي

وقوله^(٣):

وفاؤكُما كالزَّيْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

واستقيح افتتاحه مخاطبةً ملك^(٤) بقوله^(٥):

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنيا أن يكن أمانياً

وضرب له الأمثال، فروى له خبر ذي الرُّمة حين استنشدته بعضُ الملوك من بني أمية - ويقال: إنه عبدُ الملك بن مروان - فأنشده قوله^(٦):

ما بال عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ

فقال: وما سؤالك عن هذا يا ابن اللُّخَاء! وأمر بإخراجه. وكانت عينُ الممدوح بها علة فدمعها لا يستمسك. وأنا أرتابُ بهذا الخبر، ولا أظنه ثبتاً.

وخبر أبي حَكِيمَةَ لما استنشدته أبو ذُلْفُ بعضُ ما وصف به هته، فأنشده:

ألا ذهب... الذي كنت تعرف

فقال: أم الأبعد به أعرف.

حسن ابتداءاته

فَلْيَعْتَفِرْ ذَلِكَ لَهُ لِقَوْلِهِ^(٧):

أَتْرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحْسِبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاقِي

فإنه ابتداءٌ ما سُمِعَ مثله، ومعنى انفراداً باختراعه، وقوله^(٨):

على قَدْرِ أَهْلِ الْعِزْمِ تَأْتِي الْعِزَائِمِ

(١) ديوانه (٤: ١١٠) وتامه:

علمت بما بي بين تلك المعالم

(٢) ديوانه (٢: ٢٠٧).

(٣) ديوانه (٣: ٣٢٥) وتامه:

بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

(٤) ديوانه (٤: ٢٨١).

(٥) يمدح كافورا.

(٦) الجهمرة ص ٣٦٠، وتامه:

كأنه من كل مفرية سرب

(٧) ديوانه (٢: ٣٦٢).

(٨) ديوانه (٣: ٣٨٧) وتامه:

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقوله^(١) :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوْلُّ وَهْيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَتَنْفَسٍ مِرَّةً بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

وقوله^(٢) :

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَةُ^(٣) سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّغْنُ فِي الْعِدَا

وقوله^(٤) :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْنَا كَرْبَا

وقوله^(٥) :

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْتَسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكْلُ فَصِيحٍ قَالَ شِغْرًا مُتَيِّمٌ

وقوله^(٦) :

أَيْسَدْرِي السَّرْبُوحُ أَيُّ دَمٍ أَرَا قَا

وقوله^(٧) :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَعْلَبُ

وقوله^(٨) :

حَاشَى الرَّقِيبِ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَعَغِيضُ الدَّمْعِ فَانْهَلَتْ بِوَادِرُهُ^(٩)

وقوله^(١٠) :

سِرْحَلٌ حَيْثُ يَحُلُّهُ الشُّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ

وقوله^(١١) :

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ

(٢) ديوانه (١ : ٢٨٦).

(١) ديوانه (٤ : ١٧٤).

(٣) في الأصلين : «عادات» تحريف.

(٤) ديوانه (١ : ٥٦)، وتماهه :

فلنك كنت الشرق للشمس والغربا

(٥) ديوانه (٣ : ٣٥٠).

(٦) ديوانه (٢ : ٢٩٤) وبقيته :

وأبي قلوب هذا الركب شاقا

(٧) ديوانه (١ : ١٧٦)، وبقيته :

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

(٨) ديوانه (٢ : ١١٥).

(٩) حاشاه: توقاه. وغيض الدمع: نقصه وحبسه. وانهلته: انصبت. والبيادر: السوابق.

(١٠) ديوانه (٢ : ٨٦).

(١١) ديوانه (٣ : ٣٤)، وبقيته :

والطعن عند محبيهن كالقبل

والأسل: الرماح.

وقوله^(١):

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِيَدَا الزَّمَنِ

وقوله^(٢):

فَوَادَّ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ وَعُمُرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّئَامُ

وقوله^(٣):

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمْ غَدٌ

وأمثال ذلك إن طلبته هداك إلى موضعه، وإذا التمسته ذلك على نفسه. وهذه أفراد أبيات منها أمثالٌ سائرة، ومنها معانٍ مستوفاة، لم تجد في أخواتها، وجارات جنبها ما يصلح لمصاحبتها. ولعل أكثرها، أو معظم ما أثبت منها، وكثيراً مما ذكر في درج ما تقدمها من اللُّمع المختارة، مختارة المعاني مفرعة المذاهب. وليس لك أن تلزمني تمييز ذلك وإفراذه والتنبية عليه بأعيانه كما فعله كثير ممن استهدف للألسن، ولم يحترز من جنابة التهجم؛ فقال: معنى فرد، وبيت بديع، ولم يُسبق فلان إلى كذا، وانفرد فلان بكذ؛ لأنني لم أدع الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر؛ بل لم أزعم أنني نصفتُه سماعاً وقراءة، فدع الحفظ والرواية. ولعل المعنى الذي أسمه بهذه السمة، والبيت الذي أضيفه إلى هذه الجملة في صدر ديوان لم أتصفحه؛ أو تصفحته ولم أعثر بذلك السطر منه، أو عساني أن أكون رويته ثم نسيته، أو حفظته لكنني أغفلت وجه الأخذ منه، وطريقة الاحتذاء به.

ضياح كثير من الشعر

وإنما أجسر في الوقت بعد الوقت فأقدم على هذا الحكم انقياداً للظن واستنامة إلى ما يغلب على النفس؛ فأما اليقين الثقة، والعلم والإحاطة فمعاد الله أن أدعيه! ولو ادعيته لوجب ألا تقبله، مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحفظ، وخمول أكثر ما قيل، وضياح جل ما نُقِل. وأظنك قد سمعت أو انتهى إليك أن البحري أسقط خمسمائة شاعر في عصره، فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري؟ وما يدريني ما فيها؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها، ومقتبس منها؟ وهؤلاء المُحدثون الذين شاركونا في الدار والبلد، وجاورونا في العصر والمولد. فكيف بمن

(١) ديوانه (٤: ٢٠٩)، وبقيته:

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٢) ديوانه (٤: ٦٩).

(٣) ديوانه (١: ٣٢٧)، والعهد: اللقاء. وأين سؤال عن المكان، فلو قال: متى الموعد؟ أو أين الوعد؟ لكان أليق.

بَعْدَ عَهْدِهِ، وَقَدَّمَ زَمَانَهُ، وَتَنَاسَخَتْ الْأُمَمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ!

زعم بعض آل الزبير أنه زار عُرْوَةَ بن الزبير ذات يوم، فسأله عما يُعْنَى بطلبه من العلوم، فقال: قلت: الشعر. فقال: لأبي قبائل العرب أنت أروى! فقلت: لبني سُليْم، فأنتشدني لعدة أكثرها من بني سُليْم، ولم أعرف واحداً منهم.

وقد ذكر الأصمعي عن كِرْدِينِ الْمِسْمَعِيِّ^(١): أن فتية من الحي أتوا أبا ضَمْضَمَ الراوية، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: أتيناك نتحدث. قال: كذبتكم. قلت: خرف الشيخ، هلموا نتغفله. ثم أنشدهم لمائة أو ثمانين شاعراً، كلهم يسمى عمراً. قال الأصمعي^(٢): فجهدنا أن نتم ثلاثين شاعراً يسمى عمراً، فلم نجد.

وزعم الأصمعي أيضاً أن إخوة من بني سعد يسمون مُنْذِرًا، ومُنْذِرًا^(٣)، ونذيراً، كانوا رجلاً، فلم يهبطوا الأمصار، فذهبت أشعارهم. وأن أرجوزة رُؤْبَةِ الْقَافِيَةِ^(٤) التي هي قِلاذته، وعين شعره لنذير^(٥).

وقد يرى في أشعار القبائل الأبيات تُنسب إلى الرجل المجهول الذي لم يُرَوْ له غيرها، ولا يعرف له اسم إلا بها؛ وكأن النفس تشهد أن مثلها لا يكون باكورة خاطر، ولا تسمع بها القريحة إلا بعد الذرية وطول الممارسة، ومن ذا يسمع قول الهذلي:

أبو مالك قاصِرَ قُفْرِهِ على نفسه ومُشِيخِ غِنَاهُ
إذا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ ومهما وَكَلَّتْ إليه كِفَاهُ

فيشك أنها تُنْذِرُ قَلْتَهُ، وتُضْذِرُ بَعْتَهُ، وأن لها مقدمات سهلت سبيلها، وأخوات قرّبت مأخذها؛ وهي في شعر الهذليين أبيات لم يُرَوْ لشاعر غيرها.

وقد كان قدم مكة أيام مقامي بها شيخٌ بَدَوِيٌّ من بني عامر بن ربيعة؛ يدعى مطرف بن سفيان، فأنتشدنا قصيدة مدح بها جعفر بن محمد الحسني وجدتها متنافرة الأبيات، مختلفة الأطراف، بين عَيْنِ نادر، ومتوسط متقارب، وضعيف ساقط؛ فكنت كالمتعجب لما أراه من اضطرابها، وظهور تفاوتها؛ وامتحنْتُ الشيخ فوجدتُ شعره إلى الضعف ما هو؛ فنحن كذلك إذ أتانا بعض مَنْ كان بقرّبه من أصحابنا، فسألناه عن

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤. وهو مسمع بن عبد الملك بن مسمع البعري. كان أخبارياً، وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى.

(٢) الذي في الشعر والشعراء. قال الأصمعي: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين.

(٣) في الأصلين: «ومنذرا»، وهذا عن الشعر والشعراء.

(٤) أولها:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

(٥) في الشعر والشعراء: «منتذر».

العامري فأثبتته^(١) معرفة، وذكر أنه حضر الحيّ وقت تأهبه للوفادة، فرآه في نادي القوم، وقد جمع فتيان الحلّة، وأحداث القبيلة، فقال: إن شيخكم يريد امتداح هذا الشريف بمكة، فزوّدوه! فزوّدَه كلُّ رجلٍ منهم البيتين والثلاثة، ثم نظمها قصيدة، وإذا سبُّ ذلك التباين تفاضلُ القرائح، واختلافُ الأفكار والهواجس.

فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدة من يقرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول، والأمر مُدْبِر، وأكثر العرب مستعجم؛ فما ظنُّكَ بهم والعربُ عرب، والدارُ خالصة لهم، والحضْر بعيد منهم، وأسبابُ الفساد منقطعة عنهم! وهل يُمكن مع هذه الأحوال إحصاء المقرر المتوسّع^(٢)، فضلاً عن المُقِلّ المتطرّف! أفتستجيز لي على ما تراه أن أتسرع ولا أتحرز، وأعجل ولا أتلبّث؟ كلا؛ بل أفضل لك بين المراتب والمقادم، وأعزل لك المقدم عن المؤخر، وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد؛ فإن ألحقت به المأخوذ المُسترق فلبعض الأغراض المتقدمة: أو لزيادة فيه مستحسنة، فأسلم من تورط المسترسيل، ولا أقف موقفَ المتكلّف.



(١) أثبتته: عرفه حق المعرفة.

(٢) كذا في الأصلين.

أفراد من شعره

فمن تلك الأبيات قوله^(١) :

وكنث إذا يمتت أرضاً بعيدةً سرئت فكنث السرَّ والليل كاتمه



أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يُغري بي^(٢)



قفي تغرم الأولى من اللحظ مهجتي بثانية والمثلف الشيء غارمه^(٣)



ضربن إينا بالسياط جهالةً فلما تعارفنا ضربن بها عنا^(٤)



لو كنت عضراً منبتاً زهراً كنت الربيع وكانت الوزدا^(٥)



وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأضعب من أن أجمع الجد والفهما^(٦)



وأسمع من أفاظه اللعة التي يلدُّ بها سمعي وإن ضمنت شمي^(٧)



(١) ديوانه (٣ : ٣٤٠). (٢) ديوانه (١ : ١٦١).

(٣) ديوانه (٣ : ٣٣٠). غرم ما أتلغه: لزمه أداءه.

(٤) ديوانه (٤ : ١٦٧). قال أبو الفتح: «كانت خيل الروم قد رأت خيلاً لسيف الدولة فظنوهم روما، فأقبلوا نحوهم مسترسلين، فلما تحققوا الأمر ولوا هارين.

(٥) ديوانه (١ : ٣٢٦)، والعصر: الدهر.

(٦) ديوانه (٤ : ١٠٨)، والجد: الحظ.

(٧) ديوانه (٤ : ٥٣).

ولا تُشْكِرُ عَضْفَ الرِّيحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلَّ ضَيْفٍ بَاتٍ عِنْدَ سِوَارٍ^(١)



دُعَيْتُ بِتَقْرِيبِيكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ اسْمِي^(٢)



كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونَ وَقَدْ طُبَعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٣)
وَقَدْ صُغِّتَ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُزْنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ



بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتَهَا أُمَّمٌ تُزْعَى بِعَبْدٍ كَانَهَا عَنَّمُ^(٤)
يَسْتَخْشِنُ الْحَزَّ حِينَ يَلْمَسُهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظَفْرِهِ الْقَلَمُ



مَا لَ كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَزُقُّبُهُ فَكَلِمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا^(٥)



مَا زَالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدْقِ يُنْحَلُّهَا وَالسُّقْمُ يُنْحَلُّنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي^(٦)



فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَيْلِكَ الدُّرُّ يُخْفِيهِ النَّظَامُ^(٧)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ



- (١) ديوانه (٢ : ١١٤)، وسوار: اسم المهجو.
(٢) ديوانه (٤ : ٥٧). والتقريظ: مدح الرجل حيا، والتأيين: مدحه ميتا. يقول: قد عرفت بالشاء عليك؛ حتى صار كأنه اسم لي.
(٣) ديوانه (١ : ٣٦٠)، والهام: جمع هامة، وهي الرأس، والهيجا: الحرب.
(٤) ديوانه (٤ : ٥٩)، يمدح علي بن إبراهيم التنوخي.
(٥) ديوانه (١ : ١١٧)، والمجتدي: السائل.
(٦) ديوانه (١ : ٣٤٩)، وفي الأصلين:

والصبر ينحلني حتى حكمت جلدي

الهزيم: الذي لا يستمسك، والضمير في «ينحلها» يعود على الديار في البيت قبله وهو: ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد
(٧) ديوانه (٤ : ٧٤). وفي الديوان:

كأنك في فم الدهر ابتسام

قَفَّ عَلَى الدُّمْنَتَيْنِ بِالذُّوِّ مِنْ رَ يَا كَخَالٍ فِي وَجْنَةِ جَنْبِ خَالٍ^(١)
بَطْلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالٍ^(٢)



وَلَوْ حِيزَ الحِفَافُ بِغَيْرِ عَقْلِ تَجَنَّبَ عُتْقَ صَيْقَلِهِ الحُسَامِ^(٣)



وَكَلِمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَبْرِي كَأَن مَا سَأَلَ مِنْ جَفْنِي مِنْ جَلْدِي^(٤)



كُلُّ هَوَجَاءٍ لِلدِّيَامِيمِ فِيهَا أَثْرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذُّبَالِ^(٥)
مِنْ بَنَاتِ الجَدِيلِ^(٦) تَمْشِي بِنَا فِي أَلْ بَسِيدِ مَشْيِ الأَيَامِ فِي الآجَالِ



وَإِذَا خَفِيَتْ عَلَى العَبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تِرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ^(٧)



أَمْضَى إِزَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقْرَبَ الأَقْصَى فَتَمَّ لَهُ هُنَا^(٨)



مَنْ يَهْنُ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِحُزْحِ بِمَيِّتِ إِيلَامٍ^(٩)



- (١) ديوانه (٣ : ١٩٢)، والدمنة: آثار الديار، والدو: الأرض الواسعة المستوية القفرة. رثياً: اسم امرأة. والخال: شامة تكون في الوجه أو الجسم.
- (٢) الطلول: ما بقي من آثار الديار؛ واحداً طلل. يريد أن الطلول الشاخصة الباقية؛ تلوح في العراص كالنجوم في الليالي المظلمة.
- (٣) ديوانه (٤ : ٧١). والحفاظ: المحافظة.
- (٤) ديوانه (١ : ٣٥٠). والمصطبر: الاصطبار، وغازض نقص.
- (٥) ديوانه (٣ : ١٩٤)، والدياميم: جمع ديمومة وهي القلاة. والسليط: الدهن، والذبال: جمع ذبالة وهي الفتيلة.
- (٦) الجدليل: فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل الكرام.
- (٧) ديوانه (١ : ١٥).
- (٨) ديوانه (٤ : ٢٠٠). يقول: إذا نوى أمراً فكأنه يسابق نيته بوقوعه، فيصير ماضياً والمكان البعيد يصير عنده قريباً.
- (٩) ديوانه (٤ : ٩٤).

طَرَيْتَ مَرَاجِبُنَا فَخَفْنَا أَنهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِبِهَا رَقَصْتَ بِنَا^(١)
عَقَدْتَ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَو تَبَتَّغِي عَنَقًا^(٢) عَلَيْهِ لِأَمِكِنَا



يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّؤُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَاتٍ تُنْطِقُهُ التَّمْتَامُ^(٣)
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّؤُوسُ وَلَكِنْ فَضَلَّتْهَا بِقَضْدِكَ الْأَقْدَامُ^(٤)



فَلَوْ كُنْتَ امْرَأً يُهَجِّي هَجُونَا وَلَكِنْ ضَاقَ فِثْرٌ عَنِ مَسِيرِ^(٥)



لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بَرْتِهِ وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينَا جَوْدَةُ الْكَفَنِ^(٦)



دُونَ التَّعَاتِقِ نَاجِلَيْنِ كَشَكَلَتِي نَضِبُ أَدْقَهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلِ^(٧)
لِلْهُوِ أَوْنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبُلٌ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلٌ



قَدْ كُنْتَ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا^(٨)



فَكَأَنَّهَا نَتَجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا^(٩)



- (١) ديوانه (٤ : ٢٠٣)، وفي الديوان: «فخفنا أنها».
- (٢) العتق: ضرب من السير شديد، وفي الديوان: «عليها».
- (٣) ديوانه (٤ : ٩٨)، والتمتام: الذي يتردد لسانه بالتاء.
- (٤) يقول: الرأس خير عضو في الإنسان؛ لأنه مجمع الحواس، وفيه محل العقل؛ ولكن صارت الأقدام أفضل منها، لقصدتها إياك.
- (٥) ديوانه (٢ : ١٤٤)؛ يقول: لو كنت ممن يعبأ به ويتكلف هجاؤه بالشعر لفلطنا، ولكنك أخس قدرًا من أن تستحق هذه العناية؛ كما أن مسافة الفتر تضيق عن السير فيها.
- (٦) ديوانه (٤ : ٢١٣).
- (٧) ديوانه (٣ : ٢٥٢)، وأراد الشكلة التي تكون في الإعراب وهي الفتحة. يريد بالضم: القرب، ولم يرد الضم الذي يسمى في الإعراب رفعًا.
- (٨) ديوانه (٤ : ٣٢٢).
- (٩) ديوانه (١ : ٢٣٠)، يصف الممدوحين بطول إلفتهم للخيل وملازمتهم للركوب.

ولو لم يَغْلُ إِلَّا ذُو مَحَلِّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ^(١)



وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ^(٢)



وَأَنْفُسٌ يَلْمَعْنَ تُوْجِبُهُمْ لَهَا اضْطِرَاراً وَلَوْ أَفْصَوْكَ شَتَانَا^(٣)
كَأَنَّ السُّنْهَمَ فِي التُّطُقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطُّغْنِ خُرْصَانَا^(٤)



لَوْ مَرَّ يَزْكُضُ فِي سُطُورِ كِتَابِيَةِ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيْمَاتِهَا^(٥)
أَعْيَا زَوَالِكِ عَنِ مَحَلِّ نِلْتَهُ لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا^(٦)



وَمِنْ تَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عَدُوَّ لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدَّ^(٧)
تَلْجُ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا جُفُونِي لِعَيْتِي كُلُّ بَاكِيَةٍ خَذُ^(٨)



ذِكْرُ الْأَنَامِ لَنَا فَكَانَ قَصِيْدَةً كُنْتُ الْبَدِيْعَ الْفَرْدَ مِنْ أُبْيَاتِهَا^(٩)



(١) ديوانه (٤ : ٧٢)، والقَتَامُ: الغبار؛ يريد أن العلو لا يدل على شرف المحل، ولو كان كذلك لكان الغبار سافلاً والجيش عالياً.

(٢) ديوانه (٢ : ١٥٠).

(٣) ديوانه (٤ : ٢٢٩)؛ والألمعي واليلمعي: الحاد الفطنة.

(٤) الخرصان: جمع خرص، وهو هنا السنان.

(٥) ديوانه (١ : ٢٣١)، يصف الممدوح بالفروسية، وأن مهرهم يطاوعه في جميع حركاته فلا يضع حافره إلا حيث شاء. وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من جميع الحروف.

(٦) أعيا الأمر: أعجز طالبه، وزوالك: براحك. يقول: قد بلغت مكاناً من الشرف لا تفارقه فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة، وهو لك كالهالة، والقمر لا يخرج عن هالته.

(٧) ديوانه (١ : ٣٧٥).

(٨) يقول: كلما بكت باكية؛ فكأن دموعها تمر بجفني كما تمر بخدها؛ فلست أخلو من بكاء ودموع؛ كما لا تخلو الدنيا من باكية تجري دموعها.

(٩) ديوانه (١ : ٢٣٥).

كَأَنَّ الْجَوْ قَاسَى مَا أَقَاسِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا^(١)
أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدَبُهُ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا



مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٢)



إِذَا عَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَقْتَ بَعْدِهَا وَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)



فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٤)



عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْجِدْثَانِ حَتَّى لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا تَقِيبًا^(٥)
يُصِيبُ بَعْضُهَا أَفْوَاقُ^(٦) بَعْضِ فَلَوْ لَا الْكَسْرُ لَأَتَّصَلْتُ قَضِيبًا
فَأَجْرَكَ الْإِلَهَ عَلَيَّ عَلِيلٍ بَعَثْتَ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَيِّبًا



صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو^(٧)



بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْجَفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذَبٍ بِحَاجِبِ^(٨)
وَلَوْ قَلَمُ الْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ السُّقْمِ مَا عَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبٍ



(١) ديوانه (١: ١٣٩). والشحوب: تغير اللون من الهزال.

(٢) ديوانه (١: ٣٨٤).

(٣) ديوانه (٢: ٤)؛ يقول: إذا عدرت الحسناء؛ لم تعد سجاياها؛ لأن عاداتها الغدر؛ وقد وفّت بالعهد إذا عدرت، لأن عهدها ألا تبقى على عهده.

(٤) ديوانه (١: ٣٨٠)، ويسار بن مكرم جد الممدوح. يقول: إن كان جدك مات وفني عمره؛ فإن فضائله ومحاسنه انتقلت إليك؛ فلم يفتقد إلا شخصه؛ كما ورد يبقى بعد الورد.

(٥) ديوانه (١: ١٤٠)، والجدثان: هو ما يحدث من نوائب الدهر، والنقيب: هو الذي يعرف القوم.

(٦) الفوق من السهم: موضع الوتر، والجمع أفواق وفوق.

(٧) ديوانه (٢: ٧)، ويريد: خيل قيام؛ يقال: صام الفرس؛ إذا وقف.

(٨) ديوانه (١: ١٤٨)، والهدب هو الشعر الذي على حرف العين.

ولرئَمَا أَطَرَّ القَمَّاءَ بِفَارِسٍ وَتَنَى فَقومَهَا بِأَخَرَ مِنْهُمُ^(١)



لو سار ذاك الحبيب عن فلِكَ ما رَضِيَ الشَّمْسَ بِرَجِهِ بَدَلَهُ^(٢)



رأيتُكَ في الذين أَرَى مُلوَكاً كأنكَ مستقيمٌ في مُحالٍ^(٣)
فإن تَفَقَّ الأتَامَ وأنتَ مِنْهُمُ فإنَّ المِسْكَ بعضُ دم العَرَالِ



أنتَ الذي لو يُعَابُ في مَلَأٍ ما عَيِبَ إلا بِأَنَّهُ بَشَرٌ^(٤)



إني لأُبغِضُ طَيفَ مَنْ أَحَبَبْتُهُ إذْ كان يهجرُنا زَمَانٌ وَصَالِهِ^(٥)
وُتْرَاعٌ غيرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَفُوتُها مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ^(٦)
لو لم تَكُنْ تَجْرِي على أَسِيفِهِ مُهْجَاتُهُمْ لَجَرَّتْ على إقبَالِهِ
فكأنما قَدِي النَّهَارُ بِنَقْعِهِ^(٧) أو غَضَّ عنه الطَّرْفُ من إجلالِهِ



وَخَضِرُ تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فِيهِ كأنَّ عَلَيْهِ من حَدَقِ نَطَاقِ^(٨)



أولَ حَرْفٍ مِنْ اسْمِهِ كَتَبْتُ سَنَابِكَ الخَيْلِ فِي الجَلَامِيدِ^(٩)



(١) ديوانه (٤ : ١٣٢)، وأطر: عوج، وتاطر الرمح: ثنى. يقول: إذا اعوجت قناته في مطعون طعن بها آخر فتقومت.

(٢) ديوانه (٣ : ٢٧٥)، وفي أ «بدل»، وصوابه من ب والديوان. الضمير في «برجه» للحبيب، تقديره لو سار الحبيب عن برج من بروج السماء لم يرض برجه الشمس تحل بدلاً منه، ورضي؛ بمعنى اختار وأحب.

(٣) ديوانه (٣ : ٢٠).

(٤) ديوانه (١ : ٨٩) وفي الديوان: «لأنه بشر».

(٥) ديوانه (٣ : ٥٦).

(٦) ترع: تفزع، والمتجفل: المسرع. والعقال: حبل يشد به يد الجمل إلى عضده.

(٧) النقع: الغبار.

(٨) ديوانه (٢ : ٢٥٦)، والنطاق: كل ما شددت به وسطك وتقويت به.

(٩) ديوانه (١ : ٢٦٦)، والجلاميد: جمع الجلود، وهي الحجارة.

كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلْفَاؤُهُ فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا^(١)



لَهَا فِي الْوَعْيِ زِيَّ الْقَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ ذَارِعٌ مُتَلْتَمٌ^(٢)
وَمَا ذَاكَ بُخْلًا بِالنَّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدَمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمٌ



وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ تُؤْبِيهَا وَلَكِنَّهُ فِي الْقَنَا مُخْمَلٌ^(٣)
يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْثُ وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسْطَلُ^(٤)
فَلَا تُنْكَرَنَّ لَهَا صَزَعَةٌ فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَفْتُلُ^(٥)
وَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٦)



إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلُوا مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِّلْعُورِ بِالْحَوْلِ^(٧)
لَعَلَّ عَثْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ



وَيُرْجِعُهَا حُمْرًا كَأَنَّ صَحِيحَهَا يَبْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ^(٨)



مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدَ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ^(٩)



(١) ديوانه (٣ : ٣٥١).

(٢) ديوانه (٣ : ٣٦٠)، الدراع: ما عليه تجفاف (ما حلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح)، ومتلثم: على وجهه مخطمة من حديد.

(٣) ديوانه (٣ : ٧١)، وفي الديوان: «ولكنه بالقنا»، والملمومة: الكتيبة المجموعة. وخمل الثوب: ما تدلى منه.

(٤) القسطل: الغبار. يقول: يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها.

(٥) كان سيف الدولة قد ضرب خيمة بميافارقين، وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها، فهبت ريح شديدة، فوقعت الخيمة، فتكلم الناس في ذلك. والضمير في «لها» يعود إلى الخيمة المذكورة في الآيات التي سبقت البيت.

(٦) كان قلع الخيمة؛ تبييناً من الله تعالى لك بما تفعله من الارتحال والتوجه إلى الغزو.

(٧) ديوانه (٣ : ٨٤)، والجزى: جمع جزية، وهي ما يعطيه أهل الذمة ليدفعوا به عن أنفسهم ويحفظوا به دماءهم.

(٨) ديوانه (٢ : ٣١)، والمتدقق: المتكسر. (٩) ديوانه (١ : ٤)، وسوائه: سواه.

كَأَنِّي عَصْتُ مُقْلَتِي فِيكُمْ وَكَاتَمَتِ الْقَلْبَ مَا تَبْصُرُ^(١)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ
 فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يُنْظَرُ



وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا بَعَلَّتْهُ يَعْتَلُّ فِي الْأَعْيُنِ الْعُغْمُضُ^(٢)



وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا نَجِيْبُهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ^(٣)



إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(٤)



قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي الْأَفَاظِ الْأَشْعَ نَاطِقُ^(٥)



أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ^(٦)



وَإِذَا حَاوَلْتَ طِعَانِكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَذْرَعَ الْقَنَا أُمِّيَالاً^(٧)



كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصٌ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ^(٨)



(١) ديوانه (٢ : ٩٢).

(٢) ديوانه (٢ : ٢١٨). يقول: لا أنتفع بالنوم إذا كان عليلاً؛ لأن النوم يفارق عيني.

(٣) ديوانه (٣ : ١١٧).

(٤) ديوانه (٣ : ٣٨٢).

(٥) ديوانه (٢ : ٣٢٤)، بلعجلان؛ يريد بني العجلان، والأشع: الذي لا يفصح بالحرف، وقشير وعجلان: قبيلتان.

(٦) ديوانه (٤ : ٣)، والإقطاع: ما أقطعه من البلاد، والطرف: الفرس.

(٧) ديوانه (٣ : ١٤١).

(٨) ديوانه (١ : ١٧٢).

بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقَلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا - جِيدٌ تَنَاطَرَ عِقْدُهُ^(١)



لَا تُنْكِرِ الْحَسَّ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَغَانِيهَا^(٢)



إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ^(٣)
وَإِذَا الْجِلْمُ لَمْ يَكُنْ عَنْ طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَدُّمُ السِّمْلَادِ
وَإِذَا كَانَ فِي الْأَنْبَابِ خَلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصُّعَادِ^(٤)



تَحَمَّلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنٌ^(٥)



كَلَّمَا أَتَيْتَ الزَّمَانَ قِنَاءً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقِنَاءِ بَيْنَانًا^(٦)
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا



إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِخْسَانٌ وَإِجْمَالٌ^(٧)
ذُكِرَ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا فَاتَهُ وَقُضُورُ الْعَيْشِ أَشْغَالٌ
لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّي وَتَكْرَمْتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ



رُدِّيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وَكَادَ تَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا زُجْهَا وَسِنَانُهَا^(٨)

(١) ديوانه (٢: ٢٠)، يريد أن الوادي كان متزيناً بهم؛ فلما ارتحلوا عنه تعطل كالعنق إذا سقط عنه العقد.

(٢) ديوانه (٤: ٢٦٨). المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل والمسكن.

(٣) ديوانه (٢: ٣١)، وفي الديوان:

إذا صادفت هوى في الفؤاد

(٤) الصعاد: جمع صعدة، وهي القناة المستقيمة، والطيش: الخفة، والأنابيب: جمع أنبوب.

(٥) ديوانه (٤: ٢٣٥)، والناجية: الناقة المسرعة.

(٦) ديوانه (٤: ٢٤٠).

(٧) ديوانه (٣: ١٨٧).

(٨) ديوانه (٤: ١٧٠)، ردينية: منسوبة إلى ردينة، امرأة كانت تعمل الرماح. والزج: الذي يكون في أسفل الرمح، والسنان: الذي في أعلاه.

وَسَمْرَاءُ يَسْتَعْوِي الْفَوَارِسَ قَدَّهَا وَيُذَكِّرُهَا كَرَاتِهَا وَطِعَانَهَا



وَعَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا لِه كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ^(١)
وَلَا مُلْكُ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابُ^(٢)



فَلَا تُرَجِّحِ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ الثُّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ^(٣)



إِذَا أَتَتْ الْإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلْمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ^(٤)



لَا تُشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ^(٥)



وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٦)



كَلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا غَارَ مِثِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ^(٧)
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنًا هَا وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ الْعُقُولُ^(٨)



وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا دَأَنَّكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْعَبَبُ^(٩)



(١) ديوانه (١ : ١٩٤)، عنوا: خضعوا وذلوا.

(٢) القراب: الغشاء الذي فيه يكون السيف والسكين، ويروى: «كأنك نصل».

(٣) ديوانه (٢ : ٢٠٤)، في رأسه: يعني على رأسه.

(٤) ديوانه (٤ : ١٥٢)، وفي الديوان: «من لثيم».

(٥) ديوانه (٢ : ٤٣)، المناكيد: جمع منكود، وهو الذي فيه نكد.

(٦) ديوانه (١ : ٤٤).

(٧) ديوانه (٣ : ١٤٨). يقول: كلما عاد إليها من أبعثه، وشاهدها من أرسله ملكه الافتنان بحسنها وشاركتي في الشغف بها، وأظهر الغيرة مني عليها؛ فخالفتني في أمره، وخالفتني في جملة قوله.

(٨) يقول أفسدت عينها بسحرهما الأمانات بيني وبين من أنزل الثقة به وأعتقد الخلاص له.

(٩) ديوانه (١ : ٩٨). الغيب للبقرة: ما تدلى تحت حنكها، والظلف: ما تظأ به الأرض كالقدم للإنسان.

أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبتهِ فسرُّهُم وأتيناهُ على الهَرَمِ^(١)



إن أوحَشْتُكَ المَعَالِي فإنها دارُ غَرْبَةٍ^(٢)
أو أنسَسْتُكَ المَحَاذِي فإنها لك نِسْبَةٌ



إذا سَمِعَ الناسُ ألفاظه خَلَقَنَ له في القلوبِ الحَسَدُ^(٣)



وعَيَّظَ على الأيامِ كالنارِ في الحَشَا ولكنهُ عَيَّظَ الأسيرَ على القِدِّ^(٤)
وقد كنتُ أدركتُ المُنَى غيرَ أنني يُعَيِّرُنِي أهلي بإدراكها وخدي^(٥)



وألقى الشرقُ منها في ثيابي دَنائيراً تَفِرُّ من البَنانِ^(٦)



وهو مثل قوله في كلمة أخرى^(٧):

إذا ضَوَّؤُهَا لَأَقَى مِنَ الطيرِ فَرَجَةً تَدَوَّرَ فوقَ البِيضِ مثل الدرهمِ



فلو طُرِحَتْ قلوبُ العَشِقِ فيها لما خافت من الحَدَقِ الجَسانِ^(٨)



قالت: ألا تَضْحُوا فقلت لها فوقَ السماءِ وفوقَ ما طَلَبُوا
أَعْلَمْتَنِي أَنَّ الهوى نُومِلُ^(٩) فإذا أرادوا غايَةً نَزَلُوا



وما أنا غيرُ سَهْمٍ في هواءِ يَعودُ ولم تَجِدْ فيه امْتِساكا^(١٠)



- (١) ديوانه (٤ : ١٦٣).
(٢) ديوانه (٢ : ٥٨).
(٣) ديوانه (٢ : ٦٩).
(٤) ديوانه (٤ : ١١٤).
(٥) ديوانه (٤ : ٢٦٠).
(٦) ديوانه (٣ : ٣٠٢).
(٧) ديوانه (١ : ٢٠٩).
(٨) ديوانه (٢ : ٦١)، والقُد: سير يشد به الأسير.
(٩) ديوانه (٤ : ٢٥٣).
(١٠) ديوانه (٢ : ٣٩٦).

شَجَاعٌ كَأَنَّ الحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَه إِذَا زَارَهَا فَدَّتْهُ بِالخَيْلِ وَالرُّجُلِ^(١)



يَزِيْمِي الثُّجُومَ بَعِيْنِي مَنْ يَحَاوِلُهَا كَأَنهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَنْسُوبٍ^(٢)



رَقْتُ مَضَارِبُهُ فَهَنْ كَأَنَّمَا يُبْدِيْنَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولًا^(٣)



وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَدَّمْتِي مِنْ نَاقِصٍ فِيهَا الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(٤)



وَمَا التَّيْبُ طَبِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنِّي بَغِيضٌ إِلَيَّ الجَاهِلُ الْمُتَعَاوِلُ^(٥)



فَمَا تُرْجِي الثُّفُوسُ مِنْ زَمَنِ أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مَحْمُودٍ^(٦)!

تعقيب

قد وقينا لك بما اقتضاه شرط الضمان وزدنا، وبرتنا إليك مما يوجب عقد الكفالة وأفضلنا، ولم تكن بُعيتنا استيفاء الاختيار، واستقصاء الانتقاد؛ فيقال: هلا ذكرت هذا فهو خير مما ذكرت؛ وكيف أغفلت ذلك وهو مُقَدَّم على ما أثبت! وإنما دعوتناك إلى المقاصة، وسمناك^(٧) في ابتداء خطابنا^(٨) المحاجة والمحاكمة؛ فلزمنا طريقة العدل فيها، والتقتنا من عروض الديوان أبياتاً لم نذهب - إن شاء الله - في أكثرها عن جهة الإصابة، فإن وقع في خلالها البيت والبيتان فلأن الكلام معقود به، والمعنى لا يتم بدونه، وما يتقدمه وما يليه مفتقر إليه، أو لغرض لا تعظم الفائدة إلا بذكره، ويضيق

(١) ديوانه (٣: ٢٩٨).

(٢) ديوانه (١: ١٧٥)، وفي الأصلين:

رأى النجوم بعين من يحاولها

والسلب: الشيء المسلوب.

(٣) ديوانه (٣: ٢٣٧)، مضاربه: حذاه.

(٤) ديوانه (٣: ٢٦٠). (٥) ديوانه (٣: ١١٧).

(٦) ديوانه (١: ٢٦٣)، أحمد حاله: البقاء، وهو غير محمود.

(٧) سمناك: كلفناك.

(٨) في أ «خطابك»، وما أثبتناه عن ب.

هذا القدر من الخطاب عن استقصاء شرحه، أو لسهو عارض التمييز، وَعَفْلَةٌ لا بست الاختيار.

وقد جعلنا لك أن تحذف منه ما أحببت؛ وأبحننا لك أن تُسقط ما أردت، فإن الذي يفضل نقدك منه، ويوافقنا رأيك عليه، ينجز وعدك ويبلغ غايتك؛ ويبقى ما وقعت الموافقة عليه بيننا وبينك. ثم طالع بقية شعره، وتصفح فضالة ديوانه؛ لتعلم أنا لم نقصد استيعاب عيونه، وأخذ صفوته ولبابه، وأن فيما غادرنا منه ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك، ولا تضعف معه محاجتك؛ ولعلك إذا رأيت هذا الجذ في السعي، والعنف في القول تقول: إنما وقفت موقف الحاكم المسدد، وقد صرت خضماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط، ثم أراك حرباً منازعاً؛ فإن خطر ذلك ببالك، وحدثت بك به نفسك فأشعرها الثقة بصدقي، وقرّر عندها إنصافي وعذلي، واعلم أنني رسول مبلّغ، وسامع مؤدّ، وأني كما أناظرك أناظر عنك، وكما أخاصمك أخاصم لك؛ فإن رأيتني جاوزت لك موضع حجة فردني إليها، ونبّهني عليها، فما أبرئ نفسي من العفلة، ولا أدعي السلامة من الخطأ؛ والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من المتوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم.



عود إلى نقد شعر المتنبي

وأعود إلى نَسَقِ الكلام الأول فأقول: ورأيتك وأصحابك أَنْحَيْتُمْ في منازعة خصمكم على ادِّعاء السَّرْقِ؛ فقال قائلكم: ما يَسْلُمُ له بيت، ولا يخلص من معانيه معنى؛ وما هو إلا ليث مُغِير، أو سارق مُخْتَلِس، وأنشد منشدكم قول أبي تمام^(١):

مَنْ بَنُو بَحْدَلٍ مَنِ ابْنِ الْحَبَابِ^(٢) مَنْ بَنُو تَغْلِبِ غَدَاةِ الْكِلَابِ
 إِنَّمَا الضِّيغُمُ الْهَصُورُ أَبُو الْأَشَدِّ بِأَلِ رَيْبَالٍ^(٣) كَلَّ خَيْسٍ وَغَابِ
 مِنْ عَدَّتْ خَيْلُهُ عَلَى سِرْحِ شِعْرِي وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَاتِعٌ فِي كِتَابِي
 غَارَةٌ أَسَخَنْتَ عَيْوْنَ الْمُعَالِي^(٤) وَاسْتَحْلَسْتُ مُحَارِمَ الْآدَابِ
 يَا عَدَازِي الْكَلَامِ صِرْتُنَّ مِنْ بَغِّ لَدِي سَبَايَا تُبْعِنَنَّ فِي الْأَعْرَابِ

وقلت: إنما عمد إلى شعر أبي تمام فغَيَّرَ ألفاظه، وأبدل نظمه؛ فأما المعاني فهي تلك بأعيانها؛ أو ما سرقة من غيرها، فإن اعتمد على قريحته، وحصل على فكره وخاطره، جاء بمثل قوله^(٥):

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْقَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا فَسَمُّ النَّاسِ طَرًّا إِضْبَعَا
 ومثل قوله^(٦):
 أَيَا أَسْدًا فِي جَسْمِهِ رُوحَ ضَيِّغَمٍ وَكَمْ أَسْدٍ أَرَوَّاحُهُنَّ كِلَابُ
 جَرَى الْحُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْكَ وَاجِدُ وَأَنَّكَ لَيْتُكَ وَالْمُلُوكُ ذُنَابُ
 وَأَنَّكَ إِنْ قَوَيْسَتْ صَحْفَ كَاتِبِ^(٧) ذُنَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ ذُنَابُ

(١) ديوانه ص ٤٨٧، يهجو شاعراً سرق شعره.

(٢) في الأصل:

من بنو نجدل من ابن الحساب

وهذه رواية الديوان.

(٣) في الديوان: «مناع كل خيس». والخيس: الشجر الملتف أو موضع الأسد.

(٤) في الديوان: «أسخنت عيون القوافي».

(٥) ديوانه (٢: ٢٦٧).

(٦) ديوانه (١: ١٩٦).

(٧) في الديوان: «صحف قارئ».

ومثل قوله^(١):

لو كان صادفَ رأسَ عازَرَ^(٢) سيفُهُ
أو كان لُجُّ البَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ
أو كان لِالنَّيْرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ
فأعيتهُ المعاني، حتى التجأ إلى استصغار الأنبياء - عليهم السلام.

وقوله^(٣):

لم تُسَمَّ يا هارون^(٤) إلا بَعْدَ ما أَقْدَمَ
فَعَدَّوَتْ واسْمُكَ فيكَ غيرُ مُشَارِكِ
وقوله^(٥):

فَخذًا ماءَ رِجْلِهِ وَأَنْضَحَا في أَلْمِ
رَجُلٍ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
وَبَقِيَّاتِ طِينِهِ لَأَقْبِ السَّمَاءِ
فصارتْ عُدُوبَةً في الزُّلَالِ

فهذا مقدارُ اختراعه، وهذه طريقةُ ابتداعه، فإن زاد عليه وتجاوزَه قليلاً اضطَرَ إلى تعقيد اللفظ، وفساد الترتيب، واضطرابِ السُّنَجِ؛ فصار خيره لا يفي بشره، وجُزْمه يزيدُ على عُذْرِهِ؛ ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف؛ وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة كقوله^(٦):

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ
وَلَمَّ يُسْتَعْنَى بطيب المولد عن القابلة؟ وإذا استعني عنها كان ماذا؟ وأي فخرٍ فيه؟ وأي شرف يناله؟
وقوله^(٨):

لِمَنْ مَالٌ تُمَرِّقُهُ العَطَايا
وَيَشْرِكُ في رَغَائِبِهِ الأَنامُ

(١) ديوانه (٢: ١٩٨).

(٢) عازر: رجل من بني إسرائيل، وهو الذي أحياه الله لعيسى ابن مريم. ويوم معركة: يوم حرب.

(٣) ديوانه (١: ٢٨).

(٤) هو أبو علي هارون بن عبد العزيز الكاتب.

(٥) ديوانه (٣: ١٩٧).

(٦) ديوانه (٣: ٢٥٧).

(٧) القوابل جمع قابلة، وهي التي تشارف المرأة عند الولادة.

(٨) ديوانه (٤: ٧٩).

وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لَأَنَّ بَصُحْبَةَ يَجِيبُ الدَّمَامَ^(١)
لَمَّا وَقَعَ لَهُ الْمَعْنَى الَّذِي يُقَارِبُ الْحَسْنَ ضَعْفَ عَنِ تَحْسِينِ لَفْظِهِ؛ فَجَاءَ كَمَا
تَرَى .

وقوله^(٢) :

لَمْ تَحْكُ نَائِلَكَ السَّحَابَ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبَّيْبُهَا الرَّحْضَاءُ^(٣)
هَلْ زَادَ عَلَيَّ أَنْ جَعَلَ السَّحَابَ يَحْتَمُ فَأَفْرَطُ؛ كَمَا جَعَلَ أَبُو تَمَامٍ الدَّهْرَ يَصْرَعُ فِي
قَوْلِهِ^(٤) :

خَطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهِنَّ يُصْرَعُ^(٥)

وَجَعَلَ بَشَارَ الزَّمَانِ يَمُوقُ^(٦) فِي قَوْلِهِ^(٧) :

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ فَإِن صَحَا^(٨) صَحَوْتُ وَإِن مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ
وقوله^(٩) :

فإِن مَارِئْتَنِي^(١٠) فَارْكَبْ حِصَانًا وَمَثَلُهُ تَخِرُّلُهُ صَرِيْعًا
وهذا المعنى عامي، وكذلك قوله^(١١) :

وَكُلُّ مَكَانٍ^(١٢) أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَا
وقوله^(١٣) :

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَغِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارِ

وهذا البيت من قلائده، إلا أنك تعلم ما في قوله «شيء» من الضعف الذي يجتنبه الفحول، ولا يرضاه النقاد، وهو وأشباه هذا مما لم تُرد استقصاءه؛ وإنما دَلَّلْنَاكَ عَلَى مِنْهَاجِهِ، وَأَرَيْنَاكَ بَابَهُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا اسْتَرَدَلْنَا مِنْ شِعْرِهِ .

(١) أراد بصحبته، فحذف الهاء ضرورة. الذمام: العهد، وقيل: جمع ذمة، وهي الأمان.

(٢) ديوانه (١: ٣٠).

(٤) ديوانه ص ١٩٠.

(٥) أوله:

تروح علينا كل يوم وتغتدي

(٦) ماق: حمق في غباوة. (٧) الأغاني (٣: ٢٢٥) (طبعة الدار).

(٨) في الأغاني: «إذا صحا».

(٩) ديوانه (٢: ٢٥٦).

(١٠) المماراة: المجادلة. (١١) ديوانه (١: ٤٢).

(١٢) في الديوان:

وكل طريق أتاه الفتى

(١٣) ديوانه (٤: ٢٤٧).

فلسفته في شعره

وإنما تجدُّ له المعنى الذي لم يسبقه الشعراء إليه إذا دقق، فخرج عن رَسْم الشعر إلى طريق الفلسفة، فقال^(١):

وَلَجِدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبْخُلُ حَائِلًا^(٢)
وَقَالَ^(٣):

إلْفُ هَذَا السَّهْوِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفِ
وَالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزُ
وَقَوْلُهُ^(٤):

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً
وَقَوْلُهُ^(٦):

كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَ

(١) ديوانه (١ : ٢٩).

(٢) حائلاً: راجعاً.

(٣) ديوانه (٢ : ٣٦٩).

(٤) ديوانه (١ : ٩٥).

(٥) الشَّجِبُ: الهلاك والحزن.

(٦) ديوانه (٢ : ١٦٨).

السراقات الشعرية

قد أنصفناك في الاستيفاء لك، والتبليغ عنك، ولسنا نُنكرُ كثيراً مما قلتَه، ولا نردُّ اليسير مما ادَّعيتَه، غير أن لخصمك حُججاً تُقابل حُججك، ومقالاً لا يُقصر عن مقالك. وزعم خصمك أنك وأصحابك وكثيراً منكم لا يعرفُ من السَّرَق إلا اسمَه، فإن تجاوزَه حصل على ظاهره، ووقف عند أوائله؛ فإن استُثبت فيه، وكُشِف عنه، وُجد عارياً من معرفة واضحِهِ، فضلاً عن غامضِهِ، وبعيداً من جليته، قبل الوصول إلى مُشكله؛ وهذا باب لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعالم المبرِّز. وليس كلُّ مَنْ تعرَّض له أدركه، ولا كلُّ مَنْ أدركه استوفاه واستكملته. ولست تعدُّ من جهابذة الكلام، ونُقَّاد الشعر، حتى تميِّزَ بين أصنافِهِ وأقسامِهِ، وتحيط علماً برُتبِهِ ومَنازله، فتفصل بين السَّرَق والغُصْب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرِّق بين المشترك الذي لا يجوز ادَّعاء السَّرَق فيه، والمبتذل الذي ليس أحدُّ أولى به، وبين المختصَّ الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياه السابق فاقطعه، فصار المعتدي مُختلساً سارقاً، والمشارك له محتدياً تابعاً، وتعرف اللفظ الذي يجوزُ أن يقال فيه: أخذ ونقل، والكلمة التي يصحُّ أن يقال فيها: هي لفلان دون فلان.

المعاني المشتركة والمتداولة

فمتى نظرتِ فرأيتِ أن تشبيه الحَسَن بالشمس والبدْر، والجوادِ بالغيث والبحر، والبليدِ البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار، والصبَّ المستهام بالمخبول في حيرته، والسليم في سهره، والسقيم في أنيه وتألّمه، أمورٌ^(١) متقررة في النفوس، متصوّرة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعرُ والمفحم، حكمت بأن السرقة عنها مُنتفية، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع، وفصلت بين ما يشبه هذا ويُبائنه، وما يلحق به وما يتميِّز عنه، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع؛ فوجدت منه مستفيضاً مُتداولاً متناقلاً لا يعدُّ في عصرنا مسروقاً، ولا يُحسب مأخوذاً، وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به، وأوله للذي سَبَق إليه؛ كتشبيه

(١) خبر أن، في قوله: «فأريت أن تشبيه».

الطَّلُّ المُحِيل بِالْحِطِّ الدَّارِسَ وَبِالْبُرْدِ النَّهْجَ^(١) وَالْوَشْمَ فِي الْمِعْصَمِ، وَالظُّغَيْنِ الْمُتَحَمِّلَةَ
بِالنَّخْلِ، وَعَلَاتِقِهَا بِأَعْدَاقِ الْبُسْرِ، وَالْفَحْلَ بِالْفَدَنِ^(٢) الْمَشِيدِ، وَالظُّلِيمَ الْمَهِيحَ بِأَحْقَبِ^(٣)
يَسُوقُ أَتْنَهُ، وَكَوَصَفِ الْحَمُولِ وَمَوَزَانِ^(٤) الْآلِ بِهَا، وَذِمَّ الْغَرَابِ، وَالصُّرْدِ، وَالسَّانِحِ^(٥)،
وَالْبَارِحِ^(٦)، وَسُؤَالَ الْمَنْزَلِ عَنْ أَهْلِهِ، وَالتَّفَجُّعِ لِمَنْ اسْتَبَدَلَ بَعْدَ سَاكِنِهِ، وَلَوْجِ النَّفْسِ
عَلَى بُكَاءِ الدَّارِ، وَاسْتِعْطَافِ الْعَقْلِ وَاسْتِبْطَاءِ الصَّبْرِ، وَتَحْسِينِهِ تَارَةً وَتَقْيِيحِهِ أُخْرَى،
وَتَشْبِيهِ الْفَرَسِ بِاللَّقْوَةِ^(٧)، وَالظُّبِيَّ بِشِهَابِ قُدْفِ، وَالْعِقَابَ بِالذَّلْوِ الَّتِي خَانَهَا الرَّشَاءُ،
وَكَوَصَفِ الْغَيْثِ بِالْعَمُومِ وَالتَّطْيِيقِ^(٨)، وَاقْتِلَاعِ الدَّوْحِ، وَتَفْرِيقِ الْوَحْشِ، وَتَشْبِيهِ دَفْعِهِ
بِعَطِّ^(٩) الْمَزَادِ، وَجَلِّ الْعَزَالِيَّ^(١٠)، وَوَصَفِ الْبَرِقِ بِخَطْفِ الْأَبْصَارِ، وَسُرْعَةِ اللَّحْمِ، وَأَنَّهُ
كَالْقَبَسِ مِنَ النَّارِ، وَكَالْحَرِيقِ الْمُتَضَرِّمِ، وَكَمَصْبَاحِ الرَّاهِبِ.

ولم أرد هذه بأعيانها دون غيرها، ولم أوردتها إلا لدلائل على أمثالها؛ فإذا اعتبرتها
تصنفت لك صنفين: إما مشترك عام الشركة، لا ينفرد أحد منه بسهم لا يساهم
عليه^(١١)، ولا يختص بقسم لا يتنازع فيه؛ فإن حُسنَ الشمس والقمر، ومضاء السيف،
وبلادة الحمار، وجود العيث، وحيرة المخبول، ونحو ذلك مقرّر في البداية، وهو
مركب في النفس تركيب الخلق. وصنّف سبق المتقدم إليه ففاز به، ثم تدوول بعده
فكثُر واستعمل؛ فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد، والاستفاضة على ألسن الشعراء،
فحمى نفسه عن السرقة، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ، كما يُشاهد ذلك في تمثيل
الطَّلِّ بالكتاب والبُرْدِ، والفتاة بالغزال في جديها وعينيها، والمهارة في حُسنها وصفائها.
ومتى شئت أن ترى ما وصفته عياناً، وتعلمه يقيناً فاعترض أول عامي عُفْلَ تستقبله،
وأعجمي جلف تلقاه، ثم سلّه عن البرق فإنه يؤدي إلى معنى قول عترة^(١٢):

أَلَا يَأْمَأُ لَذَا الْبَرِقِ الْيَسْمَانِيَّ يُضِيءُ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ بَانَ^(١٣)

- (١) نهج البرد: بلى.
- (٢) الفدن: القصر المرتفع.
- (٣) الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض.
- (٤) الموران: الاضطراب.
- (٥) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.
- (٦) البارح: ما أتاك عن يسارك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.
- (٧) اللقوة: بفتح اللام المشددة وكسرهما: المرأة السريعة اللقاح، كالناقة والعقاب الأنثى، أو الخليفة السريعة.
- (٨) التطييق: من طبق الشيء تطبيقاً: عم، وطبق السحاب الجو: غشاه، وطبق الماء وجه الأرض: غطاه.
- (٩) العط: الشق.
- (١٠) العزالي: جمع عزلاء؛ مصب الماء من القرية في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء، وتفتح اللام وتكسر.
- (١١) لا يساهم: لا يقارع.
- (١٢) لم نجد في ديوانه.
- (١٣) البان: من العضاء، وله حب، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان.

وإن لم يذكر لك البان لجَهله بعادة العرب في الاستصباح به، ولأنه لم يعرف منه ما عرفه عَثرة، ومعنى امرئ القيس في قوله^(١):

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ زَاهِبٍ أَمَالٌ^(٢) السَّلِيطُ بِالذَّبَالِ الْمُفْتَلِ
وهيهات أن يعرض لك الأديبُ الفطن لِقولِ عامرِ الثقفي:
كَأَنَّ زَيْقَهُ لَمَّا عَلَا سَبَطاً^(٣) أَقْرَابُ أَبْلَقِ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَاحِ
وقول آخر^(٤):

وترى البرقَ عارضاً مُسْتَطِيراً مَرَحَ الْبُلُقِ جُلْنَ فِي الْأَجْلَالِ
إلا عن رواية كثيرة، أو فِكرٍ طويل، ولو سمعتَ قائلاً يقول إن فلاناً الشاعر أخذ عن فلان قوله: لا مرحباً بالشيب، وحبذا الشباب! وكيف لوعاد، ويا أسفي لفراق الأحبة! وما لذت العيش بعدهم، وفاضت عيني صباةً لذكرهم. لحكمت بجهله، ولم تشك في غفلته. وقد يكون في هذا الباب ما تتسبع له أمة، وتضيق عنه أخرى، ويسبقُ إليه قومٌ دون قوم؛ لعادة أو عهد، أو مشاهدة أو مِرَاس؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريكة^(٥) النعام، ولعل في الأمم من لم يرها؛ وحمرة الخدود بالورد والتفاح؛ وكثيرٌ من الأعراب من لم يعرفهما؛ وكأوصاف الفلاة، وفي الناس من لم يُضجر؛ وسير الإبل؛ وكثير منهم لم يركب.

التفاضل في الشعر المتداول

وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر؛ فتشترك الجماعة في الشيء المتداول، وينفرد أحدهم بلفظة تُستعذب، أو ترتيب يُستحسن، أو تأكيد يُوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره؛ فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع، كما قال لبيد^(٦):

وَجَلَّا السُّيُورُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ^(٧) تُجِدُّ مُثُونَهَا أَقْلَامُهَا

(١) ديوانه ص ٤١.

(٢) رواية الديوان:

أهان السليط بالذبال المفتل

والسليط: الزيت. والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة.

(٣) يقال: مطر سبط؛ أي سح. القرب (بضم القاف وسكون الراء، وبضمهما) الخاصة، وجمعه الأقرب.

(٤) منسوب إلى كثير - كما في اللسان.

(٥) التريكة: البيضة بعد ما يخرج منها الفرخ، وخص بعضهم به بيض النعام التي تركها بالفلاة بعد خلوها مما فيها؛ وقيل: هي بيض النعام المنفرد.

(٦) اللسان - مادة زبر، العمدة (١: ١٩٧)، وشرح المعلقات للتبريزي ص ١٢٨.

(٧) الزبور: الكتاب، والجمع زبر. وتجد: تجدد.

فَأَدَى إِلَيْكَ الْمَعْنَى الَّذِي تَدَاوَلْتَهُ الشُّعْرَاءُ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ (١) :

لِمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيْبٍ يِمَانِي (٢)
وَقَالَ حَاتِمٌ (٣) :

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَاً وَنَوِيأاً مَهْدَمَا كَخَطِّكَ فِي رَقِّ كِتَابِنَا مُنْمَمَا
وَقَالَ الْهَذَلِيُّ (٤) :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَشِمِ الْكِتَابِ بِ يَزُيْرِهِ الْكِاتِبُ الْحَمِيْرِي

وأمثال ذلك مما لا يُحصى كثرة، ولا يَخْفَى شهرة، وبين بيت لبيد وبينهما ما تراه من الفضل، وله عليها ما تشاهد من الزيادة والشَّف (٥). ولم تَزَلْ العامة والخاصة تشبه الوردَ بالخدود، والخدود بالورد، نثراً ونظماً، وتقول فيه الشعراء فتكثير، وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه إلا بتناول زيادة تُضم إليه، أو معنى يُشفع به، كقول علي بن الجهم:

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بَوَزِدٍ كَأَنَّهُ خَدُودٌ أُضِيْفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ

فأضاف بعضهن إلى بعض له، وإن أخذ فمته يؤخذ، وإليه ينسب. وكقول ابن المعتز:

بِيَاضٍ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرَاؤُ كَمَا أَحْمَرَّتْ مِنَ الْخَجَلِ الْخَدُودُ

والخَجَلُ إنما يحمر وجنتاه، فأما منبت الأصداع، ومخطط العذار فقليلاً ما يحمران؛ فهذا التمييز مسلم له، وإن لم يكن يسبق إليه، ولو اتفق له أن يقول: حمرة في جوانبها بياض، لكان قد طبَّق المَفْصِل، وأصاب الغَرَض، ووافق شبه الخجل؛ لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان، فجعل الاحمرارَ في جوانب البياض، فراغ عن موقع التشبيه. ثم قال أبو سعيد المخزومي:

وَالْوَرْدُ فِيهِ كَأَنَّمَا أَوْرَاقُهُ نُزِعَتْ وَرَدَّ مَكَانَهُنَّ خَدُودٌ

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد، لكنه كساه هذا اللَّفْظَ الرشيق، فصرت إذا

(١) ديوانه ص ١٠٩.

(٢) العسيب: سعف النخل، وفي الديوان:

كخط الزبور في العسيب اليماني

(٣) شعراء النصرانية ص ١١٨.

(٤) اللسان - مادة دوي، وروايته:

عرفت السديار كخط الدوي حبره الكاتب الحميري

(٥) الشف (بفتح الشين وكسرهما): الفضل والزيادة، والمعروف بالكسر.

قسّمته إلى غيره وجدت المعنى واحداً، ثم أحسست في نفسك عنده هزة، ووجدت طربة تعلم لها أنه انفراد بفضيلة لم يُنازع فيها.

السرقه الممدوحة

ومتى جاءت السرقه هذا المجيء لم تُعدّ مع المعاييب، ولم تُخص في جملة المثالب، وكان صاحبها بالتفضيل أحقّ، وبالمدح والتزكية أولى. ومن ذا يشك في فضل امرئ القيس يشبه الناقة في سرعتها بتيس الظباء في عدوه بقوله^(١):

أوتيسٍ أظبٍ ببطن وادٍ يعدو وقد أفرد الغزال

على كل ما قيل فيه، والمعنى واحد؛ لكن امرأ القيس زاد إفراد الغزال، وهذه زيادة حسنة؛ لأنه إذا أفرد اجتمع للتيس الخوف والولّه؛ فكان أشدّ لعدوه، وإن امرأ القيس زاد في قوله يصف الطعنة^(٢):

كجيب الدفنيس^(٣) الوزها ريعت وهي تستفلي

على كل من شبهها بجيب الحمقاء، وجيب الفتاة، لأنها إذا ريعت وهي تستفلي عجلت عن الرفق. وقال أوس بن حجر:

وفي صدره مثل جيب الفتاة تشهق حيناً وحيناً تهز

فزاد بالتقسيم الجاري على الشهيق والهزير، ولكن زيادة الأول أحسن وأعمّض مأخذاً، وأوقع تشبيهاً، فأما الفئدة فإنه أورد البيت على حاله: واضطرته القافية إلى ترك الزيادة التي ذكرناها؛ فقال:

كجيب الدفنيس الوزها ريعت بغد إجمال

ومتى سمعت قول أبي ذهل الجمحي:

وكيف أنساك لا أيديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم

علمت أنه من قول النابغة^(٤):

أبي غفلتي أني إذا ما ذكرته تقطع حزن في حسي الجوف داخل^(٥)

(١) ديوانه: ١٦٢، وروايته - بشرح السندويي:

كانها عنز بطن وادٍ تعدو وقد أفرد الغزال

(٢) اللسان - مادة دفنس.

(٣) الدفنيس: المرأة الحمقاء.

(٤) ديوانه ص ٦١.

(٥) في الديوان:

وَأَنَّ تِلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِئْتِي وَمُهْرِي وَمَا ضَمَّتْ إِلَيَّ الْأَنَامِلُ
جِبَاؤُكَ وَالْعَيْسُ الْعِتَاقُ كَانَهَا هِجَانُ الْمَهَا تُرْدَى^(١) عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ^(٢)

فإذا انصفت أبا دَهْبَلٍ عرفت فضله، وشهدت له بالإحسان؛ لأنه جمع هذا الكلام الطويل في: «ولا أيدبك واحدة عندي». ثم أضاف إليه: «ولا بالذي أوليت من قِدم». فتم المعنى، وأكده أحسن تأكيد؛ لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدها، وتقادم عهدُها؛ فنفى عنه وجوه النسيان كلها، وقد اختصر النابغة أبياته هذه في بيت من كلمة أخرى؛ فقال^(٣):

وَمَا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَاَنْتَصَحْنِي فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي

فأحسن وزاد على أبي دَهْبَلٍ بأن جعل جُلُّ ماله من عطائه. واقتصر أبو دَهْبَلٍ على تتابع الأيادي، وقد تَصَغَّرَ وقد تَكَثَّرَ، لكنه انفرد بالمصرع الثاني، فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى منفرد.

وما أبعد ما وقع العَطْوِي من أبي دَهْبَلٍ؛ إذ أخذ قول ابن مُنَادِر (قال الأصمعي: ابن مُنَادِر^(٤) جمع مُنَادِر. قال القاضي: وهو أعرف به لأنه بصري)؛ فقال:

تِرَاضِيْنَا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيْنَا لَنَا أَدَبٌ وَلِلَّتَّفِي مَالٌ

ففرقه في أربعة أبيات، بيتُ ابن مُنَادِرٍ خيرٌ من جميعها؛ فقال:

رَضِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ رِضَا عُلَمَاءٍ لَا تَسْخُطُ جُهَالِ

لِئِنْ خَصَّ قَوْمًا بِالنَّبَاهَةِ وَالغِنَى وَأَلْبَسَنَا ثَوْبِي خُمُولٍ وَأَقْلَالِ

لَقَدْ جَاءَ بِالْعِلْمِ النَّفِيسَ الَّذِي بِهِ رُشِدْنَا فَلَمْ نَلْبَسْ مَلَابِسَ ضَلَالِ

فَلَوْ سُمِّنَّا لَمْ نُعْطِ عِلْمًا بِشُرُوءِ وَلَمْ نَرِ لِلتَّمْيِيزِ كُفُوءًا مِنَ الْمَالِ

وما ضرَّ قول المتبني^(٥):

فَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لُونًا وَأَلْقَى لُونَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأُطْفَسَالِ

(١) ردت الفرس رديا ورديانا: رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.

(٢) في الديوان:

هجان المها تحدى عليها الرحائل

(٣) ديوانه: ٦٥، ورواية الديوان مع بيت قبله:

فلا عمر الذي أثنى عليه وما رفع الحجيج إلى إلال

لما أغفلت شكرك فانتصحنى فكيف ومن عطائك جل مالي

(٤) من فتح الميم منه لم يصرفه ويقول: إنه جمع منذر لأنه محمد بن منذر بن منذر بن منذر، ومن ضمها صرفه.

(٥) ديوانه (٣: ٢٠٠).

وإن كان مأخوذاً من قول العامة: هذا أمرٌ يشيب الطفل. وكانت الشعراء قد تداوَلته وابتذلته حتى أخلق ورثاً، وقد زاد فيه الزيادة المليحة، وإنما العيبُ على أبي الجَوَيرية^(١) العبدى إذ أخذ قول نُصَيْب^(٢)، فقال:

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالِبُ^(٣)
فعاَجُوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولو سَكثُوا أثنت عليك الحقائق

فنقل معناه وكثيراً من ألفاظه، ثم يَقَعُ من إحسانه أحسن موقع فيقول:

أقول لِقَافِلين يُرى عليهم عطايا منك ليس لها حساب
قِفُوا أَخْبِرْكُمْ وتُخَبِّرُوني قليلاً والسَّرَابُ له اخْتِباب^(٤)
لأفصحهم وما كفروك حُسناً ولو فعلوا الكذب العِياب^(٥)

وقد أخذ أبو الجَوَيرية بيتي الخنساء أحسن أخذ، وجمعهما في بيت استوفى فيه معنيهما. قالت الخنساء:

وما بلغت كف امرئ متناول من المجد إلا والذي فيك أطولُ
وما بلغ المُهدُون نحوك مذحة وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضلُ
فقال أبو الجَوَيرية:

يزيد على سَرُو الرجال بسروه^(٦) ويقصر عنه قول من يتمدح
وعلى من يأخذ قول أبي العطاء:

جَلَّتْ رزيتُه فعم مصابها فالناس فيه كلهم مأجور
فيقول:

ولقد أصاب غليلها من لم يُصب وتصيرت فقد أَلَمَن لم يَفْقِد

وبين الكلامين في صححة النظم وعذوبة المنطق ما تراه. ثم قد كرر المعنى في المصراعين، ولم يزد على قول أبي المعطاء: فشم مصابه، وبقيّة البيت فضل ومن يأخذ قول ساعدة بن جؤية:

للمشرفيّة وقّع في قلالهم تَحَتَ الثَيُون وطاب الأئبل بالقدّم

(١) أبو الجَوَيرية العبدى: اسمه عيسى بن أوس العبدى، شاعر محسن - سمط اللاكي ص ٣٢٣.

(٢) البيان والتبيين (١: ٨٣).

(٣) رواية البيان والتبيين:

قفوا خبرونا عن سليمان إنني لمعروفه من آل ودان طالسب

(٤) الخيب: ضرب من العدو، والسرعة، وخب واختب بمعنى.

(٥) العياب: جمع عيبة، وهي ما يجعل فيه الثياب.

(٦) السرو: المروءة في شرف.

فيقول:

للمشرفية وَقَع في قَلَالِهِمْ وَقَع القُدُوم بكف القَيْن في الخَشَبِ
فيبدل تلك الألفاظ، والبيت نقلاً ونسخاً على هيئته لما كان هذا المعنى يُعدُّ
مسروقاً؛ لأنه من المبتذل العامي المشاهد في كل حال.

ومتى أحكمت هذا الباب حقَّ الإحكام، وأوليته حسنَ التمييز فقد أَلقيت عن
نفسك ثقلاً، وكفيتها مؤونة، ولم يبقَ عليك إلا أن تُخترس من التفریط، كما احترست
من الإفراط. فلا تكن كمن يرى السَّرْق لا يتمُّ إلا باجتماع اللفظ والمعنى، ونقل
البيت جملة، والمصراع تاماً؛ بل لا يَعْرِف السارق إلا من يفعل فعل عبد الله بن
الزُّبير بأبيات معن بن أوس. حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد الله بن الزُّبير دخل على
معاوية فأنشده لنفسه^(١):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يُعْقِلُ
وَيُرَكَّبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرْحَلُ

فقال له معاوية؛ لقد شعرت بعدي يا أبا بكر! ولم يفارق عبد الله المجلس
حتى دخل معن بن أوس المزني، فأنشده كلمته التي أولها^(٢).

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوْلُ

حتى أتى عليها، وهذه الأبيات فيها. فأقبل معاوية على عبد الله بن الزُّبير
فقال: ألم تخبرني أنها لك؟ فقال: المعنى لي واللفظ له؛ وبعد فهو أخي من الرضاع
وأنا أحقُّ الناس بشعره.

وكفعل جرير بقول سُويد بن كراع العُكْلَى^(٣):

وَمَا بَاتَ قَوْمٌ ضَامِنِينَ لِنَادِمًا فَنُوفِيهَا^(٤) إِلَّا دِمَاءُ شَوَافِعُ

فإنه نقل البيت إلى قصيدة له، فلما أنشدها نبه عليه عمر بن نعاء التيمي، وكان
أحد الأسباب التي هاجت الشر بينهما.

وفعل الفرزدق إذ سمع جميلاً ينشد:

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلَقْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا

فقال: أنا أحقُّ بهذا البيت، فأخذه غصباً. وكما ادعى دُعْبِلَ على أبي تمام^(٥) في

(١) الأماي (٣: ٢١٨).

(٢) ديوان جرير ص ٥٧.

(٣) في الديوان: «فتوفينا»، وفي اللسان: «فشفينا».

(٤) ديوانه ص ٣٦٨، أخبار أبي تمام ص ٢٠٠، وفي الأصلين: «كما ادعى وعمل».

(٥) اللسان - مادة شفع، وديوانه ص ٣٧٢.

كلمته الرائية، التي رثى بها محمد بن حميد، فإنه زعم أن أبا مَكْنَفِ المُرْزِي، من ولد زهير بن أبي سلمى رثى دُفَافَةَ العَبْسِي، فقال:

أبعد أبي العباس يُسْتَعْتَبِ الدَّهْرُ
ألا أيها الناعي دُفَافَةَ والسُّدَى
إذا ما أبو العباس خَلَى مكانه
ولا مَطَرَتِ أرضاً سماءً ولا جَرَّتِ
كأن بني القَعْقَعِ بعد وَقَايَةِ
ثُوفِيَتِ الأمالِ بعد دُفَافَةَ
يُعَزُّونَ عن نَأْوِ تَعَزَّى به العُلا
وما كان إلا مالٌ مَنْ قَلَّ ماله

وما بعده للدهرِ عُثْبِي^(١) ولا عُذْرُ
تَعِسَتْ وشَلَّتْ من أناملك العُشْرُ
فما حملتْ أنثى ولا مَسَّها طُهرُ
نجومٌ ولا لَدَّتْ لشاربها الحُمُرُ
نجومٌ سماءٍ خَزٌّ من بينها البَدْرُ
وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفَرُ
ويبكي عليه البأسُ والمَجْدُ والشَّعْرُ
وذخراً لمن أمسى وليس له دُخْرُ

فأخذ أبو تمام أكثر هذه القصيدة وجعل مكان «بني القعقاع» «بني نيهان» وأبدل باسم دُفَافَةَ محمداً.

أو كما فعل أبو نُحَيْلَةَ بأزجوزة العجّاج: زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن أبا نُحَيْلَةَ قال: وفدتُ على مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمني وأنزلني، ثم قال لي: ما لك والقصيدِ وأنت من بني سعد! عليك بالرجز! فقلت: أولستُ بأرجز العرب؟ فقال: أسمعني، فأنشدته:

يا صاحٍ ما شاقك من رَسْمِ خالٍ
وهو من قول العجّاج، فلما سمع أولها أصاخ، فلما أسهبْتُ فيها قال: أمسك.
ودمنة تعرفها وأطلالٍ
فنحنُ أروى لهذا منك، وظننته مقننى، فما أصبْتُ منه خيراً.

وكما أخذ زهير^(٢) بيت أوس:
إذا أنت لم تُعْرِضْ^(٣) عن الجَهْلِ والخنا
وهو مروى في قصيدته. وكقول المَعْلُوط^(٤):

إن الظغائنَ يَوْمَ حَزْمِ عُنَيْزَةَ
بِكَيْنٍ^(٥) عند فراقهنَّ عُيُونَا
غِيْضَنَ من عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي
ماذا لقيتَ من الهوى ولقيتينا!
وقال جرير^(٦):

إن الذين غَدَوْا بلبك غادروا
وشلاً بعينك ما يزال معيننا

(١) العتبي هنا: ما تعوتب به.
(٢) أمالي ابن الشجري (٢: ١٧).
(٣) رواية الأمالي: «نقصر».
(٤) الأمالي (٣: ٨٠).
(٥) في الأمالي: «أبكين».
(٦) ديوانه ص ٥٧٨.

عَيْضُنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي مَاذَا لَقِيَتْ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا



ولا تعدّ المعنى مأخوذاً حتى يجيء مجيء قول النابغة^(١):

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةَ^(٢) مَتَعَبِدٍ
وقول ربعة بن مقروم^(٣):

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةَ مُتَبَتِّلٍ
وقول امرئ القيس^(٤):

كَأَنِّي لَمْ أُرَكِّبْ جَوَاداً لِيَلْدَةَ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خُلْخَالٍ^(٥)
وَلَمْ أَسْبَأِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ^(٦)
وقول عبد يَعُوثَ بن وقاص الحارثي^(٧):

كَأَنِّي لَمْ أُرَكِّبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبَأِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِأَيْسَارٍ^(٨) صَدَقَ عَظْمُوا صَوءَ تَارِيَا



وقول النابغة^(٩):

وَمَا كَانَ دُونَ^(١٠) الْخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِماً أَبُو حَجْرٍ إِلَّا لَيْيَالٍ قَلَائِلُ
وقول الحطيئة^(١١):

وَمَا كَانَ بَيْنِي وَلَوْ لَقَيْتُكَ سَالِماً وَبَيْنَ الْغِنَىٰ إِلَّا لَيْيَالٍ قَلَائِلُ



(١) اللسان (مادة صرر) وديوانه ص ٣١. (٢) الصرورة: الذي لم يتزوج.

(٣) اللسان (مادة تبيل). (٤) ديوانه ص ٥٨.

(٥) الجواد: الفرس اللاحق، ولم أتبطن؛ من البطانة. والكاعب: الجارية التي كعب ثديها وارتفع. والخلخال من الحلي؛ مثل السوار.

(٦) سبأ الخمر: اشتراها، والروي: الذي يروي.

(٧) خزانة الأدب (١: ٢٩٨). المواهب الفتحية (١: ١٠٨).

(٨) الأيسار جمع ياسر، وهو الجازر، والذي يلي قسمة جزور الميسر.

(٩) ديوانه ص ٦٢.

(١٠) رواية الديوان: «بين».

(١١) ديوانه ص ٩٩.

وقال مالك بن الرّيب :

العَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا والحرُّ يُكْفِيهِ الوَعِيدُ
وقول يزيد بن [ربيعه بن] مُفْرَغُ :

العَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا والحرُّ تُكْفِيهِ المَلَامَةُ
وقال آخر بعدهما :

العَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا والحرُّ تُكْفِيهِ الإِشَارَةُ



وقول ذي الرُّمة :

يَطْرَحُنَ بالدَّوِيَّةِ^(١) الأملاس^(٢) لكلِّ ذئبٍ قَفْرَةٌ ولأس^(٣)
مَوْتَى العظامِ حَيَّةَ الأنفاسِ

وقول رُؤبة :

يَطْرَحُنَ بالدَّوِيَّةِ الأَغْفَالِ^(٤) كلُّ جنينٍ لفق السُّربالِ
حيِّ الشُّهيقِ مَيِّتِ الأوصالِ



وقول امرئ القيس بن عابِس^(٥) :

قفَّ بالديارِ وُقُوفًا حابِسُ وتأنُّ إنك غَيْرُ آيسِ
ماذا عليك من الوقو ف بهامدِ الطَّلَلينِ دَارِسِ
لَعَبَتِ بهنِ العاصفاتِ^(٦) الرا نُحساتِ من الرِّوائِسِ^(٧)
وقول الكُمَيْتِ :

قف بالديارِ وقسوفِ زائِرُ وتأنُّ إنك غَيْرُ صاغرِ

(١) الدوية: المفاضة، وفي الأصلين: «بالدرية».

(٢) الملس: المكان المستوي؛ والجمع أملاس.

(٣) الولاس؛ من الموالسة، وهي المخادعة.

(٤) كل ما لا علامة فيه ولا أثر للعمارة من الأرضين والطرق ونحوهما غفل، والجمع أغفال.

(٥) أخبار المراقسة ص ٩٣، وهو امرؤ القيس بن عابِس الكندي. ذكره ابن حجر في الإصابة (١): (٦٤)، وأورد شعره المذكور.

(٦) في أخبار المراقسة: «الغاديات».

(٧) الرئاس: رأس الوادي، وكل مشرف، وجمعه روائس. وروائس الوادي أعاليه. وسحابة رائسة: هي التي تتقدم السحاب.

ماذا عليك من الوقو
درجت عليه الغاديات الرا
ف بهامد الطلّين دائر
نحجات من الأعاصر



ومثل قول الأقيشر - إن كانت له :

جرئت مع الصبا طلق العتيق
وجذت ألد عارية الليالي
ومسمعة إذا ما شئت غئت
تمتع من شباب ليس يبقى
وقول أبي نواس^(٢) :

وهان عليّ مأثور الفسوق
قران النغم بالوتر الحفوق
متى نزل الأجابة بالعقيق
وصل بعري الصبوح عري العبوق^(١)

جرئت مع الصبا طلق الجموح
وجذت ألد عارية الليالي
ومسمعة إذا ما شئت غئت
تمتع من شباب ليس يبقى
وأنا أرتاب بأبيات الأقيشر؛ فإنها لا تشبه شعره، ولم أرها في ديوانه.



وقول الراعي :

فتى يشتري حُسن الشناء بماله
وقال الأبيرد :

إذا ما اشترى المخزاة بالمال بيهس
إذ السنة الشهباء^(٣) أعوزها القطر

فتى يشتري حُسن الشناء بماله
وقول أبي نواس^(٤) :

فتى يشتري حُسن الشناء بماله
ويعلم أن الدائرات تدور



وقول محمد بن وهب :

هل الدهر إلا عمرة وانجلاؤها
وشيكاً وإلا ضيقة تتفرج

(١) الغبوق : الشرب بالعشي .

(٢) ديوانه ص ٢٥٧ .

(٣) سنة شهباء : كثيرة الثلج مجدبة .

(٤) ديوانه ص ٩٩ .

وقول البُخْتَرِي (١):

هل الدهرُ إلا غَمْرَةٌ ثم يَنْجَلِي عَمَاهَا وإلا ضَيْقَةٌ وانْفِرَاجُهَا



وقول حَزْنِ بنِ جَنَابِ المِنْقَرِيِّ (٢):

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَه ففي صالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجْعَلِ

وقول حُرَيْثِ أبو اللُّحَامِ (٣):

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَه فأبْصِرْ بعَيْنَيْكَ امرأً حيثُ يَغْمَدُ (٤)



وقال مالك بن الريب (٥):

يقولون لا تَبْعُدْ وهم يَذْفُونُنِي وليس (٦) مكانُ البُعْدِ إلا مَكَانِيَا

وقول هُدْبَةَ بنِ الخَشْرَمِ (٧):

يقولون لا تَبْعُدْ وهم يَذْفُونُنِي وليس مكانُ البُعْدِ إلا ضَرَائِحِي (٨)



وقول العباس بن المطلب:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنْتَ تَعْلَمُ

وقول الفرزدق:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنْتَ تَعْرِفُ



وقول نَافِذِ بنِ عَطَّارِدِ (٩):

وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سَائِلاً وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يوماً لِيُعْطِيَنِي سُؤْلي

(١) ديوانه (١: ١٠٣)، ورواية الديوان:

هل الدهرُ إلا غَمْرَةٌ وانْجَلَاؤُهَا وشيكا وإلا ضَيْقَةٌ وانْفِرَاجُهَا

(٢) في الأصلين: «ابن حيان»، والتصحيح عن معجم الشعراء ص ١٠١.

(٣) في الأصلين: «حريث اللجام»، والتصحيح عن الخزانة.

(٤) يعمد: يقصد. (٥) الأمالي (٣: ١٣٧).

(٦) في الأمالي: «وأين مكان البعد». (٧) في الأصلين: «هرمة بن الخشرم».

(٨) الضريح: الشق في وسط القبر، واللحد في الجانب.

(٩) في الأصلين: «ناقذ».

وقول الأصلع بن قصاب :

وَإِنِّي لِأُعْطِي الْمَالَ مَنْ لَيْسَ سَائِلاً وَأُعْرِضُ عَنْ بَادِي الشَّدَاةِ^(١) مُلِيم



وقول المُخَضَّع العبدِي^(٢) :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقاً سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَتَرْجِعُهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِع

وقول الأعور الشَّتِي :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقاً سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ^(٣) يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيْمُهَا^(٤)



وقول وَالبَة :

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ أَسَدٍ نَمَتَ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَكْغِدِ

وقول أبي نواس^(٥) :

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ^(٦) نَمَتَ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَتَم



وقول حاتم^(٧) :

وَإِنِّي لَعَفْتُ الْفَقْرَ مُشْتَرِكُ الْغِنَى وَتَارَكَ شَكْلِي لَا يُوَافِقُهُ شَكْلِي

وقول جرير^(٨) :

وَإِنِّي لَعَفْتُ الْفَقْرَ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي أَحْتِمَالِيَا

وأشبه ذلك مما جمع اتفاق الألفاظ، وتساوي المعاني، وتمائل الأوزان.

سرقة المعاني والأغراض

وأول ما يلزمك في هذا الباب ألا تُفصِّر السَّرقة على ما ظهر ودعا إلى نفسه دون ما

(١) الشداة: الحدة، وفي الأصلين: «الشداة» - بالدال.

(٢) هو من عبد قيس.

(٣) رواية البيت في المؤلف والمختلف ص ٤٧٥.

ومن يبتدع خلقاً سوى خلق نفسه

(٤) ديوانه: ٣٢٤.

(٥) الخيم: الطبع.

(٦) حكم: قبيلة.

(٧) مهذب الأغاني (١: ٦٦)، ديوانه ص ٢٠.

(٨) ديوانه ص ٦٠٥.

كَمَنْ، وَنَضَحَ^(١) عَنْ صَاحِبِهِ؛ وَأَلَّا يَكُونَ هُمُكَ فِي تَتَبِيعِ الْأَبْيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَالْمَعَانِي الْمُنَاسَخَةِ طَلَبَ الْأَلْفَاظِ وَالظُّوَاهِرِ دُونَ الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ، وَلَنْ تُكْمِلَ ذَلِكَ حَتَّى تَعْرِفَ تَنَاسُبَ قَوْلِ لَيْدٍ^(٢):

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَرَدَّ الْوَدَائِعُ
وَقَوْلِ الْأَفْوِهِ الْأَوْدِيِّ:

إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٌ مُنْعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ
وَإِنْ كَانَ هَذَا ذَكَرَ الْحَيَاةَ، وَذَلِكَ ذَكَرَ الْمَالَ وَالْوَلَدَ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا جُعِلَ وَدِيعَةً، وَالْآخَرُ عَارِيَةً، وَتَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ^(٣):

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ

هُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ:

فَنَفْسُكَ أَكْرِمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهُنَّ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمًا
وَحَتَّى تَتَأَمَّلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فَتَعْرِفَ انْتِسَابَ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَاتِّصَالَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِصَاحِبِهِ، مَعَ افْتِنَانِ مَذَاهِبِهِمَا، وَاخْتِلَافِ مَوَاقِعِهِمَا، كَقَوْلِ زَهِيرٍ^(٤):

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ بُغْيَةً وَلَيْسَ لِمَنْ قَدْ حَطَّهَ اللَّهُ حَامِلٌ
وَقَوْلِ حَاتِمٍ^(٥):

إِذَا أَوْطَنَ^(٦) الْقَوْمُ الْبَيْوتَ وَجَدْتَهُمْ عُمَاءَةً عَنِ الْأَخْبَارِ خُرْقَ الْمَكَاسِبِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ:

خَاطِرٌ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصَيِّبَ غَنِيمَةً إِنْ الْفُعُودَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحٌ
وَقَوْلِ الْآخَرِ^(٧):

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي دَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ - وَيُقَالُ لِسَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ^(٨):

أَغْصِ الْعَوَادِلَ وَأَزِمِ اللَّيْلَ عَنِ عَرَضِ بِذِي سَبِيبٍ^(٩) يُقَاسِي لَيْلَهُ حَبِيبًا

(١) نضح عن صاحبه: دفع عنه.

(٢) مهذب الأغاني (٢: ٦٤). (٣) سبق منسوبا إلى حزن بن جناب ص ١٧٣.

(٤) مختارات ابن السجري: ١٨، قال: وقد روى الشطر الثاني:

ليس لرحل حله الله حامل

(٥) شعراء النصرانية ص ١٢٩، ديوانه ص ٤.

(٦) أوطنه: اتخذها محلا وسكنا (وطنا).

(٧) هو أبو العيال، ولا يعرف له اسم غير هذا، العمدة (١: ٢٤).

(٨) اللسان - مادة شعب. (٩) السبب: شعر الناصية.

حتى تُصَادِفَ مَالاً أَوْ يُقَالَ فَتَى لاقى^(١) الذي شَعَبَ الْفِثْيَانِ فَانْشَعَبَا
 وقول هيرة بن عبد مناف:
 إِذَ الْمَرْءُ لَمْ يَعْشَ الْكَرْبِيهَةَ أَوْشَكَتْ حبالُ الهوينى بالفتى أن تَقْطَعَا
 وقول أبي تمام^(٢):
 دَرِينِي وَأَهْوَالِ الزَّمَانِ أَعَانِيهَا^(٣) فأهواله العظمى تليها رغائبه
 وتعلم أن زهيراً جمع في قوله:

وليس لمن لم يركب الهول بُغِيَةً

ما بسطه هؤلاء، وأن أبا تمام زاد بأن حَقَّقَ درك البُغِيَةِ، وحصول المراد لا محالة.

واقصر زهير على التأميل؛ فلأبي تمام فضيلة التأكيد، وأن الغرض الحثُّ على تجسُّم الأهوال في الطلب، فكلما ازداد الكلام تأكيداً كان أبلغ. ولزهير مَزِيَّةُ الصدق؛ لأن الأمل مقرون بهذه الحال، والبغية مطلوبة؛ فأما الظفرُ الذي حكم به أبو تمام فقد يكون، وقد يُقْتَطَعُ الطالبُ دونه، ويُحَالُ بينه وبينه.



وألطف من هذا التناسب، وأغمض مأخذاً ما تجده بين هذه الأبيات إذا حذفت عنك اعتبار أمثلتها، وأقبلت على صريح معانيها:

قال بعض العرب:
 يهاب العديدُ الدُّهْمَ من حيثُ لا يُرى ويخشى شِدَاةَ^(٤) العِزِّ والعِزُّ غَائِبُ
 وقال أبو هَقَّان:
 أنا السيفُ يُخْشَى حُدَّهُ قبلَ هِزِّهِ فكيف وقد هُزَّ الحُسامُ المهتدُّ
 وقول البحثري^(٥):
 وَيُخْشَى شِدَاةُ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلِّطٍ وقد يُتَوَقَّى السيفُ والسيفُ في الغنْدِ

(١) رواية اللسان:

لاقى التي تشعب الفثيان فانشعبا

(٢) ديوانه ص ٤٤.

(٣) في الديوان: «فإنها».

(٤) الشداة: الحدة، وفي الأصل: الشداة - بالذال.

(٥) ديوانه (١: ١٩٦)، وفي الأصلين «شداة».

وقول المتنبي^(١):

تُهَابُ سِيوْفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَةً عُرْبًا
وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَيْثُ وَخَدَّهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَخْبًا
وَيُخْشَى عِبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانَهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا

معنى هذه الأبيات الثلاثة وأحد، وإن اختلفت المعارض والأمثلة.



وكاختلافها واتفاق أغراضها قول الطُّفَيْلِ الْعَتَوِيِّ^(٢):

نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَا وَانْجَلَّتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ^(٣) كَوْكَبٌ
وقول أبي الطَّمْحَانَ^(٤) [القيني]:
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا عَارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وقال أوس^(٥):
إِذَا مُقْرَمٌ مِّنَّا ذَرَا حَدَّ نَابِهِ تَحَمَّطَ مَنَا^(٦) نَابٌ آخَرَ مُقْرَمٌ
وقال الْخَزِيمِيُّ^(٧):
إِذَا قَمَرٌ مَنَا تَعَوَّرَ أَوْ حَبَا بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ
وقال أبو تمام^(٨):
رَأَيْتُهُمْ رِيَشَ الْجَنَاحِ إِذَا مَضَتْ^(٩) قَوَادِمُ مِنْهُ بَشَّرَتْ^(١٠) بِقَوَادِمِ

التفنن في السرقة

وحتى لا يغرَّك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً، والآخر مديحاً،

(١) ديوانه (١ : ٦١).

(٢) مهذب الأغاني (١ : ٢٢٧) وروايته:

كواكب دجن كلما انقض كوكب

(٣) الدجنة: الظلمة.

(٤) في الأصلين: «الطمحان».

(٥) اللسان - مادة خمط، وسقط اللآلي: ٤٥٥، وروايته:

وإن سيد منّا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

(٦) في اللسان: فينا، والتخمط: الغضب والتكبر والأخذ والقهر بغلبة، والمقرم: السيد، أراد أنه إذا هلك سيد قام آخر.

(٧) في الأصلين: «الخريمي».

(٨) ديوانه ٣٨٦.

(٩) في الديوان: «ذوت».

(١٠) في الديوان: «أيدت».

وأن يكون هذا هجاءً، وذاك افتخاراً؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عَلِقَ المعنى المختلس عدلً به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه، وعن رويّه وقافيته، فإذا مرَّ بالغبيّ الغُفْلِ وجدهما أجنبيّين متباعدين، وإذا تأملهما القَطِنَ الذكي عرف قرابةً ما بينهما، والوصلّة التي تجمعهما، قال كُثَيِّرٌ^(١):

أريد لأتسى ذكّرها فكأنما تَمَثَّلُ لي ليلي بكلّ سبيلٍ
وقال أبو نواس^(٢):

ملك تصوّر في القلوب مثأله فكأنه لم يخلُ منه مكان
فلم يشكّ عالمٌ في أن أحدهما من الآخر، وإن كان الأول نسيباً والثاني مديحاً.



وقال أبو نواس^(٣):

حُلِّيتَ وَالْحُسْنُ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَسْتَخِبُ
فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهْبُ
وقال عبد الله بن مُضْعَب:

كَأَنَّكَ جِئْتَ مُحْتَكِمًا عَلَيْهِمُ تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ
فأحدُ البيتين هو الآخرُ في المعنى، وإن كان أحدهما يتخيّر الحسن والآخر الأبوة، وإنما هما من قول بشار^(٤):

حُلِّقْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرِ هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا
ثم تناوله أبو تمام، فأخفاه فقال^(٥):
وَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ



وقد أخذ أبو نواس قول جرير^(٦):

بعثن^(٧) الهوى ثم ازتمين قلوبنا بأشهم أعداء وهنّ صديقتي

(٢) ديوانه (ص ٥٩).

(١) الأمالي (٣: ١١٩).

(٣) ديوانه (ص ٣٦١).

(٤) ديوانه (ص ٣٣)، وروايته:

طبعنت على ما في غير محير

(٥) ديوانه ص ١٩٥.

(٧) في الديوان: «دعون».

(٦) ديوانه ص ٣٩٨.

فقال^(١):

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوِّ في ثياب صديق



وأخذ أيضاً قول أبي خِرَاشِ الهذلي^(٢):

ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رِداءه على أنه قد سُلَّ من ماجدٍ محضٍ
فقال - يصف شرباً^(٣):

ولم أدرِ منهم غيرَ ما شهدت به بشرقي سابطِ الديارِ البساسِيسِ^(٤)
فلم يخفَ موضعَ لأخذ؛ وإن كان قد نقلَ العزْلَ إلى الزهد، والمرثية إلى المنادمة.

مناقضة الشعراء

ومن لطيفِ السَّرِقِ ما جاء به على وجه القلب، وقصد به النقض، كقول المتنبي^(٥):

أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ إِنَّ المَلَامَةَ فِيهِ من أَعْدَائِهِ
إنما نقض قول أبي الشيص^(٦):

أَجِدُ المَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لذيذَةٌ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمُنِي اللُّومُ
وأصله لأبي نُوَاسٍ في قوله^(٧):

إذا غاديتني بَصْبُوحِ عَذْلِ فممزوجاً^(٨) بتَسْمِيَةِ الحبيبِ
فإني لا أَعْدُ اللومَ^(٩) فيه عليك إذا فعلت من الذنوب



وقول المتنبي^(١٠):

وَالجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّبِهِ بِسُؤَالِ

إنما ناقض به أبا تمام في قوله^(١١):

وَتَعْمَةٌ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ^(١٢) أَحلى على أذُنَيْهِ من نَعْمِ السَّمَاعِ

(١) مختارات البارودي (٤ - ٤٦٨).

(٢) مهذب الأغاني (٢: ١٩٧).

(٣) ديوانه ص ٢٩٥.

(٤) البساسيس: جمع بسيس، وهو القفر.

(٥) ديوانه (١ - ٤).

(٦) التبيان (١ - ٤).

(٧) ديوانه ص ٣٦١.

(٨) في ديوانه: «فشويه».

(٩) في الديوان: «العذل».

(١٠) ديوانه (٣: ١٩٦).

(١١) ديوانه ص ١٩٤.

(١٢) في الديوان: «يرجوه».

وقد تبعه البُحْثري؛ فقال^(١):

نَشْوَانٌ يَطْرَبُ لِلسَّوَالِ كَأَنَّمَا غَنَاهُ مَالِكٌ طَيْسٌ أَوْ مَغْبَدٌ



وقول المتنبي^(٢):

أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاصِبُ البَيْضِ وَالنَّقَا الدُّبُلُ

إنما هو نقيض قول أبي نواس^(٣):

عَبَّاسٌ عَبَّاسٌ إِذَا اخْتَدَمَ الوَعَى وَالفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ



وقول ابن أبي طاهر:

يَشْتَرِكُ العَالَمُ فِي ذَمِّهِ لَكِنِّي أَمْدَحُهُ وَخَدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام^(٤):

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا^(٥) لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَخَدِي

وهذا بابٌ يحتاجُ إلى إنعامِ الفِكرِ، وشِدَّةِ البَحْثِ، وحسنِ النظرِ، والتحرُّزِ من الإقدامِ قبل التبيينِ، والحكمِ إلا بعد الثقة. وقد يَغْمُضُ حتى يخفى، وقد يذهبُ منه الواضحُ الجليُّ على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرِّباً بالنقد؛ وقد تُحْوِلُ العصبيةُ فيه العالمَ على دفعِ العيانِ، وجَحْدِ المُشاهدةِ، فلا يزيدُ على التعرُّضِ للفضيحةِ، والاشتِهَارِ بالجورِ والتحامِلِ!

(١) ديوانه ص ١٧٦.

(٢) ديوانه (٣: ٢١٦).

(٣) ديوانه ص ٩٦.

(٤) ديوانه ص ١٢٩.

(٥) في الديوان: «ومتى ما لمته».

ادعاء السرقة في شعر البحتري وأبي نواس وأبي تمام

ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام وتتبّعه بشر بن يحيى على البحتري، ومهلhel بن يموت على أبي نواس عرفت فُبح آثار الهوى، وازداد الإنصاف في عينك حسناً. زعم مهلهل أن قول أبي نواس^(١):

إليك أبا العباس من^(٢) بين من مشى عليها امتطينا الحضرمي الملسنا
مأخوذ من قول كثير^(٣):

لهم أزر حمر الحواشي يطؤونها^(٤) بأفداهم في الحضرمي^(٥) الملسن

والحضرمي الملسن أشهر عند العرب من أن يُفتقر فيه إلى قول كثير أو غيره، وإنما هو صنف^(٦) من نعالهم كان مستحسناً عندهم، فما في ذكر أبي نواس له من السرقة المعروفة شيء، ثم لو ذكر بعض شعرائنا اليماني المخصر^(٧) والكناني المطبق، ثم وجدناه في شعر غيره، أكتنا نقول: إنه مأخوذ منه؟ أو كنا نعدّه سرقة؟ وليس بين البيتين اتصال ولا تناسب إلا في هذه اللفظة؛ لأن كثيراً مدح قوماً فوصفهم بالمرح والنعمة والخلاء، وذكر شُبوع أزرهم، وأنهم يطؤونها بنعالهم الحضرمية الملسنة هواناً بها، وقصد أبو نواس معنى آخر فذكر أنه قصد ممدوحه ماشياً وامتطى نعله الحضرمية الملسنة؛ فما أرى بينها غير ما ذكرت. وزعم أن قول أبي نواس^(٨):

نُعزي^(٩) أمير المؤمنين محمداً على خير مبيت غيبته المقابر

(١) ديوانه ص ٧٦. (٢) في الديوان: «من دون من مشى».

(٣) اللسان - مادة لسن. (٤) في الأصلين: «بطنها».

(٥) في الأصلين: «والحضرمي».

(٦) الملسن من النعال: الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان.

(٧) خصر النعل: ما استدق من قدام. ونعل مخصرة لها خصران، وفي الحديث: «إن نعله عليه

السلام كانت مخصرة»، أي قطع خصرها حتى صارا مستدقين.

(٨) ديوانه ص ١١٧.

(٩) في الأصلين: «تعز».

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ محمداً لرابِطُ جَأَشٍ لِلخُطوبِ وصَابِرُ
من قول موسى شَهَوَاتٍ :

بكتِ المنابرُ يومَ ماتَ وإنما أبكى المنابرَ فقدُ فارِسَهِنَّه
لما علاهنَّ الوليدُ خليفَةً قلن: ابْنُه ونظيرُه فسكُنُه

وهذا أعجبُ من الأول؛ لأنهما لم يتشابهيا في لفظٍ ولا معنى، وأكثر ما فيها أن كل واحد منهما عزى خليفة عن أبيه ومدحه، فإن كان هذا سرقة فالكلام كله سرقة؛ وإنما الذي يقارب قول موسى قول محمد بن عبد الملك يرثي المعتصم ويمدح الواصل:

لَسُنَّ يجبرَ اللهَ أمةً فقدتَ مثلكَ إلا بمثلِ هارون

لأنه جعل انجبار الأمة بعد الوهن الشديد بهارون كسكون المنابر بالوليد بعد البكاء على أبيه؛ وهذا أخذ لطيف. وقد زعم أن قوله:

حباريابَ جَلَهَتِي مَلْحُوبٍ فالقُطبيَّاتِ إلى الذُّنُوبِ
من قول عبيد^(١):

أَقْفَرَ من أهله مَلْحُوبٍ فالقُطبيَّاتِ^(٢) فالذُّنُوبِ

وهذه أسماء مواضع لا معنى للسرقة فيها، ولو كان الجمع بينها سرقة لكان أفرادها كذلك، فكان يحرم على الشاعر أن يذكر شيئاً من بلاد العرب. وأن قوله في الخمر^(٣):

أتت دونها الأيامُ حتى كأنها تَسَاقُطُ نورٍ من فُتُوقِ سَماءِ
من قول جرير^(٤):

يَجْرِي^(٥) السَّوَاكُ على أغرِّ كأنه بَرْدٌ تحدرُ من مُثُونِ عَمَامِ
ولست أرى شبيهاً يشتركان فيه إلا إن ادعى احتذاء المثل فلعله. وأن قوله^(٦):

تَرى العينَ تَسْتَعْفِيكَ من لَمَعَانِهَا وتَحسِرُ حتى ما تُقَلُّ جفونُهَا
من قول الأبيورد:

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأمرِ لي فيه وإن عَظُمَ الأمرُ

ولا أراهما اتفاقاً إلا في الاستعفاء، وهي لفظة مشهورة مُبتدلة، فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميع الشعر كذلك؛ لأن الألفاظ منقولة متداولة وإنما

(١) اللسان - مادة قطب، ومادة لحب.

(٢) القطبية: ماء بعينه، وملحوب: موضع.

(٤) ديوانه ص ٥٥١.

(٥) في الديوان: «تجري السواك».

(٦) لم نقف عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ٦٣.

يُدعى ذلك في اللفظ المستعار أو الموضوع، كقول أبي نواس^(١):

طوى الموت ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تطوي المنية ناشرُ
وقول البطين البجلي:
طوى الموت ما بيني وبين أحبةٍ بهم كنتُ أعطي ما أشاء وأمنعُ



وكقوله:

سَقَّئُهُ كَفُّ اللَّيْلِ أَكْؤُسَ الْكَرَى

وقول الآخر:

سَقَاهِ الْكَرَى كَأَسِّ الثُّعَاسِ فِرَاسُهُ لِدَيْنِ الْكَرَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ



وقوله^(٢):

كَدَّتْ مَنَادِمَةُ الدَّمَاءِ سِيوفَهُ فَلَقَلَّمَا تَخْتَارُهُ الْأَجْفَانُ
وقول بعض العرب:

وَتَنَادَمَتْ دُفَعُ الدَّمَاءِ سِيوفُنَا حَتَّى اجْتَرَى أَصْحَابُهَا سُكْرَ الْقَنَا



وقول أبي تمام^(٣):

حَتَّى تَعْتَمَّ ضَلْعُ هَامَاتِ الرَّبِيِّ مِنْ دُونِهِ^(٤) وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ
وقول بعض الأعراب:

أَصْبَحَتِ الْعُقْدَةُ^(٥) صَلْعَاءَ اللَّمَمِ وَأَصْبَحَ الْأَسْوَدُ مَخْضُوبًا بِدَمِ



وقول آخر:

بَكَى فَاسْتَمَلَ الشُّوقَ مِنْ فِي حَمَامِيَّةٍ أَبَتْ فِي عُصُونِ الْأَيْكِ إِلَّا تَرْتُمَا
وقول أبي تمام^(٦):

وَقَدْ كَادَ يُنْسَى^(٧) عَهْدُ ظَمِيَاءَ بِاللَّوَى وَلَكِنْ أَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمِ

(١) ديوانه ص ١٢٩.

(٢) لم نجده في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ٢٧٩.

(٤) في الديوان: «من ثوره».

(٥) العقدة من الشجر: ما اجتمع وثبت أصله.

(٦) ديوانه ص ٢٨٥.

(٧) في الأصلين «يني».

فأخذ أمل من استمل، وإن كان تهيج الحمام صبابة المشتاق مبتدلاً.



وقول أشجع:

إذا خالط الشيبُ الشبابَ تجهَّزَتْ إلى البين أفراسُ الصُّبَا وَرَوَّاجِلُه
وقول زهير^(١):

صَحَا القُدْبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُه وغرِّي أفراسُ الصُّبَا وَرَوَّاجِلُه



وقول الجلاح:

نفضنا إلى الموت أذراعنا كما تُنْفِضُ الأسدُ ألبآدها
وقول حسان^(٢):

ويسرِبُ تَعْلَمُ أَنَّهَا أُسودُ تُنْفِضُ ألبآدها



ومما ادعاه أيضاً على أبي نواس قوله:

كَأَنَّ فِخْدِيهَ وَقَدْ ضُمَّتَا وال... فيه عقد عشرينا

أنه مأخوذ من قول عبد بني الحساس:

وأشهدُ بالرحمن أني رأيتها وعشرين منها إصبعا من ورأيا

وليس بين البيتين اتفاق بحال إلا في ذكر العشرين، والمعنيان شديدا التباين؛

هذا يذكر أنه علاها والتحفث عليه فعقدت يديها ورجليها فصارت أصابعها العشرون من ورائه، وأبو نواس يُشَبِّه ما ذكره بعقد عشرين، فأبي قُزَيبِ أو نسب بين هذين.

وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هُدَبة^(٣):

ولا أتمئى الشرِّ والشرُّ تاركِي ولكن متى أُحْمَلُ على الشرِّ أَرْكَبُ

أنه مأخوذ من قول تأبط شراً:

ولَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ولا جازعٍ من صَرْفِه المَتَحَوِّلِ

تأملهما فإنك ترى بينهما من التباين ما يحظر ادعاء ذلك فيهما، ولو احتمل

الكتاب استقصاء ما حافت به هذه الطائفة على أبي نواس وأبي تمام والبحثري لبسطنا القول فيه؛ لكنه لما ضاق عنه اقتصرنا على قدر ما أريناك به الطريقة، ووقفناك به على

(٢) ديوانه ص ١١٧.

(١) ديوانه ص ٢٤.

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٥١.

الْمَنْهَجِ، فَإِنْ سَمَتْ بِكَ هَمَّةٌ، ونازعتك رَغْبَةً، فاقْتَبِ فِيهِ هَذَا الْأَثْرَ، وَغَايِرَهُ بِهَذَا الْمَعْيَارِ فَإِنَّكَ لَا تَبْعُدُ عَنِ الْإِصَابَةِ مَا لَمْ تَمِلْ بِكَ الْعَصِيْبِيَّةُ، وَيَسْتَوْلِي عَلَيْكَ الْهَوَى وَالْمَدَاهِنَةُ.

السرق داء قديم

وَالسَّرْقُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - دَاءٌ قَدِيمٌ، وَعَيْبٌ عَتِيقٌ، وَمَا زَالَ الشَّاعِرُ يَسْتَعِينُ بِخَاطِرِ الْآخِرِ، وَيَسْتَمْتِدُّ مِنْ قَرِيحَتِهِ، وَيَعْتَمِدُّ عَلَى مَعْنَاهُ وَلَفْظِهِ؛ وَكَانَ أَكْثَرُهُ ظَاهِرًا كَالْتَوَارِدِ الَّذِي صَدَرْنَا بِذِكْرِهِ الْكَلَامَ، وَإِنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ قَلِيلًا فِي الْغَمُوضِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ غَيْرُ اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، ثُمَّ تَسَبَّبَ الْمُحَدَّثُونَ إِلَى إِخْفَائِهِ بِالنَّقْلِ وَالْقَلْبِ؛ وَتَغْيِيرِ الْمَنْهَاجِ وَالتَّرْتِيبِ، وَتَكَلَّفُوا جَبْرًا مَا فِيهِ مِنَ النَّقِيصَةِ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّأَكِيدِ وَالتَّعْرِيضِ فِي حَالِ، وَالتَّصْرِيحِ فِي أُخْرَى، وَالِاحْتِجَاجِ وَالتَّعْلِيلِ؛ فَصَارَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَخَذَ مَعْنَى أَضَافَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا لَا يَقْصُرُ مَعَهُ عَنِ اخْتِرَاعِهِ وَإِبْدَاعِ مِثْلِهِ. وَقَدْ أَدْعَى جَرِيرٌ عَلَى الْفَرَزْدَقِ السَّرْقَ فَقَالَ^(١):

سَيَعْلَمُ مَنْ يَكُونُ أَبُوهُ فِينَا وَمَنْ عُرِفَتْ قِصَائِدُهُ اجْتِلَابَا
وَأَدْعَى الْفَرَزْدَقُ عَلَى جَرِيرٍ فَقَالَ^(٢):

إِنَّ اسْتِرَاقَكَ يَا جَرِيرٌ قِصَائِدِي مِثْلَ ادْعَاكَ سِوَى أَبِيكَ تَنْقُلُ

وَمَتَى أَنْصَفْتَ عَلِمْتَ أَنَّ أَهْلَ عَصْرِنَا، ثُمَّ الْعَصْرُ الَّذِي بَعَدْنَا أَقْرَبُ فِيهِ إِلَى الْمَعْدَرَةِ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْمَذْمَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَقَدَّمَ قَدْ اسْتَغْرَقَ الْمَعْنَايَ وَسَبَقَ إِلَيْهَا، وَأَتَى عَلَى مُعْظَمِهَا؛ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ عَلَى بَقَايَا: إِمَّا أَنْ تَكُونَ تُرِكَتْ رَغْبَةٌ عَنْهَا، وَاسْتِهَانَةٌ بِهَا، أَوْ لِبَعْدِ مَطْلَبِهَا، وَاعْتِيَاصَ مَرَامِهَا، وَتَعَدُّرَ الْوَصُولِ إِلَيْهَا؛ وَمَتَى أَجْهَدَ أَحَدُنَا نَفْسَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، وَأَتَعَبَ خَاطِرَهُ وَذَهَنَهُ فِي تَحْصِيلِ مَعْنَى يَظُنُّهُ غَرِيبًا مُبْتَدِعًا، وَنَظَّمَ بَيْتَ يَحْسِبُهُ فَرْدًا مُخْتَرَعًا، ثُمَّ تَصَفَّحَ عَنْهُ الدَّوَابِينَ لَمْ يُخْطِئْهُ أَنْ يَجِدَهُ بَعِينَهُ، أَوْ يَجِدَ لَهُ مِثَالًا يَغْضُ مِنْ حُسْنِهِ؛ وَلِهَذَا السَّبَبُ أَحْظَرَ عَلَى نَفْسِي، وَلَا أَرَى لِغَيْرِي بَتَّ الْحَكْمِ عَلَى شَاعِرٍ بِالسَّرْقَةِ. وَقَدْ أَحْسَنَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ فِي مُحَاجَّةِ الْبَحْرِيِّ لَمَّا أَدْعَى عَلَيْهِ السَّرْقَ قَوْلَهُ:

وَالشَّعْرُ ظَهَرَ طَرِيقِي أَنْتَ رَاكِبُهُ فَمِنْهُ مُنْشَعِبٌ أَوْ غَيْرُ مُنْشَعِبِ
وَرَبِمَا ضَمَّ بَيْنَ الرُّكْبِ مِنْهَجُهُ وَأَلْصَقَ الطُّنْبِ الْعَالِي عَلَى الطُّبِّ

إِلَّا أَنِّي إِذَا وَجَدْتُ فِي شِعْرِهِ مَعْنَايَ كَثِيرَةً أَجْدُهَا لِغَيْرِهِ حَكَمْتُ بِأَنَّ فِيهَا مَاخُودًا لَا أَثْبَتُهُ بَعِينَهُ، وَمَسْرُوقًا لَا يَتَمَيَّزُ لِي مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا أَقُولُ: قَالَ فَلَانُ كَذَا وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَلَانُ فَقَالَ كَذَا، فَأَعْتَمْتُ بِهِ فَضِيلَةَ الصَّدْقِ، وَأَسْلَمْتُ مِنْ اقْتِحَامِ التَّهْوُرِ.

سركات المتنبي

وهذا ما ادّعي على أبي الطيب فيه السرقة، وما أضيف إليه مما عثرت به :
قال أبو تمام - وقد روي هذا البيت لبكر بن النطاح، وقد دخل في شعر أبي تمام^(١) :
ولو لم يكن في كفه غير نفسه^(٢) لجاد بها فليثق الله سائله
قال أبو الطيب^(٣) :

يا أيها المُجْدَى عليه رُوحه إذ لَيْسَ يأتيه لها استجداء
أحمد عُفَاتِكَ^(٤) لا فُجِعْتَ بِفُؤْدِهِمْ فَلَتَرَكْ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاءِ

وبيت أبي تمام أو بكر بن النطاح أملح لفظاً وأصح سبكاً. وزاد أبو الطيب
بقوله: إنه يجدي عليه رُوحه. ولكن في اللفظ قصور، والأول نهاية في الحسن، ثم
نقل المعنى عن الروح إلى الجسد، فقال^(٥) :

لو اشتَهتَ لحمَ قَاريها لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشُّبْرَى وَأَوْصَالُ^(٦)
وهذا هو الأول، ومن جاد بأوصاله فقد جاد برُوحه، وكأنه من قول ابن الرُّومي :
لو حَزَّ مِنْ جِسْمِهِ لِسَائِلِهِ أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَّا أَلِمَا
ثم كرره وغيره بعض التغيير فقال^(٧) :
مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا^(٨) لَوْ كُنْتُمَا السَّائِلِينَ يَنْقَسِمُ^(٩)

(١) ديوانه ٢٣٢، التبيان: ٢٦: وقد رواه هناك منسوباً إلى بكر بن النطاح؛ وروايته فيه:

ولو أن ما في كفه غير نفسه

(٢) في الديوان: «غير روجه».

(٣) ديوانه (١: ٢٦).

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو الفقير السائل، وهو طالب المعروف.

(٥) ديوانه (٣: ٢٨١).

(٦) القاري: المضيف. خرادل (بالدال والذال): القطع. والأوصال: جمع وصل؛ وهو كل عظم لا يكسر، ولا يخلط به غيره. الشبْرَى: جفان تصنع من خشب أسود.

(٧) ديوانه (٤: ٦٣). (٨) يخاطب صاحبيه، وهي من عادة الشعراء.

(٩) المعنى: إنني عدلت إلى زيارة رجل، لو جئتما تسألانه يكاد ينقسم بينكما؛ فصار لكل واحد منكما نفسه. وهذا مبالغة في الكرم.

ثم لاحظ هذا فأخفاه؛ وأحسن ما شاء، فقال^(١):

إِنَّكَ مِنْ مَغْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا

فجاء به معنى مُغْرَدًا، وهو من باب السماحة بالروح. والغرض واحد. ومن هذا المعنى قول بكر بن النُّطَّاح^(٢):

ولو خَدَلْتُ أَمْوَالَهُ فَيَضُّ^(٣) كَفَّهُ لِقَاسِمٍ مِنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ



قال أبو تمام^(٤):

لو حار^(٥) مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا

قال أبو الطيب^(٦):

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَابِيَا إِلَى أَرْوَاجِنَا سُبُلًا



وقال الأعشى^(٧):

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَبْرِ

وقال أبو الطيب^(٨):

فَدَقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقَبَّلِهَا لَوْ صَابَ تُرْبًا لِأَخِيَا سَالِفَ الْأُمِّ

وهذا معنى متداول بعد الأعشى، وقد قيل فيه ما كثر.



قال أبو العباس الناشئ الأكبر^(٩):

لَفْظِي وَلَفْظُكَ بِالشُّكْوَى قَدْ ائْتَلَفَا يَا لَيْتَ^(١٠) شِعْرِي فَقَلْبَانَا لِمَ اخْتَلَفَا

قال أبو الطيب^(١١):

أَبْدَيْتُ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ^(١٢) مِنْ أَلَمِ

والأول أملح لفظاً.



(١) ديوانه (٣: ٢١٦).

(٢) الأمالي (١: ٢٤٧).

(٣) في الأمالي: «جود كفه».

(٤) ديوانه ص ٢٤٢.

(٥) في الديوان: «جاء»، وحرار: رجوع.

(٦) ديوانه (٣: ١٦٣).

(٧) التبيان (٤: ٣٧).

(٨) ديوانه (٤: ٣٧).

(٩) التبيان (٤: ٣٨).

(١٠) في الأصلين: «فليت».

(١١) ديوانه (٤: ٣٨).

(١٢) أجننت الشيء: سترته وكتمته.

قال محمد بن داود^(١) :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَزْعَى خَوَاطِرِي وَأَخْرَى زَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
وإنما أخذه من قول العباس^(٢) [بن الأحنف]:

أَقَامَتْ عَلَيَّ قَلْبِي رَقِيباً وَنَاطِرِي فَلَيْسَ يُؤَدِّي عَنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي
قال أبو الطيب^(٣) :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ سَدَّ مَسَامِعِي عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا عَذْلٌ^(٤)



أبو تمام^(٥) :

مُتَوَاطِئُو عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعَلَا وَالْمَجْدِ ثُمَّتْ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ
قال أبو الطيب^(٦) :

رَأَيْتُ عَلِيّاً وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَاسْتَوَى الْحَرُّ وَالْعَبْدُ
وأعاده فقال^(٧) :

حَتَّى يُشَارَإِلِيكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أَعْبُدُ



قال أبو تمام^(٨) :

غَرَبَتْهُ الْعَلَا عَلَى كَثْرَةِ الْأَهْلِ لِي فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْباً^(٩)
فَلْيَطْلُ عُمُرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَزٍ وَمَقِيماً بِهَا لِمَاتَ غَرِيباً

وقال أبو الطيب^(١٠) :

وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثَمَا كَانَا

وبيت أبي الطيب أجود وأسلم، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت في المديح، فلا حاجة به إليه؛ والمعنى لا يختل بفقدته، ومن مات في بلده غريباً فهو في حياته أيضاً غريب، فأني فائدة في استقبال الممدوح بما يتطير منه!



- | | |
|-------------------------------------|--------------------------------------|
| (١) التبيان (٣ : ١٨٣). | (٦) ديوانه (٢ : ١٠). |
| (٢) التبيان (٣ : ١٨٣)، ديوانه ص ١٦. | (٧) ديوانه (١ : ٣٣٩). |
| (٣) ديوانه (٣ : ١٨٣). | (٨) ديوانه ص ٢٦، والتبيان (٤ : ٢٢٣). |
| (٤) في الديوان: «يدخلها العذل». | (٩) جنيباً: أجنبياً. |
| (٥) ديوانه: ٢٨٢، والتبيان (٢ : ١٠). | (١٠) ديوانه (٤ : ٢٢٣). |

قال أبو تمام^(١) :

كفى فقتل محمد لك^(٢) شاهد
أَنَّ العَزِيزَ مع القَضَاءِ دَلِيلُ
قال أبو الطيب^(٣) :

ألا إنما كانت وفاة محمد
دليلاً على أن ليس لله غائب



قال كثير^(٤) :

أريد لأتسى ذكرها فكأنما
تمثل لي لئلى بكل سبيل
وقال أبو نواس^(٥) :

ملك تصور في القلوب مثاله
فكأنه لم يخل منه مكان
قال أبو الطيب^(٦) :

كذب المخبر عنك دونك وضمه
من بالعراق يراك في طرسوسا

فقصر، لأنه اقتصر على من بالعراق، وعم أبو نواس القلوب والأماكن، وبين اللفظين بون في الجزالة والصحة؛ وقد كرهه واستوفى، فقال^(٧) :

هذا الذي أبصرت منه حاضراً
مثل الذي أبصرت منه غائباً
ثم مثل فقال :

كالبدر من حيث ألتفت رأيت
يؤدي إلى عينيك نوراً ثاقباً



قال عبد الله بن محمد المهلب^(٨) :

ما كنت إلا كلحم ميت
دعا إلى أكله اضطرار
وقال أبو الطيب^(٩) :

غير اختيار رضى برك بي^(١٠)
والجوع يرضي الأسود بالجيف

(١) ديوانه ٣٧٥، والبيان (١ : ١٠٩).

(٢) في الديوان: «لي شاهد». ورواية البيان:

وكفى بقتل محمد لي شاهداً

(٤) البيان (٢ : ٢٠٠).

(٣) ديوانه (١ : ١٠٩).

(٥) ديوانه ص ٥٩.

(٦) ديوانه (٢ : ٢٠٠)، وفي الديوان: «صدق المخبر».

(٨) البيان (٢ : ٢٨١).

(٧) ديوانه (١ : ١٢٩).

(١٠) في الديوان: «قبلت برك لي».

(٩) ديوانه (٢ : ٢٨١).

وقريب منه قول أبي عليّ البصير^(١) :

ولكنّ البلادَ إذا أقشعرَتْ وصَوَّحَ نَبْثُهَا رُعيَ الهَشِيمِ
ومنه قول الآخر^(٢) :

فلا تَحْمَدُونِي فِي الزِّيَارَةِ إِنْني أَرُوزُكُمْ إِذْ لَا أَرَى مُتَعَلِّلاً
وهذا مما قدمتُ لك ذكرَه من اختلاف صور الأمثلة على المعنى الواحد.



قال أبو تمام^(٣) :

هانت على كلِّ شيءٍ فهو يسفكُها حتى المنازلُ والأحداجُ^(٤) والإبلُ
قال أبو الطيب^(٥) :

فما أمرُ برزيعٍ لا أسائِلُه ولا يذاتِ خِمَارٍ لا تُريقُ دَمِي
جعل أبو تمام كلَّ شيءٍ يسفك دمه، وجعل أبو الطيب ذات خمار تريق دمه،
فاقتصر على بعض تلك الجملة.



قال بشار^(٦) :

إذا أنشدَ حَمَّادٌ فقلْ أحسنَ بَشَّارُ
وقال أبو هفان يهجو ابن أبي طاهر^(٧) :

إذا أنشدُكُمْ شِغْراً فقولوا أحسنَ النَّاسُ
وقال أبو تمام مثله في غير هذا المعنى^(٨) :

ومهما تَكُنْ من وَقَعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدِّدِ
فقال أبو الطيب^(٩) :

أجزئي إذا أنشدتَ شِغْراً فإنما بشِغْري أتاك المادِحون مُرَدِّداً



(١) التبيان (٢ : ٢٨١).

(٢) ديوانه ص ٢٧٧.

(٣) ديوانه (٤ : ٣٦)، وفي الديوان :

فما أمر يرسم لا أسائِلُه

(٤) التبيان (١ : ٢٩١).

(٥) التبيان (١ : ٢٩١).

(٦) ديوانه ص ١٠٣، التبيان (١ : ٢٩١).

(٧) ديوانه (١ : ٢٩١).

(٨) ديوانه (١ : ٢٩١).

وقال أبو تمام^(١) :

وكأنتَ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا بِأَبْيَضٍ فأمست^(٢) وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا بِأَسْوَدٍ
وقال أبو الطيب^(٣) :

فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدٌ



وقال أبو تمام^(٤) :

لَبَسْتُ سِوَاهُ أَقْوَاماً فَكَأَنُوا كَمَا أَعْنَى التَّيْمُ بِالصَّعِيدِ^(٥)
قال أبو الطيب^(٦) :

وَرَزَاكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحْرُجِي إِذَا عَنَّ بَحْرًا لَمْ يَجْزِلِي التَّيْمُ^(٧)



قال ابن الخياط^(٨) :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَقَادَ دَوُو الْغِنَى وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

قال أبو تمام^(٩) :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاخَ فَمَا أَبَقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صَلَاتِكَ
وقال آخر :

لَسْتُ أَضْجِي مَصَافِحاً لِسَلَامٍ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ مَالِي
فَنَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ إِلَى الزَّمَانِ، فَصَارَ كَالْمَعْنَى الْمُنْفَرِدِ، فَقَالَ^(١٠) :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلاً
وَأَمَّا بَخْلُ الزَّمَانِ فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(١١) :

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي^(١٢) الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

(١) ديوانه ص ١٠٣، التبيان (١ : ٣٣٤). (٢) في التبيان : «وأوضحت».

(٣) ديوانه (١ : ٣٣٤). (٤) ديوانه ص ١٠٧، التبيان (٤ : ٩١).

(٥) الصعيد : وجه الأرض. (٦) ديوانه (٤ : ٩١).

(٧) التحرج : التضييق، والتيمم : القصد. يقول : تحرجي عن قصد غيرك من الملوك حملني على زيارتك، وتركي إياك إلى مدح غيرك كترك الماء مع وجود التراب، وهذا غير جائز.

(٨) التبيان (٣ : ٢٣٦). (٩) التبيان (٣ : ٢٢٦).

(١٠) ديوانه (٣ : ٢٣٦). (١١) ديوانه ص ٣٧٥.

(١٢) في التبيان : «أن يسخو».

أبو تمام^(١):
لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلخُطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفُ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى
أبو الطيب^(٢):

وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُقَارِفْهُ النُّجَادُ وَغَمْدُهُ



أبو تمام^(٣):
فَاضَتْ سَحَابٌ مِنْ نَعْمَائِهِ وَكَفَّتْ بؤسًا عَلَى البؤسِ حَتَّى اجْتَثَّتِ البؤسَا
قال أبو الطيب^(٤):

نَقَمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمَانِ يَضُبُّهَا نَعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ



أبو تمام^(٥):
كَتَبْتِ أَوْجُهَهُمْ مَشْقًا وَنَمَمَةً طَعْنًا وَضَرْبًا يَفُلُّ الْهَامَ وَالصُّلْفَا^(٦)
قال أبو الطيب^(٧):

وَكُلُّ قَتَى لِلْحُرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ مِنْ الضَّرْبِ سَطَرَ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ



العتابي^(٨):
فَإِنَّ جَسِيمَاتِ الْمَعَالِيِ^(٩) مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ
أبو الطيب^(١٠):

تُرِيدِينَ إِذْ ذَاكَ الْمَعَالِيِ رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ التَّحْلِ



(١) ديوانه ص ١٨٦ .

(٢) ديوانه ص ١٧١ ، وروايته في الديوان :

فاضت سحاب من نعمائه فطمت نعماء بالبؤس حتى اجتثت البؤسا
(٤) ديوانه (١ : ٣٣٣) .

(٥) ديوانه ص ٢٠٣ ، التبيان (٣ : ٣٥٧) . وفي الديوان «يقات» . وفي الأصلين :

يفانسي الهام والصلعا

(٦) الصلف : جمع صليف ؛ وهو عرض العنق .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٥٧) .

(٨) التبيان (٣ : ٢٩١) .

(٩) في التبيان :

فإن جسيمات الأمور مشوبة

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٩٠) .

قال أبو تمام^(١) :

لَا يَحْسَبُ الْإِقْلَالَ عُدْمًا بَلْ يَرَى
فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ - وَهُوَ مَنقُولٌ^(٢) :

وَرَبُّ مَالٍ فَسَيَّرَ مِنْ مُرَوِّتِهِ
لَمْ يُثِرْ مِنْهَا كَمَا أَثَرَى مِنَ الْعَدَمِ



أبو تمام^(٣) :

هُم صَيَّرُوا تِلْكَ الْبُرُوقَ صَوَاعِقًا
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

وَلَمَّا سَقَى الْعَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ
وَقَدْ أَلَمَّ بِالْفَاظِهِ فَقَالَ^(٥) :

لَيْتَ الْعَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ
فَأَمَا صَرِيحُ الْمَعْنَى فَمَنْ قَوْل أَبِي تَمَامٍ^(٦) :

فَلَوْ شَاءَ هَذَا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرَّهُ
كَمَا قَصُرَتْ عَنَّا لَهَا^(٧) وَتَائِلُهُ



قال أبو تمام^(٨) :

تَلَقَى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجِيئِهِ^(٩)
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠) :

فإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوَكَبٍ
وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ



أبو تمام^(١١) :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ
مَرَّرْتَ فِيهِ مُرُورَ الْعَارِضِ^(١٢) الْهَظَلِ

(١) ديوانه ص ٢٨٤، التبيان (٤ : ٤٠) . (٢) ديوانه (٤ : ٤٠) .

(٣) ديوانه ص ١٩ . (٤) ديوانه (٢ : ٣٢٢) .

(٥) ديوانه (٣ : ٣٧١) . (٦) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٧) لها : عطاياه . نائله : عطاياه . (٨) ديوانه ص ٣٩ .

(٩) في الأصلين : «وتحبه» وهذه رواية الديوان .

(١٠) ديوانه (٢ : ٣٠) . (١١) ديوانه ص ٢٥٢ .

(١٢) العارض : السحاب، والهطل : المنسكب .

أبو الطيب^(١):

وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْعَمَامُ



أبو تمام^(٢):

وَأَنَا الْفِدَاءُ إِذَا الرِّمَاحُ تَشَاجَرَتْ^(٣) لَكَ وَالرِّمَاحُ مِنَ الرِّمَاحِ لَكَ الْفِدَا

أبو الطيب^(٤):

وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةً وَلَكَ الْحِمَامُ^(٥) مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءً



أبو تمام^(٦):

لَبَسَ الشَّجَاعَةَ إِنَّهَا كَانَتْ لَهُ قِذْمًا نَشُوغًا فِي الضَّبِّ وَلِدُودًا^(٧)

أبو الطيب^(٨):

أَلِفَ الْمُرُوءَةِ مُذُنَّشًا فَكَأَنَّمَا سُقِيَ اللَّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرْضَعًا



أبو تمام^(٩):

أَيَقْنَتْ أَنْ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةٌ تُذِمِّي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ^(١٠) جُودًا

أبو الطيب^(١١):

هُوَ الشُّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ مِنْ بَخْلِ

وقال في أخرى^(١٢):

فَقُلْتُ: إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشَّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ

وقد لوحظ في هذه الأبيات قول مسلم؛ إذ بين أن الشجاعة جود بالنفس في قوله^(١٣):

(١) ديوانه (٤ : ٧٣) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٢٦) .

(٣) تشاجرت: تداخلت في بعضها .

(٤) ديوانه (١ : ٣١) .

(٥) الحمام: الموت .

(٦) ديوانه (٦ : ٨٩) .

(٧) النشوغ: السعوط . اللدود: ما يصب بالمسقط من الدواء .

(٨) ديوانه (٢ : ٢٦٢) .

(٩) ديوانه (٩ : ٩٠) .

(١٠) في الديوان: تدمي وأن من السماحة جودا

(١١) ديوانه (٣ : ٣٨) .

(١٢) التبيان (٢ - ٣٧٢) ، ديوانه ص ٢٥ ، وروايته فيه :

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا^(١) وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ



عبد الله بن طاهر في السيف^(٢):

أَخُو ثِقَّةٍ أَرْضَاهُ فِي الرَّوْعِ صَاحِباً وَفَوْقَ رِضَاهِ أَنَّنِي أَنَا صَاحِبُهُ
أَبُو الطَّيِّبِ فِي الرَّمْحِ^(٣):

وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ^(٤) الْخَيْلَ سَاقِيَا
وَأصله من قول موسى بن جابر الحنفي، وهو من خفي الأخذ:

فَلَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ قَوْمِ حَفِيظَةَ وَلَا نَحْنُ أَعْمَدْنَا السِّيَوفَ عَلَى وَتْرِ



عبد الله بن طاهر^(٥):

إِنَّ الْفُشُوحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّ سَاتِ السُّوْلَةِ وَأَقْدَامِ الْمَقَادِيرِ^(٦)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ



العباس بن الأحنف^(٨):

بَكَتْ غَيْرَ أَنْسَةِ بِالْبُكَاءِ تَرَى الدَّمْعَ فِي مُقْلَتَيْهَا غَرِيبَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩):

أَتْتَهُنَّ الْمَصَائِبَ^(١٠) غَافِلَاتٍ فَدَمَعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ
فَزَادَ وَأَحْسَنَ وَمَلَحَ بِذِكْرِ الدَّلَالِ.



منصور بن الفرج^(١١):

حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَانَتْ بَعَيْنَيْكَ^(١٢) مُقِيمَا

(١) في التبيان: «إذ ضن الجواد بها».

(٢) ديوانه (٤: ٢٩٢).

(٣) في الأصلين: «إيرادك».

(٤) في الأصلين: «وأقدام المقادير».

(٥) ديوانه (٣: ٣٧٨).

(٦) ديوانه (٣: ٣٧٨).

(٧) ديوانه (٣: ١٧).

(٨) في الديوان:

أَتْتَهُنَّ الْمَصِيبَةَ غَافِلَاتٍ

(٩) في أ: «بعينك»، وصوابه من ب والديوان.

(١٠) التبيان (٢: ١٧).

(١١) في أ: «بعينك»، وصوابه من ب والديوان.

البحثري^(١):

وَكأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَاطِرَيْكَ مِنَ السَّقَمِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

أَعَارَنِي سَقَمَ جَفْنَيْهِ^(٣) وَحَمَلَنِي مِنْ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرَهُ
فَاخْتَصِرْ وَأَحْسِنْ وَأُورِدِ الْبَيْتَ فِي نِصْفِ مِضْرَاعٍ.



أَبُو عُسَيْبَةَ^(٤):

لَوْ كَمَا^(٥) تَنْقُصُ تَزْدَا إِذْ ذُنُوبُ السَّمَاءِ
فَتَقْلَهُ أَبُو تَمَامٍ^(٦):

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْ ذُنُوبُكَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):

وَلَوْ نَقَضْتُ كَمَا قَدْ زِدْتُ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكََا^(٨)
فَزَادَ بِقَوْلِهِ: «لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكََا».



قَالَ جَرِيرٌ^(٩):

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاجِنَا غِدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كِشْرَى وَقَيْصِرَا
مُسْلِمٌ^(١٠):

يَكْسُو السِّيُوفَ نَفُوسَ النَّكَثِيْنَ بِهِ وَجَعَلَ الْهَامَ تَيْجَانُ الْقَنَا الدُّبْلِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ^(١١):

أَبْدَلْتُ أَرُؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ مِنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطِيءِ مُدْعَمَا^(١٢)

(١) ديوانه (٢: ٢٢٤)، التبيان (٢: ١١٧).

(٢) ديوانه (٢: ١١٧).

(٣) في الديوان: «سقم عينيه».

(٤) التبيان (٢: ٣٨٠).

(٥) في أ: لو كان كما تنقص تزاد

وصوابه من ب، والتبيان.

(٦) ديوانه ص ٤٨٩.

(٧) ديوانه (٢: ٣٨٠).

(٨) الشانئ: المبغض.

(٩) ديوانه ص ٢٤٢.

(١٠) ديوانه ص ٤٩.

(١١) ديوانه ص ٣٠٣.

(١٢) الخطي: الرمح. مدعماً: مسنداً، وفي الأصلين: «مدغماً» بالغين.

وقد عدّ هذا من سرقات أبي تمام، ولست أراه كذلك؛ لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا، وهذا معنى مشترك لا يسرق، فأما إبدال القنا بقنا الظهور فلم يعرض له مسلم ولا جرير، وهي ملاحظة بعيدة. وأقرب من ذلك إليه قول أبي تمام^(١):

مَنْ كُلُّ ذِي لِمَةٍ غَطَّتْ ضَفَائِرُهَا صَدَرَ الْقَنَاةِ فَقَد كَادَتْ تُرَى عَلَمَا^(٢)
ومثله قول أبي الطيب^(٣):

مُبْرَقَعِي حَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي هَامَ الْكَمَاةِ عَلَى أَرْمَاجِهِمْ عَدْبَا
قال البحرني^(٤):

مَتَسَرَّعِينَ^(٥) إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّهَا وَفَرَّ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ
قال أبو الطيب^(٦):

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا^(٧)
وإنما نقل البحرني كلام أبي تمام^(٨):

مُسْتَرْسَلِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّ مَا بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ^(٩)
وقال البحرني أيضاً^(١٠):

تَسْرِعُ حَتَّى قَالَ مِنْ شَهْدِ الْوَعَى لِقَاءَ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءَ حَبَائِبِ
ونحوه قول أبي تمام^(١١):

حَنْ لِلْمَوْتِ^(١٢) حَتَّى ظَنَّ جَاهِلُهُ بِأَنَّهُ حَنْ مُشْتَقًا إِلَى الْوَطَنِ
فأخذه أبو الطيب فقال^(١٣):

مُقِيمٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ



(١) ديوانه ٣٠٣.

(٢) في الأصلين:

صدر القناة فكادت أن ترى علما

(٣) ديوانه (١: ١١٨).

(٤) ديوانه (١: ٦٣)، والتبيان (١: ١٢١).

(٥) في الديوان: «يتسرعون».

(٦) ديوانه (١: ١٢١).

(٧) الأشعث: المتغير من طول السفر. والأرب: الغرض والبيغة.

(٨) ديوانه ص ٢٨١.

(٩) الحتوف: جمع حتف، وهو الهلاك.

(١٠) ديوانه (١: ٧٣).

(١١) ديوانه ص ٣٨٨.

(١٢) ديوانه (٣: ٤٦).

(١٣) ديوانه (٣: ٤٦).

البحثري^(١):

تَعْتَرُوهُ وَزُرَّاءُ الْمُلْكِ خَاضِعَةٌ وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَ

أبو الطيب^(٢):

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
أَكْتُبُ بِنَا أَيْدَاءُ بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

بعضهم^(٣):

أَحَامِقُهُ حَتَّى يَقُولَ سَجِيَّةً وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلِ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

أبو الطيب^(٤):

وَحَلَّةٍ فِي جَلِيْسِ أَتْقِيهِ بِهَا كَيْمَا يُرَى أَنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ

أبو تمام^(٥):

نَوَالِكُ رَدِّ حُسَّادِي فُلُولًا^(٦) وَأَضْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَيَنِي

وله^(٧):

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى^(٨) بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ

أبو هفان^(٩):

أَصْبَحَ الدَّهْرُ مَسِيئًا كُلَّهُ مَا لَهُ إِلَّا ابْنُ يَحْيَى حَسَنُهُ

أبو الطيب^(١٠):

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَثْبِي كَأَمَّا بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ

التمري^(١١):

وَقَفْتُ عَلَى حَالِي كَمَا فَإِذَا التُّدَى عَلِيكَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَمِيرُ

(١) ديوانه (٢: ٢٥٨)، التبيان (٤: ١٦٠).

(٢) ديوانه (٤: ١٥٩).

(٣) التبيان (٤: ٢١٢).

(٤) ديوانه (٤: ٢١٢).

(٥) ديوانه ص ٣٢٣.

(٦) فلولا: متفرقين.

(٧) ديوانه ص ٢٩.

(٨) في الأصلين: «فِي فَقْدِ يَرَى».

(٩) التبيان (٢: ١٥٩).

(١٠) ديوانه (٢: ١٥٩).

(١١) التبيان (١: ٣٦٧).

أبو تمام^(١) :

ألا إنَّ النَّدى أضْحَى أميراً على مالِ الأميرِ أبي الحُسَيْنِ

أبو الطيب^(٢) :

أميرٌ أميرٌ عليه النَّدى جَوادٌ بخيلٌ بأنَّ لا يَجُودا



أبو تمام^(٣) :

وتزكي سُرْعَةَ الصِّدْرِ^(٤) اغْتِباطاً يَدُلُّ على مُوافِقَةِ الوُرُودِ

وقال أيضاً^(٥) :

هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابِهَا مَغْلُوبَةٌ إنَّ الوَفَاءَ إِسَارِ^(٦)

أَلَمْ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ وَأَحْسَنُ^(٧) :

وَقَيِّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مُحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيِّدًا تَقَيِّدًا

وقد قال^(٨) :

وما قَيِّدَتْ مِنْ صُغْلُوكِ قَوْمٍ بِئَيْلِ الرُّزْقِ تُخْرِجُهُ الرُّقَاعِ



البحثري^(٩) :

أصْرَتْ بِضَوْءِ البَدْرِ والبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ البَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا

وهذا معنى متداول، وهو أحسن ما جاء فيه، وأشد استيفاء واختصاراً.

وقال أبو الطيب فأتى بالمصراع الثاني^(١٠) :

وما حَاجَةَ الأَطْعَانِ^(١١) حَوْلِكَ فِي الدَّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدُكَ لَكَ عَادِمُهُ

يزيد بن الطُّثْرِيَّةَ^(١٢) :

وَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إنَّ نَظْرَتُهَا إِلَيْكَ، وَكُلًّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ

(١) ديوانه ص ٣٢٣. (٢) ديوانه (١ : ٣٦٧).

(٣) ديوانه ص ١٠٧. (٤) الصدر: الرجوع.

(٥) ديوانه ص ١٤٩.

(٦) مغلولة: مقيدة بالغل، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. ورواية التبيان:

إنَّ الوَفَاءَ إِسْـَـارَهَا

(٧) ديوانه (١ : ٢٩٢). (٨) لم نجده في ديوانه.

(٩) ديوانه (١ : ٥٥). (١٠) ديوانه (٣ : ٣٣٠).

(١١) الأَطْعَانُ: جمع ظعن، وهم القوم المرتحلون.

(١٢) التبيان (٣ : ٣).

إسحاق الموصلي^(١):

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُحِبِّ^(٢) الْقَلِيلُ
أبو الطيب^(٣):

وَجُودُكَ بِالْمَقَامِ لَوْ قَلِيلًا فَمَا فِي مَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ



بعض العرب - وهو عروة بن الورد^(٤):

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذِرِ أُنِّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ
العبّاس بن الأحنف^(٥):

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمُدَا
أبو تمام^(٦):

أَأَلْفَةُ التَّحِيْبِ كَمْ أَفْتِرَاقِ أَلَسَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ
أبو الطيب^(٧):

لَعَلَّ اللَّئِمَةَ يَجْعَلُهُ رَجِيلاً يُعِينُ عَلَى الإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَا



بعضهم:

عَمِضْتُ عَيْنِي لَا أَرَى أَحَدًا حَتَّى أَرَاهُمْ آخِرَ الدَّهْرِ
أبو الطيب^(٨):

فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ



أشجع^(٩):

فَقَدْ كُنْتَ تَبْكِي^(١٠) وَهَمَّ جِيرَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا

(١) التبيان (٣: ٣).

(٢) ديوانه (٣: ٣).

(٣) معاهد التنصيص (١: ٢٠).

(٤) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(٥) التبيان (٢: ٣٨٩).

(٦) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(٧) التبيان (٢: ٣٨٨).

(٨) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(٩) ديوانه ص ١٩٣.

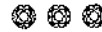
(١٠) ديوانه (٢: ٣٨٨).

آخر:	أبكي إذا غَضِبْتَ حتى إذا رَضِيتَ
بكيثُ عند الرُّضَا خَوْفاً من العَضْبِ	آخر ^(١) :
فتبكي إن نأى شوقاً إليه	آخر ^(٣) :
وتبكي إن دنأ خَوْفاً الفِرَاقِ ^(٢)	لَقَدْ كُنْتُ أَبْكَى خِيفَةً لِفِرَاقِهَا ^(٤)
فكيفَ إذا بَانَ الحَبِيبُ فَوَدَّعَا	أبو الطيب ^(٥) :
فكيفَ إذا عَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَا ^(٦)	أَرَى أَسْفَاً وَمَا سِزْنَا شَدِيداً
وَذَاقَ كِلَانَا تُكَلَّ صَاحِبِهِ قَدَمَا	وله ^(٧) :
مُسْوَدَّةً وَلِمَاءٍ وَجْهِي رَوْنَقُ	بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا
حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ دَمْعِي ^(٩) أَشْرُقُ	وَقَالَ فِي أُخْرَى ^(٨) :
	وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى السَّبَابِ وَلِمَتِّي
	حَدْرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ



بشار^(١٠):

إلا شهادة أطراف المساويك	يا أطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مُخْتَبِرٍ
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبِّ	أبو الطيب ^(١١) :
وَيَمْنَعُهُ البَشَامَةُ والأَرَاكَا ^(١٢)	



(١) التبيان (٤ : ١٠٣).

(٢) رواية التبيان:

(٣) التبيان (٢ : ٣٨٩). فأبكي إن نأوا شوقاً إليهم وأبكي إن دنوا خوف الفراق

(٤) في التبيان: «خيفة لفراقه».

(٥) ديوانه (٢ : ٣٨٩).

(٦) الابتراك: السقوط على الركب. وأراد به ههنا سرعة السير.

(٧) ديوانه (٤ : ٣٠٣). (٨) ديوانه (٢ : ٣٣٦).

(٩) في الديوان: «بماء جفني أشرق». (١٠) ديوانه ص ٧٤.

(١١) ديوانه (٢ : ٣٩٢).

(١٢) البشام والأراك: ضربان من الشجر يستاك بفروعهما.

عمران بن حِطّان^(١) :

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَلْفَهُ^(٢) ما النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

قال أبو الطيب^(٣) :

وَمَنْ أَعْتَاضَ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنَا وكلُّ النَّاسِ رُوزٌ ما حَلَاكَا

وله في أخرى^(٤) :

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ فِي مَوْضِعِ مِثْكَ خَالِ

فتبرّد وبالغ .



أبو تمام^(٥) :

لَا أَظْلَمُ الْبَيْنَ^(٦) قَدْ كَانَتْ حَلَاثُهَا مِنْ قَبْلِ وَشِكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قُدْفًا^(٧)

وله^(٨) :

فَفِرَاقٌ جَرَعْتُهُ مِنْ فِرَاقِ فِرَاقٌ جَرَعْتُهُ مِنْ صُدُودِ^(٩)

البحثري^(١٠) :

عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى لَدَيْ وَعِرْفَانَ الْمُسِيءِ هُوَ الْعَدْلُ

قال أبو الطيب^(١١) :

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَحْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ

فاستوفى المعنى وأكده في مصراع واحد .

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في هذا المعنى بقوله^(١٢) :

وَأَنَّ مُقْسِمَاتِ بِمُنْقَطَعِ النَّوَى لِأَقْرَبِ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا



(١) التبيان (٣ : ٣٩٦) .

(٢) ديوانه (٢ : ٣٩٦) .

(٣) ديوانه ص ٢٠٠ .

(٤) في الديوان : « لا أظلم النأي » .

(٥) قذف : نقذف بمن يسلكها .

(٦) ديوانه ص ٤٣٩ .

(٧) رواية الديوان :

ففرّاق أصابني من ففرّاق وففرّاق أصابني من صدود

(٨) ديوانه (٢ : ١٦٣) .

(٩) ديوانه (٣ : ٢٠٩) .

(١٠) التبيان (٣ : ٢٠٩) .

ابن الرومي^(١) :

شَكَرْتَ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْدِ مِي تَمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ
فَهِيَ تُثْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ الثُّشْرِ شَائِعاً فِي الْبِلَادِ
مَنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْأَرْضِ وَاحٍ^(٢) مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :

وَذِكِّي رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ^(٤)



بعضهم^(٥) :

اعْدُدْ ثَلَاثَ خِلَالٍ قَدْ جُمِعْنَ^(٦) لَهُ هَلْ سُبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَبَّ أَوْ بَخِلَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا



أبو تمام^(٨) :

لَقَدْ بَتَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارِيهِ
فَنَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٩) :

تَصُدُّ الرِّيَّاحُ الْهُوجَ عَنْهَا مَخَافَةٌ وَتَفْرُغُ فِيهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا



محمود الوزاق^(١٠) :

إِذَا أَتَتْ لَمْ تَسْلُ اضْطِبَاراً وَحِسْبَةً سَلَوْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ
أَبُو تَمَّامٍ^(١١) :

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجِرَ أَمْ تَسْلُو سُلُو الْبِهَائِمِ

(١) ديوانه ص ٧٥. والتبيان (١ : ٢٥٥). (٢) في التبيان: «الخيثوم».

(٣) ديوانه (١ : ٢٥٥).

(٤) قال العكبري في التبيان: وأخذه السري الموصلي فقال:

وكسنت كروضة سقيت سحاباً فأثنت بالنسيم على السحاب

(٥) التبيان (١ : ٦٩).

(٦) في التبيان: «ثلاث خصال قد عددن له».

(٧) ديوانه (١ : ٦٨).

(٨) ديوانه ص ٤٦، والتبيان (١ : ٦٧).

(٩) ديوانه (١ : ٦٧).

(١٠) التبيان (١ : ٥٥).

(١١) ديوانه ص ٣١٩، والتبيان (١ : ٥٥).

وقال أبو الطيب^(١):

وَلِلْوَجْدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سَكُونٌ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونٌ لُغُوبٍ



بعضهم^(٢):

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تُعَانِقُنِي كَمَا تُعَانِقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا

الْمَ بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٣):

دُونَ التَّعَانِقِ نَاحِلِينَ كَشَكَلَتِي نَضِبٌ أَدْفَهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ

فكانه معنى مفرد؛ ولئن أخذه منه كما يزعمون فما عليه معتب؛ لأن التعب فيه ونقله لا ينقص عن التعب في ابتدائه.



أبو تمام^(٤):

وَأَنْ نَجِدَ عَلَّةً نُعَمَّ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضَةٍ

عَلِي بْنِ الْجَهْمِ^(٥):

وَإِذَا رَابَكُمُ مِنَ الدَّهْرِ رَبِّبٌ عَمَّ مَا خَصَّكُمْ بِجَمِيعِ الْأَنَامِ

أَبُو هَفَّانَ^(٦):

قَالُوا اغْتَلَّتْ فَقَلَّتْ كـ لَأِ إِنَّمَا اغْتَلَّ الْعِبَادُ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):

وَمَا أَخْصُكَ مِنْ بُرْءٍ بَتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَلَهُ^(٨):

إِذَا اغْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اغْتَلَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالكَرَمُ الْمَخْضُ



(١) ديوانه (١ : ٥٥).

(٢) التبيان (٣ : ٢٥٣).

(٣) ديوانه (٣ : ٢٥٢). الشكلة: ما تكون في الإعراب، وضم الكاتب ما بين الشكلتين؛ إذا قارب ما بينهما.

(٤) ديوانه ص ١٨٩، والتبيان (٢ : ٢١٨).

(٥) الأغاني (١٠ : ٢٢٦) (طبع دار الكتب).

(٦) التبيان (٢ : ٢١٨).

(٧) ديوانه (٣ : ٣٧٦).

(٨) ديوانه (٢ : ٢١٨).

علي بن الجهم - في السحاب^(١) :
 إِذَا أَوْقَدَتْ نَارَهَا بِالْعِرَاقِ أَضَاءَ الْحِجَازَ سَنَا نَارِهَا
 نقله أبو الطيب إلى السيف، فقال^(٢) :
 سَلُّهُ الرُّكُضُ^(٣) بَعْدَ وَهْنِ بَنَجِدٍ فَتَصَدَّى لِلْعَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ



يعقوب بن الربيع [يرثي جارية له تسمى ملكا]^(٤) :
 يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتِ تَحْتِ الْأَرْضِ بِالْيَةِ فَإِنِّي فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَزَنِ
 أبو الطيب^(٥) :
 بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي



محمد بن وهب^(٦) :
 وَحَارَبَنِي فِيهِ رَبِّبُ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ
 البحري^(٧) :
 قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمُفْرَقُ بَيْنَنَا عَشَقَ النَّوَى لَرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبِّبِ
 أبو الطيب^(٨) :

مَلَامَ النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ
 فَلَوْ لَمْ تَعْرِ لَمْ تَزُو عَنِّي لِقَاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تَرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَضَمِي



أبو تمام^(٩) :
 أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا اسْتِرَاحَ لِمَوْتِهَا مِنْ الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الْكَرْبِ

(١) التبيان (٢ : ١٧٧) وقبله :

وقبة ملك كأن النجم وهو مأخوذ من قول الوائلي :
 م تصغي إليها بأسرارها

ما سله أهل الحجاز لحاجة إلا يبشر بالسحاب الشاما

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٧) . (٣) في الأصلين : «الركب» .

(٤) التبيان (٣ : ٤٣) . (٥) التبيان (٣ : ٤٣) .

(٦) التبيان (٤ : ٤٧) . (٧) ديوانه (٢ : ١٩) ، التبيان (٤ : ٤٧) .

(٨) ديوانه (٤ : ٤٧) . (٩) ديوانه ص ٣٥٦ ، والتبيان (٤ : ١٠٥) .

وقريب منه قوله^(١) :

أَجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ فَمَا قِرَّةٌ نَجَّشَكَ مِنْ فَمَا قِرَّةُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :

وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا الْمَنَائِيَا وَإِنَّمَا أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا



حاتم^(٣) ، ويروي لربيعة بن مزدياس :

مَتَى مَا أَتَى يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ مِلءَ كَفِّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صَفْرٍ
يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعِنَانِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ^(٤)
وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَأَنَّ كَعُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ^(٥)
امرأة من العرب^(٦) :

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيْسٌ مُقَاضَةٌ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ^(٧)
عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ^(٨) :

وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَاثِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدًا لَقَلِيلُ
وَمَالِي مَالٍ غَيْرِ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
وَأَسْمَرُ خَطِيٍّ الْقِنَاةُ مُتَقَفٌّ وَأَجْرُدُ عُزْبَانَ السَّرَاةِ^(٩) طَوِيلُ

(١) ديوانه ص ٤٩٧ ، والتبيان (٤ : ١٠٥) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٠٦) .

(٣) ديوان حاتم ص ١٢١ ، وشعراء النصرانية ص ١٣٢ .

(٤) في أ : « بالهر » ، وصوابه من الديوان ، وب .

(٥) رواية الديوان لهذه الأبيات :

مَتَى يَأْتِ يَوْمًا وَارِثِي يَبْتَغِي الْغَنَى يَجِدُ جَمْعَ كَفِّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صَفْرٍ
يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْقِنَاةِ وَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ
وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَأَنَّ كَعُوبَهُ نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَمَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ
ورواية العكبري في التبيان :

مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ جَمْعَ كَفِّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صَفْرٍ
يَجِدُ مَهْرًا مِثْلَ الْقِنَاةِ قَوِيْمَةً نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ
والقصب : التمر اليابس .

(٦) ديوان الحماسة (٣ : ٧٣) ، وهي زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد بن الطثرية .

(٧) الدريس : الخلق من الدروع ، والمقاضة : الدرع الواسعة .

(٨) العمدة (٢ : ٢٩) .

(٩) السراة : المتن .

أبو الطيب^(١):

كِنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَباً فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعُ
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ



الفرزدق:

وَهُمْ قَادُوا سَفِيهِهِمْ وَخَافُوا قَلَائِدَ مِثْلَ أَطْوَاقِ الحَمَامِ

ابن هزمة^(٢):

عَقَدْتُ مِنْ مُلْتَقَى أودَاجِ لَبْتِهِ طَوَّقَ الحَمَامَةَ لَا يَبْنِي عَلَى القِدَمِ

بعضهم:

وَهُنَّ إِذَا وَسَمَتْ بِهِنَّ قَوْمًا كَأَطْوَاقِ الحَمَائِمِ فِي الرُّقَابِ

أبو الطيب^(٣):

أَقَامَتْ فِي الرُّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الحَمَامُ

وهذا من المبتذل الذي لا يعد سرقة إلا بزيادة تلحقه، وزيادة أبي الطيب فيه حسنة بديعة، ولأجلها ذكرت الأبيات.



محمود [الوراق]^(٤):

كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

أبو نؤاس في الشباب:

كَأَنَّ المَشْفَعِ فِي مَآرِبِهِ عِنْدَ الفَتَاةِ وَمُذْرِكِ القَبْلِ

النمري^(٥):

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الهَوَى أَلْفَاءُ نِعَمٍ وَسِيلَةُ المُتَوَسَّلِ

أبو الطيب^(٦):

وَعَظْبِي مِنَ الإذْلالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرِيقِ

والمعنى مبتذل.



(٤) البيان (٢: ٣٠٦).

(٥) البيان (٢: ٣٠٦).

(٦) ديوانه (٢: ٣٠٥).

(١) ديوانه (٢: ٢٧٠).

(٢) مهذب الأغاني (٦: ١١١).

(٣) ديوانه (٤: ٧٦).

بكر بن النطّاح^(١) :

ولو لم يَجْر في العُمُر قَسَمٌ لِمَالِكٍ وَجَازَلَهُ الإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ شِرْكَ بَرِّهِ وَأَشْرَكَنَا فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
أبو الطيب^(٢) :

وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الحَشْرِ تَجِدُوا لِأَعْطُوكَ الَّذِي صَلَّى وَصَامُوا

وهذا معنى مليح. ولفظ ابن النطاح أحسن، وله زيادة قوله: «من غير شريك بربه»، وفيه نفي التهمة في الاستهانة بالأعمال الصالحة، ولأبي الطيب فضيلة ذكر الحشر؛ لأنه خصّ الوقت الذي يظهر فيه الافتقار إلى الحسنات، والضمّن بها؛ وأصله لأبي العتاهية، قال^(٣):

فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِي أَصَبْتُ فَقَاسَمْتُهُ مَا لِي مِنَ الحَسَنَاتِ



أبو خِرَاش:

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلا ذِكْرَهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يَفْعَلِ
مَتَمَّ بِنُورِةٍ^(٤) :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
عَلِيَّ بِنِجَالَةٍ :

شِبَابٌ كَانَ لَمْ يَكُن وَشَيْبٌ كَانَ لَمْ يَزَلْ
وما أملح ما قال البحري في قريب من هذا المعنى^(٥) :

فَلَا تَذْكُرَا عَهْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقَضَى وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ العَصْرُ
أبو الطيب^(٦) :

ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلاً كَانَ لَمْ أَفْزُبَهُ وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَنَبَا

(١) نسبهما العكبري في التبيان إلى أبي تمام، وروايتهما عنده:

ولو لم يجد في قسمة العمر حيلة وجزاء له الإعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه وواساهم من صومه وصلاته
وكذلك هي روايتهما في ديوان أبي تمام ص ٦٣.

(٢) ديوانه (٤ : ٧٧).

(٤) المفضليات ص ٦٧. التبيان (١ : ٥٩).

(٥) ديوانه (١ : ٢١٧)، التبيان (١ : ٥٩).

(٦) ديوانه (١ : ٥٨).

فأما المصراع الثاني فمن قول الهذلي^(١) :
 عَجِبْتُ لَسَعِي الدَّهْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ^(٢) فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 فجعل أبو الطيب السَّعِي وَثْبًا .
 وقد ملح في اللفظ علي بن جبلة^(٣) :
 وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوْتُ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي



ابن المعتز^(٤) :
 وَمَا يُنْتَقِضُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يَزِدُّ فِي نُهَاهَا وَأَلْبَابِهَا
 فقلبه أبو الطيب فقال^(٥) :
 لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَشَنِي الَّذِي أَخَذْتُ مِنْهُ
 مَا الْحَدَاثَةُ مِنْ جِلْمٍ بِمَا نَعَى قَدْ يُوجَدُ الْجِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّيْبِ
 وقد اقتدى في قوله بأبي تمام في قوله^(٦) :
 حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
 فجمع هذا المعنى إلى المعنى الأول بيته .



علي بن جبلة :
 قَمَرٌ نَمَّ عَلَيْهِ نَوْرُهُ كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعَا
 أبو الطيب^(٧) :
 أَمِنَ أَرْدِيَارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظُّلَامِ ضِيَاءُ
 دُعْبَلُ :
 تَلِكِ الْمَسَاعِي إِذَا مَا أَخْرَتْ رَجُلًا أَحَبَّ لِلنَّاسِ عَيْبًا كَالَّذِي عَابَهُ
 كَذَاكَ مِنْ كَانَ هَذَاكَ الْمَجْدُ غَايَتَهُ فَإِنَّهُ لِبُنَاةِ الْمَجْدِ سَبَابَهُ
 أبو تمام^(٨) :

وَدُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِيَدِي الْفَضْلِ مُوَلِّعٌ

(١) الأماي (١ : ٢٤٨)، التبيان (١ : ٥٨) . (٢) في الأماي : «وبينها» .

(٣) التبيان (١ : ١٧٠) . (٤) التبيان (١ : ١٧٠) .

(٥) ديوانه (١ : ١٧٠) . (٦) ديوانه ص ٢٩١، التبيان (١ : ١٧٠) .

(٧) ديوانه (١ : ١٢) .

(٨) ديوانه ص ١٩ . والتبيان (٤ : ٢٠٦) .

مزوان بن أبي حفصة^(١) :

مَا ضَرَّيْنِي حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَخْسُدُهُ ذُوو التَّقْصِيرِ
غيره :

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ بظَهْرِ غَيْبٍ عَلَى غَيْبِ الرِّجَالِ ذُوو العُيُوبِ
أبو الطيب^(٢) :

وَالْحُرُّ مُنْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَى

ومثله له^(٣) :

تَعَادِيئَنَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبْغِضْنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ
ثم نقله وزاد فيه وغيره فأحسن^(٤) :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَدَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ
ومن هذا المعنى قول الطرماح^(٥) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَنْ تَرَى
شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ



أبو سعيد المخزومي :

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا عَلَيْكَ ثَنِيَّةَ ضَاقَتْ عَلَيْكَ سَهْلُهَا وَوَعُورُهَا
أبو الطيب^(٦) :

أَخَذْتُ عَلَى الأرواحِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ مِنَ العَيْشِ تَعْطِي مَا تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
قد أخرج هذا في سرقاته وما أراه منها؛ لأن أخذ الثنية لفظة مستعملة عند

العرب .



المخزومي :

أَمَلِي فِي التَّاجِ أَلْبَسَهُ وَلَهُ فِي الشَّعْرِ آمَالٌ

(١) التبيان : (٤ : ٢٠٦) .

(٢) ديوانه (٤ : ٢٠٦) وصدرة :

وانه المشير عليك في بضلة

(٣) ديوانه (٢ : ١٤٤) .

(٤) ديوانه (٣ : ٢٦٠) .

(٥) لم تجده في ديوانه .

(٦) التبيان (٣ : ٢٦٠) .

أبو الطيب^(١):

وَشَغَلُ النَّفْسِ عَن طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ



النمري^(٢):

وَمَصَلَّتْ كَأَنَّ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْهَامِ وَالرُقَابِ

أبو تمام^(٣):

كَأَنَّهَا وَهِيَ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْغَعَّةِ^(٤) وَفِي الْكُلَى تَجْدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجْدُ

أبو الطيب^(٥):

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهِنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ



أبو عطاء السندي^(٦):

عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جُيُوبَ بَأَيْدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودِ

أبو تمام^(٧):

شَقَّ جَيْبًا مِنْ رَجَالٍ لَوْ اسَ طَاعُوا لَشَقُّوا مَا وَرَاءَ الْجُيُوبِ

أبو الطيب^(٨):

عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ لَوْ كَانَ نَافِعًا بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ



الفرزدق:

وَمَا وَاَمَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ إِلَى جَدًّا أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا

أبو نواس^(٩):

وَلِإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ لَعَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تُعْنِي

(١) ديوانه (١ : ٣٥٥) .

(٢) التبيان (٢ : ١٢٠) .

(٣) ديوانه : ٩٩ ، التبيان (٢ : ١٢٠) .

(٤) وفي الأصلين :

كأنها وهي في الأرواح والغنة

(٥) ديوانه (٢ : ١٢٠) .

(٦) التبيان (١ : ٥٤) .

(٧) ديوانه ص ٣٥٤ ، والتبيان (١ : ٥٤) ، وفي الديوان : «شق جيوبا» .

(٨) التبيان (١ : ٣٦٥) .

(٩) ديوانه (١ : ٥٤) .

أبو الطيب^(١):

وظنوني مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي



أبو تمام^(٢):

مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

أبو الطيب^(٣):

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ عَدْلِ عَادٍ وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ عَادٍ



أبو تمام^(٤):

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَذْوَاكَ رَاجَلْتِي وَرَادِي

أبو الطيب^(٥):

مُجِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتَ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ

وهذا من أقبح ما يكون من السرقة، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية، ومثل المصراع الأول لأبي الطيب وهو محتذ قول البحري^(٦):

مَتَى مَا أُسِيرَ فِي الْبِلَادِ رِكَابِي^(٧) أَجْدُ سَائِقِي يَهْوَى إِلَيْكَ وَقَائِدِي

وقد لاحظ أبو تمام قول المثقّب:

إِلَى عَمِيرٍ وَمَنْ أَتْنَى عَلَيْهِ أَخِي النَّجْدَاتِ وَالْحِجْلَمِ الرَّزِينِ



أبو تمام^(٨):

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ وَلِكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدٌ أَسْفَعُ

أبو الطيب^(٩):

إِبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدٌ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ



(٢) ديوانه ص ٧٩، التبيان (١: ٣٦٥).

(٤) ديوانه ص ٧٩، التبيان (١: ٣٦٥).

(٦) ديوانه (١: ١٣٧).

(٨) ديوانه ص ١٩٠، التبيان (٤: ٣٥).

(١) ديوانه (١: ٣٦٥).

(٣) ديوانه (١: ٣٦٥).

(٥) ديوانه (١: ٣٦٥).

(٧) في الديوان: «كتائبي».

(٩) ديوانه (٤: ٣٥).

أبو ذَلْفٍ^(١) :

وكلُّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ كأنَّما طَلَعَتْ فِي نَاطِرِ البَصَرِ

أبو الطيب^(٢) :

إِذَا لَحَظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ



أبو تمام^(٣) :

أثَابٌ كَالْحُدُودِ لَطْمَنَ حُرْنًا وَتُوَيْيٌ مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارُ^(٤)

أبو الطيب^(٥) :

وَتُوَيْيٌ كَأَنَّهِنَّ عَلَيْهِ مِّنْ خِدَامٍ حُرْسٌ بِسُوقِ خِدَالٍ^(٦)

نقل اللفظ من السوار إلى الخِدام، وقد أحسن أبو تمام بقوله: «مثل ما انقصم السوار»؛ لأن النوي لا تستدير بالبيت إلا وفيه فرج، وربما كان من أحد الجوانب تعريج، فهو كالسوار المتقصر. وقصر أبو الطيب عنه في هذا الوجه، وإنما جعلها حُرْسًا، وجعل السوق خِدالًا؛ لأنها إذا كانت لاصقة بالبيوت، فهي كأنما تضغطها ضغطة الخدمة الساق الخدلة، وإذا كانت كذلك فهي حُرْس، لأنها لا تتحرك فتصوت؛ وإنما أخذه أبو تمام من قول الأول^(٧) :

تُوَيْيٌ كَمَا نَقَصَ الْهَيْلَالُ مَحَاقَهُ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْمِغْصَمُ



أحمد بن أبي فتن^(٨) :

حَانَ الرَّجِيلُ وَقَدْ أَوْلَيْتَنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَحْوَجُ مَا كُنَّا إِلَى زَادٍ

أبو الطيب^(٩) :

وَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلٌ وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شَيْتَا



(١) التبيان (١ : ٣٥٦) .

(٢) ديوانه ص ١٤١ ، التبيان (٣ : ١٩٣) .

(٣) الأثافي : حجارة القدر، والنوي : حفير حول الخيمة يمنع السيل .

(٤) ديوانه (٣ : ١٩٢) .

(٥) الخدام : جمع خدمة، وأصله السير يشد في رسغ البعير، وبه سمي الخلخال . والخدال : السمان .

(٦) التبيان (٣ : ١٩٣) .

(٧) التبيان (١ : ٢٢٣) .

(٨) ديوانه (١ : ٢٢٣) .

أبو تمام^(١) :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
أبو الطيب^(٢) :

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي فَقَلَنْ تَرَى شَنْسَأَ وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ



البحثري^(٣) :

وَلَمْ أَلْقَ فِي رَنْقِ الصَّرَى^(٤) لِي مَوْرِدًا فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النَّيْلِ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
أبو الطيب^(٥) :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا
وهذا مصراع نادر، مستوفي المعنى سائر المثل .



البحثري^(٦) :

وَأَشْهَدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِيكَ دُونَهُمْ مُؤَدَّى إِلَى حَظِّي وَمُتَّبِعَ رُشْدِي
أبو الطيب^(٧) :

وَمَا سِئْتُ إِلَّا أَنْ أَذُلَّ عَوَاذِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابًا
وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي وَشَرَقُوا وَعَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا



البحثري^(٨) :

إِذَا سَارَ كَفُّ اللَّحْظِ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ سِوَاهِ وَعِصَّ الطَّرْفُ^(٩) عَنْ كُلِّ مُسْمَعٍ
فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا إِفَاضَةَ شَاخِصٍ إِلَيْهِ بَعِينٍ أَوْ مَشِيرٍ بِإِضْبَاعٍ
أبو الطيب^(١٠) :

بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ وَيُخَرِّقُ مِنْ رَحْمِ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ
وَتُلْقِي وَمَا تَدْرِي الْبَنَانُ سِلَاحَهَا لِكثْرَةِ إِيمَاءِ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو

(٦) ديوانه (١ : ١٩٨)، التبيان (١ : ١٩٩).

(٧) ديوانه (١ : ١٩٩).

(٨) ديوانه (٢ : ٧٩).

(٩) في الديوان: «وغص الصوت».

(١٠) ديوانه (٢ : ٥). وزحم: مصدر زحم.

(١) ديوانه ص ١٨٩، التبيان (٢ : ١٢٣).

(٢) ديوانه (٢ : ١٢٣).

(٣) ديوانه (٢ : ١٧٣)، التبيان (٤ : ٢٨٧).

(٤) الصرى: الماء يطول مكثه.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٨٧).

فأكد المعنى وزاد فيه، كأنه اقتبس معنى البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾ [يوسف: ٣١].



البحترى^(١):

تَقَادُفُ بِي بِلَادٍ عَن بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرٌ^(٢) شُرُودٌ
بعضهم:

كأني قَدَى في عينِ كلِّ بلادٍ

أبو الطيب^(٣) - وهو منقول إلى معنى آخر كالمفرد:

يُحَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي وَأَنِّي فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ



أشجع^(٤):

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانٍ: ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سِيُوفُكَ الْأَخْلَامُ
أبو الطيب^(٥):

يَرَى فِي النَّوْمِ رُمَحَكَ فِي كَلَاهِ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشُّهَادِ

فقصر في ذلك الشهاد؛ لأنه أراد أن يقابل بها النوم، وبذلك يتم المعنى، وليس كل يقظة سهاداً؛ إنما الشهاد امتناع الكرى في الليل، ولا يسمى المتصرف في حاجاته بالنهار ساهداً وإن كان مستيقظاً، وقد جاء به في بيت آخر فقال^(٦):

وَكُلَّمَا حَلَمْتَ عَذْرَاءَ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمْتَ بِالسَّبِي وَالْجَمَلِ

وإنما ذكر الجملة؛ لأن الروم لا تعرفه إلا إذا غزاها المسلمون، فهم أشد شيء فرقا منه ونفارا عنه.



(١) ديوانه (١: ١٧٢)، التبيان (٣ - ١٧٧).

(٢) في الديوان: «حمل».

(٣) ديوانه (٣: ١٧٧).

(٤) خاص الخاص. ص ٨٨، التبيان (١: ٣٦٤).

(٥) ديوانه (١: ٣٦٤).

(٦) ديوانه (٣: ٨٣).

أبو تمام^(١):

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ
وهو مما استقبح من استعاراته، وزعموا أنه لما أنشد ذلك بحضرة أحمد بن أبي
دؤاد قال مَنْ حضر: وكيف يشيب الفؤاد؟ فقال ارتجالاً^(٢):

وكذاك القلوب في كل بُؤْسٍ ونعيمٍ طلائع الأجسادِ
فقال أبو الطيب^(٣) - ونقل شيب الفؤاد إلى الكبد:

إِلَّا يَشِيبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْباً إِذَا خَضِبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(٤)



قال أبو نواس^(٥):

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وكرره فقال:

مَتَى تَحْطِي إِلَيْهِ الرَّحْلَ سَالِمَةً تَسْتَجْمَعِي الْخَلْقَ فِي تَمَثَالِ إِنْسَانٍ
قال أبو الطيب^(٦):

هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ
ثم كرهه فقال^(٧):

أَمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصٍ حَيٍّ أُعِيدَا

ومثل قوله^(٨):

وَمَنْزِلِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

وكرر وزاد فقال^(٩):

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّما رَدَّ إِلَهُهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَغْضُرَا

(١) ديوانه ص ٧٥، التبيان (٣: ١٦٤)، أخبار أبي تمام للصولي ص ١٤٨.

(٢) ديوانه (١: ٧٥). (٣) ديوانه (٣: ٤٦١).

(٤) النصول: ذهاب الخضاب. (٥) ديوانه ص ٨٧؛ التبيان (١: ٣٦٦).

(٦) ديوانه (٣: ١٧٣).

(٧) ديوانه (١: ٣٦٦). وصدده:

أحلماً نرى أم زماناً جديداً

(٨) ديوانه (٢: ٣٥٠)، وصدده:

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى

(٩) ديوانه (٢: ١٧٠).

ومن مليح ما يشاكل هذا قوله^(١):

تَسِيقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا^(٢)
فَعَلَّلَ وَشَبَّهَ، وَأَوْضَحَ الْمَعْنَى بِذِكْرِ الْحِسَابِ وَاجْتِمَاعِ أَعْدَادِهِ فِي الْفَذْلِكَةِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ فِي أُخْرَى:

مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ
فَجَعَلَ الْأَلْفَ وَاحِدًا فَرْدًا، يَجْمَعُ مَا تَحْتَهُ مِنَ الْأَعْدَادِ، كَجَمْعِ هَذَا فَضَائِلِ آبَائِهِ وَهُوَ فَرْدٌ، كَجَمْعِ الْفَذْلِكَةِ مَا تَقْدَمُهَا مِنْ تَفْصِيلِ الْحِسَابِ.



أبو تمام^(٣):

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يَضْحِي بِقَلْبِي مَاتَمَّ مِنْ الشُّوقِ وَالْبَلْوَى وَعَيْنِي فِي عُرْسِ
أَبِي الطَّيِّبِ^(٤):

حَسَائِي عَلَى جَمْرِ ذِكِّي مِنَ الْهَوَى وَعَيْنَايَ فِي رَوْضِ مِنَ الْحُسْنِ تَزْتَعُ
وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

إِذَا زَرْتِ شَمْسًا تَسْتَضِيءُ بِشَمْسِيهِ فَقَلْبِكَ مَغْبُونٌ وَطَرْفُكَ رَابِحٌ
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ، وَقَدْ أَحْسَنَ^(٥):

فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَخَسُّدُ الْحَدَقِ الْقُلُوبُ



البحثري^(٦):

سُلِّبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلِّبُوا

(١) في الأصلين: «ومن مليح ما يشاكل هذا قول البحثري». وهو خطأ، فهذا البيت للمتنبي: والثاني له أيضاً (٢: ١٧١).

(٢) قال الواحدي في معنى هذا البيت:

«جمع لنا الفضلاء في الزمان؟ ومضوا متتابعين متقدمين عليك، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم؛ مثل الحساب؛ يذكر تفاصيله أولاً؛ ثم تجمع تلك التفاصيل، فيكتب في آخر الحساب: فذلك كذا وكذا».

(٣) ديوانه ص ٤٧٧، والبيان (٢: ٢٣٦)، وروايته في الديوان:

أَسْكُنُ قَلْبًا هَائِمًا فِيهِ مَاتَمَّ مِنْ الشُّوقِ إِلَّا أَنْ عَيْنِي فِي عُرْسِ

(٤) ديوانه (٢: ٢٣٥). (٥) ديوانه (١: ٧٥).

(٦) ديوانه (١: ٦٣)، البيان (١: ٣٣٧).

وهو من قول بعض العرب^(١):

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنِي هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكُوسُو السَّلِيْبَ إِزَارًا

فنقله أبو الطيب إلى السيف، فقال^(٢):

يَسَّ النَّجِيعُ^(٣) عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدٌ



البحثري^(٤) - وهو معنى مبتذل كثير:

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَسَا لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

أبو الطيب^(٥):

وَلَوْ لَقِيتُ^(٦) صُمَّ الْجِبَالِ الَّذِي بَنَا عِدَاةَ أَفْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَّصِدُعُ



البحثري^(٧):

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا يُحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ

أبو الطيب^(٨):

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسْرُبَمَا لَا يَهَبُ



البحثري^(٩):

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَا فِي نَيْلِهِ الْمَوْهُوبُ

أبو الطيب^(١٠):

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا



(١) التبيان (١ : ٣٣٧).

(٢) ديوانه (١ : ٣٣٧).

(٣) النجيع : الدم.

(٤) ديوانه (١ : ٢٦)، التبيان (٢ : ٢٣٧).

(٥) ديوانه (٢ : ٢٣٦).

(٦) في الديوان : «ولو حملت».

(٧) ديوانه (١ : ٦٥)، التبيان (١ : ٩٩) ورواية العكبري :

(٨) ديوانه (١ : ٩٩). لا يحرمنك كما احتج البخيل ولا يحب من ماله إلا الذي يهب

(٩) ديوانه (١ : ٥٧)، التبيان (٤ : ٢٩٠).

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٩٠).

البحثري^(١):

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِرَازٌ مَجْرِبٌ
أبو تمام^(٢):

وَمُجْرِبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ
وله^(٣):

كَهْلُ الْأُنَاةِ فَتَى الشَّدَاةِ إِذَا عَدَا لِلْحَزْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْغَطْرِيْفَا^(٤)
أبو الطيب^(٥):

تَذْيِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي عَدِي وَهُجُومٌ غِرٌّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا^(٦)
وقد قالوا: إن الأصل فيه قول قطري بن الفُجاءة^(٧):

ثم انشئت وقد أصبَتْ ولم أصبْ جَدَعَ البصيرة قارح الإقدام

وليس هو عندي كذلك؛ لأن قطريا زعم أن إقدامه إقدام قارح، وبصيرته بصيرة جدع، والقارح أتم سناً من الجدع. وهؤلاء زعموا أن إقدامهم إقدام غر، وتجاربهم تجارب كهل مُحَنِّك؛ فهو ضد ذلك المعنى، اللهم إلا أن يقال قلبه؛ فلا يبعد ذلك عن الصواب.



أبو نواس^(٨):

جُدَّتْ بِالْأَمْوَالِ حَسِي قَسِيلٌ مَا هَذَا صَحِيحٌ
وقال^(٩):

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَسِي حَسِبُوهُ النَّاسُ حُمَقَا^(١٠)

(١) ديوانه (١ : ٢٠)، التبيان (١ : ١٣٣)، ونسبه لحبيب خطأ.

(٢) ديوانه ١٤٨، التبيان (١ : ١٣٢).

(٣) ديوانه ص ٢٠٧، التبيان (١ : ١٣٢)، ورواية الديوان:

إذا عدا للحرب كان القشعم الغطريف

(٤) الأناة: الحلم، والشداة: بقية القوة. وعدا: أسرع. والقشعم: الأسد. والغطريف: السيد الشريف.

(٥) ديوانه (١ : ١٣٢).

(٦) الحنك: جمع حنكة؛ وهي التجربة. والغر: الذي لم يجرب الأمور.

(٧) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٥٠. قال في شرحه: «جدع البصيرة؛ أي فتى الاستبصار، أي وأنا على بصيرتي الأولى. وقارح الإقدام؛ أي مفرح الإقدام».

(٨) ديوانه ص ٧٠، التبيان (٤ : ٣٣). (٩) ديوانه ص ١٢١، التبيان (٤ : ٣٣).

(١٠) رواية الديوان:

جاد إبسراهم حتى جعلوه الناس حمقا

أبو تمام^(١):

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ
فتناول معنى بارداً، وغرضاً فاسداً، فأكدته وأضاف إلى الحمى الهذيان. وقال
البحثري:

إِذَا مَعَشَرَ صَابُوا السَّمَاحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هَمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ابْتِدَالِهَا
وقال آخر في قريب من هذا المعنى:

بَطْلٌ تَنَازَرَهُ الْكُؤَمَاءُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَدَلُّ عَلَى الْفَوَارِسِ أَحْمَقُ
وأصله من قول العنبري^(٢):

مَا كَانَ يُعْطِي مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْخِيمِ أَوْ مَجْنُونٌ
فقال أبو الطيب^(٣):

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(٤)



قال أبو العتاهية^(٥):

وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا
أبو تمام^(٦):

تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ
وله^(٧):

وَقَدَّتْ إِلَى الْأَفَاقِ مِنْ نَفْحَاتِهِ نِعَمٌ تَسَائِلُ عَنْ ذَوِي الْإِفْتَارِ
وله^(٨):

فَإِنْ لَمْ يَفِضْ يَوْمًا إِلَيْهِنَّ طَالِبٌ وَفَدَنْ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَالِبٍ

(١) ديوانه ص ٣٠٠، شرح ديوان أبي نواس ص ٧٠، التبيان (٤: ٣٣) ورواية الديوان:

ما زال يهدي بالمكارم والعللا

(٢) التبيان (٤: ٣٣).

(٣) ديوانه (٤: ٣٢).

(٤) قال الواحدي في معنى البيت: «يقول: هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ويقول بيت المال: ما هذا مسلماً؛ لأنه فرق بيوت أموال المسلمين، ولم يدع فيها شيئاً».

(٥) التبيان (٣: ١٦٦).

(٦) ديوانه ص ٤١، والعراض: جمع عرصة، وهي كل بقعة بين الدور، واسعة ليس فيها بناء.

(٧) التبيان (٣: ١٦٧).

(٨) التبيان (٣: ١٦٧).

أبو الطيب^(١) :

فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلًا^(٢) قَيْلٌ بِمَنْبَجٍ مَسْوَاهُ وَتَائِلُهُ
ثم كرره فقال^(٣) :

وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفَدُ وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ
ثم كرره فزاد وأحسن، فقال^(٤) :

أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبًا وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ



لبعضهم^(٥) في طاهر بن الحسين :

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ نِ لَا غَرَقْتَ كَيْفَ لَا تَغْرُقُ
وَبَحْرَانٍ : مِمَّنْ فَوْقَهَا وَاحِدٌ وَأَخْرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ عِيدَانِهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
قال أبو الطيب^(٦) :

وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضِ سَحَابٍ أَكْفَهُمْ مِنْ فَوْقِهَا وَضُخُورِهَا لَا تُورِقُ
وأصله من قول أبي صخر الهذلي^(٧) ، وإن كان في النسيب :

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا لِمَسْتَهَا وَيَنْبُتُ مِنْ أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ^(٨)



بشار :

أَوْ كَبَدْرُ السَّمَاءِ غَيْرَ قَرِيبٍ حِينَ يُوفِي وَالضُّوْءُ مِنْهُ قَرِيبٍ
أبو عيينة^(٩) :

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُغْدُ

(١) ديوانه (٣ : ١٦٦) .

(٢) القيل : الملك العظيم، ومنبج : بلد بالشام يبعد عن الفرات مرحلة، والمشوى : المنزلة .

(٣) ديوانه (٢ : ٧) .

(٤) ديوانه (١ : ١٣٢) .

(٥) نسبه صاحب المواهب الفتحية (٢ : ١٣٤) لمقدس بن صيفي .

(٦) ديوانه (٢ : ٣٣٧) . (٧) الأمالي لأبي علي القالي (١ : ١٤٩) .

(٨) رواية الأمالي :

وينبت في أوراقها الورق النضر

(٩) التبيان (١ : ١١١) .

الطَّرِمَّاحُ^(١):

أَنَا الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغَيَّبَ لَيْلُهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعَيْنِ نَجُومِهَا
تَرَاهَا عَيُونَ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيباً وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومِهَا
أبو الطيب^(٢):

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهَا شِعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا



أبو تمام^(٣):

قَرِيبُ النَّدى نَائِي المَحَلُّ كَأَنَّهُ هَلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَاءِ مَنَازِلِهِ
البحري^(٤):

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي العُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ
أبو الطيب^(٥):

كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا يَغْشَى البِلَادَ مَشَارِقاً وَمَعَارِبَا



العباس بن الأحنف^(٦):

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ بَثَّتِ الإِشْرَاقَ فِي كُلِّ بَلَدِ
البحري^(٧):

عَطَاءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاءِ وَمَشْرِقُ
أبو الطيب^(٨):

كَالْبَدْرِ مَنْ حَيْثُ التَّفَقَّتْ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِبَا



أبو تمام^(٩):

مَضَوْا وَكَأَنَّ المَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ

(٢) ديوانه (١ : ١١١).

(١) التبيان (١ : ١١١).

(٣) التبيان (١ : ١٣٠)، ورواه:

قريب إلى العليا قريب منازله

(٥) ديوانه (١ : ١٣٠).

(٤) ديوانه (١ : ٥٨).

(٧) ديوانه (١ : ١٣٨)، التبيان (١ : ١٣٠).

(٦) التبيان (١ : ١٣٠).

(٩) التبيان (١ : ٣٥٩).

(٨) ديوانه (١ : ١٣٠).

ثم قلبه فقال^(١):

جودٌ تدين بحلوه وبمُرّه فكأنّه جزءٌ من التّوحيدِ
أبو الطيب^(٢):

كأنّ سخاءك الإسلام تخشى متى ما حلت عاقبةً ازتداد^(٣)



العوام بن شوذب الشيباني^(٤):

ولو أنّها عُصفورة لحسبتّها مُسوِّمةٌ تدعو عبّيداً وأزّماً
جرير^(٥):

ما زال يحسب كلّ شيءٍ بعدّهم خيلاً تكُرّ عليهم ورجالاً
عروة بن عتبة الكلابي:

إذ تحسب الشجرَاء خلف ظهورنا خيلاً وأن أماننا الصّحراء
أبو نُوّاس في غير هذا المعنى:

فكلُّ كفٍ رآها ظنّها قدحاً وكلّ شخصٍ رآه ظنّه الساقبي
أبو الطيب^(٦):

وضاقت الأرض حتّى كان هاربهم إذا رأى غير شيءٍ ظنّه رجلاً
فبالغ حتى أحال وأفسد المعنى.



البحثري^(٧):

جلّ عن مذهب المديح فقدّ كما دَيكون المديح فيه هجاء
المتنبي^(٨):

تجاوزَ قدرَ المدح حتّى كأنّه بأحسن ما يُثنى عليه يُعاب

(١) التبيان (١ : ٣٥٩).

(٢) ديوانه (١ : ٣٥٩).

(٣) يقول: أنت تقوم على سخائك وتتعده؛ كما يتحفظ الإنسان دينه؛ أي أنت تعتقد سخاءك اعتقاد الدين، وتخاف - إذا تحولت - عاقبة الردة، وهو القتل ودخول النار.

(٤) أيام العرب في الجاهلية ص ١٩٥، شرح شواهد المغني (٢ : ٢٢٦)، ونسبه لجرير، ومسوِّمة: أي خيلاً مسومة، وعبيد وأزلم: قبيلتان من بني يربوع، اللسان - مادة زلم.

(٥) ديوانه ص ٤٥١. (٦) ديوانه (٣ : ١٦٨).

(٧) ديوانه (١ : ٢). (٨) ديوانه (١ : ١٩٤).

ونحوه له^(١) :

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْأَفَاقِ أَوْهَمَنِي أَنِّي بِقَلَّةِ مَا أَتَيْتُ أَهْجُوكَا
وَكَرَّرَهُ فَقَالَ^(٢) :

وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ كَأَنَّهُ أَسْرَفَ فِي سَبِّهِ



بعضهم - في وصف عَفْعَق^(٣) :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا قَطَرَتَا زُنْبُقِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

أَدْرَنَ عُيُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا مُرْكَبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زُنْبُقِ



الفرزدق^(٥) :

جُعِلَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِأَنْبَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى فِثْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) :

مِثْلَ مَا أَخَذَتْ الثُّبُوءُ فِي الْعَا لَمْ وَالْبَعَثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ



البحثري^(٧) :

فِي^(٨) كُلِّ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩) :

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثُّوِيَّةَ^(١٠) تَحْتَهُ كَأَنَّ نَرَاهَا عَشِيرَ فِي الْمَفَارِقِ
بِلَادَ إِذَا زَارَ الْجِسَانَ بَعْيِرَهَا حَصَى تُرْبَهَا ثَقْبَتَهُ لِلْمَخَانِقِ^(١١)



(١) ديوانه (٢ : ٣٧٩).

(٢) ديوانه (١ : ٢١٤)، ورواه: أفرط في سبه.

(٣) العفقق: طائر أبيض بسواد وبياض؛ يشبه صوته العين والقاف: القاموس مادة - عقق.

(٤) ديوانه (٢ : ٣٠٨). (٥) النفاض (٢ : ٥٤).

(٦) ديوانه (٢ : ٥٦). (٧) ديوانه (١ : ٢١٣).

(٨) في ديوانه: «في رأس مشرفة». (٩) ديوانه (٢ : ٣١٧).

(١٠) الثوية: موضع بالكوفة؛ على ثلاثة أميال منها.

(١١) المخانيق: العقود؛ واحدها مخنق.

البحثري^(١):

مَلِكٌ بَعَالِيَّةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ يَقْرِي الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ
المتنبي^(٢):

وَمَلِلْتُ نَحْرَ عَشَارِهَا فَأَصَافِنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ الْعِشَارَ لِمَنْ قَرَى^(٣)



عمر بن أبي ربيعة:

أَلْقَى عَصَاهُ وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ: ضَيْفٌ، فَقُلْتُ: الشَّيْبُ؟ قَالَ: أَجْلٌ
آخر في الشيب^(٤):

أَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفٍ نَزَل وَأَسْتَوْدِعُ اللَّئِمَةَ الْفَارَحَلْنَ
أبو الطيب - وهو مبتذل^(٥):

ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُخْتَشِمٍ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمَمِ
والمصراع الثاني من قول البحثري^(٦):

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حَلٌّ بِمَفْرِقِي



عبد الله بن محمد المهلب^(٧):

يَا ذَا الْيَمِينِ لِمَ أَرْزُكَ وَلِمَ أَصْحَبُكَ مِنْ خَلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ
زَارْتُكَ بِي هِمَّةً مَنَازِعَةً إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْهِمَمِ
أبو تمام^(٨):

وَنَادَبْتُ^(٩) رِفْعَةَ قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لَدَيْكَ لَا فِضَّةَ أَبْكِي وَلَا ذَهَبًا
وقال يزيد بن محمد المهلب في معناه وأحسن^(١٠):

لَمْ تَزْرِنِي أَبَا عَلِيٍّ سِنُو الْجَدِّ بِ وَعِنْدِي بَعْدَ الْكَفَافِ فُضُولُ

(١) ديوانه (٢ : ١١٤) .

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٠) .

(٣) العشار: جمع عشاء، وهي التي أتى لحملها عشرة أشهر، والبدر: جمع بدره، وهي عشرة آلاف. والنضار: الذهب.

(٤) التبيان (٤ : ٣٤) . (٥) ديوانه (٤ : ٣٤) .

(٦) ديوانه (٢ : ١٢٢) . والتبيان (٤ : ٣٤) . (٧) التبيان (٢ : ٣٠) .

(٨) ديوانه ص ٢٢ ، التبيان (٢ : ٣٠) .

(٩) رواية الديوان :

ونادب رفع قدر كنت أمله

(١٠) التبيان (٢ : ٣٠) .

غَيْرَ أَنِّي بَاغِي الْجَلِيلِ مِنَ الْأَمْرِ ر وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبَغَى الْجَلِيلِ
أَبُو تَمَامٍ^(١) :
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :
وَمَا رَغَبْتِي فِي عَسَجِدِ اسْتَفِيدُهُ وَلَكِنهَا فِي مَفْحَرِ اسْتَجِدُّهُ
وَلَهُ^(٣) :
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارِ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ



عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمَهْلَبِ^(٤) :
فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غُنْمًا كَبِيرًا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥) :
إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأَنَّ تَسِيرَ إِلَيْهِمْ صِلَةٌ تَسِيرُ بِذِكْرِهَا الْأَشْعَارُ



الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :
فَمَا بَكَيْتُ لِيَوْمٍ مِنْكَ أَسْخَطْتَنِي إِلَّا بِكَيْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا ذَهَبَا
عَبْدُ اللَّهِ الْمَهْلَبِيُّ :
وَكَمْ مُذْرِكُ أَمْنِيَّةَ كَمَا دَاوُهُ بِإِدْرَاكِهَا وَالْغَيْبُ عَنْهُ مُحَجَّبُ
نَحْوَهُ لغيره :
رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بِكَيْتُ عَلَيْهِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) :
فَكَيْفَ أَذَمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ



الْجَلَّاحُ :

وَلَمَنْعُ خَيْرٍ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّرِ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) ، وَهُوَ مَعْنَى مَشْهُورٌ كَثِيرٌ :

أَبْدَأُ تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا يَا، فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا!

(١) ديوانه ص ٢٦٤ ، التبيان (٢ : ٣٠) .

(٢) ديوانه (٢ : ٢١٦) .

(٣) ديوانه (٢ : ٣٠) .

(٤) ديوانه (٢ : ٨٨) .

(٥) التبيان (٢ : ٨٨) .

(٦) ديوانه (٣ : ١٣٠) .

(٧) ديوانه (١ : ١٨٩) .

وهو مستوفى زائد. وقريب من قوله هذا قول علي بن جبلة:
وما صاحب الأيام إلا دريةً على أنها تغذوه وهو لها أكل



ذو الرمة^(١):

ليني^(٢) وليّة تُمرغ جنّابي فإنني لِمَا نِلْتُ مِنْ وَسْمِي^(٣) نَيْلِكَ شَاكِرٌ
أبو الطيب:

أَمْنِعَمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الطَّنْبِيَّةِ الَّتِي بَغَيْرِ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِي
وهذا من الألفاظ التي يصح فيها الأخذ.



ابن المعتز^(٤):

وأرى الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرْدٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ جِدَادٍ
أبو الطيب^(٥):

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي جِدَادٍ^(٦)



الراعي^(٧):

رَجَاؤُكَ أَنَسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالِكَ أَنَسَانِي بُوْهَبَيْنِ^(٨) مَالِيَا
البحثري^(٩):

وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوءًا عَنِ بِلَادِي

(١) التبيان (٤ : ٤٨)، واللسان مادة - ولي.

(٢) لني: فعل أمر من الولي، والولي: المطر الذي يأتي بعد المطر، أي أمطرتني ولية منك، أي معروفًا بعد معروف.

(٣) الوسمي: مطر أول الربيع، أي إني شكرت لك أول معروفك.

(٤) التبيان (١ : ٣٥٤).

(٥) ديوانه (١ : ٣٥٤).

(٦) بنات نعش: سبع كواكب. والخرائد: جمع خريدة؛ وهي الجارية الحية.

(٧) التبيان (٢ : ٢٥٧)، ومعجم البلدان (٨ : ٤٣٦)، وقبله:

وقد قادني الجيران قدما وقدتهم وفارقت حتى ما تحن جماليا

(٨) وهين، بالفتح ثم السكون: جبل من جبال الدهناء.

(٩) ديوانه (١ : ١٣٩)، التبيان (٢ : ٢٥٧).

أبو الطيب - وأسَاء غاية الإساءة^(١) :
 وَأْمُنِسِي السُّكُونَ وَحَضْرَمُوتَا وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيْعَا^(٢)
 ونحوه له - وقد أحسن^(٣) :
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكْ الْبُحَيْرَةَ وَالْ- عَمَّورُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِيْمٌ^(٤)



البحثري^(٥) :
 أَرَى الْجَلْمَ بُؤْسًا فِي الْمَعِيْشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
 المتنتي^(٦) :
 ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيْمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
 وله^(٧) :
 تَضْفُرُ الْحَيَاةُ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ



ومثله له^(٨) :
 يَخْلُو مِنْ هَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ



البحثري^(٩) :
 يُذَكِّرُنَا رَبًّا الْأَحْبَبَةَ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ
 نقله أبو الطيب وأحسن^(١٠) :
 إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرِحْتَنِي رَوْضَةً وَقَبُولُ^(١١)
 وفي هذا المعنى كلام.

(١) ديوانه (٢ : ٢٥٧) .

(٢) السكون وحضرموت وكندة والسبيع : مواضع بالكوفة .

(٣) ديوانه (٤ : ٦٦) .

(٤) البحيرة : هي بحيرة طبرية بالشام، والغور : موضع هناك أيضاً، والشيم : البارد .

(٥) ديوانه (٢ : ١٦٤)، التبيان (٤ : ١٢٤) .

(٦) ديوانه (٤ : ١٢٤) . (٧) ديوانه (٢ : ٢٦٩) .

(٨) ديوانه (٤ : ٢٠٩)، وصدده :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن

(٩) ديوانه (١ : ١٣٦)، والتبيان (٣ : ٩٦) . (١٠) ديوانه (٣ : ٩٦) .

(١١) الروح : نسيم الريح، وأدنى : أشد إدناء، فبني «أفعل» من المزيد، وبرحتني : فارقنتني .
 والقبول : ريح الصبا . قال اليازجي : «يقول : إذا كان تشمم النسيم يدينني إليكم بأن يذكرني
 منازلكم فلا فارقنتني روضة طيبة، وريح لينة تحمل إلي روائحها» .

البحثري^(١):

سَمَاحاً وَبَأْساً كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْعَارِضِ الْمَتْرَاكِمْ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُزَجِّي وَيُنْقَى يُرَجِّي الْحَيَا مِنْهُ وَتُخَشَى الصَّوَاعِقُ

البحثري^(٣):

وَحَاوَلَنْ كَيْثَمَانَ التَّرْحُلِ فِي الدُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ الْمِسْكَ حِينَ تَصَوَّعَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

فَلَقَّ^(٥) الْمَلِيحَةَ وَهِيَ مِسْكَ هَتْكُهَا^(٦)

البحثري^(٧):

تَزَلُّوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ وَجَانَّبُوا أَرْضاً تَرُبُّ الشَّيْخَ وَالْقَيْضُومَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

تَرَكَتْ دُخَانَ الرُّمْتِ فِي أَوْطَانِهَا طَلَباً لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَ^(٩)

البحثري - في وصف الأسد^(١٠):

شَارَكَتْهُ فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَلَتْهُ بِالْجُودِ مَحْقُوقاً بِذَلِكَ زَعِيماً

(١) ديوانه (٢: ٢٥٣). التبيان (٢: ٣٤٦). (٢) ديوانه (٢: ٣٤٦).

(٣) ديوانه (٢: ٩٧). (٤) ديوانه (١: ١٣).

(٥) يريد بالقلق: الحيرة.

(٦) وعمز البيت:

ومسيرها في الليل وهي ذكاء

ومثله قول أبي المطاع بن ناصر الدولة:

ثلاثة منعتها من زيارتنا وقد دجا الليل خوف الكاشح الحنق

ضوء الحبيب ووسواس الحلبي وما يفوح من عرق كالعنبر العبيق

هب الحبيب بفضل النكم تستره والحلي تنزعه ما الشأن في العرق!

(٧) ديوانه (٢: ٢٤٣)، التبيان (٢: ١٦٩).

(٨) ديوانه (٢: ١٦٩).

(٩) الرمت: نبت يوقد به. يقول: تركت الأعراب ووقودهم من هذا النبات، وأنت قوما ووقودهم العنبر.

(١٠) التبيان (٣: ٣٤٠).

قال أبو الطيب^(١):

فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِفْدَائِهِ وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا



حاتم^(٢):

إِذَا كَانَ بَغْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَأِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ
حُطَّائِطِ بْنِ يَعْفَرِ^(٣):

دَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمِيدِي غِبِّهِ عَدَا
أبو نواس^(٤):

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ وَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ
أبو تمام:

فَلَمَّا لَكَ الْعَبْدُ الْمَذَلُّ إِذَا غَدَوَا وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْمُخْزُومِيِّ^(٥):

إِنَّ رَبَّ الْمَالِ أَكْبَلُهُ وَهُوَ لِلْبُخَّالِ أَكْأَلُ
أبو الطيب^(٦):

هُمُ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلْتَمِمْ

حاتم^(٧):

لَحَى اللَّهُ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لُبُوسًا وَمَطْعَمًا
آخر^(٨):

وَلَيْسَ فَتَى الْفُثَيَّانِ مَنْ رَاخَ وَاعْتَدَى لَشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لَشُرْبِ غَبُوقِ
والأصل قول امرئ القيس^(٩):

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَسْجِدِ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَذْرُكُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

فأخذه حُفَّافُ بْنُ غُصَيْنِ الْبُرْجُمِيِّ فقال^(١٠):

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِنَفْسِي وَحَدَّهَا لَزَادَ يَسِيرٍ أَوْ ثِيَابِ عَلِيٍّ جِلْدِي

(١) ديوانه (٣: ٢٤٠).

(٦) ديوانه (٤: ٦٠).

(٢) ديوانه ص ٦.

(٧) ديوانه ص ٢٢.

(٣) التبيان (٤: ٦٠).

(٨) التبيان (١: ١٧٤).

(٤) التبيان (٤: ٦٠).

(٩) ديوانه ص ٧١.

(٥) التبيان (٤: ٦٠).

(١٠) معجم الشعراء ص ١٠٨.

لأَبْتُ عَلَى نَفْسِي وَبَلَّغَ حَاجَتِي من المَالِ مَالٌ دُونَ مَالِي الَّذِي عِنْدِي
ولكنما أسعى لمجد مؤثَّل وكان أبي نال المكارم عن جَدِّي
ثم أكثر الناس فيه . وقال أبو الطيب^(١) :

تَهْوَى بِمُنْجَرِدٍ^(٢) لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لَلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ
وقال^(٣) :

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبِهِ رِجْلَاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
ولكن نفساً بين جنبي مآلها مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادِ أَحَدُهُ
قوله : « والثوب جلده » من قول أبي هقّان :

وما شعاري الدَّهْرَ غيرِ جِلْدِي



مُسْلِمٍ^(٤) :

فُتِلْتُ وَعَالَجَهَا الْمُدِيرُ وَلَمْ تُقَدْ فَإِذَا بِهِ قَدْ صِيرْتُهُ قَتِيلًا
ديك الجن - ونقله إلى غرض آخر :
تظل بأيدينا نتعتع رُوحها
أبو تمام^(٥) :

وَكَأْسٍ كَمَغْسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلِكَيْهَا أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
وله^(٦) :

أَفِيكُمْ فَتَى حَيٌّ فَيُخْبِرُكُمْ عَنِّي بِمَا شَرِبْتَ مَشْرُوبَةَ الرَّاحِ مِنْ ذَهْنِي
أبو الطيب^(٧) :

نَالَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي لَلَّهِ مَا تَصْنَعُ الْحَمُورُ



الأفوه الأودي^(٨) :

وَتَرَى السُّطَيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنِ ثِقَمَةَ أَنْ سَشْمَارُ^(٩)

- (١) ديوانه (١ : ١٧٤) .
(٢) ديوانه (٢ : ٢٣) .
(٣) ديوانه ص ٣٧٥ ، التبيان (٢ : ١٣٨) .
(٤) ديوانه ص ٣٣٩ ، التبيان (٢ : ١٣٨) ، وفي الديوان « فيخبرني » .
(٥) ديوانه (٢ : ١٣٨) .
(٦) ديوانه (٢ : ٣٣٩) .
(٧) ديوانه (٢ : ١٣٨) .
(٨) التبيان (٢ : ٣٣٩) .
(٩) تمار : تعطي الميرة بما تجد من لحوم القتلى .

النايعة^(١) :

إِذَا مَا عَزَّوَا بِالْجَيْشِ خَلَّقَ فَوْقَهُمْ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ^(٢)
حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :

إِذَا مَا عَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غِمَامَةً
مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ
أَبُو نُوَاسٍ^(٣) :

تَتَأْبَى الطَّيْرُ غُدُوَتَهُ
ثِقَّةً بِالشُّبُعِ مِنْ جَزْرَةٍ^(٤)
أَبُو تَمَامٍ^(٥) :

وَقَدْ ظَلَمْتُ عِقْبَانَ أَغْلَامِهِ ضَحَى
أَقَامَتْ مَعَ الرَّيَّاتِ حَتَّى كَانَتْهَا
بِعِقْبَانَ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله: «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ» فهو المتقدم، وأحسن من هذه الزيادة عندي قوله: «في الدماء نواهل» وإقامتها مقام الريات، وبذلك يتم حسن قوله: «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ»، على أن الأقوَّة الأودِيَّيَّ قد فضل الجماعة بأمر: منها السبق وهي الفضيلة العظمى، والآخر قوله: «رَأَى عَيْنٍ» فخر عن قُرْبِهَا لأنها إذا بعدت تُخَيَّلَتْ ولم تُر، وإنما يكون قُرْبُهَا متوقعاً للفريسة، وهذا يؤيد المعنى، ثم قال: «ثِقَّةٌ أَنْ سَتَمَارَ» فجعلها واثقة بالميرة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره، فأما أَبُو نُوَاسٍ فإنه نقل اللفظ ولم يزد فَيَفْضَلُ.

وقال أبو الطيب^(٦) :

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا
سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ

فزاد إذ جعلها سحابتين، وجعل السحابة السفلى تسقي ما فوقها، وهذا غريب، وقد يعيبه المتكلمون في هذا البيت بأمرين: أحدهما أَنَّ السحاب لا يسقي ما فوقه، والآخر أَنَّ الْعِقْبَانَ وَالطَّيْرَ لَا تَسْتَسْقِي، وإنما تَسْتَطْعِمُ، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أعرب به، ولم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه، وإنما أقامه مقام السحاب من وَجْهَيْنِ لتزاحمه وكثافته، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، وأما أَنَّهُ يَسْتَسْقِي كاستسقاء السحاب فلأنه لما سماه سحاباً جعله يستسقي.

وقد قال أبو تمام في صفة المنجنيق:

أرض على سمائها درور

(١) ديوانه ص ٤. (٤) تتأبى: تتعمد، والجزر: قطع اللحم.

(٢) العصائب: الجماعات. (٥) ديوانه والبيان (٢: ٢٣٩).

(٣) ديوانه ص ٦٨، رغبة الأمل (٤: ١٢١). (٦) ديوانه (٣: ٣٣٨).

مع أن الطير لا تُصيّبُ فرائسها وهي في الجو، وإنما تهبط إلى الأرض فهي تستسقي والسحاب الساقى عال عليها، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب في استعارة هذه اللفظة في كل طلب، تعظيماً لقدر الماء، ولذلك قال علقمة^(١):

وفي كلّ حيٍ قد خَبَطَتْ بنعمة فحوقاً لشأسٍ من نَدَاكِ دُنُوبِ^(٢)
وقال رؤبة^(٣):

يا أيها المائح دُلّوي دُونِكا

وهما لم يستسقيا ماء، وإنما طلب أحدهما مالاً واستطلق الآخر أسيراً. ولذلك سماوا المجتدي والسائل مستمحين، وإنما الميح جمع المائح الماء في الدلو، والمائح الرجل الذي ينزل في البئر يملأ الدلاء، وقد تلغ سباع الطير الدماء. ولذلك قال أبو تمام:

بِعِشْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ

وإنما النَّهْلُ في الشراب. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره، ولطف فجاء كالمعنى المخترع فقال^(٤):

يُقَدِّي أَنَّمُ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ المَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ^(٥)
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بَعَيْرِ مَخَالِبِ وَقَدْ خَلِقْتُ أَسْيَافَهُ وَالْقَوَائِمُ^(٦)



أبو تمام^(٧):

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوَّانَهُ ثَنَاهَا لِقَبْضِ لِمِ تُطِعُهُ أَنَامِلُهُ
أبو الطيب - ونقله إلى البأس^(٨):

وَفِي الحَرْبِ حَتَّى لَوَّ أَرَادَ تَأْخِرًا لِأَخْرَهُ الطَّبَعُ الكَرِيمُ إِلَى القُدَمِ^(٩)



(١) ديوانه ص ٥.

(٢) الحي: القليلة، وخبطت بنعمة: أي أنعمت وتفضلت. وشأس أخو الشاعر، والذنوب: الدلو العظيم.

(٣) اللسان - مادة ماح، وتمامه:

إنني رأيت الناس يحمدونكا

(٤) ديوانه (٣: ٣٧٩).

(٥) الملا: وجه الأرض، والقشاعم: النسور الطويلات العمر، ومنه سميت المنية أم قشعم.

(٦) المخالب: جمع مخلب؛ وهو الظفر لسباع الطير، والقوائم: جمع قائم، وهو قائم السيف.

(٧) ديوانه ص ٢٣٢.

(٨) ديوانه (٤: ٥٥).

(٩) القدم: الإقدام.

أبو تمام^(١):

عَطَاءٌ لَوْ اشْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مَا بَيْنَ الْوَرَى وَهُوَ عَادِلُهُ
أبو الطيب^(٢):

وَكُنْتُ أَعْيَبُ عَدْلًا فِي سَمَاحٍ فَهَا أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَدُولُ



البحثري^(٣):

وَأَحْبُّ أَقْطَارِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ
أبو الطيب^(٤):

وَكُلَّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ



أبو تمام^(٥):

وَلَيْسَ يَغْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ^(٦) صَاحِبُهُ حَتَّى يَصَابَ بِنَأْيٍ أَوْ بِهَجْرَانِ
وله^(٧):

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَتْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
وله^(٨):

قَدْ عَلِمْتُ مَا رَزَيْتُ إِئْمَا يُغْرِفُ فَقَدْ الشَّمْسُ عِنْدَ الْمَغِيبِ
وله^(٩):

سَمَّجَتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا مَا حَوْلَهَا مِنْ نُضْرَةٍ وَجَمَالِ
وَكَذَاكَ لَمْ تَفْرَطْ كَأَبَّةً عَاطِلِ حَتَّى يَجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِ
وله^(١٠):

بَيْنَ الْبَيْنِ بَيْنَهَا^(١١) قَلَّمَا تَعُدَّ رَفَ فَقَدْ أَلَّ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا

(١) ديوانه ص ٢٣٢. (٢) ديوانه ص ٦٦٩ (شرح اليازجي).

(٣) ديوانه (١ : ٦٠)، والتبيان (١ : ١٨٣).

(٤) ديوانه (١ : ١٨٣)، وصدوره:

وكل امرئ يولي الجميل محبيب

(٥) ديوانه ص ٣٢٤، التبيان (١ : ٢٣). (٦) في ديوانه: «كنه الوصل».

(٧) ديوانه ص ٣١٠، والتبيان (١ : ٢٤). (٨) ديوانه ص ٣٥٤.

(٩) ديوانه ص ٢٦٠، والتبيان (١ : ٢٤). (١٠) ديوانه ص ٢٥.

(١١) في ديوانه: «فقدتها».

البحثري^(١):

وقد زادها إفراط حسن جوازها
وحسن دراري الكواكب أن تُرى
وقد ملّح بشار في هذا المعنى بقوله^(٣):
وكنّ جوارِي الحيّ ما دُمّت فيهم
وقال أبو الطيب^(٤):
ونذّمهم^(٥) وبهم عَرَفْنَا فضله
فصرّح بالمعنى، وبين أن المضادة هي التي تُثبّت حُسْنَ الشيء وقُبْحَه، ثم أخفاه فقال^(٦):
ولولا أيادي الدهر في الجَمْع بيئنا
وهذا قلب بيت أبي تمام^(٧): الأول:
ما إن تُرى شيئاً لشيءٍ مُحيياً
أبو الطيب^(٨):
بدا قُضت الأيام ما بين أهلها
مَصَائِبُ قومٍ عند قومٍ قَوَائِدُ



وله^(٩):

وموالٍ تُخسيهم من يديهِ
وهذا البيت كأنه من قول النابغة^(١٠):
نعم غيرهم بهما مَقْشُولُ
لله من رائش عمرو ومن باري



الحُصَيْن بن الحُمَام^(١١):

يَطْأَنَّ مِنَ الْقَتْلَى وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَّا
خَبَاراً^(١٢) فَمَا يَجْرِينِ إِلَّا تَجْسُماً

(١) ديوانه (١ : ٥٠)، التبيان (١ : ٢٤).

(٢) رواية الديوان والتبيان: خلائق أصفار من المجد خيب

(٣) التبيان (١ : ٢٤). (٤) ديوانه (١ : ٢٢).

(٥) رواية الديوان: «نذيمهم» وهي بمعنى نذمهم.

(٦) ديوانه (١ : ٥٢). (٧) التبيان (١ : ٢٧٦).

(٨) ديوانه (١ : ٢٧٦). (٩) ديوانه (٣ : ١٥٤).

(١٠) ديوانه ص ٤٦.

(١١) الأغاني (١١ : ٨٧)، مهذب الأغاني (٢ : ٢)؛ التبيان (٣ : ٣٥٣).

(١٢) الخبر: ما لان من الأرض واسترخى، وفي الأصل والتبيان: خياراً، وما أثبتناه عن مهذب الأغاني.

أبو الطيب^(١):

يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَنَّهُ وَمِنْ قِصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقَوِّمُ^(٢)



قيس بن ذريح^(٣):

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيتِي بَكْفِيٍّ إِلَّا أَنْ مَا حَانَ حَائِنُ

دُعْبِل^(٤):

لَا تَأْخُذًا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

أبو الطيب^(٥):

وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنْ الْمُطَابَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ؟



أبو تمام^(٦):

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِئْسَ دَاكُ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

أبو الطيب^(٧):

حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنُصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا



ابن وهيب:

لَبَسَا الْبَلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَةِ مِثْلَ مَا أَجِدُ

أبو الطيب^(٨):

مَا زَالَ كُلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ يُنْحِلُهَا وَالسُّقْمُ يُنْحِلُنِي حَتَّى حَكَّتْ جَسَدِي^(٩)

(١) ديوانه (٣: ٣٥٣).

(٢) أراد: من ما حملته؛ لأن «لا» لا تدخل على الماضي إلا مكررة، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ. والقصد: القطع. والمران: الرماح اللينة جمع مارن؛ أي أن خيله تغطأ الأبطال الذين لم تحملهم؛ يعني أبطال العدو، وتدوس قطع الرماح التي لا يحاول أحد تقويمها لتكسرهما. شرح اليازجي (١: ٣١٠).

(٣) الأغاني (٩: ١٨٥) (طبعة الدار)، التبيان (٣: ٢٥٠).

(٤) العقد الفريد (٤: ٢)، عصر المأمون، (٣: ٢٥٩)، التبيان (٣: ٢٥٠).

(٥) ديوانه (٣: ٢٥٠). (٦) ديوانه ٢٩. التبيان (١: ١٢٥).

(٧) ديوانه (١: ١٢٥). (٨) ديوانه (١: ٣٤٩).

(٩) أراد سبحانه هزيم الودق، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم. والضمير في ينحلها يعود على البيت قبله:

ولا الديار التي كان الحبيب بها تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد

وله نحوه، وقد زاد في المصراع الأول^(١):

أَثَابَ بِهَا مَا بِالْفُرَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسَمَ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ^(٢)



عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ:

طَوِيلٌ نَجَادِ السَّيْفِ وَهُوَ كَأَنَّمَا تَصُولُ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُ بِقَبِيلِ

أَبُو تَمَامٍ^(٣):

ثَبْتُ^(٤) الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فِيحَسْبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا^(٥)

أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

بَقِيَتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا وَيَقِيَتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدٌ^(٧)



أَبُو تَمَامٍ^(٨):

فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ مَا حَبَوْتُ مِنَ اللّٰهِ^(٩) نَزْرًا وَأَصْفَرَ مَا شَكَرْتَ جَزِيلاً

أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠):

يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْعَظِيمَ لَوْفِدِهِ وَيَظُنُّ دَجَلَةً لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا



أَبُو تَمَامٍ^(١١):

يَوَدُّ وَدَادًا أَنْ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ إِذَا أَنْشَدْتَ شَوْقًا إِلَيْهَا الْمَسَامِعَ

(١) ديوانه (٤ : ٨٣).

(٢) الأثافي: جمع أثفية، وهي التي تنصب تحت القدر. والصلى: الاصطلاء بالنار. والرسم: ما بقي من آثار الديار.

(٣) ديوانه ص ٢٤٤.

(٤) الثبت: الثابت.

(٥) القبيل الأول العريف؛ والثاني الجماعة.

(٦) ديوانه (١ : ٣٣٦).

(٧) قال العكبري: هو مثل قول أبي نواس.

(٨) ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

(٩) ديوانه ص ٢٤٤.

(١٠) اللهم: جمع اللهية؛ وهي العطفة.

(١١) ديوانه (١ : ١٢٥).

(١٢) ديوانه ص ٤٨٠.

غيره:

عَنْتَ فَلَمْ تَبْقَ فِي جَارِحِهِ إِلَّا تَمَنَّتْ بِأَنْهَا أَدُنُّ
 أبو تمام في غير هذا المعنى:
 ترى صِلًا تخال بكل عضو له من شدة الحركات قلبًا
 أبو الطيب^(١):
 حتى كأنَّ لكلِّ عَظْمٍ رَنَّةً^(٢) في جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِزْقٍ مَذْمَعًا

بشار^(٣):

صَحْبَتُهُ فِي الْمَلِكِ أَوْ سَوْقَةٍ فزاد في كَثْرَةِ حُسَّادِي
 أبو نواس^(٤):
 دَعَيْتَنِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرِخْلَةٍ إلى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
 البحري^(٥):
 وَالْبَسْتَنِي التُّعْمَى الَّتِي غَبِرَتْ أَخِي عَلَيَّ فَأَمْسَى نَازِحَ الْوُدِّ^(٦) أَجْنَبَا
 أبو الطيب^(٧):
 أَرِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا
 وأصله لأبي جويرية العبدي، وهو أحسن ما قيل فيه^(٨):
 وما زال يُعْطِينِي وَمَا لِي حَاسِدٌ من الناس حتى صِرْتُ أَرْجَى وَأَحْسَدُ

بشار^(٩):

خَلِقُوا سَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً كَكُغُوبِ الْقِنَاةِ تَحْتَ السَّنَانِ
 البحري^(١٠):
 كَالرُّمَحِ فِيهِ بِضَعُ عَشْرَةِ قَفْرَةٍ مُنْقَادَةً تَحْتَ السَّنَانِ الْأَصِيدِ

(١) ديوانه (١: ٢٥٩).

(٢) الرنة: من الرنين، وهو صوت الباكي.

(٣) التبيان (١: ٢٩٠).

(٤) ديوانه ص ٩٩، التبيان (١: ٢٩٠).

(٥) ديوانه (١: ٥٦)، التبيان (١: ٢٩٠).

(٦) رواية الديوان: «نازح الدار».

(٧) ديوانه (١: ٢٨٩).

(٨) التبيان (١: ٢٩٠).

(٩) التبيان (٣: ١٢١).

(١٠) ديوانه (١: ١٧٠). التبيان (٣: ١٢١).

أبو الطيب^(١):

وَكُلُّ أَنْبَابِ الْقَنَا مَدَدٌ لَهُ وَمَا تَنَكُّتُ الْفُرْسَانَ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(٢)



معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب^(٣):

رَأَيْتِ الصَّدْعَ مِنْ كَغَبٍ جَمِيعَا وَكَانَ الصَّدْعُ لَا يَغْدُو أَرْتِيَابَا

فَأَمْسَى كَعْبُهَا كَغَبًا وَكَانَتْ مِنْ الشَّنَانِ قَدْ دَعَيْتِ كِعَابَا

أبو الطيب^(٤):

وَعَمُرُوا فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَغَبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابٌ^(٥)



وقال ذؤيب بن كعب التميمي^(٦):

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تُغْدِي الصَّحَاخَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ

آخر:

الْحَرْبُ يَلْحَقُ فِيهَا الْكَارِهُونَ كَمَا تَدْنُو الصَّحَاخُ إِلَى الْجَرْبِيِّ^(٧) فَتُعْغِدِيهَا

ومثله قول الآخر^(٨):

إِنَّ الْفَتَى بَابِنِ عَمِّ السُّوءِ مَأْخُودٌ^(٩)

(١) ديوانه (٣ : ١٢١).

(٢) النكت: الوخر. والأنابيب: جمع أنبوب، وهي العقدة الناشزة في القنا. والعوامل: جمع عامل؛ وهو صدر الرمح مما يلي السنان. قال الواحدي: «هذا مثل؛ يريد أن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله؛ وإذا لم يعاون بعض الرمح بعضاً لا يحصل الطعن؛ ولكن العوامل هي التي تصيب الإنسان؛ لأن السنان فيها؛ فكذلك القبائل كلهم مدد لك والعمل منك، فأنت فيهم كالعامل من الرمح».

(٣) التبيان (١ : ٧٧)، ورواه بيتاً واحداً، ونسبه إلى كعب بن مالك وروايته:

رَأَيْتِ الصَّدْعَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كِعَابَا

(٤) ديوانه (١ : ٧٧).

(٥) يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا، فصارت عمرو، وهي قبيلة من بني كلاب، عمورا؛ يدعي كل قوم لتفرقهم عمرا، وكذلك كعب.

(٦) العقد الفريد (٣ : ٢٢١).

(٧) الجريبي: جمع جرباء.

(٨) التبيان (١ : ٨٢).

(٩) صدره:

البحثري^(١):

نَصُدُّ حِيَاءً أَنْ نَرَكَ بِأَعْيُنٍ^(٢) أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلِيْمَ مُطِيعَهَا
أبو الطيب^(٣):

وَجُزْمٍ جَرَّهَ سُقَّهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ
كأنما اقتبسه من قوله تعالى: ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾^(٤) [الأعراف: ١٥٥].



أبو تمام^(٥):

فِي عُضْبَةٍ^(٦) إِنْ سَرَوْا فَجِنُّ أَوْ يَمَّمُوا شُقَّةً فَطَيْرُ
أبو الطيب^(٧):

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٌ^(٨) فِي زِي نَاسٍ فَوَقَّ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ



أبو تمام^(٩):

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَشْرَاتِ دَهْرٍ أُصِيبْتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ أَلَوْمُ
أبو الطيب^(١٠) فأحسن وزاد:

إِذَا أَتَتْ الْإِسَاءُ مِنْ وَضِيعٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمَسِيءِ فَمَنْ أَلَوْمُ!



أبو تمام^(١١):

طَلَعَتْ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعٍ وَعَدَّتْ عَلَى الْأَمَالِ وَهِيَ سُعُودُ
أبو الطيب^(١٢):

فَأَنْجُمُ أَمْوَالِهِ فِي الشُّخُوسِ وَأَنْجُمُ سُؤَالِهِ فِي الشُّعُودِ



(١) ديوانه (٢: ٣١٩). التبيان (١: ٨٢).

(٢) في الأصلين: «بأوجه».

(٣) ديوانه (١: ٨١).

(٤) وقال العكبري: هو منقول من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

(٥) التبيان (١: ١٩٤).

(٦) رواية العكبري: «في ثبة».

(٧) ديوانه (٣: ١٩٤).

(٨) ملجن: من الجن.

(٩) التبيان (٤: ١٥٢).

(١٠) ديوانه (٤: ١٥٢).

(١١) التبيان (١: ٣٤٣).

(١٢) ديوانه (١: ٣٤٣).

أبو تمام^(١) :

تُبَشِّرُهُ خُدَامُهُ بِعُقَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمَانُ بِالمَاءِ وَأَشْلُهُ

أبو الطيب^(٢) :

يُعْطِي المُبَشِّرَ بالقِصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالمَاءِ عَطْشَانَا



أبو تمام^(٣) :

لَقَدْ خَابَ مَنْ يَهْدِي سُوَيْدَاءَ قَلْبِهِ لِحَدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللّهِ عَامِلُهُ

أبو الطيب^(٤) :

عَلَى عَاتِقِ المُلْكِ الأَعْرَبِ نِجَادُهُ وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ

وله^(٥) :

فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ واللّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِيَوَاءِ الدِّينِ واللّهُ عَاقِدٌ



أبو تمام^(٦) :

فَحَاطَ لَهُ الإِفْرَازُ بِالدُّنْبِ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحُطَّهُ قَنَابِلُهُ^(٧)

أبو الطيب^(٨) :

أَعْدُوا رِمَاحاً مِنْ حُضُوعِ قَطَاعِنَا بِهَا الجَيْشُ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الفَيْالِقِ^(٩)



بعض العرب^(١٠) :

مَا قَصَرَ الجُودُ عَنكُمْ يَا بَنِي مَطَرٍ وَلَا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ

يَحُلُّ حَيْثُ حَلَلْتُمْ لَا يُفَارِقُكُمْ مَا عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ البِيضِ وَالسُّودِ

الكُمَيْت :

يَصِيرُ أَبَانُ قَرِيحِ السَّمَا حِ والمَكْرُمَاتِ مَعَا حَيْثُ صَارَا

(١) التبيان (٤ : ٢٢٧) .

(٢) ديوانه ص ٢٠٥ ، التبيان (٣ : ٣٤١) .

(٣) ديوانه ص ٢٠٥ ، التبيان (٢ : ٣٣١) .

(٤) ديوانه (١ : ٢٧٧) .

(٥) ديوانه (٢ : ٣٣١) .

(٦) ديوانه ص ٢٠٥ ، التبيان (٢ : ٣٣١) .

(٧) القنابل : جمع قنبل ، وهو الطائفة من الناس أو الخيل من الخمسين فصاعداً .

(٨) ديوانه (٢ : ٣٣١) .

(٩) غرب كل شيء : حده ، والفَيْالِق : جمع فيلق ؛ وهي الكتيبة الكثيرة السلاح .

(١٠) التبيان (٢ : ٢٩٠) .

أبو نُوَاس^(١) :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ
وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ
أَشْجَعُ^(٢) :

فَمَا خَلَفَهُ لَامِرِيٍّ مَطْمَعٌ
وَلَا دُونَهُ لَامِرِيٍّ مَقْتَنَعٌ
أَبُو تَمَّامٍ^(٣) :

إِلَيْكَ تَنَاهَى الْجُودُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
يَصِيرُ فَمَا يَغْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

وَلَسْتُ بِدُونٍ يُزْتَجَى الْعَيْثُ دُونَهُ
وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلَفَهُ خَلْفُ
فَأَسَاءَ وَجَاوَزَ حَتَّى قَارَبَ الْهَيْدِيَانَ .



مَنْصُورُ النَّمِرِيِّ^(٥) :

الْجُودُ أَحْسَنُ مَسَايَا بَنِي مَطَرٍ
مِنْ أَنْ تَبْزُكُمُوهُ كَفَّ مُسْتَلَبٍ
مَا أَعْرَفَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ
لِلذَّمِّ لِكَيْتُهُ يَأْتِي عَلَى النَّسَبِ^(٦)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ
الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
فَزَادَ بِقَوْلِهِ : «الْإِقْدَامُ قَتَالُ» .



أَشْجَعُ^(٨) :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى
وَلَكِنَّ مَغْرُوقَهُ أَوْسَعُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩) :

بِمُصْرَ مَلُوكَ لَهُمْ مَالُهُ
وَلَكِنَّهُمْ مَا لَهُمْ هَمُّهُ
وَأَصْلُهُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ^(١٠) :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفُتْيَانَ مَالاً
وَلَكِنَّ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

(١) ديوانه ص ٩٩ . (٢) التبيان (٢ : ٢٩٠) .

(٣) ديوانه ص ١٤٣ ، التبيان (٢ : ٢٩٠) . (٤) ديوانه (٢ : ٢٩٠) .

(٥) التبيان ٣ : ٢٨٧ .

(٦) رواية العكبري :

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للمجد لكنه يأتي على النسب
(٧) ديوانه (٣ : ٢٨٧) . (٨) التبيان (٤ : ١٥٣) .

(٩) ديوانه (٤ : ١٥٣) . (١٠) التبيان (٤ : ١٥٣) .

أبو تمام^(١) :
 وقد يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمَسْمَى مَنِيَّةً
 وقد يرجع النَّجْدُ الْمُظْفَرُ خَائِبًا
 فآفَةٌ ذَا أَلَا يُصَادَفُ مَضْرِبًا
 وآفَةٌ ذَا أَلَا يُصَادَفُ ضَارِبًا^(٢)
 البحرى^(٣) :
 رَمَى كَلْبَ الْأَعْدَاءِ عَنْ حَدِّ نَجْدَةٍ
 بها قطعت تحت العجاج مناصلة
 وما السَّيْفُ إِلَّا بَرَزُ غَادٍ لَزِيئَةٍ
 إذا لم يكن أمضى من السَّيْفِ حَامِلُهُ
 أبو الطيب^(٤) :
 إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ
 كَقُلُوبِهِمْ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
 تَلَقَّى الْحُسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدِّهِ
 مثل الجبان بكف كل جبان
 ثم نقله وغيره^(٥) :
 إِذَا ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفُّهُ
 تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ
 ومثل هذا البيت قول البحرى^(٦) :
 فَلَا تَغْلِبَنَّ بِالسَّيْفِ كُلَّ عَلائِهِ
 ليمضي فإن الكف لا السيف يقطع
 وقد أعاد المتنبى، فقال^(٧) :
 إِذَا الْهَيْئُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ
 فسيفك في كف تزيل التساويًا
 ثم نقله إلى الخيل فقال^(٨) :
 فَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا
 إذا لم يكن فوق الكرام كرام



أبو تمام^(٩) :
 فَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَجِي
 سِوَاكَ بِأَمَالِي فَجَسْتُكَ تَائِبًا
 أبو الطيب^(١٠) :
 وَتَعْدُلُنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي
 كَأَنِّي بِمَذْحٍ قَبْلَ مَذْحِكَ مُذْنِبٌ

(١) ديوانه ص ٢٣.

(٢) رواية الديوان :

وقد يرجع السهم المظفر خائبًا
 وآفَةٌ ذَا أَلَا يُصَادَفُ ضَارِبًاوقد يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمَسْمَى مَنِيَّةً
 فآفَةٌ ذَا أَلَا يُصَادَفُ رَامِيًا

(٣) ديوانه (٢ : ١٦٣)، التبيان (٤ : ١٨٤).

(٤) ديوانه (١ : ١٨٢).

(٥) ديوانه (٤ : ١٨٤).

(٦) ديوانه (٤ : ٢٩٣).

(٧) ديوانه (٢ : ٨٦).

(٨) ديوانه ص ٢٤.

(٩) ديوانه (٣ : ٣٩٤).

(١٠) ديوانه (١ : ١٨٧).

أبو تمام^(١) :

فَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَعَارِبِ

البحثري^(٢) :

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِمَشْرِقِ الدِّ أَأَقْضَى وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِمَغْرِبِ

أبو الطيب^(٣) :

فَشَرِّقُ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقُ وَغَرِّبُ حَتَّى لَيْسَ لِلغَرْبِ مَغْرِبُ



بعض العرب :

تَخَالُهُ مُسْتَقْبَلًا أَقْعَدًا^(٤) وَهُوَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَ مَكْبُوبِ

علي بن جبلة^(٥) :

تَحْسِبُهُ أَقْعَدَ فِي اسْتِقْبَالِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكْبَ

المتنبي^(٦) :

إِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ^(٧)

وهو مأخوذ من قول أقيشر الأسدي لما سُئِلَ عن أكرم الخيل، فقال: هو الذي

إذا استقبلته ألقى، وإذا استدبرته جثأ، وإذا استعرضته استوى.



يحيى بن مالك^(٨) :

أَحْقًا فَمَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِهِيْنِ وَلَا الصَّبْرُ إِنْ أُعْطِيْتَهُ بِجَمِيلِ

العتبي^(٩) :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

أبو تمام^(١٠) :

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْرَعُ

(١) ديوانه ص ١٧ . (٢) ديوانه (١ : ٢٠) .

(٣) ديوانه (١ : ١٨٧) .

(٤) يقال: فرس أقعد؛ أي في وظيفي رجله استرخاء .

(٥) التبيان (٣ : ٢١٤) . (٦) ديوانه (٣ : ٢١٤) .

(٧) التليل: العنق، والكفل: الردف . (٨) التبيان (١ : ٢٤٦) .

(٩) التبيان (١ : ١٤٦) .

(١٠) ديوانه ٣٣٣، التبيان (١ : ٢٤٦) .

وله^(١):

لا تُنْكِرُنَّ مع الفراقِ تَبَلُّدِي^(٢) فبراعةُ المشتاقِ أن يَتَبَلَّدَا
أبو الطيب^(٣):
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحُ^(٤)
وقال^(٥):
أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكَ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نِوَاكِ جَمِيلًا



العباس بن الأحنف^(٦):

لو^(٧) قَسَمَ اللَّهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهَا فِي النَّاسِ طُرًّا لَتَمَّ الْحُسْنُ فِي النَّاسِ
أبو تمام^(٨):
لو أَفْتَسِمْتَ أَخْلَاقَهُ الْعُرْثُ لَمْ تَجِدْ مَعِيْبًا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبًا
وقلبه فقال^(٩):
لو أَنَّ عَشْرَ الَّذِي أَمْسَى وَظَلَّ بِهِ بِالْعَالَمِينَ مِنَ الْبُلُوْى إِذَا فَسَدُوا
منصور الفقيه^(١٠):
لو أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمَهُ أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سَمَحًا^(١١)
أبو الطيب^(١٢):
لو فَرَّقَ الْكَرَمَ الْمُفَرَّقَ مَالَهُ فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَاحِيحُ

(١) ديوانه ص ١١٢، التبيان (١: ٢٤٦).

(٢) التبلد: تقيض التجلد. ورواية الديوان:

لم تنكرن مع الفراق تبلدي

(٣) ديوانه (١: ٢٤٦).

(٤) فصل بين المبتدأ والخبر بجملة فعلية، والتقدير: حسن العزاء قبيح وقد جلين؛ أي المحاسن والمعنى: لما برز الحبيب للوداع، وانجلت محاسنه تركت حسن الصبر عنها قبيحا.

(٥) ديوانه (٣: ٢٣٣).

(٦) ديوانه ص ٩١، مختارات البارودي (١: ٢٠٣)، التبيان (١: ٢٥٠).

(٧) في مختارات البارودي وفي الديوان: «لو يقسم».

(٨) ديوانه ص ٢٣، التبيان (١: ٢٥٠). (٩) ديوانه ص ٤٤٣.

(١٠) التبيان (١: ٢٥٠).

(١١) قبله:

أقول إذ سألوني عن سماحته ولست ممن يطيل القول إن مدحا

(١٢) ديوانه (١: ٢٥٠).

ابن المعدل^(١):

بَاكَرْتُهُ الْحُمَى وَرَاحَتْ عَلَيْهِ
لَمْ تَشِينُهُ لَمَّا أَلْحَتْ وَلَكِنْ

أبو تمام^(٣):

لَهُمْ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ الْتِدَامُ^(٤)
يُعِيدُ بِنَفْسِجَا وَزَدَ الْخُدُودِ

أبو الطيب^(٥):

وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكََا
وَصَارَ بَهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٦)

البحثري^(٧):

إِذَا مَا الْجُرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادٍ
تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ

أبو الطيب^(٨):

فَإِنَّ الْجُرْحَ يَشْفُرُ بَعْدَ حِينٍ
إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ



نصر بن سيار^(٩):

وَإِنَّ النَّارَ بِالزُّنْدَيْنِ تَوْرَى
وَإِنَّ الْفِعْلَ يَتَقَدَّمُهُ الْكَلَامُ^(١٠)

أبو الطيب^(١١):

وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تُقَدِّحُ مِنْ زِنَادٍ



(١) التبيان (٢: ٣٤٢).

(٢) البهار: نبت طيب الريح، زهرته صفراء.

(٣) ديوانه ص ٩٤، والتبيان (٢: ٣٤٢).

(٤) الالتدام: الاضطراب.

(٥) ديوانه (٢: ٣٤٢).

(٦) الشقائق: جمع شقيقة؛ وهي زهر أحمر ينسب إلى النعمان، وقرحى: جمع قريح.

(٧) ديوانه (١: ٨٤)، التبيان (١: ٣٦٣).

(٨) ديوانه (١: ٣٦٣).

(٩) الأخبار الطوال ص ٣٤٠، التبيان (١: ٣٦٤).

(١٠) رواية الأخبار الطوال:

وإن الشر مبدؤه الكلام

فإن النار بالعودين تذكى
وقبله:

ويوشك أن يكون له ضرام

أرى تحت الرماد وميض جمر

(١١) ديوانه (١: ٣٦٤).

النابعة الذبياني^(١):

قد عَيَّرْتَنِي بَنُو دُبْيَانَ رَهْبَتَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخْشَاهُ مِنْ عَارِ
شَمْعَلَةَ بْنِ قَائِدٍ^(٢):

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لِكَالذَّهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الذَّهْرُ
أَبُو تَمَامٍ^(٣):

خَضَعُوا لِمُؤَلَّتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذُلِّ الْعِبْدَانِ عَارُ
وَكُلُّ مَا تَقْدِمُهُ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَقَدْ أَحْسَنَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيُّ:
فِي قَوْلِهِ:

لَا عَارَ إِنْ ضَامَكَ ذَهْرٌ أَوْ مَلِكٌ

وَمِثْلُ هَذَا الْأَخْذِ هُوَ الَّذِي يَرْحَضُ^(٥) الْعَارَ عَنْ صَاحِبِهِ .



عَنْتَرَةَ^(٦):

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّعْنُ مِثِّي سَابِقُ الْأَجَالِ
أَبُو تَمَامٍ^(٧):

يَكَادُ حِينَ يُلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَتْفِي قَبْلَ السَّنَانِ عَلَى حَوْبَائِهِ يَرِدُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَائِيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ
ثُمَّ قَلْبُهُ وَغَيْرُهُ فَقَالَ^(٩):

يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْجَمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجْلُ^(١٠)



(١) ديوانه ص ٤٤ ، التبيان (٢ : ١١٣) . (٢) التبيان (٢ : ١١٣) .

(٣) ديوانه ص ١٣٠ . (٤) ديوانه (٢ : ١١٣) .

(٥) يرحض (في الأصل) يغسل ، ويريد : يدفع .

(٦) ديوانه ص ١٠٩ ، التبيان (٤ : ١٩١) .

(٧) ديوانه ص ٨٩ ، التبيان (٤ : ١٩٠) . (٨) ديوانه (٤ : ١٩٠) .

(٩) ديوانه (٣ : ٢١٣) .

(١٠) يقول : إن الموت طائع لأمره ، فلو أراد أن يقتل من لم يتم أجله لساعده على ذلك لطاعته إياه .

ذو الرمة^(١) :

كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

أبو الطَّيِّبِ^(٢) :

لَوْنِي كَمَا صَبَغَ اللَّجِينِ الْعَسْجَدُ



أبو نُوَاسٍ^(٣) :

إِلَيْكَ أبا العَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهِا امْتَطَيْتَنَا الْحَضْرَمِيِّ الْمُلسِنَا^(٤)

قَلَائِصَ لَمْ تُعْرِفْ حَنِيناً إِلَى طَلَا وَلَمْ تُدْرِ مَا قَرَعُ الْفَنِيْقِ وَلَا الْهِنَا^(٥)

أراد بِالْحَضْرَمِيِّ الْمُلسِنِ النَعَالَ فَجَعَلَهَا قَلَائِصَ تَمْتَطِي وَتَرْكَبُ، وَتَبِعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ

فَغَيَّرَ الْوَصْفَ فَقَالَ^(٦) :

لَا نَأَقْتِي تَقْبَلُ الرِّدِيفَ وَلَا بِالسُّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا^(٧)

شِرَاكُهَا كُوزُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوُدُهَا^(٨)

ثم أكمل المعنى ونقله إلى ذكر الخُفِّ فقال :

وَحُبَيْثٌ مِنْ خُوصِ الرُّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ^(٩) فَعَدَوْتُ أُمِّبِي رَاكِبًا^(١٠)

وَأُظْهِمَهَا لِحَظًا قَوْلَ بَعْضِ الْمَفْسِرِينَ لِبَيْتِ عَتْرَةَ^(١١) :

وَابْنُ السُّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٣٦٢، وصدرة :

كحلاء في دعج صفراء في برج

(٢) ديوانه (١ : ٣٢٩)، وصدرة :

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها

(٣) ديوانه ص ٧٦.

(٤) الحضرمي الملسن : النعل فيه طول كهيئة اللسان، يريد بها نعله.

(٥) القلائص (في الأصل) : جمع قلوص، ويريد بها نعله؛ وهي الإبل الشابة، والفنيق : فحل

الإبل، والهناء : القطران.

(٦) ديوانه (١ : ٣٠١).

(٧) الرديف : ما يرتد خلف الراكب، والرهان : السباق، والناقعة هاهنا : نعله.

(٨) الشراك : سير النعل. والكور : رحل الناقعة، والمشفر من الناقعة بمنزلة الشفة من الإنسان، وزمام

النعل : ما تشد عليه سيورها، والمقود : الحبل الذي تقاد به الدابة.

قال العكبري : ومثله قول الآخر :

رواحلناست ونحن ثلاثة نجنبهن الماء في كل منهل

(٩) ديوانه (١ : ١٢٥).

(١٠) الخوص : جمع خوصاء؛ وهي الناقعة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدارش : نوع من الجلود.

(١١) ديوانه ص ٢٠، والتبيان (١ : ٣٠٢) وصدرة :

ويكون مركبك القعود ورحله

فإنه زعم أن ابن النعمامة عزق في باطن القدم؛ لأن معنى البيت أنه راكب أخصه ماشياً. وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] أنهم التمسوا نعالا. ومثله ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «الْمُتَّعِلُ رَاكِبٌ».



بعض العرب:
 أَنْحْتُ قَلُوصِي وَاکْتَلَأْتُ بَعَيْنَهَا وَأَمَرْتُ نَفْسِي أَيَّ أَمْرِي أَفْعَلُ
 أَبُو الطَّيِّبِ^(١):
 وَعَيْنِي إِلَى أَدْنَى أَعْرَى كَأَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبِ^(٢)
 فنقل العين إلى الأذن واكتلائها.



قال عنترة^(٣):
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ سَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي
 وَأَجُودَ مِنْهُ قَوْلُ زَهِيرِ^(٤):
 أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
 وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ^(٥):
 فَتَى لَا يَذِيبُ^(٦) الْخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيْادِ عُودٍ وَبَوَادِي
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٧):
 لَا تَجِدُ الْخَمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا اسْتَشَى خَلَّةً يَتَلَقَاها^(٨)
 بعض العرب^(٩):
 تُغْضِي الْعُيُونُ إِذَا تَبَدَّى هَيْبَةٌ وَيُنْكَسُ النَّظَارُ لِحَظِّ النَّاطِرِ

- (١) ديوانه (١: ١٧٩).
 (٢) قال العكبري: إنه كان ينظر إلى أذني فرسه، وذلك أن الفرس أبصر شيئاً، فإذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً، ثم وصف فرسه فقال: كأنه قطعة ليل في وجهه كوكب.
 (٣) المعلقات للزوزني ص ١٨٦. (٤) ديوانه ص ٣١، التبيان (٤: ٢٧٦).
 (٥) ديوانه ص ٧٤، التبيان (٤: ٢٧٦). (٦) رواية الديوان: «لا تلوك».
 (٧) ديوانه (٤: ٢٧٦).
 (٨) يقول: هو قبل شرب الخمر كريم؛ يتكرم بالبدل والعطاء، فلا يزيد تكرمه بشرها، وليس في مكارمه خلة يتلاقها الخمر.
 (٩) التبيان (١: ١١٣).

الحزين الدُولي^(١):

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ
أَبُو نُوَّاسٍ^(٢):

إِنَّ الْعُيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ بِهَيْبَةٍ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
والمصراع الثاني مثل قوله^(٤):

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ بِخَلْوَةٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالِهِ

فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ
أما ذكره الجود؛ فمن قول أبي تمام^(٥):

يَا أَيُّهَا الْمُغْرَضُ النَّائِي بِرؤَيْتِهِ
وقد كرّره أبو الطيب فقال^(٦):

حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مَحْجَبَةٍ
وأما ضوء جبينه، فمن قول قيس بن الخطيم^(٧):

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ
ومن هذا المعنى أخذ أبو تمام^(٩):

فَتَعَمَّتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ
من خِذْرَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحَجَّبِ

(١) الأغاني (١٤ : ٧٥) (طبعة الساسي)، ونسبه العكبري إلى الفرزدق، وقبلة:

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنيته شمم
قال أبو الفرج: «والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب؛ وهو غلط، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين».

(٢) ديوانه ص ١١٣.

(٣) ديوانه (١ : ١١٣).

(٤) ديوانه (٢ : ١٣٧).

(٥) ديوانه ص ٢٧، التبيان (١ : ١١٣).

(٦) ديوانه (١ : ١٧٥).

(٧) الأغاني (٣ : ٢٣)، طبعة دار الكتب، التبيان (٢ : ١٣٧).

(٨) السدف: الظلمة، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة.

(٩) ديوانه ص ١٢، التبيان (٢ : ١٣٨).

وقول أبي نواس في الخمر^(١):

تَرَى ضَوْءَهَا فِي بَاطِنِ الْكَأْسِ ظَاهِرًا
عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ



أوس بن حَجَر^(٢):

الْأَلْمَعِي الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظُّ
مَنْ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أبو تمام^(٣):

وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنَ الظُّثُونِ جَلِيَّةٌ
عِلْمٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونٌ

وقد أكثر الناس فيه .

أبو الطيب^(٤):

مَا ضِي الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبْلَ عَدِ
بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ عَدِ

وكرره فقال^(٥):

ذِكِّي تَظْنِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ
يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى عَدَا

وأعاده فقال^(٦):

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ
فَمَا لَهُ بَعْدَ فَعْلِهِ نَدَمٌ

وقال أيضاً^(٧):

مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي عَدِ
فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونَا

وهذا المعنى الآخر يقرب من قول أبي نواس:

مَا تَنْطَوِي مِنْهُ الْقُلُوبُ بِعُجْرَةٍ
إِلَّا تَكَلَّمَهُ بِهِ الْعَيْنَانِ

علي بن الخليل .

كَلَّمَنِي لِحَظِّكَ عَنكَ لَمَّا
أَضْمَرَهُ قَلْبُكَ مِنْ عَذْرِ

الخليع:

أَمَا تَقْرَأُ فِي عَيْنِنَا
بِي عُنْوَانِ الَّذِي عُنْدِي

وقد سبق إليه المتقدمون، قال الثَّقَفِيُّ^(٨):

تَخَيَّرَنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ
وَمَا جَنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظْرِ الشَّرُّرِ

(١) التبيان (٢: ١٣٧).

(٢) لسان العرب مادة - لمع، التبيان (١: ١٣٥).

(٣) ديوانه ص ٣٢٩، التبيان (١: ٣٥١). (٤) ديوانه (١: ٣٥١).

(٥) ديوانه (١: ٢٨٢). (٦) ديوانه (٤: ٦٢).

(٧) ديوانه (٤: ٢٠١). (٨) التبيان (١: ٢٥٣)، ونسبه إلى ابن الرومي.

آخر^(١):

تُكَاشِرُنِي كُزْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبَدِّي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي

أبو الطيب^(٢):

كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ عَاشٍ

وله^(٣):

لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَثْبَا

ومثله له^(٤):

وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

وهذا المعنى هو الأول، وإنما فرق ما بينهما أن ذاك في العواقب، وهذا في الأسرار والضمائر، والمراد منهما صحة الحدس وجودة الظن، ومثل قول الثَّقَفِيِّ:

تُخَبِّرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ

قول أبو الطيب^(٥):

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أُسْرَى بِبُوحٍ

علاثة بن عربي^(٦):

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا فِي الْحُرُوبِ وَغَيْرِهَا مَيَامِينَ فِي الْأَذْنَى لِأَعْدَائِكُمْ نَكْدُ

ليبد^(٧):

مُنْقِرٌ^(٨) مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْنِينَ حُلُوٌّ كَالْعَسَلِ

وهو معنى قد تُدَوَّلُ بِأَمْثَلَةٍ مُخْتَلَفَةٍ، منها قول المسيَّب بن عَلس^(٩):

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ ضَافَ أَرْحُلَهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَتَاكِيدٌ مَشَائِمٌ

وقال كعب بن الأجدم^(١٠):

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشَائِمٌ لِلْعِدَا مَيَامِينٌ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ

(١) التبيان (١: ٢٥٣).

(٢) ديوانه (٢: ٢١١).

(٣) ديوانه (١: ٦٢)؛ وصدوره:

عليهم بأسرار الديانات واللغى

(٤) ديوانه (٣: ٣٨).

(٥) ديوانه (١: ٢٥٣).

(٦) التبيان (١: ٢٥).

(٧) التبيان (١: ٢٥)، لسان العرب (مادة - مقر).

(٨) مقرر: مر.

(٩) التبيان (١: ٢٥).

(١٠) التبيان (١: ٢٥).

وقال أبو دُوَادٍ^(١):

فَهُمْ لِلْمُلَائِنِينَ أَنَاةٌ وَعُورَامٌ إِذَا يُرَادُ عُورَامٌ
وأخذه بشار فزاد فيه وشبهه وأحسن فقال^(٢):

يَلِينُ حِينًا وَحِينًا فِيهِ شِدَّتُهُ كَالدَّهْرِ يَخْلِطُ إِيسَارًا بِإِعْسَارِ
وتبعه أبو نواس فقال^(٣):

حَذَرَ امْرِئٍ نُصِرْتُ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا كَالدَّهْرِ فِيهِ شَرَّاسَةٌ وَلِيَانٌ
وأخذه أبو الشَّيْصِ فأحسن ما شاء، ونقل التشبيه من الدهر إلى السيف فقال^(٤):
وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَأَيْتَتْهُ لَأَنْ مَثُّهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتْهُ خَشْيَانِ
فقال أبو الطيب^(٥):

أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِعِ السُّمِّ وَطَوْرًا أَخْلَى مِنَ السَّلْسَالِ
وهو بيت لبيد لفظاً ومعنى، وقد قَصَرَ عنه؛ لأن لبيداً فصل الحالين بين الأعداء
والأدنين، وأجمل أبو الطيب القول، ثم أعاده فأخفاه وأجاد فقال^(٦):

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ^(٧)
وكأنه ما لا تشاء عُدَّاهُ مُتَمَثِّلاً لَوْفُوْدِهِ مَا شَاؤُوا



البحثري^(٨):

وَإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِبِلَادٍ أَوْ صَدِيقٌ^(٩) فَإِنِّي بِالْخِيَارِ
وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين، وقد جمع هذا البيت طرافة. وقال
ابن المعتدل فأحسن وأوجز؛ لكنه اقتصر على البلد^(١٠):

إِذَا وَطَنٌ رَابِنِي فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنٌ
وقد أجاد البحثري في قوله^(١١):

فَالْأَرْضُ مِنْ نُزْبَةِ النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ

(١) التبيان (٣: ٢٠١).

(٢) ديوانه ص ٦٠، التبيان (٣: ٢٠١).

(٣) ديوانه (٣: ٢٠١).

(٤) ديوانه (١: ٢٥).

(٥) يريد أنه إنسان واحد؛ قواه مجتمعة غير متفرقة، وفيه حلاوة لأوليائه، ومرارة لأعدائه.

(٦) ديوانه (٢: ٢٤)، التبيان (٢: ٢١٢).

(٧) في الديوان: «أو خليل».

(٨) ديوانه (٢: ١٧٧)، التبيان (٣: ٢١٢)؛ وصدرة:

ولا تقل أمم شتسى ولا فسرُق

وقال أبو الطيب^(١) واحتذى مثال البحري وأجاد، وللبحري الفضل:
 إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُغَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْجِيَلُ
 فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَّبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَسْدُلُ



البحري^(٢):

إِذَا شِئْتَ أَلَا تَعْذِلَ الدَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَاغَشَقِ
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

لَا تَعْذِلِ الْمُشْتَقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ مِنْ أَخْسَائِهِ



أوس - مِنْ مَرِيَّةَ^(٤):

أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأَزْمَلَةَ أُمِّ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي هِدْمَيْنِ مُمَحَالٍ^(٥)

أبو الطيب^(٦) في مثله:

وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً؟ ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ
 فزاد المصراع الثاني زيادة سالحة.



أوس:

وَأَفْضَلْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمَا تَنَاوَلَ سَعِيكَ مِنْ طَالِبِ

أبو نُوَاس:

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

أبو الطيب^(٧):

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّخْمُنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا



(١) ديوانه (٣: ٢١١). (٢) ديوانه (٢: ١٢٣)، التبيان (٣: ٢١٢).

(٣) ديوانه (١: ٦).

(٤) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ص ٣٤٢.

(٥) الأشعث: المتغير اللون من الجوع والهزال. الهدم: الثوب الخلق. والممحال: المجذب المحتاج.

(٦) ديوانه (٢: ٢٧٥).

(٧) ديوانه (٤: ٢٨٩).

بعضهم^(١):

إِذَا أَسْلَفْتُهُنَّ الْمَلَا حِمُّ مَغْنَمًا دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ مَغْرَمُ
أبو تمام^(٢):

إِذَا مَا أَغَارُوا وَاخْتَوَوْا مَالِ مَعْشَرِ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاخْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ
أبو الطيب^(٣):

فَالسُّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ



أبو تمام^(٤):

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُؤْدِدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الْمِلَّةِ اثْنَانِ
البحري^(٥):

أَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى قَضِ لِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ
أبو الطيب^(٦):

جَرَى الخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْكَ وَاحِدٌ وَأَنْكَ لَيْتُ وَالْمَلُوكُ ذُنَابُ



أبو تمام^(٧):

فَتَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ^(٨) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمَقَاتِلُ
أبو الطيب^(٩):

يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبٍ^(١٠)



أبو تمام^(١١):

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَاهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بَغَاةَ الْعُلَا مِنْ أَيَّنَ تَأْتِي الْمَكَارِمُ

(١) التبيان (١ : ٢٤).

(٢) ديوانه (١ : ٢٥).

(٣) ديوانه (١ : ٢٥).

(٤) ديوانه ص ٢٨٨، التبيان (١ : ١٩٩).

(٥) ديوانه ص ٢٥٨، التبيان (١ : ١٥٨).

(٦) ديوانه (١ : ١٥٨).

(٧) ديوانه ص ٢٨٨، التبيان (١ : ١٩٩).

(٨) الفريضة: ودج العنق.

(٩) ديوانه (١ : ١٥٨).

(١٠) قال ابن القطاع: ما الأولى بمعنى ليس، والثانية بمعنى الذي. قال العكبري: «يريد أنه ما الذي بان منك لضارب بأقتل من الذي لعائب يعيبك»؛ يريد أن العيب أشد من القتل.

(١١) ديوانه ص ٢٨٧.

أبو الطيب^(١):

وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَافْتَدَرُوا
والمصرع الثاني من قول أبي تمام^(٢):
عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ
تُغْرَى الْعِيُونَ بِهِ فَيُفْلِقُ شَاعِرٌ
في نعته ووصفاً وليس بمُفْلِقِ
ونحوه، وهو كالمحتوي على معنى البيتين قول أبي العتاهية:
شَيْمٌ فَتَحَتْ مِنْ الْمَجْدِ مَا قَدْ
وقول ابن أبي فتن^(٣):
يُعَلِّمُنَا الْفَتْحَ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ
ومثله لأبي الطيب^(٤):
أَخْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّعْرَ فَاْمْتَدَّحُوا
جَمِيعَ مَنْ مَدَّحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ



علي بن جبلة:

يَأْسُو الَّذِي يَجْرَحُ أَعْدَاؤُهُ
وما لِمَا يَجْرَحُهُ آسٍ
أشجع^(٥):
فَمَا يَزْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّه
ولا يَضَعُ النَّاسُ مَنْ يَزْفَعُ
أبو تمام^(٦):
فَإِنْ أَفْسَدْتَ شَيْئاً فَلَيْسَ بِصَالِحٍ
وإن أَصْلَحْتَ شَيْئاً فَلَيْسَ بِفَاسِدٍ
أبو الطيب^(٧):
فَلَا تَرْتُقِ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقٌ
ولا تَفْتُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ



أبو تمام في القلم^(٨):

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنِ سِوَاهُ
فَيُفْهِمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ
أبو الطيب في مثله^(٩):

وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ

- (١) ديوانه (٢: ٣٧٨).
(٢) التبيان (٢: ٣٧٨).
(٣) التبيان (٢: ٣٤٩).
(٤) ديوانه (٢: ٣٤٩).
(٥) ديوانه (٢: ٢٤٤)، وصدرة:
(٦) ديوانه (٢: ٢٤٤).
(٧) ديوانه (٢: ٢٤٤).
(٨) ديوانه (٢: ٢٤٩).
(٩) ديوانه (٢: ٢٤٤).

يمح ظلاماً في نهار لسانه

أبو العتاهية^(١) :

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَابًا وَرِمَالًا

أبو الطيب^(٢) :

قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَّتْكَ الرُّكَابُ وَالسُّبُلُ
فَزَادَ السَّبِيلُ .



وقال جرير^(٣) :

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالَ فَإِنَّهُ حَسَنٌ دَلَالِكِ يَا أَمِينٍ جَمِيلٌ

أبو الطيب^(٤) :

وَأَرَى تَدُلُّكَ الْكَثِيرَ مُحَبَّبًا وَأَرَى قَلِيلَ تَدُلُّ لِمَنْ مَلُولًا



أبو تمام^(٥) :

لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لِأَعْظَامِ أُخْرَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيدُ

البحثري^(٦) :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقَاتَ تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

أبو الطيب^(٧) :

تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوِ أُنْهَى نَفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْعَرْبُ نَحْوَكَ



لبعض العرب، ويُنسبُ إلى المَجْنُونِ^(٨) :

وَلَا شَوْقَ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْحَشَا وَتَضُمَّتْ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُتَادِيَا

وقال قيس بن ذريح^(٩) :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ

(١) التبيان (٣ : ٢١٧) .

(٢) ديوانه ص ٤٧٢ .

(٣) التبيان (٢ : ٣٨٢) .

(٤) ديوانه (٢ : ٣٨٢) .

(٥) التبيان (٤ : ١٩٥) ، ديوان المَجْنُونِ ص ١٦٨ ورواية الديوان :

(٦) فقلت شفاء الحب أن تَلْصِقَ الحشا بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا

(٧) التبيان (٤ : ١٩٥) .

أبو الطيب^(١) :

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا وَأَلْدُ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا
فَأَمَّا الْمَصْرَاعُ الثَّانِي فَمِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ^(٢) :
وَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِثْرٌ



بعضهم :

اللَّهُ يَغْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ يَذْكَرُهُ مَنْ لَيْسَ يَشْسَاهُ
نَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٣) :
نَيْطُتْ حَمَائِلُهُ بَعَاتِقِي وَمَحْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكْرُ وَمَا انْتَنَى^(٤)



بعضهم^(٥) :

وَإِذَا جَهَلْتِ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ وَأَصُولَهُ فَانظُرِي إِلَى مَا يَصْنَعُ
أَبُو تَمَامٍ^(٦) :
فُرُوعٌ لَا تَعْرِفُ عَلَيَّكَ إِلَّا شَهَدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ^(٧)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨) :
أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَثُلْ مَعَهَا جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْعُضْنِ



أبو تمام^(٩) :

أَعَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُبْلِمِسَهُ الْقَمِيصُ
الْحُبْرُ أَرْزِي^(١٠) :
مِنْ لُطْفِ إِشْفَاقِي وَدِقَّةِ غَيْرَتِي أَنِّي أَعَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكِيكَ

(١) ديوانه (٤ : ١٩٥).

(٢) ديوانه ص ٢٧٣، التبيان (٤ : ١٩٥)، وصدرة :

فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى

(٣) ديوانه (٤ : ١٩٩).

(٤) نيطت : عقلت . والعائق : أصل العنق من الإنسان . والمحرب : صاحب الحرب الممارس لها . والكر : خلاف القر ، وما انتنى ؛ أي عما يريد .

(٥) التبيان (٤ : ٢١٦) . (٦) ديوانه ص ٢٨٩ ؛ التبيان (٤ : ٢١٦) .

(٧) الأروم : الأصول . (٨) التبيان (٤ : ٢١٦) .

(٩) التبيان (٤ : ١٩٤) . (١٠) التبيان (٤ : ١٩٣) .

ولو اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفُظَكَ غَيْرَةَ أُنِّي أَرَاهُ مُقْبِلًا شَفَتَيْنِكَ
 أبو الطيب^(١) :
 أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
 فأساء؛ لأن هذه الغيرة إنما تكون بين المُحِبِّ ومحبوبه؛ فأما الأمراء والملوك
 فلا يُغَارُ على شِفَاهِمَا.



أبو تمام^(٢) :
 قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ
 أبو الطيب^(٣) :
 أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلِ دُهُمٍ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتٌ^(٤)



أبو تمام^(٥) :
 لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ^(٦)
 أبو الطيب^(٧) :
 الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ فِي قَلْبِهِ^(٨) وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ



أبو تمام^(٩) :
 وَكَأَنَّ الْأَنَامِلَ اغْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدِّ مِنْ مَاءٍ وَجْهِ الْبَحِيلِ
 أبو الطيب^(١٠) :

وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا يَهَبُ اللَّئَامُ^(١١)



- (١) ديوانه (٤ : ١٩٣) .
 (٢) التبيان (١ : ٢٢٤) .
 (٣) ديوانه (١ : ٢٢٤) .
 (٤) الشية في الألوان: ما خالف معظمه .
 (٥) ديوانه ص ٩؛ التبيان (٣ : ٦٤) .
 (٦) لجب: أي ذو لجب .
 (٧) ديوانه (٣ : ٦٤) .
 (٨) يريد بالقلب قلب الجيش .
 (٩) التبيان (٤ : ٦٩) .
 (١٠) ديوانه (٤ : ٦٩) .
 (١١) صدره :

فسواد مسائسليه المدام

أبو تمام^(١) :

إِلَيْكَ تَجَرُّعْنَا دُجَى كَجِدَاقِنَا

أبو الطيب^(٢) :

لَقَى لَيْلٍ كَعَيْنِ الطَّنْبِي لَوْنًا وَهَمُّ كَالْحُمِيَّا فِي الْمَشَاشِ^(٣)
وأما المصراع الثاني فكثير؛ منه قول الأبيورد^(٤) :
عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْ بِي
أَخُو سَكْرَةَ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخُمُرُ



الناشي الأكبر^(٥) :

وَلَوْلَمْ يَبُخْ بِالشُّكْرِ لَفُظِي لَخَبَّرَتْ
يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا
أبو الطيب^(٦) :

أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا^(٧) عَلَيَّ فَمَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدَهَا

وأصله من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ الآية

[فصلت : ٢١]. وهو كثير للمتقدمين ومن بعدهم .



مُسْلِمٌ^(٨) :

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا
إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ
أبو الطيب^(٩) :

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَكَ وَصَّاحٌ وَتَغْرُكَ بِأَسْمِ
وله^(١٠) :

بِكُلِّ أَشْعَثَ^(١١) يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا
حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا



(١) التبيان (٢ : ٢٠٧) .

(٢) ديوانه (٢ : ٢٠٧) .
(٣) اللقي : الشيء الملقى ؛ وعين الظبي يضرب بها المثل في السواد . والحميا : من أسماء الخمر .
والمشاش : رؤوس العظام النخرة .

(٤) التبيان (٢ : ٢٠٧) .

(٥) ديوانه (١ : ٣١٢) .

(٦) الضمير يعود على المكرمات في البيت قبله :

ومكرمات مشيت على قدم الب... ر إلى منزلي تردها

(٧) ديوانه ص ٥٩ .

(٨) ديوانه (٤ : ٣٨٧) .

(٩) الأشعث : المتغير من طول السفر والحروب .

(١٠) ديوانه (١ : ١٢١) ،

دِعْبِلُ :

وقد علمتُ وما أصبحتُ مرتيباً
الحمدوني^(١) :
إن المُقَدَّم في حذقٍ بصنعتِهِ
أبو الطيب^(٢) :
وما الجمعُ بينَ الماءِ والنَّارِ في يدي
بأصعبَ من أن أجمعَ الجَدَّ والفَهْمَا
فزاد وأكَّد .

البحثري^(٣) :

وإذا تَأَلَّقَ في النَّديِّ كَلامُهُ الـ
أبو الطيب^(٤) :
كأنَّ السُّنْهُم في الثُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ
عَلَى رِمَاحِهِم في الطُّغْنِ خُرْصَانَا^(٥)

أوس بن حَجَر^(٦) :

وإنَّا وَجَدْنَا الجِلْمَ أَنفَسَ سَاعَةَ
فقد تداوله الشعراء فأكثرُوا؛ فقال سالم بن وابصة^(٨) :
إِنَّ مِنَ الجِلْمِ دُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ
وقال الخُرَيْمِيُّ ففصلَ مَعْنِيتهِ، وتبعَ سالمًا^(٩) :
أَرَى الجِلْمَ في بَعْضِ المَوَاطِنِ دَلَّةً
أبو الطيب^(١٠) :
إذا قِيلَ مَهْلًا قَال لِلجِلْمِ مَوْضِعٌ
وَجِلْمُ الفَتَى في غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ

(١) التبيان (٤ : ١٠٨) .

(٢) ديوانه (١ : ٦٨) ، التبيان (٤ : ٢٢٨) (٤) ديوانه (٤ : ٢٢٨) .

(٥) الخرصان : جمع خرص ، ويريد هنا السنان .

(٦) لسان العرب - مادة سهم ، وروايته فيه :

فلإننا رأينا العرض أحوج ساعة

(٧) الریط : جمع ریطة ، وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، والمسهم : البرد المخطط .

(٨) التبيان (٣ : ١٨٧) .

(٩) التبيان (٣ : ١٨٧) .

(١٠) ديوانه (٣ : ١٨٧) .

ونحوه له^(١) :

فَوَضِعَ التَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا
مُضِرٌّ كَوَضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ التَّدَى
وله في مثله^(٢) :

إِنِّي أَصَاحِبُ جِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ
وَلَا أَصَاحِبُ جِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ
وله في معنى قول الخُرَيْمِيِّ^(٣) :

كُلُّ جِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ أَفْتِدَارٍ
حُجَّةٌ لَا جِئَ إِلَيْهَا اللَّئَامُ
فَبَيَّنَّ الْعِلَّةَ، وَنَحْوَهُ لَه^(٤) :

مِنَ الْجِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْجِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ



امرؤ القيس^(٥) :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً
وَجَدْتُ بِهَا طَيْباً وَإِن لَمْ تَطْيَبِ
فَأَخَذَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ وَأَكْثَرُوا فِيهِ .
أبو الطيب^(٦) :

أَتَتْ زَائِرًا^(٧) مَا حَامَرَ الطَّيْبُ ثَوْبَهَا
وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوُّعُ
وكالمسك من أزدانها يتضوع



أبو نواس^(٨) :

سُئِلَ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةً
فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِينِ
بعض المحدثين :

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا
لِلْسِدِّي تَهْوَى مُطِيعًا
أبو الطيب^(٩) :

تَدَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالتَّوَى
فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ



بشار^(١٠) :

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِئُجُومِهَا
سُيُوفًا وَتَفْعًا يَفْبِضُ الطَّرْفَ أَفْتَمًا

(١) ديوانه (١ : ٢٨٨)

(٢) ديوانه (٤ : ٢٣٧)

(٣) ديوانه (٤ : ٩٣)

(٤) ديوانه ص ٧٣

(٥) زائراً: نعت لمحذوف؛ أي أتت خيالاً زائراً؛ وذكره لأنه أراد الطيب.

(٦) التبيان (٢ : ٢٣٨)

(٧) التبيان (٢ : ٢٣٨)

(٨) التبيان (١ : ١٠٧)

(٩) ديوانه (٢ : ٢٣٨)

ومثله لبشار^(١) :

كَأَنَّ مُشَارَ النَّفْعِ^(٢) فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
بعضهم^(٣) :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَنَا جَعَلَتْ أَسِنَّتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا
أبو الطيب^(٤) :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهَا فِي جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ



البحثري^(٥) :

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا^(٦) إِذَا زَعَزَعُوهَا وَالذُّرُوعَ غَلَاثِلًا
ثم أعاده^(٧) فقال :

مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الذُّرُوعِ يَخَالُهَا فِي الْبَرْدِ خَزًّا وَالْهَوَاجِرِ لَأَدَا^(٨)

ففصل ما أجمل البحثري في قوله: «والدروع غلاتلا»، وقصر في اللفظ، وسلم للبحثري بقية بيته، وحسن لفظه.



أمية^(٩) - ويروى لغيره :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ أَصَبْتَهُ^(١٠) بَخَيْرٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِعَارٍ لِامْرِئٍ بِذَلِّ وَجْهِهِ وَإِيكَ كَمَا بَغِضَ السُّؤَالِ يَشِينُ
فتبعه فيه الشعراء وأكثروا.

وقال أبو الطيب فسفسف^(١١) :

وَقَبِضْ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضْ نَوَالِ بَغْضِ الْقَوْمِ دَامٌ^(١٢)



(١) ديوانه ص ١٠١، التبيان (١ : ١٠٧). (٢) النقع : الغبار.

(٣) التبيان (١ : ١٠٧). (٤) ديوانه (١ : ١٠٧).

(٥) ديوانه (٢ : ٢١٢).

(٦) المخاصر : جمع مخرصة، وهو ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه.

(٧) الضمير يعود على أبي الطيب. ديوانه (٢ : ٨٥).

(٨) اللاذ : ثوب رقيق يعمل من الكتان يلاذ به من الحر.

(٩) هو أمية بن أبي الصلت. شعراء النصرانية ص ٢٢١، التبيان (٤ : ٧٥).

(١٠) في شعراء النصرانية : «حبوته». (١١) ديوانه (٤ : ٧٥).

(١٢) الذام : المذمة والعيب.

أبو تمام^(١) :
 وَقَفْتُ وَأَخْشَائِي مَنَازِلُ لِالْأَسَى بِهِ وَهُوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ
 أبو الطيب^(٢) :
 لِكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ



أبو نواس :
 قَالَتْ لَقَدْ أَبْعَدَ الْمَسْرَى فَقَلْتِ لَهَا مَنَ عَالَجَ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
 نقله أبو تمام فقال^(٣) :
 هِيَهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ تَوَى بِالصَّيْنِ لَمْ تَبْعِدِ عَلَيْكَ الصَّيْنِ
 ابن الناصر :
 مَنْ لَمْ يُزِرْ زَيْرَ إِنْ الشُّوقِ رَاحِلَةٌ تُذْنِي الْبَعِيدَ وَتَطْوِي السَّبَبَ الْعَافِي الْعَبَّاسُ^(٤) :
 يُقَرِّبُ الشُّوقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مَنَ عَالَجِ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
 وأصله قول الأعرابي :
 بَعِيدٌ عَلَى كَسَلَانَ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ فَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبٌ
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٥) :
 نَضَحْتُ^(٦) بِذِكْرِكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِيهَا فَسَارَتْ وَطَوَّلَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرٌ
 وله^(٧) :
 يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ ذَائِي
 وله^(٨) :
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَثْوِفَةٌ دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِيطُ مَزَارٌ^(٩)



مسلم^(١٠) :
 بَارَزْتُهُ وَسِلاَحَهُ خَلْخَالُهُ حَتَّى فَضَضْتُ بِكَفِّي الْخَلْخَالَ^(١١)

- (١) ديوانه ص ٢٢٩ .
 (٢) ديوانه (٣ : ٢٤٩) .
 (٣) ديوانه ص ٣٢٨ .
 (٤) خاص الخاص للثعالبي ص ٩٣ .
 (٥) ديوانه (٢ : ١٢٤) .
 (٦) نضحت الشيء بالماء : رششته عليه .
 (٧) ديوانه (٤ : ١٧٧) .
 (٨) ديوانه (٢ : ٨٨) .
 (٩) التثوية : الفلاة البعيدة . ويشط : يبعد .
 (١٠) التبيان (٣ : ٢٥٢) .
 (١١) الخللخال : ما يكون من ذهب أو فضة في الساق .

أبو الطيب^(١):

مِنْ طَاعِنِي تُغَرَّ الرَّجَالُ جَاذِرٌ وَمِنَ الرَّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ^(٢)
والغرض غير الأول؛ لكنهما جعلاً الخَلَخَالِ سلاحاً.



أبو تمام^(٣):

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنَ عَطَارِفَةٍ^(٤) كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أَنْسِهَا جُمَعُ
أبو الطيب^(٥):

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ
فزاد وأحسن؛ على أن أبا تمام لم يقصر.



بعض العرب^(٦):

إِذَا نَحْنُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا نَقَلَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى الْمَدْحِ فَقَالَ^(٧):

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُوكَ لَقَادَهُمْ وَتَبِعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٨):

أَدْلَتْهَا رِيحُ الْمِسْكِ فِيهِ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاجِرَهَا انْتِشَاقًا



الخنساء^(٩):

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَأَبُو نُوَاسٍ^(١٠):

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

(١) ديوانه (٣: ٢٥٢).

(٢) الشغرة: نقرة النحر بين الترقوتين. والجؤذر: ولد البقرة الوحشية. والدملج: ما يكون على العضد. قال أبو الفتح: «تساء مثل الجاذر بحليهن؛ يفعلن ما يفعل الطاعن بالرمح».

(٣) ديوانه ص ٣٧٢، التبيان (٤: ٨٠).

(٤) العطارفة: السادات، وفي الديوان:

كأن أيامهم من حسنها جمع

(٥) ديوانه (٤: ٨٠).

(٦) التبيان (٢: ٢٩٧)، ونسبه إلى سحيم.

(٨) ديوانه (٢: ٢٩٧).

(٧) التبيان (٢: ٢٩٧).

(٩) التبيان (٢: ٢٢٧).

(١٠) ديوانه ص ٦٦، التبيان (٢: ٢٨٨).

أشجع :

وَمَا تَرَكَ الْمُدَّاحُ فِيكَ مَقَالَةً وَلَا قَالَ إِلَّا دُونَ مَا فِيكَ قَائِلُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(١) :

وَيَبْقَى ضِعْفٌ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتَّركِ أَحَدٌ مَقَالاً^(٢)



إِيَّاسُ الْكِلَابِيِّ :

فَإِنْ تَكُ فِي عَدِيدِكُمْ قَلِيلٌ فَإِنَّا فِي عَدُوِّكُمْ كَثِيرٌ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :

كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا^(٤)



خَالِدُ الْكَاتِبِ^(٥) :

صَبًّا كَثِيبًا يَتَشَكَّى الْهَوَى كَمَا اشْتَكَى نِضْفُكَ مِنْ نِضْفِكَ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) :

ظَلُومٌ كَمَثْنَيْهَا لِصَبِّ كَخَضْرَاهَا ضَعِيفٌ الْقَوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ
فَأَمَّا الْمَصْرَاعُ الثَّانِي فَمَشْهُورٌ مُتَدَاوِلٌ .



عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ ، وَهُوَ مُتَدَاوِلٌ^(٧) :

يُحْسِبَنَّ مِنْ لِينِ الْكَلَامِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْحَخَا الْإِسْلَامَ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨) :

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا



(١) ديوانه (٣ : ٢٢٧) .

(٢) يقول : إذا بالغ الناس في مدحه ، ولم يتركوا مقالاً يصلون إليه ؛ فقد خفي عنهم ضعف ما فيه من المحاسن التي لم يهتد إليه الواصفون .

(٣) ديوانه ص ٣٧٣ .

(٤) صدره : ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا

(٥) التبيان (٤ : ٨٢) ، ورواه :

(٦) ديوانه (٤ : ٨٢) .

(٧) التبيان (١ : ١١١) .

(٨) ديوانه (١ : ١١١) .

بشار^(١):

وقد عركت بتدمر^(٢) خيل قيس
أبو الطيب^(٣):

وليس بغير تدمر مستغاث
وتدمر كاسمها لهم دمار



أبو العتاهية^(٤):

فما آفة الأجال غيرك في الوعى
أبو الطيب^(٥):

ولا موت إلا من سنانك يتقى
ولا رزق إلا من يمينك يفسم



أبو العتاهية^(٦):

بدت بين حور قصار الخطى
أبو الطيب^(٧):

بأثواب خزعوبية^(٨) لها كفل
يكاد عند القيام يقعد^(٩)



أبو نواس^(١٠):

ألا يابن الذين فئوا وبادوا
أما والله ما بادوا لتبقى

(١) ديوانه ص ٦٥. (٢) تدمر: موضع بالشام.

(٣) ديوانه (٢: ١٠٦).

(٤) التبيان (١: ٣٦١).

(٥) ديوانه (٣: ٣٦١).

(٦) مهذب الأغاني (٥: ٤٦)، ورواه:

(٧) مشت بين حور قصار الخطا
ديوانه (١: ٢٩٧).

(٨) الخرعوية: الغصن الغض.

(٩) قال العكبري في التبيان: هو منقول من قول أبي دلالة:

وقد حاولت نحوي القيام لحاجة
وأصله لعمر بن أبي ربيعة المخزومي:

تنوء بأخراها فتأبى قيامها
وتمشي الهوينى عن قريب فتبهر

(١٠) ديوانه ص ١٩٨.

أبو الطيب^(١):

نَحْنُ بَشُورِ الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرْبِهِ
وأصله لِمُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ^(٢):

فَعَدَدْتُ أَبَائِي إِلَى عِرْقِ الشَّرَى فَدَعَوْتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّ لَمْ يَسْمَعُوا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أَنَّي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَيْنِي أَجْزَعُ



بعض العرب:

وَأِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ وَسُحْقُ النَّخْلِ مِنَ الْقَسِيلِ^(٣)
أبو الطيب^(٤):

فَأَوْلُ فُرْجِ الْخَيْلِ الْمِهَارِ^(٥)



أبو نُوَاسٍ^(٦):

تَبْكِي فَتُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُتَابِ
ابن الرُّومِي^(٧):

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ فَطَرُنْدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ
أبو الطيب^(٨):

وَتَمْسُحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ^(٩)



- (١) ديوانه (١ : ٢١١) .
(٢) المفضليات (١ : ٥٢) .
(٣) القرم: الفحل من الإبل الذي يترك من الركوب والعمل . والأفيل: الفصيل وسحق جمع سحوق؛ وهي النخلة الطويلة . والفسيل: جمع فسيلة؛ وهي الصغيرة من النخل .
(٤) ديوانه (٢ : ١١٢) .
(٥) صدره:
لعل بنيهم لبنيك جند
والقرح: التي قد استوت وصار لها خمس سنين، والمهار جمع مهر، وهو الصغير من الخيل .
(٦) ديوانه ص ٣٦١ .
(٧) ديوانه ص ٤٣١ .
(٨) ديوانه (٤ : ٣٧) .
(٩) صدره:

ترنو إلي بعين الظبي مجهشة
مجهشة: قد تحير وجهها للبكاء ولم تبك . وترنو: تنتظر . والعنم: نبت في الرمل أحمر .

أبو نواس^(١):

فهني إذا سُمِّيتَ فقد وُصِفْتَ^(٢) فَيَجْمَعُ الإِسْمُ مَعْنَيْينِ مَعَا
فقلبه أبو الطيب فقال^(٣):

وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ^(٤)



منصور التَّمْرِي^(٥):

مِنْ كُلِّ سَمَحِ الحُطَيِّ وَكُلِّ يَعْمَلَةٍ خُرْطُومِهَا بِاللُّغَامِ الجَعْدِ مُلْتَفِعٌ^(٦)
أبو الطيب^(٧):

وَهَلْ أَرَمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتِ^(٨) مُحَلَّاةِ المَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ



الخُرَيْمِي^(٩):

شَفَعَتْ مَكَارِمُهُ لَهُمْ فَكَفَثَهُمْ جُهْدَ السُّؤَالِ وَأُطْفَ قَوْلِ المَادِحِ
أبو تمام^(١٠):

طَوَى شِيمَا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ
أبو الطيب^(١١):

إِذَا عَرَضْتُ حَاجَ إِيهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ



(١) ديوانه ص ٣٨٣.

(٢) في التبيان (١ - ٨٦): أنميت. والمثبت في الديوان أيضاً.

(٣) ديوانه (١: ٨٦).

(٤) صدره:

أجل قدرك أن تسمى مؤبنة

(٥) التبيان (٤: ١٤٧)، ورواه:

ويقطع اليد منها كل يعمللة خرطومها باللغام الجعد ملتفع

(٦) البعملة: الناقة السريعة. واللغام: الزبد يخرج من فم البعير.

(٧) ديوانه (٤: ١٤٧).

(٨) الراقصات: الإبل تسير الرقص؛ وهو نوع من السير.

(٩) التبيان (٢: ٢٤٣).

(١٠) ديوانه ص ٣٧٨، التبيان (٢: ٢٤٣).

(١١) ديوانه (٢: ٢٤٣).

الْحَرِيمِي (١):

صَبَرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَعْبَةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلَيَّ فَأَجْزَعُ!

أبو الطيب (٢):

وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرِّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي



العباس (٣):

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعٌ

أبو الطيب (٤):

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ



أحمد بن طاهر:

وَأَبُوهُمْ أَبُو الصَّنَائِعِ عِنْدِي حِينَ أَعْتَدَ بِالصَّنَائِعِ عِنْدِي

أبو الطيب (٥):

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ رِيئَتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا

فأخذ الولادة وزاد فيه «ريئتها» وهو حسن.



أبو تمام (٦):

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهُا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامٌ

وهو كثير مشهور.

أبو الطيب (٦):

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ



أبو طاهر (٧):

خَلَّاتُكُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلَّ مَجْدٍ مُؤَثَّلٍ

(١) التبيان (٣ : ١٠).

(٢) ديوانه (٣ : ١٠).

(٣) التبيان (٣ : ٢٢).

(٤) ديوانه (٣ : ٢٢).

(٥) ديوانه (٢ : ٣١١).

(٦) ديوانه (٣ : ٩).

(٧) التبيان (١ : ١٨٦).

نقله أبو الطيب فقال^(١):

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَتُهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرَمَاتُ وَتُنْسَبُ



أبو هفان^(٢):

وَرَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ وَمَا دَرَّتْ دُرٌّ أَنْ الدُّرُّ فِي الصَّدْفِ

نقله أبو الطيب فقال^(٣):

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ



أبو العتاهية:

هَبْ لِي أَمِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْضِ مَا مَلَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ نَفْسِي

أبو الطيب^(٤):

فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَاحْبِسِي مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا^(٥)

ونحوه^(٦):

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أَعْدُ مِنْسَهَا وَلَا أَعْدُدُهَا



البحثري وهو كثير مشهور^(٧):

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الهمومَ وَتَبْعَثُ الشُّو قَى الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ

أبو الطيب^(٨):

رَأَيْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ



البحثري^(٩):

كُلُّ الَّذِي تَبْغِي الرِّجَالَ تُصِيبُهُ حَتَّى تُبْغِي أَنْ تَرَى شَرَوَاهُ^(١٠)

(١) ديوانه (١ : ١٨٦).

(٢) التبيان (٢ : ٢٨١).

(٣) ديوانه (٢ : ٢٨١).

(٤) ديوانه (٤ : ٢٠٤).

(٥) يقول: فاغفر لي ذنبي الذي جنيته، فدى لك نفسي وأهلي ومالي، واعطني بعد عفوك عني عطية تكون نفسي منها؛ لأنك إذا عفوت عني وأعطيتني كنت قد خصصتني بعطية هي نفسي، لأنها قد سلمت بسلامتها منك، فهي الآن من عطيتك.

(٦) ديوانه (١ : ٣٠٤).

(٧) ديوانه (١ : ٤٤).

(٨) ديوانه (٢ : ٣٥٠).

(٩) ديوانه (٢ : ٣٢٣).

(١٠) الشروى: المثل.

وله مثله^(١):

وَلَيْسَنَ طَلَبْتُ شَبِيهَهُ إِئْتِي إِذَا لَمْ كَلَّفْ طَلَبَ الْمُحَالِ رِكَابِي
نقله أبو الطيب فقال^(٢):

وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادُ أَزَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

فزاد؛ لأنه يبين وجهين من المدح: أحدهما وصفه بالاقتدار والتمكّن من المراد، والثاني انفراذه بالفضل عن الأمثال، وقد قال مقتصراً على المعنى الأول^(٣):

أَمْرِيَدَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي عَضْرِهِ لَا تَبْلُنَا بِطَلَابٍ مَا لَا يُلْحَقُ



البحثري^(٤):

يَتَعَثَّرْنَ فِي التُّحُورِ وَفِي الْأَوْجِ شُكْرًا لَمَّا شَرَبْنَ الدَّمَاءَ
أبو الطيب^(٥):

تَمِيلُ كَأَنَّ فِي الْأَبْطَالِ خَمْرًا عُلِّلْنَ بِهَا اضْطَبَّاحًا وَاغْتَبَّاقًا
ثم نقله إلى الخيل فقال^(٦):

مَا زَالَ طَرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ^(٧)



ابن المعتز، وهو معنى مشهور، وهذا من مליح ما قيل فيه^(٨):

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِي بِالدُّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ
أبو الطيب^(٩):

لَنَا وَلِأَهْلِيهِ أَبْدَاءُ قُلُوبٍ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى
وله نحوه^(١٠):

قَرَّبَ الْمَرَّازُ وَلَا مَرَّازَ وَإِنَّمَا يَغْدُو الْجَنَانُ فَنَلْتَقِي وَيَرُوحُ



(١) ديوانه (١ : ١٧).

(٢) ديوانه (٣ : ١٨٩).

(٣) ديوانه (١ : ٣٣٨).

(٤) ديوانه (١ : ٣٠١).

(٥) ديوانه (١ : ٣).

(٦) الطرف: الفرس الكريم، والثمل: السكران.

(٧) ديوانه (٣ : ٤١).

(٨) ديوانه (٢ : ٢٩٤).

(٩) التبيان (٢ : ٢٩٤).

(١٠) ديوانه (١ : ٢٤٥).

البحثري^(١) :

وَأَصْفَحْ لِلْبَلَىٰ عَن ضَرْءٍ وَجْهِ عَنَيْتُ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

أبو الطيب^(٢) :

وَيَا لِي كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ^(٣)



أبو تمام^(٤) :

هُمُ رَهْطٌ مِّنْ أَمْسَىٰ بَعِيداً رَهْطُهُ وَيَتُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِي

أبو الطيب^(٥) :

إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلاً وَرِأَاهُ وَيَمَّمْ كَأَفُوراً قَمَا يَتَّعَرَّبُ

وأصله قول الأول :

وَمِنْ تَكَرَّمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ

مثله :

وَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَأَفْتِقَادُهُمْ وَالطَّافَهُمْ حَتَّىٰ حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي



أبو تمام^(٦) :

فَلَقِبَلْ أَظْهَرَ صَفْلُ سَيْفِ أَثْرِهِ^(٧) قَبْدَا وَهَدَّبَتِ النَّفُوسَ هُمُومَهَا

أبو الطيب^(٨) :

وَيَبْقَىٰ عَلَىٰ مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرْنَدُ عَلَىٰ الصَّقْلِ



أبو تمام^(٩) :

لَهَا مَنْرِلٌ تَحْتَ الثَّرَىٰ وَعَهْدُهَا لَهَا مَنْرِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ

أبو الطيب^(١٠) :

فَإِنْ تَكُ فِي قَبْرِ قَائِكَ فِي الْحَشَا^(١١)

(١) ديوانه (١ : ٢٥) ، التبيان (٣ : ١٩) .

(٢) ديوانه (٣ : ١٩) .

(٣) صدره :

ومغض كان لا يغضي لخطب

(٤) ديوانه ص ١٤ .

(٥) ديوانه (١ : ١٨١) .

(٦) ديوانه ص ٣١٠ .

(٧) أثر السيف : قرنده .

(٨) ديوانه (٣ : ٤٧) .

(٩) ديوانه ص ٣٥٦ .

(١٠) ديوانه (٣ : ٤٤) .

(١١) بقية البيت :

وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل

أبو تمام^(١):

قَدْ قَلَصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمًا
أبو الطيب^(٢):

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ



البعيث^(٣):

وَأِنَّا لَنُغْطِي الْمَشْرِفِيَّةَ^(٤) حَقًّا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ
أبو تمام^(٥):

وَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَأَقَى ضَرْبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَهَى فَتَقَطَّعَا
المتنبي^(٦):

وَهَوْلٍ كَشَفْتُ وَنَضَلٍ قَصَفْتُ وَرُمِحَ تَرَكْتُ مُبَادًا مُبِيدًا^(٧)
ثم أعاده فقال^(٨):

فَتُسْفِرُ^(٩) عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا وَمَا انْفَلَلَنَّ ضَرَائِبُ^(١٠)
ثم أعاد وزاد؛ إذ جعل الحديد مقتولاً فقال^(١١):

قَتَلْتُ نَفْسَ الْعِدَا بِالْحَدِيدِ إِدْحَى قَتَلْتُ بِهِنَ الْحَدِيدَا
وكانه ألم في استعارة القتل للحديد بقول أبي تمام^(١٢):

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا^(١٣) السُّمُرُ
ثم كرره وزاد إذ جعله مقتولاً في جسم القتيل، وجعل للسيوف أجلاً فقال^(١٤):

الْقَاتِلُ السَّيْفُ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالُ

(١) ديوانه ص ٣٠٣.

(٢) ديوانه (١: ٣٦٨).

(٤) المشرفية: السيوف؛ منسوبة إلى مشارف الشام.

(٥) ديوانه ص ٣٧٥.

(٧) مباداً ومبيداً؛ حالان من الرمح؛ أي تركته مهلكاً في حال إبادتك إياه، وطعنك العدو به.

(٨) ديوانه (١: ١٠٧).

(٩) في الأصلين «فتصدر»؛ والتصحيح ما أثبتناه عن الديوان.

(١٠) المضارب: جمع مضرب؛ وهو حد السيف، والضرائب جمع ضريبة؛ وهي الشيء المضروب بالسيف.

(١١) ديوانه (١: ٣٧٠).

(١٢) ديوانه ص ٣٦٩.

(١٣) القنا: الرماح.

(١٤) ديوانه (٣: ٢٨٠).

ثم أعاد وزاد تشبيهاً فقال^(١):

وَمُنْعَفِرٍ لِنَضْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنْ اخْتِرَاشِ^(٢)

وَكَأَنَّهُ أَقْتَدَى فِي تَرْكِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِقَوْلِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحُمَامِ^(٣):

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْفِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْفِذُونَ السَّمْهَرِيَّ الْمُقَمَّوَمَا^(٤)

قيل في تفسير قوله:

ويستنفذون السّمهريّ المقومًا

إننا نطعنهم فتبقى الرّماحُ أو عواليها فيهم إذا أعجلّونا برخص الخيل عن انتزاعها؛

وقيل غير ذلك. وقد قالت امرأة من بني عامر:

تعرفكم جزر الجزور رماحنًا وئُمسِكُنَ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

وقد قيل في تفسيره: إن الرماح تنكسر فتعلق بالأكباد عواليها.



وقد قال أبو الطيب^(٥):

نُصْرَفُهُ لِلطَّغْنِ فَوْقَ حَوَازِرِ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ^(٦)

وقال^(٧)، وقد زاد كأنه اخترع المعنى وإن كان يلاحظ بيت أبي تمام:

ونالت ثارها الأكباد منه فأولّته اندقاقاً أو صدوعاً^(٨)



سعيد بن حميد:

جَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ عِنْدِي فِي اجْتِمَاعِهِمَا وَإِنْ أَسَاءَ بِنَا فِي كُلِّ مَا صَنَعَا

(١) ديوانه (٢: ٢٠٩).

(٢) المنعفر: الذي يتلطح بالعفر، وهو التراب. والاختراش: صيد الضب. يقول: إن السيف قد

غاب وتوارى في هذا المنعفر مثل توارى الضب في جحره؛ خوفاً من الصائد. شرح العكبري.

(٣) المقضليات (١: ٦٣).

(٤) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. والسّمهري: الرمح. قال ابن الأنباري: «يقول: نغتم منهم

خيلهم وترك في أجسادهم رماحنًا إذا طعنهم، فهم يحاولون إخراجها».

(٥) ديوانه (١: ١٩٣).

(٦) نصرفه؛ الضمير يعود على القنا في البيت قبله:

تركنا لأطراف القنا كل شهوة فليس لسننا إلا بهن لعباب

والحواذر: الخيل التي تحذر الطمن. والكعاب: النواشز في أطراف الأنابيب.

(٧) ديوانه (٢: ٢٥٥).

(٨) يقول: لشدة الطعن اندقت الرماح في الأكباد؛ فكان الأكباد أدركت بذلك منها ثاراً.

أبو الطيب^(١) :

يَدُّ لِلزَّمَانِ الجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَقَدْ نَقَلَهُ إِلَى مَعْنَى آخِرٍ فَقَالَ^(٢) :

وَلَوْ لَا أَيَادِي الدُّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا

وَكأنه أَلَمَّ فِي هَذَا المَعْنَى بِقَوْلِ البَحْتَرِيِّ^(٣) - وَإِنْ كَانَ فِي الغَرَضِينَ بَعْضُ

الاختلاف :

تَنَسَّى أَيَادِي الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ شَيْئاً مِنْهُ سِوَى نُوبَةِ



الكُمَيْت :

وَكَائِنَ فِي المَعَاشِرِ مِنْ أَنَاسٍ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

كُلُّ آخَائِهِ كِرَامٌ بَنِي الدُّنْ
أَبُو تَمَامٍ^(٦) :

مَضَى طَاهِرَ الأَخْلَاقِ لَمْ يَبْقَ بَقْعَةٌ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

وَتَغْبِطُ الأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وَتَحْسُدُ الحَيْلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِيبَا^(٨)



غيره^(٩) :

إِنْ أُجْرِمْتَ لَمْ تَنْصَلْ^(١٠) مِنْ جَرَائِمِهَا
وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الأَقْوَامِ لَمْ تُلَمَّ

(١) ديوانه (١ : ١٥٧) .

(٣) ديوانه (١ : ٤١) ، وروايته :

(٤) ديوانه (٣ : ٣٧٨) .
ننسى أيادي الزمان فينا فما نذكر من دهرنا سوى نوبه

(٥) الآخاء : جمع أخ . يقول : كل كرام بني الدنيا أخوته ؛ لأنهم يوافقونه في رأيه ؛ لكنه المقدم فيهم ؛ لأنه أكرمهم .

(٦) ديوانه ص ٣٧٠ ، وروايته هناك وفي البيان :

(٧) ديوانه (١ : ١١٥) .
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتتهت أنها قبر

(٨) يريد : أن الأرض يغبط بعضها بعضاً لحلولة فيها ، وكذلك الخيل يحسد بعضها بعضاً لركوبه .

(٩) هو أبو تمام ديوانه ص ٢٧٠ . (١٠) تنصل : تبرا .

أبو الطيب^(١) :

وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيًّا مِنَ الْإِثْمِ



أبو تمام^(٢) :

مُسْتَبْسِلُونَ كَأَنَّمَا مُهَجَّاتُهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ إِلَّا غِدَاةٌ تَسِيلُ
أَلْفُوا الْمَنَائِيَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُحَلِّ الْعَيْشَ^(٣) وَهُوَ قَتِيلُ

ونحو هذا اللفظ قول أبي الطيب^(٤) :

وَكَقْتَلِهِ أَلَا يَمُوتُ قَتِيلًا



ومثله^(٥) :

لَا يَنِيَّاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

أبو الطيب^(٦) :

ضَرَبَتْهُ^(٧) بَصْدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدْ سَلِمُوا^(٨)



وله^(٩) :

وَفَوَارِسٍ يُخَيِّي الْجِمَامَ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ
وَأَنَا أَرَى أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِ زُهَيْرٍ^(١٠) :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(١) ديوانه (٤ : ٥٤) .

(٢) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٣) في ديوانه : الحرب .

(٤) ديوانه (٣ : ٢٤٣) ، وصدوره :

وأمر مما فر منسه فراره

(٥) هو أبو تمام ؛ ديوانه ص ٢٢٩ ، وصدوره :

يستعذبون مناياهم كأنهم

(٦) ديوانه (٤ : ٢١) .

(٧) الضمير يعود على نهر أرسناس في البيت قبله :

وجاوزوا أرسناساً معصمين به وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم

(٨) يقول : ضربت هذا النهر بصدر خيل حاملة فرساناً ، يرون سلامتهم في تلفهم حيثما يقدمون على العدو .

(٩) ديوانه ص ٣١ .

(١٠) ديوانه (٤ : ١٨١) .

لأن زهيراً جعله يُسرّ بالبذل حتى كأنه أخذ، وجعله هذا يسرع إلى القتل حتى كأنه حياة، فالمعنيان واحد في التحصيل، وقد قال أبو الطيب^(١) في معنى قول زهير: من القاسمين الشُّكْرَ بيني وبينهم لأنهم يُسَدِّى إليهم بأن يُسَدُّوا



أبو تمام^(٢):

وَيَهْتَرُ مِثْلَ السِّيفِ لَوْ لَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَأَلْتُهُ ظَبَاهَ مِنَ الْغَمْدِ

أبو الطيب^(٣):

وَتَكَادُ الظُّبَى لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ



زيد الخيل^(٤):

وَأَسْمَرَ مَرْفُوعٍ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بَصِيرٍ إِذَا صَوْنَتْهُ بِالْمَقَاتِلِ^(٥)

أبو تمام^(٦):

مَنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلاَ نَظِيرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَثْنِهِ أَوْدُ^(٧)

أبو الطيب^(٨):

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي^(٩)

وقد زعموا أن قوله^(١٠):

وَقَدْ صُغِتِ الْأَيْئَةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

مأخوذ من هذا، ومن قول أبي تمام:

يَظَلُّ فُؤَاداً لِلْفُؤَادِ سَنَانُهُ

(١) ديوانه (٢: ٧).

(٢) ديوانه ص ١١٦، وروايته هناك:

ونبهن مثل السيف لو لم تسله

والظبي: حد السيف، والغمد: القراب.

(٣) ديوانه (٢: ٣٦٧).

(٤) التبيان (٤: ١٩١).

(٥) يريد: إذا هيأته نحو العدو.

(٦) ديوانه ٧٥، التبيان (٤ - ١٩١).

(٧) الأزرق: سنان الرمح. والأود: الأعوجاج.

(٨) ديوانه (٤: ١٩١).

(٩) الضمير في حده للسيف، والهبوة: الغيرة.

(١٠) ديوانه ١ - ٣٦٠.

ولا أبعد أن يكون قد لاحظته؛ لكنّه قد أبرّ به على كل مخترع وسابق ومنفرد.
والأقرب عندي أن يكون مأخوذاً من قول أبي تمام^(١):

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبُّبَ^(٢) الْحُبِّ مُدْزَمِنٍ فَلَيْسَ يَخْجُبُهُ قَلْبٌ وَلَا كَيْدٌ



أبو تمام^(٣):

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبُ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ يُكَذِّبُ

البحثري:

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ حَسَى ظَنَّنَا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

وأصله قول بعض العرب:

أَحَدَثَ مِنْ لَاقِيَتْ يَوْمًا بِلَاءَهُ وَهَمَّ يَحْسِبُونَ أَنَّنِي غَيْرُ صَادِقِ

أبو الطيب^(٤):

كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بَعْظِيمَ مَا صَنَعْتَ لظَنُّكَ كَادِبًا

فأساء؛ لأنه جعله يستعظم فعله، وإنما الجيد قوله^(٥):

يَسْتَضْغِرُ الْخَطَرَ الْعَظِيمَ لَوْفِيهِ وَيُظَنُّ دَجَلَةً لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا



أبو نواس في الكؤوس^(٦):

طَالَعَاتُ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فِإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

أبو الطيب في السيوف^(٧):

طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْغَمُودُ مَشَارِقُ لِهِنَّ وَهَامَاتُ الرُّجَالِ مَغَارِبُ

فأما جعل السيوف شمساً فكثير.



النابعة^(٨):

لَمَّا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَانْتَصِحْنِي فَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي

ثم فسر فقال^(٩):

وَإِنْ تَلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِكَتِي وَمُهْرِي وَمَا صَمَّتْ إِلَيَّ الْأَتَامِلُ^(١٠)

(١) التبيان: ١ - ٣٦٠. (٢) ترب الحب: ولد معه.

(٣) التبيان (١: ١٢٦). (٤) ديوانه (١: ١٢٦).

(٥) ديوانه (١: ١٢٥). (٦) ديوانه ص ٣٣٩.

(٧) ديوانه (١: ١٠٧). (٨) ديوانه ص ٦٥.

(٩) ديوانه ص ٦٥. (١٠) التلاد: المال القليل، والشكة: السلاح. وأراد بالمهر الفرس.

جَبَاؤُكَ وَالْعَيْسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّهَا هِجَانُ الْمَهَى تُحْدَى عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ^(١)



أبو نواس:

وَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ

وفسر أبو الطيب وشرح وملح^(٢):

أَسِيرٌ إِلَى إِقْطَاعِهِ فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ^(٣)
وَمَا مَطَّرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا وَرُومَ الْعَبْدَى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ^(٤)



حاتم^(٥):

وَمَنْ يَبْتَدِغُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيْمُهَا
وقال الأعور الشُّنِّي^(٦):

وَمَنْ يَقْتَرِفُ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَاعُ
إبراهيم بن المهدي^(٧):

مَنْ تَحَلَّى شِيْمَةً لَيْسَتْ لَهُ فَارْقَتْهُ وَأَقَامَتْ شِيْمَتَهُ
أبو الطيب^(٨):

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكْلُفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

وهذا المعنى متداول، وقد أكثر الناس فيه، وأشبهه بقول أبي الطيب قول الأعور الشُّنِّي^(٩):

وَأَذْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَأَ بِهِ وَأَقْصَرُ أَعْمَالِ الرِّجَالِ الْبَدَائِعُ

المصراع الثاني هو بيت أبي الطيب بكماله.



(١) جباؤك: هبتك. والعيس: الإبل البيض. وهجان المهى: بيضها. وتحدى: تساق.

(٢) ديوانه (٤ : ٣).

(٣) الإقطاع: ما أقطعه من البلاد. والطرف: الفرس. والحسام: السيف القاطع.

(٤) البيض: السيوف. والقنا: الرماح. والروم: جمع رومي. والعبدى: العبيد. والغمام: السحاب. والهاطل: المنسكب.

(٥) التبيان (٢ : ٢٠).

(٦) التبيان (٢ : ١٩).

(٧) التبيان (٢ : ٢٠).

(٨) ديوانه (٢ : ١٩).

(٩) التبيان (٢ : ٢٠).

طَفِيل^(١):

وما أنا بالمُستَكِرِّ البَيْنِ إِنْني بِذِي لَطْفِ الجِيرَانِ قَدْما مُفَجِّعُ
أبو الطيب^(٢):

وما اسْتَعْرَبْتَ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ المِصْرَاعُ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ^(٣):
وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ ما الْقَلْبُ عَالِمُهُ

وَعَرَفْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِماً وَمِنْ قَوْلِهِ الأَعْوَرُ:
عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِنِّي أَزْدَادُهَا

لَقَدْ أَضْبَحْتُ ما أحتَاجُ فِيما بَلَوْتُ مِنَ الأُمُورِ إِلى السُّؤْالِ
وقد كرره أبو الطيب فقال^(٤):

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ ما صَنَعْتُ بِنا فَلَمَّا دَهَشْتَنِي لَمْ تَرِدْنِي بِها عِلْما



أبو الطيب^(٥):

فَلَا يَتَّهَمُنِي الكاشِحُونَ فإِنْني رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عَلاقِمُهُ
وهو من قول الآخر^(٦):

وَفارَقْتُ حَتَّى ما أَجِنُّ إِلى هَوَى وَإِنْ بَانَ جِيرانَ عَلِيٍّ كِرامِ
وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسي على النَّايِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي على فَقْدِ الحَبِيبِ تَنامِ

وهو معنى قوله: «حتى حلت لي علاقمه». ومثله قول المؤرِّج بن عمرو^(٧):

رُوِعْتُ بِالبَيْنِ حَتَّى ما أَرَأى لَهُ وَبِالتَّفَرُّقِ مِنْ أَهْلي وَجِيرانِي
أو قول الخُرَيْمِيِّ^(٨):

لَقَدْ وَقَرَّتْني الحادِثاتُ فَمَما أَرى لِنائِلَةٍ مِنْ رَبِّها أَتَوَجَّعُ

(١) التبيان (٣: ٢٣٢).

(٢) مذهب الأغانى (٣: ١٠٣)، وروايته هناك:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً

(٣) ديوانه (٤: ١٠٤).

(٤) ديوانه (٣: ٣٣٢).

(٥) التبيان (٣: ١٠)، وروايتهما هناك:

وقد جعلت نفسي على البين تنطوي

وفارقت حتى ما أبالي من النوى

(٦) ذيل الأمالي ص ١١٣، التبيان (٣: ٣٣٣).

(٧) التبيان (٣: ٣٣٣).

وعيني على فقد الحبيب تنام
وإن بان جيران علي كرام

وقد بسطه أبو الطيب وشرحه وزاد فيه تمثيلاً حسناً فقال^(١):

رَمَانِي الدُّهْرُ بِالْأَزْرَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غَشَاءٍ مِنْ نَبَالٍ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
وقد تقدم ما يقارب هذا المعنى، وإن كنا أعدناه لتمييز أحدهما عن الآخر.



الطَّرِمَّاحُ^(٢):

يَفْرُقُ مَثَا مَنْ نُحِبَّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مَثَا بَيْنَ أَهْلِ الضَّعَائِنِ
آخِرُ^(٣):

عَجِبْتُ لِتَطْوِيحِ التَّوَى مِنْ أَجْبِهِ وَإِذْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلْدُ لَهُ قُرْبُ
وهو كثير، وأصله لمضرس بن ربعي من قوله^(٤):

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي
نقله أبو الطيب فأحسن وأطاب^(٥):

أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيباً تُقْرِبُ



يزيد المهلبي، وهو معنى مشهور^(٦):

إِنْ يُعْجِزُ الدُّهْرُ كَفِّي عَنْ جَزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مُجْتَهِدُ
أبو الطيب^(٧):

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يَسْعِدِ الْحَالُ
وأصله قول الأول:

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى



أبو العَمَيْثِلِ الأَعْرَابِي:

أَصْدُقُ وَعِيفٌ وَبِرٌ وَأَصْبِرٌ وَاحْتِمِلٌ وَأَضْفَحُ وَدَارٍ وَكَافٍ^(٨) وَابْذُلُ وَأَشْجَعُ

(٥) التبيان (١: ١٧٧).

(٦) التبيان (٣: ٢٧٧).

(٧) ديوانه (٣: ٢٧٦).

(٨) كاف: من المكافاة.

(١) ديوانه (٣: ٨).

(٢) التبيان (١: ١٧٧).

(٣) التبيان (١: ١٧٧).

(٤) التبيان (١: ١٧٧).

أبو الطيب^(١):

أَقْلُ أَيْلُ أَنْ صَنِ أَحْمِلَ عَلَّ سَلُّ أَعِيدُ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْمَزْ أَدْنِ سَرَّ صِيلِ
فزاد، وأصل هذه الطريقة قول امرئ القيس^(٢):

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ فَذَاذَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ



الحُصَيْنُ بْنُ الْحَمَامِ^(٣):

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
أبو الطيب^(٤):

فَحَبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحَزْبَا



سعيد بن حميد:

يَالَيْلُ لَو تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى بِهِ أَوْ تَجِدُ
قَصَّرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ أضعفَ مِنْكَ الْجَلْدُ
نقله أبو الطيب فقال^(٥):

كَأَنَّ اللَّيْلَ^(٦) قَاسَى مَا أَقَاسِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبَا



علي بن محمد البسامي:

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا شَارَةً فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقَهَا مِنْ كَثْبِ حَسْرَةٍ كَأَنَّ الْفِظَ بِلَا مَعْنَى
أبو الطيب^(٧):

وَالدُّهْرُ لَفِظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ^(٨)

بعضهم^(٩):

وَأَسْرَفِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ وَزِيَادَتِي فِيهَا هُوَ النَّقْصُ

(١) ديوانه (٣: ٨٩).

(٢) شعراء النصرانية ص ٦٢، العمدة (٢: ٢٥).

(٣) ديوان الحماسة (١: ١٩٢)، عيون الأخبار (١: ١٢٥).

(٤) ديوانه (١: ٦٥). (٥) ديوانه (١: ١٣٩).

(٦) في الديوان: كأن الجوز. (٧) ديوانه (٤: ٢٦٣).

(٨) صدره:

الناس ما لم يروك أشباه

(٩) البيان (٢: ٢٨٣).

أبو الطيب^(١):
 زِيَادَةٌ شَنِيبٌ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةٌ عَشِقِي وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفٌ^(٢)
 ومثله له^(٣):
 مَتَى مَا أزدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقدُ وَقَعِ أَنْتِقَاصِي فِي أزدِيَادِ



علي بن الجهم في صفة الشعر، وهو معنى مشهور^(٤):
 فسار مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بِلْدَةٍ وَهَبَ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ
 أبو الطيب^(٥):
 قُوفٌ إِذَا سِرْنَ عَنِّي مَقُولِي وَتَبْنَ الجِبَالِ وَخُضْنَ البِحَارَا
 وله مثله^(٦):
 إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُضُولِهِ جِدَارٌ مَعَلَى أَوْ خِبَاءٌ مُطَبَّبُ
 وأصله قول عنترة بن الأخرس^(٧):
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِغْرِي سَارَ عَنِّي وَشِغْرَكَ حَوَّلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ



ابن الرومي^(٨):
 وما أزدادَ فَضْلٌ فِيكَ بِالمَدْحِ شُهْرَةٌ بَلَى؛ كَأَنَّ مِثْلَ المِسْكِ صَادَفَ مِخْوَضًا^(٩)
 أبو الطيب^(١٠):
 وَذَاكَ التَّنَشُّرُ عَرَضُكَ كَأَنَّ مِسْكَأ وَهَذَا الشُّعْرُ فَهْرِي وَالمَدَاكَ^(١١)



(١) ديوانه (٢: ٢٨٣).

(٢) زيادة خبر مبتدأ محذوف تقديره: حال. وقوة: عطف عليها؛ يقول: حالي زيادة شيب وهي في الحقيقة نقص زيادتي، وكلما قوي العشق ضعف البدن، وضعفت قوته. (شرح العكبري).

(٣) ديوانه (١: ٣٥٦). (٤) التبيان (٢: ٩٥).

(٥) ديوانه (٢: ٩٥). (٦) ديوانه (١: ١٨٧).

(٧) التبيان (٢: ٩٦). (٨) التبيان (٢: ٢٩٣).

(٩) المخوض: الذي يحرك به الطيب؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلاً؛ بل يظهر رائحته؛ كذلك الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس، ولا يزيده فضلاً.

(١٠) ديوانه (٢: ٣٩٣).

(١١) النشر: الرائحة الطيبة. والفهر: الحجر الذي يسحق به الطيب. والمداك: الصلابة التي يدك عليها. والدوك: الدق والسحق.

الحادرة^(١) :

فَأَثُّوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِإِبَيْكُمْ
بِأَحْسَابِنَا^(٢) إِنْ الثَّنَاءُ هُوَ الْخُلْدُ
غَيْرُهُ^(٣) :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ
فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
أَبُو تَمَامٍ^(٤) :

سَلَفُوا يَرُونَ الذِّكْرَ عَيْشًا^(٥) ثَانِيًا
وَمَضُوا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦) :

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ
وَكَأَنَّمَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ
وَكُرَّرَهُ فَقَالَ^(٨) :

فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ شَخْصًا
جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي



بعض العرب^(٩) :

وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِهِ
فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي
أَبُو الطَّيِّبِ^(١٠) :

قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا
وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَثْرُوكِ تَارِكُهُ
وَمِثْلُ الْمَصْرَاعِ الْأَخِيرِ قَوْلُ التَّيْرِ بْنِ تَوْلَبٍ :

تَدَارِكُ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ
حَوَادِثُ أَيَّامِ تَمُرٍّ وَأَغْفَلُ



(١) مهذب الأغاني (١ : ٢٣٠)، التبيان (٢ : ١٣١).

(٢) في مهذب الأغاني : بإحساننا.

(٣) ديوان الحماسة (٣ : ٦)، ونسبه إلى التيمي في منصور بن زياد. قال التبريزي : التيمي هو عبد الله بن أيوب.

(٤) ديوانه ص ٩٠، التبيان (٢ : ١٣٢).

(٥) رواية الديوان : سلفوا يرون الذكر عقباً صالحاً

(٦) ديوانه (٢ : ١٣١).

(٧) يقول : ذكره في الثناء يحييه، كما أحيأ عيسى بعد ما مات.

(٨) ديوانه (٣ : ١٢). (٩) التبيان (١ : ٩٣).

(١٠) ديوانه (١ : ٩٣).

بعض المُحدِّثين^(١) :

وَمَا قَسَدَتْ لِي يَشْهَدُ اللَّهُ نِيَّةً
أَبُو الطَّيِّبِ وَأَحْسَنُ غَايَةِ الْإِحْسَانِ^(٢) :
عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي فَاتَّهَمْتَنِي
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُجْتَبِيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
وَصَدَّقَ مَا يَغْتَاذُهُ مِنْ تَوَهُمٍ
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٍ



بعض العرب^(٣) :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُجِئُوا مُذْرِكًا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :
وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدٍ
نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا^(٥)



يحيى بن زياد^(٦) :

دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :
ثُرَيْدُكَ لَمْ تَسْطِيعْ لَهَا عَنكَ مَدْفَعًا
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَسَادِحٍ
حَتَّى أَتَى الْأَمْرَ الَّذِي لَا يُدْفَعُ



أبو تمام^(٨) :

مَحَاسِنٌ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَفْرِنُوا بِهَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٩) :
مَنَاقِبٌ^(٩) أَقْوَامٍ تَكُنُّ كَالْمَعَايِبِ
شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَثَبَّتْ مَنَاقِبًا
وُجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبًا



الحطيطه^(١١) :

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الدَّنْبَا!

(١) التبيان (٤ : ١٣٥) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٣٥) .

(٣) التبيان (١ : ٢٩٥) .

(٤) ديوانه (١ : ٢٩٥) .

(٥) الخلب : غشاء القلب الرقيق . قال العكبري : «وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعها على الكبد، فأنضجتها بما فيها من الحرارة» .

(٦) التبيان (٤ : ٢٧٣) .

(٧) ديوانه (٤ : ٢٧٣) .

(٨) ديوانه ص ٤٢ ، التبيان (١ : ١٣١) .

(٩) في الديوان : «محاسن أقوام» .

(١٠) ديوانه (١ : ١٣١) .

(١١) ديوانه ص ٦ .

المتنبّي^(١):

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَضِي إِيْلَهُمْ كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفُ



الحُصَيْن بن الحمام^(٢):

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

إِذَا لَمْ تُجْزِهِمْ دَارَ قَسُومِ مَوَدَّةٍ أَجَارَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ^(٤)
وَالْعَرَبُ تَقُولُ: رَهَبُوتُ خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتِ؛ أَي أَنْ تُرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرْحَمَ.



بعض العرب^(٥):

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
عَمْرُو بن مَعْدِي كَرِب^(٦):

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمِثْرٍ فَاغْلَمَ وَإِنْ رُدِّيتَ بُزْدًا
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنُ الْعَبَّاس بن مِرْدَاس؛ وَيُرْوَى لِرَبِيعَةَ بن ثَابِتِ الرَّقِي^(٧):

فَمَا عَظُمَ الرَّجَالُ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ^(٩)
وَمِثْلُهُ لَهُ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ^(١٠):

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُ^(١١):

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ^(١٢)

(١) ديوانه (٢: ٢٨٩).

(٢) ديوانه (٢: ٦٢).

(٣) قال ابن فورجة: إذا بلغوا في أسفارهم منازل قوم لم يكن بينهم وبين سكانها مودة أجازتهم رماحهم فلم يخافوا أهل الناحية.

(٤) التبيان (٢: ٣٢٠)، ونسبه إلى الفرزدق.

(٥) ديوان الحماسة (١: ١٧٠)، عيون الأخبار (١: ٣٠٠).

(٦) ديوان الحماسة (٣: ١٥٣)، التبيان (٣: ٣٢٠).

(٧) ديوانه (٢: ٣٢٠).

(٨) ديوانه (١: ١٨٠).

(٩) ديوانه (٤: ١٤٤).

(١٠) الوسام: الوسامة؛ وهي الحسن.

بعض العرب:

ولست وإن أحييت من يسكن العَصَا
بأول راج حاجة لا ينالها
أبو الطيب^(١):

وليس بأول ذي هممة
دعته لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ



جابر بن حيان^(٢):

وإن يقتسيم مالي بني ونسوتي^(٣)
فلم يفسموا خلقي الكريم ولا فعلي
أبو تمام^(٤):

وانفخ لنا من طيب خيمك نَفْحَة
إن كائت الأخلق مما يوهب^(٥)
أبو الطيب^(٦):

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا
ولو جاز أن يخووا علاك وهبتها
وإن طلبوا المجد الذي فيك خيبتوا
ولكن من الأشياء ما ليس يوهب



بعض العرب^(٧):

لا أمسك المال إلا زنت أثلفه
ولا تعيرني حال إلى حال
أشجع:

تغير الأيام حالاته
وجوده باق على حال
أبو الطيب^(٨):

وحالات الزمان عليك شتى
وحالك واحد في كل حال



أبو تمام^(٩):

هممة تنطخ التجوم وجد
آنف للحضيض^(١٠) فهو حضيض

(١) ديوانه (٣ : ٣٠).

(٢) ديوان الحماسة (٤ : ٢٣٧)، عيون الأخبار (١ : ٣٤٣)؛ وقال: هو جابر بن حيان (بالباء المشددة) وفي الأصلين: «جباب».

(٣) في ديوان الحماسة: «وإخوتي».

(٤) ديوانه ص ٤٠، التبيان (١ : ١٨٤).

(٥) انفخ: اعط. وخيمك: طبعك.

(٦) التبيان (٣ : ٢٠).

(٧) ديوانه ص ١٨١.

(٨) ديوانه (٣ : ٢٠).

(٩) الحضيض: المنخفض.

أَبُو الطَّيِّبِ^(١):

أَبْدَأُ أَقْطَعُ الْبِلَادَ وَنَجْوِي فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُغُودٍ



أَبُو تَمَامٍ^(٢):

وَمَا زَالَ مَنُشُورًا عَلَيَّ نَوَالُهُ وَعِنْدِي حَتَّى قَدْ بَقِيَتْ بِلَا عِنْدِ

أَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادِيَهُ عِنْدِي يَضِيقُ بِهَا عِنْدُ^(٤)



أَبُو تَمَامٍ^(٥):

يُمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهِنَّ سَوَاءٌ وَالسُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ

نَقَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ^(٦):

هُمَا إِذَا مَا قَارَقَ السَّيْفُ غَمْدَهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَذِرِ أَيُّهُمَا النَّضْلُ



أَبُو تَمَامٍ وَهُوَ كَثِيرٌ^(٧):

قَدْ تَبَدُّوا الْحَجَفَ الْمَحْبُوكَ مِنْ زُؤِدٍ وَصَيَّرُوا هَامِهِمْ بِلَ صَيَّرَتْ حَجَجًا^(٨)

أَبُو الطَّيِّبِ^(٩):

تَقِي جَبَهَاتَهُمْ مَا فِي ذُرَاهِمٍ إِذَا بِشَفَارِهَا حَمِي اللَّطَامُ^(١٠)



أَبُو تَمَامٍ^(١١):

وَلَكُمُ عَدُوٌّ قَالَ لِي مُتَمَثِّلًا وَكَمْ مِنْ وَدُودٍ لَيْسَ بِالْمُودُودِ

(٢) ديوانه ص ١١٦.

(١) ديوانه (١ : ٣٢٠).

(٣) ديوانه (١ : ٣٧٧).

(٤) رفع عند، وهي لا تستعمل إلا ظرفاً، لأنه حمل الكلام على المعنى؛ فكانه قال: يضيق بها المكان.

(٥) ديوانه ص ٤٨٠.

(٦) ديوانه (٣ : ١٨٦).

(٧) ديوانه ص ٢٠٢.

(٨) الحجف، بالفتح: جمع حجفة، ضرب من التروس؛ قيل؛ هي من الجلود خاصة. والزؤد: الفزع.

(٩) ديوانه (٤ : ٧٧).

(١٠) الذرى: العلو. والشفا: السيوف. واللطام: المصادمة بها.

(١١) ديوانه ص ٨٣.

أبو الطيب^(١):

هو الحبيبُ وَلِكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ



أبو تمام^(٢):

مَلَقَى الرَّجَاءَ وَمَلَقَى الرَّحْلَ فِي نَفْرِ الْجُودِ عِنْدَهُمْ قَوْلٌ بِلاَ عَمَلٍ

وله^(٣):

وَأَقْلُ الْأَشْيَاءِ مَخْصُولَ نَفْعٍ وَصِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضٌ

وهو كثير. قال أبو الطيب^(٤):

جُودُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

وقال في أخرى^(٥):

وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ^(٦)

وقال في أخرى^(٧):

أَرَى أَنَا سَأَ وَمَخْصُولِي عَلَى عَنَمٍ وَذَكَرَ جُودٍ وَمَخْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ^(٨)

وقد يزعم بعض مَنْ يذهب عن تمييز السَّرْقِ أَنْ الْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانَ بَهِيمَةً وَحِمَارًا. وَمِنْ قَوْلِ التَّمْرِيِّ:

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعَ هَامِلُ^(٩)

ومن قول السيد^(١٠):

قَدْ ضَيَّعَ اللَّهُ مَا جَمَعْتُ مِنْ أَدَبٍ بَيْنَ الْحَمِيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ

قال أبو الحسن: وهذا البيت يروى للمخيم الراسبي. قال: والجماعة اعْتَمَدَتْ

(١) ديوانه (١: ١٧٦).

(٢) ديوانه ص ٢٥٠.

(٣) التبيان (٢: ٤٢).

(٤) ديوانه (٢: ٤٢).

(٥) ديوانه (٣: ٢٧٧).

(٦) البيت بتمامه:

واجز الأمير الذي نعماه فاجئة بغير قول ونعمى الناس أقوال

(٧) ديوانه (٤: ٣٩).

(٨) «المحصل: مصدر بمعنى الحصول. وقوله: «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه

المقام؛ أي وأسمع ذكر جود. يقول: أرى صور أناس كالغنم لا عقل لهم، وأسمع ذكر الجود

ولكن لا أحصل منه إلا على المواعيد». (شرح الديوان لليبازجي).

(٩) الهامل: التي ترعى ولا راعي لها.

(١٠) التبيان (٤: ٤٠).

فيه على قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وهذا كما زعم الصولي أن قول البحري^(١):

عَلِيٌّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلِيٌّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ^(٢)
مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ^(٣):

لَا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَانِهِمْ نَفْرٌ فَإِنَّ جِلَّهُمْ بَلْ كَلَّهُمْ بِقَرٍ^(٤)

هذا مع اتساعه في الدعاوى، وتحققه عند نفسه بتقد الشعر، وادعائه أن أحدا لم يسبقه إلى هذا العلم، وأنه طريق لم تُسلك قبله، وباب لم يزل مستغلقاً حتى افتتحه؛ كأن لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمون البليد الغبي حماراً أو بقرة.

وإذا استبعدوا ذهن مخاطب واستخفوا فطنة منازع قالوا: هذا ثور وتيس؛ حتى شاع ذلك على أفواه العامة وألسن النساء والصبيان. وكيف يدعى في هذا السرقة! ومن جعل بعض الناس أولى به من بعض وهم فيه شرع واحداً وأي ذهن يغيب عنه ذلك حتى يفتقر إلى الاعتماد فيه على غيره والاستمداد ممن تقدم قبله! وإنما يصح في مثل هذا الأخذ إذا أضيفت إليه صنعة لفظ، أو وصل بزيادة معنى، كبيت البحري فإنه لم يرض أن يقول: القوم بقرو وبهائم؛ كما قال أبو تمام حتى قال:

عَلِيٌّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا

أي علي أن أجيد وأبدع وأتأنق في شعري، وما علي إفهام البقر؛ فهذه زيادة يصح فيها نقد وسرقة، وأما بيت أبي الطيب فليس إلا صريح التمثيل المتداول الذي عرفناك انتفاء هذه الدعوى عنه.



أبو تمام^(٥):

وَكَأَنَّ مَا نَأْفَسْتِ قَدْرَكَ حَظَّهُ وَحَسَدَتْ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسِدِ

أبو الطيب^(٦):

يُحَدِّثُ عَنْ قَلْبِهِ مُكْرَهًا كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودًا

(١) ديوانه (١: ٤٣).

(٢) رواية الديوان:

وما علي لهم أن تفهم البقر

(٣) ديوانه ص ١٥٠.

(٤) رواية الديوان:

فإن جلهم أو كلهم بقور

(٥) ديوانه ص ١١٣.

(٦) ديوانه (١: ٣٦٧).

إن كان فيه أخذٌ ففي اللفظ، ومثله قد يؤخذ؛ فأما المعنيان فمختلفان، لأن أبا تمام أراد أنك نافستَ قدرك، وحسدتَ نفسك، فطفقتَ تُناهي في شرف الفعل، وتزيد على كل غاية تصل إليها، وإن كنتَ فيها منقطعَ القرين فانت الشأو، وأبو الطيب يقول: كأن قلبك يحسدك على فضائلك فهو يكره أن يستقبل بذكرها. وهذا نوع آخر من المديح وفي غير المذهب الأول؛ لكنهما اجتمعا في حسدِ النفس والقلب.



أبو تمام^(١):

حَابَ امْرُؤٌ بِخَسِ الحَوَادِثِ سَعِيهِ^(٢) فَأَقَامَ عَنكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الأَسْعِدِ

أبو الطيب^(٣):

عَجَزُ بِحُرِّ فَاقَّةٍ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الإِلَهِ وَبَابِكَ المَفْشُوحِ^(٤)



أبو تمام^(٥):

فَأَلْمَسِي هَمْسٍ وَالتُّدَاءِ إِشَارَةً خَوْفَ انتِقَامِكَ وَالحَدِيثِ سِرَارٍ^(٦)

أبو الطيب واقتصر على ذكر المشي فقال^(٧):

قَصَّرَتْ مَخَافَتُهُ الخُطَى فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الكَمِي جَوَادَهُ مَشْكُولًا^(٨)

ونحوه له^(٩):

فَلَمْ يَسْرَخْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ^(١٠) وَلَمْ تُوقِذْ لَهُمْ بِالسَّلِيلِ نَارٌ



(١) ديوانه ص ١١٣.

(٢) رواية الديوان:

حارب امرؤ نحس الزمان لسعيه

(٣) ديوانه (١: ٢٥٤).

(٤) الفاقة؛ الفقر. ووراءه: قدامه؛ وهو من الأضداد. يقول: إن من العجز أن يقاسي الحر فاقة ولا يطلب الرزق من الله أو يقصد بابك الذي لا يحجب عنه أحد.

(٥) ديوانه ص ١٤٦. (٦) الهمس: الصوت الخفي. والسرار: السر.

(٧) ديوانه (٣: ٢٣٩).

(٨) البيت في وصف الأسد. القصر: ضد التطويل. والخطى: جمع خطوة. والكمي: لابس السلاح. والجواد: الفرس. والمشكول: المقيد بالشكال. يقول: إن خوفه تمكن من القلوب فأحجمت به قوائم الخيل؛ وقصرت خطاها، حتى كأن الشجاع ركب الفرس بشكاله.

(٩) ديوانه (٢: ١٠٩).

(١٠) المال: الإبل.

الحُصَيْنِ بِنِ الْجِمَامِ^(١) :
 فَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذَلَّةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
 تَأْبِطُ شِرًّا^(٢) :
 هُمَا خُطَطْنَا إِذَا إِسَارٌ وَذِلَّةٌ وَإِمَادَةٌ، وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ
 بشار :
 وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَدَى يَضِيْمُكَ فِيهَا صَاحِبٌ وَثِرَاقِبُهُ
 وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ وَتَصَرَّفُوا فِي أَمْثَلْتِهِ .
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٣) :
 ذَلٌّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيْشٍ رُبُّ عَيْشٍ أَخْفُفٌ مِنْهُ الْجِمَامُ
 وَلَهُ^(٤) :
 عَيْشٌ كَرِيْمًا أَوْ مُتٌ وَأَنْتَ عَزِيْزٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُوْدِ^(٥)
 وَقَدْ أَعَادَهُ فَرَادٌ وَأَحْسَنَ فَقَالَ^(٦) :
 تَعْرُ حَلَاوَاتُ النَّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهَوَّ حِمَامُ
 وَشَرُّ الْجِمَامِيْنَ الزُّوَامِيْنَ عَيْشَةً يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ
 وَنَحْوَهُ لَهُ^(٧) :
 وَأَمْرٌ مِمَّا فَرِمْتُهُ فِرَاؤُهُ وَكَمَقْتَلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيْلًا
 وَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ - وَقَدْ قَدَمْنَاهُ^(٨) :
 أَلْفُوا الْمَنَائِيَا فَالْقَتِيْلُ لَدَيْهِمْ مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ وَهَوَّ قَتِيْلُ
 وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ^(٩) :
 فَاطْلُبِ الْعَزْفَ فِي لَطْفِي وَذَرِ الذِّ لَ وَلَوْ كَانَتْ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ : النَّارُ وَلَا الْعَارُ .

(١) ديوان الحماسة (١ : ٣٦٤) .

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ٣٣٠ ، وروايته هناك :

هما خططنا إما إيسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر
 ورواه في مهذب الأغاني ١ : ٢٢٠ :

لكم خصلة إما إيسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر

(٣) ديوانه (٤ : ٩٣) .

(٤) ديوانه (١ : ٣٢١) .

(٥) البنود : الأعلام الكبار .

(٦) ديوانه (٣ : ٢٤٣) .

(٧) ديوانه (٣ : ٢٤٣) .

(٨) ديوانه ص ٣٧٧ .

(٩) ديوانه (١ : ٣٢٢) .

ومثل الأول قوله^(١) :

لَقِيْتُ الْقَتَا عَنَّهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبِ



الأهثم بن سنان :

وَمَا كُلُّ مَنْ يَغْشَى الْقِتَالَ بِمَيِّتٍ وَلَا كُلُّ مَنْ يَرْجُو الْإِيَابَ بِسَالِمٍ

زياد الأعجم^(٢) :

مَاتَ الْمَغِيرَةُ^(٣) بَعْدَ طَوْلٍ تَعَرَّضَ وَالْقَتْلُ لَيْسَ إِلَى الْقِتَالِ وَلَا أَرَى

لِلْقَتْلِ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَصَفَائِحَ سَبَبًا يُؤَخِّرُ لِلشَّفِيقِ النَّاصِحَ

أبو الطيب^(٤) :

وَقَدْ يَشْرِكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ

وله^(٥) :

يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَغْدُ حِزُّ عَن قَطْعِ بُخُنُقِ^(٦) الْمَوْلُودِ

وَيُوقَى النَّفْسَ الْمِخْشُ وَقَدْ حَوَّضَ فِي مَاءِ لَبَّةِ الصُّنْدِيدِ^(٧)



بعض العرب^(٨) :

إِنِّي لِأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأَمِيْتُ السُّرَّ كِثْمَانَا

عمران بن حطان^(٩) :

وَكُنْتُ أَجْنُ السُّرِّ حَتَّى أَمِيَّتَهُ وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعُ

أبو الطيب^(١٠) :

وَسِرُّكُمْ فِي الْحَشَامِيَّتِ إِذَا أُنْشِرَ السُّرُّ لَا يُنْشَرُ



(١) ديوانه ص ١٨٥ .

(٢) ذيل الأمالي ص ٩ ، وفيات الأعيان (٢ : ١٤٧) .

(٣) هو المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة ، والبيتان من قصيدة طويلة في رثائه .

(٤) ديوانه (١ : ١٨٥) . (٥) ديوانه (١ : ٣٢٢) .

(٦) البخنق : ما يجعل على رأس الصبي .

(٧) المخش : الرجل الجريء . وخوض : بالغ في الخوض . واللبة : أعلى الصدر ؛ والمراد بمائها دمه . والصنديد : السيد الشجاع .

(٨) التبيان (٢ : ٩٢) . (٩) التبيان (٢ : ٩٢) .

(١٠) ديوانه (٢ : ٩٢) .

الأعور الشنّي - وهو كثير^(١) :

إِذَا صَبَحْتَنِي مِنْ أَنْاسٍ تَعَالَبُ لَأَدْفَعُ مَا قَالُوا مِنْحَتُهُمْ حَقْرًا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :

وَيَحْتَقِرُ الْحُسَادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ
وَلَهُ^(٣) :

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا
المصراع الثاني هو المعنى الأول، وقد كثر حتى خرج عن باب السُّرق.



زياد الأعجم^(٤) :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوَّةَ ضُمَّنَا قَبْرًا بَمَزْوٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥) :

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالثَّقَى وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجَابُ وَالْخَيْرُ



المؤرج التُّغْلِي.

يَغْتَابُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَّاقَيْنَا أَفْشَعْرًا
يُبْدِي كَلَامًا لَيْنًا عِنْدِي وَيُخْفِي مُسْتَسِيرًا

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ^(٦) :

وَيُخَيِّبُنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَّغُ
وَلَأَبِي الطَّيِّبِ^(٧) :

مُحَسَّدُ الْفُضْلِ مَكْدُوبٌ عَلَى أَثْرِي^(٨)



الْحُرَيْمِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ وَهَذَا مِنْ أَمْلَحِهِ^(٩) :

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرُ

- | | |
|------------------------|---|
| (١) التبيان (١ : ٣٨٠). | (٢) ديوانه (١ : ٣٨٠). |
| (٣) ديوانه (٤ : ٢٥٣). | (٤) ذيل الأمالي ص ٩، وفيات الأعيان (٢ : ١٤٧). |
| (٥) ديوانه (٢ : ١٣٠). | (٦) المفضليات : (١ : ١٩٦). |
| (٧) ديوانه (٤٠ : ٢٢٣). | |
| (٨) صدر بيت عجزه : | ألقى الكمي ويلقاني إذا حانا |
| (٩) التبيان (٤ : ٦٥). | |

تَسَاءَلَهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ فِي الْعَالَمِ مَشْهُورٌ كَثِيرٌ
 قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ - وَأَحْسَنُ وَتَنَاهَى فِي الْإِحْسَانِ (١):
 تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اغْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا



ذُو الْإِضْبَعِ الْعَدَوَانِي - وَهُوَ كَثِيرٌ (٢):
 أَطَافَ بِنَا رَبِّبِ الزَّمَانِ فِدَاسِنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرٌ
 الْبَحْتَرِي (٣):
 أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَابِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ السُّوَابِلِ وَالْفُضُولِ
 أَبُو الطَّيِّبِ (٤):

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ (٥)

ومثل هذا قوله (٦):

أَعْيَدُكُمْ مِنْ ضُرُوفِ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُتَّهَمٌ
 وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ (٧):
 إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيُسَلِّمُ النَّاسَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ (٨)
 فَأَلْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنْ أَطِيبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمُرُ الْأَجِينِ الْأَسِينِ (٩)
 وَهُوَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «أَعْظَمُ النَّاسِ بَلَاءُ الْأَمْثَلِ فَالْأَمْثَلُ».



مُزَاحِمُ الْعَقِيلِي (١٠):
 وَجِوَةٌ لَوْ أَنَّ الْمُذَلَّجِينَ اعْتَشَرُوا بِهَا قَطَعْنَ (١١) الدَّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي
 أَشْجَعُ (١٢):
 مَلِكٌ بِئُورِ جَبِينِهِ يَسْرِي وَيَخْرُ اللَّيْلَ طَامِ

(١) ديوانه (٤ : ٦٥).

(٢) التبيان (٤ : ٦٥).

(٣) ديوانه (٢ : ١٦١).

(٤) ديوانه (٤ : ١٩٩).

(٥) صدر بيت؛ بقيته:

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٦) ديوانه (٤ : ٦٩).

(٨) ينتحل: ينسب نفسه، والعطن: مبرك الإبل حول الحوض.

(٩) الأجن والأسن: المتغير.

(١٠) التبيان (٢ : ٣٤٤).

(١١) رواية العكبري: «صدعن».

(١٢) التبيان (٢ : ٣٤٤).

أبو الطيب^(١):

فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورٌ وَجْهَكَ جُتِّحُهُ وَلَا جَابَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الأَيَانُ^(٢)



المرار بن سعيد، وقد وصف فلاةً ودليلها، وهو كثير عن العرب. وهذا من مליح ما جاء فيه:

يَسْرِي الدَّلِيلُ بِهَا خَيْفَةً وَمَا بِكَآبَتَهُ مِنْ خَفَاءِ
إِذَا هُوَ أَنْكَرَ أَسْمَاءَهَا وَعَيٌّ وَحُقٌّ لَهُ بِالعِيَاءِ
لَهُ نَظْرَتَانِ فَمَرْفُوعَةٌ وَأُخْرَى تَأْمَلُ مَا فِي السُّقَاءِ
وَالثَّلَاثَةُ بَعْدَ طُولِ الصَّمَاتِ إِلَيَّ وَفِي حَلْقِهِ كَالْبُكَاءِ
هُذْبَةٌ^(٣):

يَطْلُ بِهَا الهَادِي يَقْلِبُ طَرْفَهُ مِنْ الهَوْلِ يَدْعُو وَيُلْهُهُ وَهُوَ خَائِفٌ
آخِر^(٤):

إِذَا اجْتَاَزَهَا الخَرِيْتُ قَالَ لِنَفْسِهِ أَتَاكَ بِرَجْلِي حَائِنٌ كُلُّ حَائِنٍ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٥):

يَتَلَوْنَ الخَرِيْتُ مِنْ خَوْفِ الثَّوَى فِيهَا كَمَا تَتَلَوْنَ الحِرْبَاءُ^(٦)
وَمَلِحَ فِي قَوْلِهِ^(٧):

كَمْ مَهْمَةٍ قُدْفِ قَلْبِ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ المُحِبِّ قَضَائِي بَعْدَمَا مَطَّلَا
وَمِنْ هَذَا المعنى قول دُعِيل:

إِذَا أَقْجَمَ الرُّكْبَانُ فِيهَا تَبَتَّلُوا فمستغفر من ذنبه ومُسَبِّحُ



عبد الرحمن بن ذارة وهو كثير عن العرب^(٨):

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَقْتُلُوا بِأَخِيكُمْ فَكُونُوا بَعَايَا لِلخَلْقِ وَلِلكحل

(١) ديوانه (٢: ٣٤٤).

(٢) جنح الليل: طائفة منه. وجاب: قطع. والأيانق: جمع ناقة. يقول: لولا نور وجهك لما زال جنح الظلام، ولا قطعنا الأرض البعيدة لولا الأيانق.

(٣) التبيان (١: ١٧). (٤) التبيان (١: ١٧)، ونسبه إلى الطرماح.

(٥) ديوانه (١: ١٧).

(٦) الخريت: الدليل. والثوى: الهلاك. والحرباء: دابة تدور مع الشمس كيفما دارت.

(٧) ديوانه (٣: ١٧٠). (٨) الأغاني (٢١: ٥٦، طبعة الساسي).

وبيعوا الرَّدِينِيَّاتِ بِالْحُلِيِّ واقعدوا
أبو الطَّيِّبِ^(١) :
عَلَى الذَّلِّ وَابْتَاعُوا الْمَغَازِلَ بِالتَّبْلِ
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ
فَلَا تَسْتَعِدِّنْ الحُسَّامَ اليَمَانِيَا
وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ العِتَاقَ المَذَاكِيَا^(٢)



أبو تمام^(٣) :
كَمْ نِعْمَةٌ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ
آخر^(٤) :
فَكَأَنَّهَا فِي عُزْبَةٍ وَإِسَارِ
لَا يَلِيقُ العِنَى بِوَجْهِ أَبِي يَغْ
أبو الطَّيِّبِ^(٥) :
قَدْرُ قُبْحِ الكَرِيمِ فِي الإِنْفَاقِ
وَالعِنَى فِي يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ



أبو جُوَيْرِيَةَ العَبْدِيِّ :
وبدأة مجدي لم تكن فافترغتها
البحثري^(٦) :
إلى كل أفق تحتويها القصائد
وغرائب في المجد^(٧) تعلم آتها
وهو من قول أبي تمام^(٨) :
من شاعرٍ أو عالمٍ أو كاتبٍ
وأرى سماحك يا بن وهب شاعراً
أبو الطَّيِّبِ^(٩) :
شَاعِرُ المَجْدِ خِذْنُهُ شَاعِرُ اللُّفِّ
ومثل هذا المعنى بعينه قول أبي تمام^(١٠) :
عَرَبْتُ خَلَائِقَهُ وَأَعْرَبَ شَاعِرٌ
فيه فأحسن مُعْرَبٌ فِي مُعْرَبٍ^(١١)

(١) ديوانه (٤ : ٢٨٢).

(٢) العتاق الأفراس الكريمة؛ والمذاكي: الخيل التي قد تمت أسنانها.

(٣) التبيان (٢ : ٣٧٠).

(٤) التبيان (٢ : ٣٧٠)، ونسبه للخطابي.

(٥) ديوانه (٢ : ٣٧٠).

(٦) ديوانه (١ : ٦٧).

(٧) في ديوانه: «في الجود».

(٨) لم نجد هذا البيت في ديوان أبي تمام الذي بين أيدينا.

(٩) ديوانه (٢ : ٣٧١).

(١٠) ديوانه ص ١٥.

(١١) يقول: إن طبائعه غريبة عن طبائع الناس؛ فهي أرفع منها. وأغرب: أتى بالغريب الذي يتعالى عن غيره من الشعراء.

وقد كرره أبو الطيب وخالف بين أمثله فقال^(١) :
 تَرَفَّعَ عَن عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرَهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(٢)
 وقال^(٣) :
 يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ عَسْرَائِبَهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ يُخْلُقُ النَّسْمَ^(٤)
 فزاد في البيتين معاً وقال^(٥) :
 يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ



بعض المحدثين^(٦) :
 شَخَّصَ الْأَنْثَامُ إِلَى جَمَالِكَ فَاسْتَعِدَّ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بَعِيْبٍ وَاحِدٍ
 مثله^(٧) :
 قَدْ قَلْتُ حِينَ تَكَامَلْتُ وَعَدْتُ مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى
 أَبُو الطَّيْبِ^(٨) :
 كَأَنَّ الرَّذَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جِدَّ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بَعِيْبٍ
 ومثله^(٩) :
 فَقَلَّ لَهُ^(١٠) نَسْتُ خَيْرٍ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوِّذْتُ بِكَ الْكِرْمَا
 خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ تُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُعَانِ عَمَى



ذو الرّمة^(١١) :
 رَجِيْعَةٌ^(١٢) أَسْفَارٍ كَأَنَّ زَمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى يُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرِقٌ

- (١) ديوانه (٤ : ٢٨٨).
 (٢) العون: جمع عون؛ وهي خلاف البكر. والعذارى: جمع عذراء؛ وهي البكر التي لم يمسهها بعل. يقول: إن قدره جليل فلا يفعل شيئاً إلا ابتكاراً.
 (٣) ديوانه (٤ : ٦٣).
 (٤) النسّم: جمع نسمة؛ وهي الروح.
 (٥) ديوانه (٢ : ٢٣١).
 (٦) التبيان (١ : ٥٢).
 (٧) التبيان (١ : ٥٢)، وذكر الثعالبي البيت الثاني في فقه اللغة ص ٧، ونسبه إلى كشاجم.
 (٨) ديوانه (١ : ٥٢).
 (٩) ديوانه (٤ : ١٦٥).
 (١٠) التضمير في له يرجع إلى البيت قبله:
 فليسرنا الورد إن شكايده أحسن منه من جوده سلما
 (١١) لسان العرب مادة - رجع.
 (١٢) الرجيع من الدواب: ما رجعت من سفر إلى سفر؛ وهو الكأل، والأثنى رجيعه.

أبو الطيب^(١) :

تُجَادِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَقَاعِيَا^(٢)
وفي هذا البيت معنى يُخرجه عن اتباع البيت الأول، لأن ذا الرُمة لم يَزِدْ على
التشبيه وليس هو الذي قصده أبو الطيب، وإن كان قد جرى في غرض بيته، وإنما أراد
أنها لا تترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها، لما يزعجها من سَوْرَةِ المَرَحِ، وحسن البقية
بعد طول السرى؛ فكأنما الأعنة أفاعي تلدغ أعناقها إذا باشرتها، فيجاذبها الفارس فرسه
وهي تجاذبه إياها. وهذا غرض آخر ومقصد لم يتعرض له ذو الرُمة.



بكر بن النطّاح^(٣) :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الكَرِّ فِي حَوْمَةِ الوَعَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
أبو الطيب^(٤) :

فَكَأَنَّهُ وَالطَّغْنُ مِنْ قُدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَمَنَا



بكر [ابن النطّاح]^(٥) :

كَأَنَّ المَنَايَا لَيْسَ يَجْرِيْنَ فِي الوَعَى إِذَا انْتَقَتِ الأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
أبو الطيب^(٦) :

تَغْدُو المَنَايَا فَمَا تَنْفُكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُوْدِي فَتَنْدَفِعُ



أبو نواس^(٧) :

وَقَدْ غَلَبَتْهَا عِبْرَةٌ فدمُوعُهَا عَلَى خَدَّهَا حُمْرٌ وَفِي نَحْرِهَا صُفْرٌ
أبو الطيب^(٨) :

تَبْلُ الشَّرَى سُوداً مِنَ المِسْكِ وَخَدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعْرِ الجَثَلِ^(٩)



(١) ديوانه (٤ : ٢٨٦).

(٢) فرسان الصباح: فرسان الغارة التي تغير عند الصباح؛ لأن الغارة عادة تكون في ذلك الوقت.
والأفاعي: جمع أفعى؛ وهو الذكر من الحيات.

(٣) التبيان (٤ : ١٩٩).

(٤) ديوانه (٤ : ١٩٩).

(٥) التبيان (١ : ٢٧٣).

(٦) ديوانه ص ٢٢٩.

(٧) التبيان (٣ : ٤٤).

(٨) ديوانه (٣ : ٤٤).

(٩) الجثل: الشعر الكثير الملتف.

أبو تمام^(١) :

فَعَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقِ وَغَرَّبَ حَتَّى قَدْ نَسِيَتِ الْمَعَارِبَا
أبو الطيب^(٢) :

فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلغَرْبِ مَغْرِبٌ



البحري^(٣) :

لَمَّا أَتَاكَ يَقْوُدُ جَنِيشاً أُرْعِنَا يَمْشِي عَلَيْهِ كَثَافَةٌ وَجُمُوعَا
فنقله أبو الطيب إلى كثافة الرهيج^(٤) فقال^(٥) :

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرَا لَوْ تَبَتَّغِي عَنقاً عَلَيْهِ لَأَمَكْنَا^(٦)
وقال ابن الرومي مثل هذا^(٧) :

فَلَوْ حَصَبْتَهُمْ بِالْفَضَاءِ سَحَابَةٌ لَظَلَّ عَلَيْهِمْ حَضْبُهَا يَتَدَخَّرُجُ
وتبعه أبو الطيب فقال^(٨) :

يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الأَسْلُ^(٩)



مسلم^(١٠) :

فِي عَسْكَرِ تَشْرِقِ الأَرْضِ الفَضَاءِ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ القُضْبَانُ والأَسْلُ
أبو الطيب^(١١) :

وَكأَنَّما كُسِّيَ النِّهَارُ بِهِ دُجَى لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرُّمَاحُ كَوَاكِبَا
وقد نقله إلى مثال آخر فقال^(١٢) :

يَزُورُ الأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتْهُ فِي جَانِبَيْهَا الكَوَاكِبُ
وقد ذكرنا أصله فيما تقدم .

(١) ديوانه ص ١٧ .

(٢) ديوانه (٢ : ٨٥) .

(٣) ديوانه (٤ : ٢٠٤) .

(٤) السنابك : جمع سبك ؛ وهو طرف مقدم الحافر ، والعثير : الغبار . والعنق : ضرب من السير شديد .

(٥) ديوانه ص ٢٨٨ ، ورواه في التبيان (٣ : ٢١٥) :

فَلَوْ حَصَبْتَهُمْ بِالْفَضَاءِ سَحَابَةٌ لَظَلَّتْ عَلَى هَامَاتِهِمْ تَتَدَخَّرُجُ
(٨) ديوانه (٣ : ٢١٥) .

(٩) الأسل : رماح تصنع من شجر الأسل .

(١٠) ديوانه ص ٧١ .

(١١) ديوانه (١ : ١٢٨) .

(١٢) ديوانه (١ : ١٠٧) .

الحصين بن الحمام^(١) :

يَطَّأَنَّ مِنَ الْقَتْلَى وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِينِ إِلَّا تَجَشُّمًا^(٢)
أبو الطيب^(٣) :

يَطَّأَنَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَهُ وَمِنْ قِصْدِ الْمُرَّانِ مَا لَا يُقْوَمُ^(٤)
وقد أخذ الشعراء هذا المعنى فتداولوه، ومنه قول أبي تمام:

خَوَافِرُهَا مَخْضُوبَةٌ بِدِمَائِهِ وَمِنْ غُنْمِهَا تِيَجَاثُهُ وَخَلَاحِلُهُ
ونحو هذا البيت قول أبي الطيب^(٥) :

أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغِ ثِيَابُهُ وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغِ مَلَاغِمُهُ^(٦)
وكرر المعنى فقال^(٧) :

عَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَعَانِيَا
ثم أعاد وزاد وأحسن فقال^(٨) :

حَتَّى انْتَهَى الْفَرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَعَتْ فِي الْأَرْضِ مِنْ جَيْفِ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ



البحثري^(٩) :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتْ لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاجِدِ
أبو الطيب^(١٠) :

لَمَّا وَرَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ



البحثري^(١١) :

وَأَنْ مَقَامِي حَيْثُ خَيَّمْتُ مِخْنَةً تُخَبِّرُ عَنْ فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ^(١٢)

(١) المفضليات (١ : ٦٤).

(٢) قصد القنا: القطع المتكسرة من الرماح. والخبار: الأرض اللينة، والتجشم: حمل النفس على المشقة وما تكره.

(٣) ديوانه (٣ : ٣٥٣).

(٤) المران: الرماح.

(٥) ديوانه (٣ : ١٣٧).

(٦) الملاغم ما حول الفم. يقول: إن أجلة خيله ثياب من طغى عليه وخالفه، وموطئها من كل من بغي عليه وجهه.

(٧) ديوانه (٤ : ٢٩٣).

(٨) ديوانه (١ : ١٢١).

(٩) ديوانه (١ : ٣٥٠)، وروايته هناك:

لَمَّا وَرَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا رَجَحْتَ بِهَا

(١٢) في ديوانه: «الأماجد».

(١١) ديوانه (١ : ١٣٦).

أبو الطيب^(١) :

أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهْ لَهُ السُّ أَقْدَارَ وَالْمَرْءِ حَيْثُمَا جَعَلَهُ



البحثري وهو كثير^(٢) :

صَحَا وَاهْتَزَّ لِلْمَغْرُو فِي حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

أبو الطيب^(٣) :

وَجَادَ قَلُولًا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٍ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَزَمِ



عُمَيْرُ بْنُ جُعَيْلٍ :

يُثِيرَانِ مِنْ نَسِجِ التَّرَابِ قَمِيءِ صَيْنِ أَشْمَالًا وَيَزْتَدِيانِ

عدي بن الرقاع^(٤) :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْعُغْبَارِ مُلَاءَةً هَذَبَاءَ سَابِغَةً هُمَا نَسَجَاهَا

أبو الطيب^(٥) :

خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّفْ عَ عَلَيْهَا بَرِاقِعًا وَجِلَالًا^(٦)



البحثري في السيف :

مُضْغٌ إِلَى حَكْمِ الرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَغْدِلْ

أبو الطيب ومثله كثير^(٧) :

لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهَنْ يَجُزْنَ فِي الْأَحْكَامِ



أعشى باهلة^(٨) :

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَاهَ وَمُضْبِحَهُ مِنْ كَلِّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ

خُزْرُ بْنُ لُوذَانَ :

وَدَعَوْتُ جَيْشًا بِالشُّغُورِ مَحْلَهُمْ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ

(١) ديوانه (٣ : ٢٦٨) .

(٢) ديوانه (٢ : ٢٧٣) .

(٣) ديوانه (٤ : ٥٦) .

(٤) التبيان (٣ : ١٣٥) .

(٥) ديوانه (٣ : ١٣٥) .

(٦) الجلال : جمع جل ؛ وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج .

(٧) ديوانه (٤ : ١٢) .

(٨) الكامل للمبرد (٨ : ١١٢) .

ومثله قول الفرزدق:

لقوا مثلهم فاستهزموه بدعوة دَعَوْهَا وكيعاً والجيادُ بهم تجري
يقول: إذا انتموا فَرِقَ القوم منهم فأنهزموا.

وقد أكثر الناس في الرَّعب، وتصرفوا. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالرعب».

قال أشجع:

كَأَنَّ عَلَيْهَا مِنْ مَخَافَةِ جَعْفَرٍ كَتَائِبُهُ مِبْشُوثَةٌ وَجَحَافِلُهُ
العكوك:

عَدَا مَجْتَمِعِ الْعِزْمِ لَهُ جُنْدٌ مِنَ الرُّعْبِ
أبو تمام^(١):

إِلَّا تَكُنْ حُصِرْتَ فَقَدْ أَضْحَى لَهَا مِنْ خَوْفِ قَارِعَةٍ^(٢) الْحِصَارِ حِصَارُ
وله^(٣):

لَوْلَمْ يُزَاجِفْهُمْ لَزَاحَفَهُمْ لَهُ مَا فِي صَدْرِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ
أبو الطيب^(٤):

إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسْرَتْ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهُلُوعَا
وله^(٥):

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِي فَكَأَنَّ الْقِتَالَ قَبْلَ التَّلَاقِ
وله^(٦):

قَدْ نَابَ عَنكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهَمُ^(٧)
وله^(٨):

أَبْصُرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرَّمَاخَ خَيَالًا^(٩)
وله^(١٠):

فَهُمْ لِاتَّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْمِ نِزَالِ وَلَيْسَ يَوْمُ نِزَالِ^(١١)
وله^(١٢):

صِيَامٌ^(١٣) بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو

(١) ديوانه ص ١٤٥.

(٢) القارعة: الداهية.

(٣) ديوانه ص ٢٦.

(٤) ديوانه (٢: ٢٥٧).

(٥) ديوانه (٢: ٣٦٦).

(٦) ديوانه (٣: ٣٦٥).

(٧) البهم: جمع بهمة وهو البطل.

(٨) ديوانه (٣: ١٤١).

(٩) الدراك: التابع.

(١٠) ديوانه (٣: ١٩٨).

(١١) النزال: المحاربة.

(١٢) ديوانه (٢: ٧).

(١٣) يقال: صام الفرس إذا قام.

وله^(١):

تُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالَهُ بِأَقَاصِي الْبَرِّ إِهْمَالُ



عمرو بن الأهتم:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخَيِّبِكَ إِلَّا تَكَرَّهَا وَأَصْلُهُ قَوْلُ زَهِيرٍ^(٢):

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَأَبُو الطَّيِّبِ^(٣):

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى وَأَبُو تَمَامٍ:

مَفَارِزُهُ صَدْرٌ لَوْ تَطَرَّقَ لَمْ يَكُنْ وَلَهُ^(٤):

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ وَالْبَحْتَرِيُّ^(٥):

كَرِيمٌ إِذَا ضَاقَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ وَلَهُ:

لَيْسَ الَّذِي ضَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهَا الدُّهُنَاءُ وَأَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

شَيْمٌ اللَّيَالِي أَنْ تُشْكُكَ نَاقَتِي وَلَهُ^(٧):

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ وَلَهُ - وَقَدْ أَسَاءَ^(٩):

وَأَنْتَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ^(١٠) فَيَكْمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ

(١) ديوانه (٣: ٢٨٠).

(٢) ديوانه (٤: ٢٨٤).

(٣) ديوانه (١: ٥٣)، وروايته هناك:

(٤) ديوانه (١: ١٦).

(٥) يقول: صدره واسع كأنه لسعته فوق سعة الدنيا.

(٦) ديوانه (٢: ٢٤٧).

(٧) ديوانه (٢: ١٢٠).

(٨) (١٠) وصدرك: مرفوع على الاستئناف؛ أي صدرك في الثوب وفي جسدك مع أنه أوسع من =

وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا وبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَّتْ كَيْفَ تَزْجِعُ^(١)



أبو تمام^(٢):

لَمَا نَطَقْتُ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِي حَقٌّ فَلَمْ أَشْمُ وَلَمْ أَنْحَوِّبِ^(٣)
ولو امتدحتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى تَضِيقُ عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ
أبو الطيب^(٤):

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحَكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ^(٥)



أبو تمام^(٦):

وَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا لَشُعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا
أبو الطيب^(٧):

إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلًّا وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلِّ



مطرز بن سبيع^(٨):

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوَثْرِهِمْ وَلَا فَاتْنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتْرُ
الطَّرْمَاحِ^(٩):

إِن نَأْخِذَ النَّاسَ لَا تُذْرِكُ أَحْيِدُنُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَعَدَى الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ
وهو كثير في شعر العرب؛ نقله أبو الطيب إلى الدهر فقال^(١٠):

تُفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَحَذَّتْهُ وَهَنَّ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ عَوَارِمُ^(١١)



= وجه الأرض . قال العكبري : ومثله قول ابن الرومي :

كضمير الفؤاد يتهم الدن يا وتحويه دفئا حيزوم
وقول ابن المعتصم :

يا واسع المعروف على وسع الشرى في الأرض صدرك وهو منها أوسع

(١) يقول : قلبك قد أحاطت به الدنيا ، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لصلت فيه .

(٢) ديوانه ص ١٥ . (٣) لم أنحوب : لم أتجنب الذنب .

(٤) ديوانه (١ : ٢٠٠) . (٥) الكذاب : الكذب ؛ وهو مصدر .

(٦) ديوانه ص ٧١ . (٧) ديوانه (٣ : ٤٠) .

(٨) التبيان (٣ : ٣٨٢) . (٩) التبيان (٣ : ٣٨٢) .

(١٠) ديوانه (٣ : ٣٨٢) . (١١) تفيت : تفعل من الفت . والغوارم : جمع غارمة .

أبو تمام^(١):
 قَفَا سِنْدِبَايَا وَالْمَنَايَا مُشِيحَةً تُهْدَى إِلَى رُوحِ الْكَمِيِّ فَتَهْتَدِي^(٢)
 أبو الطيب^(٣):
 هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجَبِوشِ كَأَنَّهَا تَخَيَّرُ أَزْوَاجَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي^(٤)
 وهذا المعنى هو الذي سبقت إليه العرب، فقال عبد يغوث بن صلاءة^(٥):
 وَلَكِنِّي أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ^(٦) وَكَانَ الرِّمَاحُ يَخْتَطِفُنَ الْمُحَامِيَا
 فقالت امرأة من العرب:
 وَقَالُوا مَا جَدًّا مِنْكُمْ قَتَلْنَا كَذَاكَ الرِّمَحُ يَكْفِفُ بِالْكَرِيمِ



أشجع:
 فَمَا وَجْهَ يَخْيِي وَحَدَّهَ غَابَ عَنْهُمْ وَلَكِنَّ يَخْيِي غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعَا
 أبو الطيب^(٧):
 غَابَ الْأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنِ بَلَدِ كَادَتْ لِقَمْدِ اسْمِهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ
 فأما بكاء المنابر فمن قوله:
 بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَاةٍ شَجْوَهَا فَالْيَوْمَ مِنْ قَيْسٍ تَضِجُ وَتَجْزَعُ
 وقد قال موسى شهوات^(٨):
 بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْمَنَابِرَ فَقَدْ فَارِسَهْتُهُ
 ونحوه قول أبي الطيب^(٩):
 وَأَصْبَحَ مِضْرًا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمَ بَكِي



أشجع^(١٠):
 شَدَّ الْخِطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يُخْطَمِ

- (١) ديوانه ص ١٠١، التبيان (٢: ٣٠٩). (٢) قفا: تتبع. ومشيحة: مجدة.
 (٣) ديوانه (٢: ٣٠٩). (٤) الكمأة: جمع كمي، والأملاك: جمع ملك.
 (٥) خزانة الأدب (١: ٣٧٤)، أيام العرب ص ١٣٠.
 (٦) الذمار: ما يجب على الرجل حفظه.
 (٧) ديوانه (٢: ١١٨).
 (٨) التبيان (٢: ١٨٨).
 (٩) ديوانه (٣: ٣٨٢).
 (١٠) مهذب الأغاني (٨: ٢٢٣).

أبو الطيب^(١) :

وقد عاينوه في سواهم ورُبَمَا
أرى مارِقاً^(٢) في الحَرْبِ مَضْرَعٌ مَارِقٌ
ونحوه له^(٣) :

فَهُمْ حِرْزٌ^(٤) عَلَى الْخَابُورِ صَرَعَى
بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمْ حُمَارٌ
ونحوه له^(٥) :

تَلَفَ الَّذِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خُلَّةً
وَعَظَّ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا



أشجع :

وَتَنَالُ مِنْكَ بِحَدِّ مُفْلَتِهَا
مَا لَا يُتَالُ بِحَدِّ النَّصْلِ
وهو كثير مشهور :

أبو الطيب^(٦) :

تَفَذَّتْ عَلَيَّ السَّابِرِيُّ وَرُبَمَا
تَثُدُّ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ^(٧)



أشجع^(٨) :

يَسْبِقُ الرَّغْدَ بِالنُّوَالِ كَمَا يَسُ
بِقُ بَزْقِ الْغُيُوثِ صَوْبُ الْعَمَامِ
أبو الطيب^(٩) :

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفَهُ دُونَ وَعْدِهِ
فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازٌ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ
ونحوه له^(١٠) :

لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعْدِ
وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعْدِ
ونحوه له^(١١) :

وَاجِرِ الْأَمِيرِ الَّذِي نُعِمَاهُ فَاجِئَةٌ
بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
وقد سبقه إلى هذا اللفظ يزيد المهلبي في قوله^(١٢) :

(١) ديوانه (٢ : ٢٣٠) .

(٣) ديوانه (٢ : ١٠٩) .

(٤) الحزق : الجماعات .

(٥) ديوانه (٣ : ٢٤٣) .

(٦) ديوانه (١ : ١٥) .

(٧) السابري : الدرع العظيم التي لا ينفذها شيء . والصعدة : القناة . يقول : إن عينك نفذت إلى قلبي فجرحتة ؛ وربما كان الرمح يندق دون الوصول إليه .

(٨) التبيان (٣ : ١٨٨) .

(٩) ديوانه (٣ : ١٨٨) .

(١٠) ديوانه (١ : ٣٤٣) .

(١١) التبيان (٣ : ٢٧٧) .

(١٢) التبيان (٣ : ٢٧٧) .

وَكَمْ لَكَ نَائِلًا لَمْ أَحْتَسِبْهُ كَمَا يُلْقَى مُفَاجَأَةً حَبِيبٌ



أشجع^(١):

يُعْطِي زِمَامَ الطُّورِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ
أبو تمام^(٢):

جَلِيدٌ عَلَى عَثَبِ الخُطُوبِ إِذَا عَرِثَ وَلَيْسَ عَلَى عَثَبِ الأَخْلَاءِ بِالْجَلْدِ
أبو الطيب^(٣):

إِنِّي لِأَجْبُنُ عَنْ فِرَاقِ أَحَبَّتِي وَتُحَسُّ نَفْسِي بِالحَمَامِ فَأَشْجُعُ
وَيَزِيدُنِي غَضَبَ الأَعَادِي قِسْوَةً وَيُلِمُّ بِي عَثَبُ الصِّدِيقِ فَأَجْزَعُ



الخريمي، وقد تقدمه فيه جماعة من الشعراء^(٤):

إِذَا أَنتَ لَمْ تَحْمِ القَدِيمَ بِحَادِثِ مِنَ المَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ
البحري^(٥):

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يُرَى فِي فِعَالِهِ حَسْبُهُ
أبو الطيب^(٦):

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَسِيبِ كَأَضْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي كِرَامُ المَنَاصِبِ
ومثله كثير؛ وله أمثلة؛ ومن قديم ما جاء فيه [قول] المتوكل الليثي:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتَ أَوَائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ
تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ومثل هذا قول أبي الطيب^(٧):

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلِ وَأَقْرَبُ مِنْهُمْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

أَبُوكَ أَبُّ خُرٍّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الخُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
وقول الآخر:

لَئِنْ فَخَرْتَ بِآبَاءٍ لَهُمْ شَرَفٌ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِسِ مَا وَلَدُوا

(١) التبيان (٢: ٢٦٩).

(٢) ديوانه ص ١٢٨.

(٣) ديوانه (٢: ٢٦٩).

(٤) التبيان (١: ١٥٥).

(٥) ديوانه (١: ٣٣).

(٦) ديوانه (٣: ١٥٥).

(٧) ديوانه (٤: ١٤٥).

أبو الطيب^(١) :

أَرَى الْأَجْدَادَ يَغْلِبُهَا كَثِيرٌ عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ



الخُرَيْمِي^(٢) :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُنِيهَا بَادِيَا وَيُعِيدُهَا

أبو الطيب^(٣) :

مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ : شُكْرٌ عَلَى النَّدَى وَلَهُ^(٤) :

إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالَ



علي بن جبلة - وقد جاء مثله في شعر العرب :

وَمَا يَشْفِي صُدَاعَ الرَّأْسِ مِثْلُ الصَّارِمِ الْعَضْبِ أَبُو الطَّيِّبِ^(٥) :

إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِئْسَ عَرِيقٌ سَقَاهُ أَسِنَّةَ الْأَسَلِ الطُّوَالِ



علي بن جبلة^(٦) :

بِهِ عَلِمَ الْإِعْطَاءُ كُلُّ مَبْخَلٍ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرَّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

فِيَا أَجْبَنَ الْفُرْسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِي وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفْرُقُ وَلَهُ^(٨) :

أَضْرَتْ^(٩) شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كِتَابِيهِ عَلَى الْجِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ



(١) ديوانه (٤ : ١٤٤).

(٢) التبيان (٢ : ٧).

(٣) ديوانه (٢ : ٧).

(٤) ديوانه (٣ : ٢٣٠).

(٥) ديوانه (٣ : ١٦).

(٦) التبيان (٣ : ٢١٥).

(٧) ديوانه (١ : ٢١٥).

(٨) ديوانه (١ : ١٧٢).

(٩) أضرت : جرأت.

علي بن جبلة^(١):

فَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَا فَتَجَزَأَتْ لَكَائَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ وَالْأَذْنَانِ
أبو الطيب - وقد زاد وأحسن^(٢):
الْجُودُ عَيْنٌ وَفِيكَ نَاطِرُهَا وَالْبَاسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاءُ



علي بن جبلة^(٣):

كَأَنَّهُمْ وَالرَّمَاخُ شَابِكَةٌ أَسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجْمُ
أبو تمام^(٤):
أَسَادُ غَيْلٍ مُخْدَرَاتٌ^(٥) مَا لَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ
وله^(٦):
أَسْدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الرَّوْعُ صَبَحَهَا أَوْ صَبَحَتْهُ وَلَكِنْ غَابُهَا الْأَسْلُ
أبو الطيب^(٧):
بَثُو الْعَقْرَنَى مَحَطَّةَ الْأَسْدِ الْ أَسْدٌ وَلَكِنْ رِمَاخُهَا الْأَجْمُ^(٨)



ابن جبلة:

وما سوّدت عَجلاً مائرُ عزميهم ولكن بهم سادت على غيرها عجل
وهذا معنى سوء يقصر بالمدح، ويغض من حسبه، ويحقر من شأن سلفه،
وإنما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يشرف بأبائه، والآباء تزداد شرفاً به، فيجعل
لكل منهم في الفخر حظاً، وفي المدح نصيباً؛ فإذا حصلت الحقائق كان النصيبان
مقسومين عليهم؛ بل كان لكل فريق منهم، لأن شرف الوالد جزء من ميراثه، ومنتقل
إلى ولده كانتقال ماله؛ فإن روعي وخرس ثبت وازداد، وإن أهمل وأضيع هلك وباد،

(١) التبيان (٤ : ٢٦٤).

(٢) التبيان (٤ : ٦٤).

(٣) التبيان (٤ : ٦٤).

(٤) ديوانه ص ٣٨١.

(٥) مخدرات: داخلات الخدر؛ وهو بيت الأسد.

(٦) التبيان (٤ : ٦٤).

(٧) ديوانه (٤ : ٦٣).

(٨) بنو العفرنى: مبتدأ خبره الأسد، والعفرنى: من صفات الأسد؛ ومعناه الشديد. ومحطة: اسم
جد الممدوح في القصيدة، وهو علي بن إبراهيم التنوخي، والأسد: نعت لمحطة باعتبار ما فيه
من معنى الشجاعة. والأجم: الغاب. يقول: إن بني محطة الذي هو أسد أسود مثله؛ ولكن
غاباتهم الرماح لا الشجر كمادة الأسود.

وكذلك شرف الولد يعمّ القبيلة، وللوالد منه القِسْم الأوفر، ولو اقتصر على قوله: «بهم سادت على غيرها عَجَل» لوجد العُذر إليه مسلماً، ولأمكن أن يقال: إن عَجلاً تسود بهم وبأفعالها أيضاً فقد تسود القبيلة، وقد يجتمع للإنسان وجوه من الشرف كلها تقدّمه وتشيّد مجده وتُسوّده، فكأنهم مفاخر عَجَل التي تسود بها؛ لكنّه وعَرّ هذه الطريقة بقوله: «وما سوّدت عَجلاً مآثر عزمهم» فجعل الرجل خارجياً بائناً، لا حظّ له في حسب آبائه وشرفهم. وإنما الجيد ما قال زهير^(١):

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فإِنَّمَا تَسَوَّرْتَهُ أَبَاءَ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وقد تجاوز هذا، فجعل الأب أولى بالشرف فقال^(٢):

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَمًا حَسَنًا نَالَا المَلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوْقَا^(٣)
هو الجوادُ فَإِن يَلْحَقُ بِشَاوِهِمَا عَلَى تَكَاليفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقًّا^(٤)
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا^(٥)
وجرى أبو الطيب على منهاج ابن جبلة فقال^(٦):

مَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي

فختم القول بأنه لا شرف له بأبائه. وهذا هَجْوٌ صريح، وقد رأيت من يعتذر به فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بأبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفي مناقب سوي الحسب. وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيبية، وإنما يُستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ. فأما قوله:

وبنفسى فخرت لا بجوددي

فهو صالح؛ لأنه لم يَنْفِ أن يكون له فيهم وبهم رتبة في الفخر، لكنه قال: أكتفي في افتخاري عليكم بنفسي فأفضلكم ولا أفتقر إلى مفاخر جدودي وأتركها وادعة موفورة؛ وقد صرح بهذا في قوله^(٧):

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَتَفَدُوا حِيلَهُ^(٨)

(١) ديوانه ص ٢٣. (٢) ديوانه ص ٣٩.

(٣) الشأو: الغاية. وأراد بالمرأين أبا هرم بن سنان وجده. والمراد بقوله: «نالوا الملوك» أنهما نالا بأفعالهما أفعال الملوك. والسوق: أوساط الناس.

(٤) يقول: هو بمنزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه؛ فإن لحق بهما وساواهما على ما يتكلف من الشدة فمثل له حق ذلك لكرمه.

(٥) المهل: التقدم. يقول: إن سبق الممدوح أبواه في الشرف فهو معذور؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراهما.

(٦) ديوانه (١: ٣٢٢). (٧) ديوانه (٣: ٢٦٧).

(٨) نفرؤه: غلبوه بالفخر. يقول: إنما يذكر الأجداد والآباء للمفاخرين من غلبوه ولم يجد حيلة، فافتخر بالآباء؛ إذ لم يجد لنفسه فضيلة يفتخر بها.

هُذْبَةُ بِنِ حَشْرَمٍ^(١) :

وَإِنِّي لِأَخْلِي لَلْفَتَاةِ فِرَاشِهَا وَأَضْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ
ومثله كثير .

أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :

يَرُدُّ يَدَا عَن ثُوبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ



أَشْجَع :

فَأُصْبِحُ فِي لَحْدٍ مِنَ الأَرْضِ مَيْتاً وَكَانَتْ بِهِ حَيّاً تَضِيْقُ الصَّحَاحُ^(٣)
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :

وَمَنْ ضَاقَتْ الأَرْضُ عَن نَفْسِهِ حَرَى^(٥) أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ



أَبُو عَيْيْنَةَ^(٦) :

تَطَيَّبْتُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسَتْ كَأَنَّ فَتِيَّتَ المِسْكِ فِي دُورِنَا هَبّاً
أَبُو الطَّيِّبِ^(٧) :

تَنَفَّسُ والعَوَاصِمُ^(٨) مِنْكَ عَشْرٌ فَيُعْرِفُ طَيْبُ ذَلِكَ فِي الهَوَاءِ



حَسَّانُ^(٩) :

إِذَا مَا نَضَيْنَا بِأَسْيَافِنَا جَعَلْنَا الجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا
وقد أكثر الناس فيه بعده . ومن مليحه قولُ الحماسي^(١٠) :

مَنَابِرُهُنَّ بِطُيُونِ الأَكْفِ فَوَ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ المُلُوكِ
وقال أبو الطَّيِّبِ^(١١) :

لَعَلِمِهَا أَنهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرُّقَابِ يُغْمَدُهَا

(١) التبيان (١ : ٢٦٨) .

(٢) الصحاح : جمع صحصح ؛ وهو ما استوى من الأرض .

(٣) ديوانه (٤ : ١٥٤) .

(٤) التبيان (١ : ٤٥) .

(٥) ديوانه (١ : ٤٥) .

(٦) العواصم : ثغور معروفة تعصم أهلها بما عليها .

(٧) ديوانه (١ : ٣٠٩) .

(٨) التبيان (١ : ١٠٩) .

(٩) التبيان (١ : ٣٠٩) .

صالح بن عبد القدوس^(١):

عُدُّوكْ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّ

مِدِيْقِي الْوَامِسِي الْأَحْمَقِي

أبو الطيب^(٢):

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ

وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ



أمية بن أبي الصلت^(٣):

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّيْتَنِي

حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا

كَفَّاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ

أبو بكر الخوارزمي^(٤):

وَإِذَا طَلَبْتِ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً

فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

وَإِذَا رَأَى مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي

حَمَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ مَلْزُومٌ

أبو الطيب^(٥):

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ

سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ



عزوة بن الورد^(٦):

أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ

وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدٌ

أَلَمْ بِهِ أَبُو الطيب فقال^(٧):

مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا

تَغْدَى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ^(٨)



خداش بن زهير^(٩):

وَلَا أَكُونُ كَمَنْ أَلْقَى رِحَالَتَهُ

عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى صَهْوَةَ الْفَرَسِ

نقله أبو الطيب فزاد وأحسن فقال:

(١) التبيان (٤ : ١٣٠).

(٢) شعراء النصرانية ص ٢٢٠.

(٣) ديوانه (١ : ١٩٨).

(٤) شعراء النصرانية ص ٨٨٧.

(٥) ديوانه (٤ : ١٠٣).

(٦) الضمير في «منافعها» للجددة المرثية، يعني أنها كانت قليلة المطعم تؤثر بطعامها على نفسها

وتجوع ليتنفع غيرها.

(٧) التبيان (١ : ٩٨).

مَنْ رَكِبَ الشُّورَ بَعْدَ الْجَوَا إِذْ أَنْكَرَ أَظْلَافُهُ وَالْعَبَبُ^(١)



بعضهم:

وَرُخْتُ لَا تَحْمِلُنِي أَعْوَادَ سَرْجِي مُسْرَجَا
أبو الطيب^(٢):

فُحُّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ مِنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعِزِّ أَوْ طَرَبًا^(٣)



علي بن جبلة:

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدِيَا عَطِيَّةً كَافَاتَ مَدْجِي وَلَمْ تَرْنِي
مَا شِمْتُ بَرَقَكَ حَتَّى نَلْتُ رَيْفَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تَبَادِرُنِي

وهذا من جیده وجید شعر المحدثين، وهو واقع في كل اختيار عرض له أبو الطيب، فقال - وهو معنى متداول^(٤):

تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَأَلْقَى كَيْسَهُ^(٥) قَبْلَ الْوَسَادِ



أبو تمام^(٦):

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَنَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهُنَّ مَدَامِعُ^(٧)
محمد بن أبي رزعة^(٨):

كَأَنَّ صَبِيْنِ بَاتَا طَوَّلَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْمُقْلَا
أبو الطيب^(٩):

وَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَّتْ بِهَا تَبْكِي بَعَيْنِي عُرْوَةَ بِنِ حِزَامِ^(١٠)



(١) الغيب: ما تدلى تحت حنك الثور. قال الخطيب: ذكر الركوب هنا فيه جفاء، ولا تخاطب الملوک بمثل هذا.

(٢) ديوانه (١: ١٢١).

(٣) الفح: الخالص من كل شيء. نعت لأشعث في البيت قبله:

بكل أشعث يلقي الموت مبتسماً حتى كان له في قتله أربا

(٤) ديوانه (١: ٢٥٨). (٥) في الديوان «ماله».

(٦) ديوانه ص ٢٨٧. (٧) الغر: البيض. وترقأ: تجف.

(٨) الثيبان (٤: ٧). (٩) ديوانه (٤: ٧).

(١٠) عروة بن حزام: أحد عشاق العرب المشهورين.

أشجع^(١) :

إِنَّ خُرَاسَانَ وَإِنْ أَضْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَيْمَةِ الشَّائِنَا
لَمْ يَحْبُ هَارُونَ بِهَا جَعْفَرًا لَكِنَّهُ حَابِي خُرَاسَانَا
غيره :

وَاللَّهِ مَا فَجَعُوكَ بِالذِّيوانِ إِذْ صَرَفُوكَ بَلْ فَجَعُوا بِكَ الذِّيوانَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢) :

نُهْنِي بِضُورٍ أَمْ نُهْنِيهَا بِكَأ وَقُلْ لِلذِّي صُورٍ وَأَنْتَ لَهُ لَكَا
وَمَا صَغَرَ الْأَزْدَنُ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبَيْتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَأ

بعضهم^(٣) :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمَّ أَخْلَصَ إِلَيْهِ مِنَ الرُّحَامِ
أَبُو الطَّيِّبِ - وَهُوَ مَنقُولٌ إِلَى مَعْنَى آخِرِ^(٤) :

أَبْنَتُ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بَيْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أُنْتِ مِنَ الرُّحَامِ^(٥)

عترة بن الأخرس^(٦) :

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
أَبُو الطَّيِّبِ - وَهُوَ مَنقُولٌ عَنِ عَرَضِهِ^(٧) :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَفِي أَبْصَارِنَا عَنْهُ انْكِسَارُ
زِيَادُ الْعَبْدِيِّ :

صَفَانِ مَخْتَلِفَانِ حِينَ تَلَاقِيَا أَبَا بُوْجِهٍ مَطْلُوقٍ أَوْ نَاكِحِ
مَسْلَم :

إِذَا مَا نَكَحْنَا الْحَرْبَ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَّا جَعَلْنَا الْمَنِيَا وَالْدمَاءَ طَلَاقَهَا
سَلْمُ الْخَاسِرِ :

يَرْمِي الْعَجَاجَ بِهَا أَعْرَ مَحْتَجِلٌ جَعَلَ السِّيَوفَ مَنَاكِحًا وَطَلَاقَا

(١) التبيان (٢: ٣٨١) .

(٢) ديوانه (٢: ٣٨١) .

(٣) التبيان (٤: ١٤٧) .

(٤) ديوانه (٤: ١٤٧) .

(٥) بنت الدهر: الحمى، وبنات الدهر: شدائده .

(٦) سمط اللالكى ص ٤٥٢ .

(٧) ديوانه (٢: ١١٠) .

أبو الطيب^(١):

يُجَسَّبُهَا مَنْ حَفُّهُ عَنْهُ عَاقِلٌ وَيَضْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقٌ
وهذه الأبيات مختلفة المعاني، وبيت أبي الطيب بمعزل عنها؛ وإنما استعار منها
لفظة الطلاق فقط.



مسلم^(٢):

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثَاقٌ يُحَلِّدُنَا إِلَى الْمَشِيبِ انْتَهَرْنَا سَلْوَةَ الْكِبَرِ
ألم به أبو الطيب فقال^(٣):
وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كَمَ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ ثُلثِيهَا انْتِظَارَكَ فَاغْلَمِ



أبو تمام^(٤):

تَوَى مَالَهُ نَهَبَ الْمَعَالِي وَأَوْجَبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةَ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا
أبو الطيب^(٥):
وَيَدُّ كَأَنَّ نَوَالَهَا وَقَتَالَهَا فَرَضَ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعٌ



حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ^(٦):

وَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ وَهَمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا
أبو الطيب^(٧):
وَهَمُّهَا فِي الْعُلَا وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ وَهَمُّ أَثْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ



ابن الرومي^(٨):

وَمَا الشُّكْرُ إِلَّا تَوَامُّ الْحَقْدِ فِي الْفَتَى وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَمِينُ إِلَى بَعْضِ
أبو الطيب^(٩):
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ مَغْفِرَةً فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنُ أَخِي الْعَصَبِ



(١) ديوانه (٢: ٣٤٧).

(٢) التبيان (٤: ١٤٢).

(٣) ديوانه (٤: ١٤٢).

(٤) ديوانه (٤: ١٨).

(٥) ديوانه (٢: ٢٧٣).

(٦) التبيان (١: ٨٩).

(٧) ديوانه (١: ٨٩).

(٨) ديوانه ص ١٦٣.

(٩) ديوانه (١: ٩٤).

غيره^(١) :

فَمَا كَانَ قَبِيْسٌ هُلْكُهُ هُنْكَ وَاجِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا
ابن المقفع^(٢) :

وَتَقْفُلُنِي فَتَقْفُلْ بِي كَرِيْمًا يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيْرٍ
أبو الطيب^(٣) :

عَدْرَتٌ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدِيْ بَمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسَكَّتَ مِنْ لَجَبِ
والبيت الذي بعده :

وَكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ تَخِبِ
ومثل قول البحرّي^(٤) :

تَرَى الْبَيْضَ لَمْ تَعْرِفَهُمْ حِيْنَ وَاجِهَتْ وَجُوْهَهُمْ فِي الْمَازِقِ الْمَتَجُهُمْ
ولم تتذكر ربيها بأكفهم إِذَا أوردوها تحت أغبر أقتم



البحرّي^(٥) :

لَعَمْرُكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا اِزْتِقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
أبو الطيب^(٦) :

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّغْبِ فِي الْأَنْدِ فُسٌّ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا



قال :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كُلوْمَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يُقَطِرُ الدَّمُ
أبو الطيب^(٧) :

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقَيْسِيَّ فَجِثُّهَا دَوَامِي الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَائِبِ^(٨)



قال :

وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقَدُهُ وَنَاطِرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ الْبَصَرِ

(١) العقد الفريد (١ : ١٦٦) .

(٢) البيان (١ : ٨٧) .

(٣) ديوانه (١ : ٨٧) .

(٤) ديوانه (٢ : ٢٥٦) .

(٥) ديوانه (٢ : ٨٧) .

(٦) ديوانه (٤ : ٢٤١) .

(٧) ديوانه (١ : ١٥٣) .

(٨) القسي : جمع قوس . والهوادي : الأعناق . والنواصي : جمع ناصية ؛ وهو مقدم شعر الرأس .

وهو معنى متداول .

بعض المحدثين :

ولا هممتُ بشربِ الماءِ من عطشٍ
أبو الطيب^(١) :
إلا رأيتُ خيالاً منك في الماءِ

مُمَثَّلَةٌ حتَّى كأنَّ لَمَّ تُفَارِقِي
ومن هذا المعنى قول ابن المعتز^(٢) :
وحتَّى كأنَّ اليأسَ مِن وَضِلكِ الوُعْدِ

إِنَّا على البِعادِ والتفرِّقِ
وقول أبي الطيب^(٣) :
لَنَلتقي بالذكر إنَّ لَمَّ نَلتقي

لَنَا ولأهلِهِ أَبداً قُلُوبٌ
تَلأقَى في جُسُومِ ما تَلأقَى



حَسَّان^(٤) :

إذا قال لَم يَشْرُكُ مقالاً لِقائِلِ
أبو الطيب^(٦) :
بمَلتَقَطاتِ^(٥) لا تَرى بَيْنَها فَضْلاً

إذا ضَلتُ لَم أَتْرُكُ مَصالاً لِفائِكِ
وإن قُلْتُ لَم أَتْرُكُ مَقالاً لِعالِمِ



الطرمي في رطازاته^(٧) :

ورَأَسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمِ كائِما
فتبعه بعض الرطازين :

ورَأَسِي مَرْفُوعٌ إِلِيه كائِما
أبو الطيب - وهو من فرائده^(٨) :

بِعِيدَةٍ ما بَيْنَ الجُفُونِ كائِما
وقريب منه قول بشار :

كَأَنَّ جَفونَها عَنها قِصار



- (١) ديوانه (٢ : ٣) .
 (٢) ديوانه ص ١٢٤ .
 (٣) ديوانه (٢ : ٢٩٤) .
 (٤) ديوانه ص ٢٨٧ .
 (٥) الملتقطات : قطع الذهب الملتقطة . (٦) ديوانه (٤ : ١١٢) .
 (٧) التبيان (١ : ١٤٨) قال في اللسان : الرطز : الشعر الضعيف .
 (٨) ديوانه (١ : ١٤٨) .

أبو تمام^(١) :

فإن يك من بني أدد جناحي فإن أئيت ريشي في إباد
أبو الطيب وهو منقول^(٢) :

فإن يك سيف ذؤلة غير قيس فمنه جلود قيس والثياب



ابن المعتز :

فكرت كمنصل السيف تثلو لواقحاً كأن حصي الصمان من وقعها رمل
أبو الطيب^(٣) :

إذا وطئت بأيديها ضحوراً يفئن لوطء أزجلها رمالاً

وقد أحسن في قوله : « يفئن لوطء أرجلها » ، وزاد بأن جعل للأيدي ما جعله الأول لجملة القوائم ؛ ولأول من الفضل أنه خص الحصى وهو أشد من الصخر وأصلب وهذا المعنى كثير مُبتدل ؛ وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظاً ومعنى .



البحثري^(٤) :

ومأ أنا إلا عبد بعمتك التي نسبت إليها دون رهطي ومعشري
نقله أبو الطيب فقال^(٥) :

دعيت بتقريطك في كل مجلس وظن الذي يدعوتائي عليك اسمي^(٦)



البحثري^(٧) :

ومظفر بالمجد إذراكائه في الحظ زائدة على أوطاره
أبو الطيب - وقد فسر ما أغفله البحتري^(٨) :

تُسمي الأماني صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء لئت ذلك لي



(٢) ديوانه (١ : ٨٢) .

(٤) التبيان (٢ : ١٦٦) .

(١) ديوانه : ٦١ .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٢٩) .

(٥) ديوانه (٢ : ١٦٠) .

(٦) التقريظ : مدح الرجل حيا . يقول : قد عرفت بالثناء عليك ؛ حتى كأنه اسم لي .

(٨) ديوانه (٣ : ٨١) .

(٧) ديوانه (٢ : ٩) .

زياد الأعجم:

تَرَى الطُّفْلَ مِنْهُمْ يَبْتَغِي المَجْدَ شِيمَةً
وإن هو وَفَى العَمْرَ تَسْعِينَ حِجَّةً
الرِوَايَةُ: «يَنْسِيهِ بِنَاءِ مَجْدِهِ العَدَمَ» .

البَحْتَرِيُّ^(١):

عَرِيضُونَ فِي الإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

كَأَنَّمَا يُوَلِّدُ النَّدَى مَعَهُمْ
لَا صِغَرَ عَاذِرٍ وَلَا هَرَمُ



عَلَقَمَةُ بِنِ أَصْوَى:

فَمَا إِنْ رَأَوْا نَارًا تُشَبُّ لَدَى الوَعَى
رُفِرَ بِنِ الحَارِثِ^(٣):

سَقَيْنَاهُمُ كَأَسَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بِأَسَا وَشِدَّةً
وَلَكِنَّ مَن لَأَقُوا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ



عَبْدُ اللَّهِ بِنِ مَعَاوِيَةَ، وَيُرْوَى لِإِسْحَاقِ المَوْصِلِيِّ^(٥):

أَرَى نَفْسِي تَتَّوَّقُ إِلَى أُمُورٍ
فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي بِبُخْلِ
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الأَوَّلِ:

دَرَيْتِي أَطُوفُ فِي البِلَادِ لِعَلَّنِي
أَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ تَلَمَّ مُلَمَّةً
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الأَخْر:

وَتَقْصُرُ أُمُورُ الفَتَى دُونَ هَمِّهِ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ إِبْرَاهِيمِ المَوْصِلِيِّ:

فَعَالِي فَعَالٍ المَكْثَرِينَ تَوْسَعاً
وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعَلَّمِينَ قَلِيلُ

(١) ديوانه (١ : ١٠) .

(٢) ديوانه (٤ : ٦٥) .

(٣) التبيان (١ : ١٨٥) .

(٤) ديوانه (١ : ١٨٥) .

(٥) ديوانه (٢ : ٢٢) .

وحكي عن بعض الحكماء أنه سُئِلَ عن أسوأ الناس حالاً فقال: مَنْ قويت شهوته وبعدت هيمته، واتسعت معرفته، وضاقَتِ مقدراته.

أبو الطيب^(١):

وَأَتَعَبُ خَلْقَ اللَّهِ مَنْ زَادَ هُمُهُ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ^(٢)
ونحوه قوله^(٣):

لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخَا لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَدَّبٌ
والأبيات التي تلي هذا البيت متصلة به وهي قوله^(٤):

فَلَا يَنْحَلِيلُ فِي الْمَجْدِ مَا لَكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبَّرُهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زُنْدُهُ
فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وكأنها مجموعة من معاني أبيات قديمة وحديثة، منها قول أحيحة بن الجلاح^(٥):

وَلَا أزال عَلى الزَّوَارِ أَعْمُرُهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلى الْإِخْوَانَ ذُو الْمَالِ
وَأِنْ أَرَدْتُ مُسَامَاةَ تَقَاعِدِ بِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِأَسْمِي رَقَّةَ الْحَالِ
وقول ابن المعتز:

يَا رَبُّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ فِقَامٌ فِي النَّاسِ مَقَامَ الدَّلِيلِ

وحكى الجاحظ عن بعض الحكماء أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً ومجداً؛ فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال.



بكر بن الططاح:

هَذَا أَبُو دُلْفِ الَّذِي لِسَيْوْفِهِ وَرِمَاحِهِ تَتَعَبِدُ الْأَقْدَارُ
علي بن جبلة - ويروى لخلف بن مرزوق:

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مِنْزَلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
أبو الطيب^(٦):

تَقَدَّ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَرْمَعْتَ^(٧) شَيْئاً أَرْمَعَا

(٢) الوجد: السقه.

(١) ديوانه (٢: ٢٢).

(٤) ديوانه (٢: ٢٢).

(٣) ديوانه (١: ٨٠).

(٥) البيت الأول في مهذب الأغاني (١: ١١٤)، والبيت الثاني في التبيان (٢: ٢٢) ونسبه إلى الخليل بن أحمد.

(٧) أرمعت على أمر؛ إذا ثبت عزمك عليه.

(٦) ديوانه (٢: ٢٦٤).

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ العَصِيَّ كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا تَادَيْتَ لَبِي مُسْرِعَا
 ونحوه له^(١) :
 مَلِكٌ تَكُونُ^(٢) كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِهِ المَقْدُورُ
 وأما المصراع الأول فقد قدمنا ذكر أمثاله ونحوه له^(٣) :
 وَأَرَاكَ دَهْرَكَ مَا تَحَاوَلُ فِي العِدَى حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنصَارُ
 وله^(٤) :

وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ



يزيد المهلبي^(٥) :
 سَعَيْتُمْ فَأَذْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَذْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالمَقَادِرِ
 وله^(٦) :
 إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالمَنَاقِبِ
 أبو الطيب^(٧) :
 وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَدْرَكَ المَجْدَ بِالمُنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْبَنِ النُّوَاصِيَا
 واللفظ من قول نُفَيْعِ بنِ صَفَارٍ :
 أَيَا مَالِكَا لَا يُرْتَجَى المُلْكُ بِالمُنَى

ونحوه له^(٨) :

لَيْسَ إِلَّا أبا العَشَائِرِ خَلْقٌ سَادَ هَذَا الأَتَامَ بِاسْتِحْقَاقِ



قال بعضهم^(٩) :

وخبرني البَوَابُ أَنَّكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضاً فَنَائِمٌ

(١) ديوانه (٢ : ١٣٦) .

(٣) ديوان (٢ : ٨٦) .

(٤) ديوانه (٢ : ٨٦) وصدرة :

سرحيث شئت يحله النوار

(٥) التبيان (٤ : ٢٩١) .

(٦) التبيان (٤ : ٢٩١) .

(٧) ديوانه (٤ : ٢٩١) . قال العكبري : وأصله للبحثري في قوله :

فتى هز القنفا فحوى سناء بها لا بالأحاطي والجودود

(٨) ديوانه (٢ : ٢٦٤) .

(٩) التبيان (١ : ٤٣) .

أبو الطيب^(١):

وَنَامَ الْخُوَيْدِيمُ عَن لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى^(٢)



حسان بن ثابت^(٣):

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ

العباس بن مرداس^(٤) ويروى لربيعة الرقي:

فَمَا عِظَمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ

ومثله كثير:

أبو الطيب^(٥):

وَذَهَرَ نَاشُهُ نَاسٌ صَعَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنَّتٌ ضِخَامٌ



أبو جويرية العبدي - وقد تقدمه غيره^(٦):

تَزِينُ الْحَلِيِّ إِنْ لَبِسَتْ سُلَيْمِي وَتَحْسُنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وأكثر المحدثين فيه فقال بعضهم^(٧):

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنٌ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زِينَا

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيْبِ طَيْباً أَنْ تَمَسِّيهِ؛ أَيْنَ مِثْلُكَ أَيَّنَا!

أبو الطيب، وتعسف اللفظ^(٨):

الطَّيْبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

وتقدير الكلام: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت

به .



(١) ديوانه (١ : ٤١).

(٢) يريد بالخويديم كافوراً. يقول: غفل كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده؛ وكان قبل ذلك نائماً غفلة وعمى؛ ولم يكن نائماً كرى.

(٣) ديوانه ص ١٧٥؛ وروايته هناك:

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْعَصَافِيرِ

(٤) ديوان الحماسة (٣ : ١٥٣). (٥) ديوانه (٤ : ٧٠).

(٦) التبيان (٣ : ٢٦١). (٧) التبيان (٣ : ٢٦١).

(٨) ديوانه (٣ : ٢٦١).

زياد الأعجم وهو كثير مشهور^(١) :
 لَلَّه دَرُّ مَنِيَّةٍ فَاتَتْ بِهِ
 وَلَقَدْ أَرَاهُ مُجَفِّفًا أَفْرَاسَهُ
 لَوْ عِنْدَ ذَلِكَ هَايَجَتْهُ مَنِيَّةُ
 يَزِيدِ الْمَهْلَبِيِّ^(٣) :
 جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ
 أَبُو الطَّيِّبِ^(٤) :
 أَتَتْهُ الْمَنَائِيَا فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ
 وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا
 وَمَقْلُوبٌ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٥) :
 دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ
 وَمِثْلُهُ لِأَبِي الطَّيِّبِ^(٦) :
 مَا زِلْتِ تَذْفَعُ كُلَّ أَمْرِ قَادِحٍ
 وَظَلِمْتِ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرْعٌ
 وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ؛ عَلِيٌّ
 وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الْمَوْتُ يَا حَمَزُ - إِذْ أَتَى
 وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْآخِرِ :
 أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْجِمَامِ أَصَابَكُمْ
 وَمِثْلُهُ لِأَبِي الطَّيِّبِ^(٧) :
 هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيَكُ مِنَ الْعِدَى
 فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فَيَكُ مِنَ الْحُمَى



الأعور الشنبي :

وعوراء جاءت من أخ فردذتها بسالمة العينين طالبة عذراً

- (١) ذيل الأمالي ص ٩٩ من قصيدة في رثاء المغيرة بن المهلب، مطلعها :
 يا من بمغدى الشمس أو بمراحها أو من يكون بقرنها المتنازع
- (٢) رواية الأمالي :
- (٣) التبيان (٤ : ٢٤٤) .
- (٤) ديوانه (٤ : ٢٤٤) .
- (٥) التبيان (٢ : ٢٣٧) .
- (٦) ديوانه (٢ : ٢٣٧) .
- (٧) ديوانه (٤ : ١٠٦) .

وأغضيت عنه وانتظرت به غدا
سالم بن وابصة^(١) :
لعل غداً يبدي لمنتظرٍ أمراً

وكاشح من موالي السوء ذي حسد
داوت صدراً طويلاً غمزه حقدًا
يقتات لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ
منه، وقلمت أظفاراً بلا جلم
وقد أكثر الشعراء فيه .
أبو الطيب^(٢) :

وأخلم عن خلي وأعلم أنني
متى أجزه جلماً على الجهل يندم



امرؤ القيس^(٣) :

فلزجر الهوب وللساق درة
ثم أكثر الناس فيه .
أبو الطيب^(٤) :

رجلاه في الرخص رجل واليدان يد
وفعله ما تريد الكف والقدم
المصراع الأول نحو قول رؤبة :

يهوين ستي ويقعن وقعا



الطرماح :

تحياها الكماة بكل يوم
مريض الشمس محمر الخوافي
أبو الطيب^(٥) :

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة



بعض المحدثين^(٦) :

خبري خذيه عن الضنى وعن الأسي
ليس اللسان وإن تلفت بمخير

(١) التبيان (٤ : ١٣٦) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٣٦) .

(٣) لم نجد هذا البيت في ديوان امرئ القيس؛ والذي روي هناك :

فللسوق الهوب وللسوط درة ولنزجر منه وقع أهرج متعب

(٤) ديوانه (٣ : ٣٦٨) .

(٥) التبيان (٢ : ١٦١) .

(٦) ديوانه (٢ : ١٦٠) .

أبو الطيب^(١) :

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَثَّمْتَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا
وهو معنى قوله^(٢) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَضْبِرًا^(٣) وَبُكَاءُكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى



أبو نواس^(٤) :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

أبو الطيب^(٥) :

وهو المضاغف حُسْنُهُ إِنْ كُرَّرًا^(٦)



الجلاح ابن عبد الله السدوسي^(٧) :

مَدَدَتِ حَبْلَ غُرُورٍ غَيْرَ مُؤَيَّسَةٍ فَوَتْ الْأَكْفَ فَلَآ جُودٌ وَلَا بَخْلُ
وَالصَّرْمُ أَرْوَحُ مِنْ غَيْثٍ يُطْمَعُنَا فِيهِ مَخَائِلُ مَا يُلْقَى بِهَا بَلَلُ

ونحوه لابن الرقيات ولم يصرح باختيار أحدهما^(٨) :

تَرَكْتَنِي وَأَقْفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَضْدُرْ بِيَأْسٍ مِنْكُمْ وَلَمْ أَرِدْ
ومثله قول ابن أبي زرعة الدمشقي^(٩) :

وَكَأَنِّي بَيْنَ الرِّصَالِ وَبَيْنَ الـ هَجْرٍ مِمَّنْ مَقَامَهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَانِ وَبَيْنَ النَّا رَطُورًا أَرْجُو وَطُورًا أَخَافُ

وقال أبو حفص الشطرنجي، فاختار ضد ما اختار الأول^(١٠) :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدَّدُ بِالشَّخْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَشْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضَى فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُثْبِ

(١) ديوانه (٢ : ١٦٠).

(٢) أراد: تصبرن (بنون التوكيد الحقيقة)؛ فلما وقف عليها أبدلها ألفاً.

(٣) التبيان (٢ : ١٦٧).

(٤) ديوانه ص ١٦٧.

(٥) صدره :

فهو المشيع بالمسامع إن مضى

(٦) التبيان (٢ : ٣٠٥) (٧) التبيان (٢ : ٣٠٥).

(٨) التبيان (٢ : ٣٠٥) (٩) التبيان (٢ : ٣٠٥).

(١٠) التبيان (٢ : ٣٠٥)، ونسبه إلى العباس بن الأحنف.

وتبعه أبو الطيب^(١) :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي
وقد لاحظ في هذا قول الخليل^(٢) :

وجذت ألد العيش فيما بلوته
ترقب مشتاق زيارة شائقي
لأنه أيضاً يرجو ويتقي ويخاف ويأمل . وقد أكثر الناس فيه على المعنيين معاً



أبو نواس^(٣) :

يسبق طرف العين في التهايه

وهو معنى عامي مبتذل .

أبو الطيب^(٤) :

يقبلهم وجه كل سايحة
أزبعها قبل طرفها تصل



أبو تمام^(٥) :

فهو غص الإباء والرأي غص الـ
حزم غص السؤال غص الشباب
أبو الطيب^(٦) :

حديد اللسان حديد الجنان
حديد الحسام حديد السنان



بعض العرب^(٧) :

كأن يديها حين جد نجاؤها
طريدان والرجلان طالبتا وثر
رؤية :

يداه بالضبعين يشدوانه
ورجلا أخرج يحدوانه
أبو الطيب^(٨) :

طرذت من مضر أيديها بأرجلها
حتى مرقت بنا من جوش والعلم^(٩)



(١) ديوانه (٢ : ٣٠٥) .

(٢) التبيان (٢ : ٣٠٢) .

(٣) التبيان (٣ : ٢١٤) .

(٤) ديوانه (٣ : ٢١٣) .

(٥) ديوانه ص ٣٥٤ .

(٦) ديوانه (٤ : ١٩٠) .

(٧) التبيان (٤ : ١٥٦) .

(٨) ديوانه (٤ : ١٥٦) .

(٩) جوش والعلم : موضعان .

بعض رجال العرب^(١) :

إني إذا ما القوم كانوا أنجيتهم واضطرب القوم اضطراب الأرشية
 وشد فوق بعضهم بالأدوية هناك أوصيني ولا تُوصي بي
 وقال الأصمعي وغيره يصف قوماً أتعبهم السير والسهر: فرقدوا على ركابهم،
 واضطربوا كاضطراب أرشية الدلاء، وشدَّ بعضهم على ناقته حذار سقوطه عنها. وقال
 بعضهم: إنما ضربه مثلاً لنزول الأمر الملمم؛ إذ جعل القوم يضطربون فيه فلا يستقرون
 كاضطراب الحبال، وبعضهم يشد على البعير للهرب به. قال: ولذلك كانوا أنجيتهم؛
 وهو جمع نجى^(٢) والنيام لا يكونون أنجيتهم، وعلى المذهب الأول احتذى أبو الطيب
 في قوله^(٣) :

وهز أطار النؤم حتى كأنني من السكر في العززين ثوب شبارق^(٤)



تميم بن مقبل:

ولو كجئت حواجب خيل قيس بتغلب بعد كلب ما قذينا
 أبو الطيب^(٥) :

فبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْرَكَضَتْ بِالخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَا



رؤبة^(٦) :

قد رفع العجاج باسمي فاذعني باسمي إذا الأتساب طالَتْ يكفيني
 وإنما أخذه من قول النسابة البكري لما أتاه فقال له: من أنت؟ فقال: رؤبة بن
 العجاج. قال: قصرت وعرفت.

أبو الطيب^(٧) :

يا أيها المليك الغاني^(٨) بتسمية في الشرق والغرب عن وصف وتلقب



- (١) اللسان (مادة - نجا). (٢) النجى: المتاجون.
 (٣) التبيان (٢: ٣٤٤).
 (٤) الهز: التحريك. وأراد بالسكر النعاس. والغرز: ركاب من خشب للإبل خاصة. وثوب شبارق: مقطع قديم.
 (٥) ديوانه (٣: ١٦٩). (٦) التبيان (١: ١٧٦).
 (٧) ديوانه (١: ١٧٦). (٨) الغاني: المستغني.

دُعْبِل (١):

هِيَ النَّفْسُ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحْسَنٌ لَدَيْهَا وَمَا فَبَّحْتَهُ فَمُقَبَّحٌ
أبو الطيب (٢):

فَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَحَوَّقَهُ الْفَتَى وَمَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَهُ الْفَتَى أَمِنَا
وهو قريب من قول لبيد:

اكذب النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ



أبو تمام (٣):

تَسْرَى قَسَمَاتِنَا (٤) تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَاقُنَا فِيهَا بِسُودِ
أبو الطيب (٥):

تُسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجِهِنَا وَلَا تُسْوَدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ (٦)



[قال (٧):

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ
أبو الطيب (٨):

أَرْوَاحُنَا أَنَّهُمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ



ابن المعتز (٩):

تَخَالَ أَحْرَهُ فِي الشَّدِّ أَوْلَهُ وفيه عَدُوٌّ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورُ
أبو الطيب (١٠):

وَأَصْرَعُ أَيُّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَزْكَبُ



(١) التبيان (٤ : ١٦٩).

(٢) ديوانه (٤ : ١٩٦).

(٣) ديوانه ص ١٠٥.

(٤) قساماتنا : وجوهنا.

(٥) ديوانه (٤ : ١٥٥).

(٦) العذر : جمع عذار، وهو الشعر النابت على الخد، واللمم جمع لمة؛ وهو الشعر الذي يلم بالمنكب.

(٧) التبيان (٤ : ٨).

(٨) ديوانه (٤ : ٨).

(٩) التبيان (١ : ١٨٠).

(١٠) ديوانه (١ : ١٨٠).

النابعة الجعدي^(١):

وَتُشْكِرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانَ حَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْوَرْدَ أَشْقَرًا
أبو الطيب^(٢):
جَفَّتْني كَأَنِّي لَسْتُ أَتَطَّقُ قَوْمِهَا وَأَطَعْتَهُمْ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ



أبو تمام^(٣):

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدِ مَاتَ بِالْأَمْسِ صَادِيًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهِمَارُهَا
وأظنه أخذه من قول طرفة - وإن كان غامضاً^(٤):

فَسَقَى دِيَارِكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صوبُ الرَّبِيعِ وَدِيْمَةٌ تَهْمِي
البحثري^(٥):

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَانِهِ
أبو الطيب^(٦):

سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْعَوْثِ قَبْلَ الْعَطْبِ



أبو نُوَاسٍ^(٧):

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامٌ
أبو الطيب^(٨):

وَتَعَدَّرُ الْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَيَّ فَرَجٌ حَرَامٌ^(٩)



قال زهير^(١٠):

سَيِّمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لِكَ يَسَامِ

(٢) ديوانه (٤ : ٥٠).

(٤) ديوانه ص ٦٢.

(٦) ديوانه (١ : ١٠٢).

(١) التبيان (٤ : ٥٠).

(٣) التبيان (١ : ١٠٢).

(٥) ديوانه (٢ : ٣١٥).

(٧) ديوانه ص ٦٤.

(٨) ديوانه (٤ : ٩).

(٩) قال العكبري: «المعنى: تعذر وجود الأحرار وقتلهم صير ظهر هذه الناقة علي في ركوبها إلى قصد سواك حراماً عليّ، كركوب الفرج الحرام - يريد الزنا».

(١٠) ديوانه ص ١٢.

قال العلماء بالشعر: إنما سئم تكاليف الحياة لا الحياة، فهو أصح معنى من قول
 لبّيد إذ يقول^(١):

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها ومقال^(٢) هذا الناس كيف لبّيد
 فقال أبو الطيب^(٣):
 وإذا الشَّيْخُ قَالَ أَفْ فَمَا مَ لَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلَا



البحثري^(٤):

وطيئك سراً لو تكلف طيئه دجى الليل عتاً لم تسغه صمائرُه
 فنقله أبو الطيب، وغير معناه فقال وأحسن ما شاء^(٥):
 وكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً سَرَيْتُ فَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ



البحثري:

عداً قسمه عدلاً ففِيكُمْ نَوَالُهُ وفي سرّ نهبان بن عمرو مآثره
 أبو الطيب^(٦):
 تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمُحْتَدِهِ وشارك العُربَ في إْحْسَانِهِ الْعَجْمُ



البحثري^(٧):

وما اخترت داراً غير دارك من قلى وأين ترى قضيدي ومن دوني البخرُ
 أبو الطيب^(٨):
 أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وَأَطْلُبُهُ وأترك العَيْثَ في غمدي وأتَجِعُ



أشُد الجاحظ لبعضهم:

غزا ابنُ عميرٍ غزوةً تركت لها ثناء كريح الجوّربِ المتمزق

(١) مهذب الأغاني (٢: ٦٢).

(٢) في مهذب الأغاني: «وسؤال هذا الناس».

(٣) ديوانه (٣: ١٣٠).

(٤) ديوانه (١: ١٢).

(٥) ديوانه (٣: ٣٤٠).

(٦) ديوانه (١: ١٣).

(٧) ديوانه (٣: ٣٧٦).

(٨) ديوانه (٢: ٢٢٢).

أبو الطيب^(١):

تستغرق الكف فؤديه وأخذعه وتكتسي منه ریح الجوز العرق^(٢)



بعضهم^(٣):

بشنا ويات جليد الليل يضرينا بين البيوت قرانا نبج ذواس^(٤)

أبو الطيب^(٥):

ولا تُكِرَا عَصَفَ الریح فإئها قرى كل صيف بات عند سوار^(٦)



أبو نواس في وصف كلب^(٧):

يجمع قطريه من أنصماره

أبو الطيب^(٨):

يكاذ في العذو من الثقل يجمع بين مئنه والكلكل

وبين أعلاه وبين الأسفل

أنشد الأصمعي لبعض باهلة:

تباهي به الأرض السماء إذا مشت عليها وتحيي نسمة المماوت

أبو الطيب^(٩):

أكارم حسد الأرض السماء بهم وقصرت كل مضر عن طرابلس



البحثري^(١٠):

سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا إذا اجتمعا في العارض المتراكم

(١) ديوانه (٢: ٣٦٠).

(٢) يقول: هو دميم صغير القدر يصفع، فتستغرق أكف الصافعين هذه المواضع منه، وهو نتن الرائحة، يكتسى الكف نتن رائحة من جسده.

(٣) اللسان - مادة درس؛ وروايته هناك:

بشنا ويات سقيط الطل بضرينا عند النزول قرانا نبج درواس

(٤) قال في اللسان: الدرّاس: الغليظ العنق من الكلاب أو الغليظ الرأس.

(٥) ديوانه (٢: ١١٤).

(٦) سوار: هو الذي يهجو المتنبي في هذه المقطوعة.

(٧) ديوانه ص ٢١١.

(٨) ديوانه (٣: ٢٠٥).

(٩) ديوانه (٢: ١٩٠).

(١٠) ديوانه (٢: ٢٥٣).

أبو الطيب^(١) :

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُتَّقَى يُرَجَى الْحَيَا مِنْهُ وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ



عبد الله بن الزبير الأسدي :

لَوْ شَدَدْنَا مِنْ أَخْذَعَيْنِهِ قَلِيلًا لَبَتَيْنَا مِنَ الرَّؤُوسِ مَنَارًا

أبو الطيب - وهو غامض^(٢) :

تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ حَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ^(٣)



ثابت بن قُطَيْبَةَ العتكي^(٤) :

هَدَانَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا^(٥) مُصَلَّبَةً كَأَفْوَاهِ الشَّعَابِ

أبو الطيب^(٦) :

إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُهُادٍ فَكَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارٌ



أنشد الأصمعي لبعض العرب - وهو معروف عندهم^(٧) :

رِدِي رِدِي وَرَدَّ قَطَاةً صَمًّا^(٨) كُذْرِيَّةً أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

أبو الطيب^(٩) :

وَرُودَ قَطَا صُمَّ تَشَايْحَنَ فِي وَرْدٍ^(١٠)

(١) ديوانه (٢ : ٣٤٦).

(٢) ديوانه (٢ : ٣٣٠).

(٣) القضم: أكل الدابة الشعير. والعلائق: جمع عليقة وهي المخلاة. وجنوبها: نواحيها. وجيوبها: ما فتح من أعلاها. وجيب المخلاة: فمها.

قال أبو الفتح: سألته عن معنى البيت فقال. الفرس إذا علق عليه المخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل، فخياله إذا أعطيت عليقتها رفعت على هام الرجال القتلى لكثرتهم حولها، وقد تعودت خيله ذلك.

(٤) التبيان (٢ : ١٠٨).

(٥) في شرح العكبري: هداننا الله بالقتلى تراهم

(٦) ديوانه (٢ : ١٠٨).

(٧) اللسان: مادة - صمم.

(٨) قال في اللسان: «يقال للقطاة صماء لصممها إذا عطشت».

(٩) ديوانه (٢ : ٦٥).

(١٠) صدره:

وتلقى نواحيها المنايا مشيخة
أشاح: أسرع. يقول: أسرعن إلى لقاء المنايا كما تسرع القطا إلى ورود الماء.

مزرّد^(١) :

مِنَ الْمُلْسِ هِنْدِيٌّ مَتَى يَعْلُ حَدُّهُ ذُرَى الْبَيْضِ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ الْكَوَاهِلُ
أبو الطيب^(٢) :

إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَعَنَّكَ فِي الْكَاهِلِ^(٣)



أبو تمام :

البين أكثر من شوقي وأحزاني

أبو الطيب^(٤) :

دَمَنْ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاتِرِ الْأُومِ^(٥)



بعض العرب^(٦) :

رُزِقْتُ تَصَايْحَنَ فِي الْمَثُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
آخر^(٧) :

تَصِيحُ الرُّذَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَمْسَيْنِ جُوعَا
أبو الطيب^(٨) :

نَاشُوا الرَّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهَمِ^(٩)



(١) التبيان (٣ : ٣٠) .

(٢) ديوانه (٣ : ٣٠) .

(٣) يقول : هذا السيف إذا ضربت به رأس أحد برى رأسه؛ ووصل إلى عظم الكاهل؛ فجعل ذلك الصوت كالغناء .

قال العكبري : ومثله قول النمر بن تولب :

تظلل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي
ومثله قول أبي نوس :

إذا قام غنته على الساق حلية لها خطوة وسط الفناء قصير
(٤) ديوانه (٤ : ٧) .

(٥) الدمن : جمع دمنة؛ وهي آثار القوم بعد رحيلهم . والعرضات : جمع عرصة وهي نواحي الدار .

(٦) التبيان (٤ : ١٥٨) .

(٨) ديوانه (٤ : ١٥٨) .

(٩) يقول : تناولوا الرماح، وهي جماد لا تنطق، فأسمعوا الناس صريها في الأبطال، فصارت كأنها فرقة طير تصيح .

كثير^(١) :

رَمَتْنِي بِسَهْمِ رِيشِهِ الْهُدْبُ لَمْ يُصِْبْ ظواهر جُلْدِي وهو في القلب جَارِحِي^(٢)
أبو الطيب^(٣) :

رَمَتْنِي بِأَسْهُمِ رِيشِهَا الْهُدْبُ بْ تَشْتَقُ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ

الفرزدق^(٤) :

وَأَبْحَتَ أَمْكُ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا للناس باركة طريق مُعْمَلُ^(٥)
أبو الطيب^(٦) :

يَخْوِي ابْنُ كَيْغَلِغِ الطَّرِيقَ وَعِزُّهُ ما بين رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ^(٧)

الفرزدق^(٨) :

وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَسْمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى كثيراً وَلَكِنْ فُرُقُوا فِي الْخَلَائِقِ
أبو الطيب^(٩) :

فَلَا تَعْجَبَا إِنْ السِّيُوفَ كَثِيرَةٌ ولكنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

البحثري^(١٠) :

وَبَلُوتِ مِنْكَ خَلَائِقاً مَحْمُودَةً لو كن في فلكِ لَكُنَّ نُجُوماً

(١) التبيان (١ : ٣١٥).

(٢) قال العكبري : ومثله قول جميل :

وما صائب من نابل قذفت به بأوشك قتلاً منك يوم رميتني

(٣) ديوانه (١ : ٣١٤).

(٤) نقائص جرير والفرزدق (١ : ١٩٢).

(٥) معمل : مستعمل يداس .

(٦) ديوانه (٤ : ١٢٦).

(٧) كان ابن كيغلاغ طلب من أبي الطيب أن يمدحه، فاعتل عليه بأنه قد حلف ألا يمدح إلى مدة فأخذ عليه الطريق حتى تنقضي المدة، فهرب منه ومضى ثم هجاه؛ بقصيدة منها هذا البيت ومطلعها :

لهوى التنفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

(٨) التبيان (١ : ٢٧٢).

(٩) ديوانه (١ : ٢٧١).

(١٠) ديوانه (٢ : ٢٤٤)، وروايته هناك :

وشكرت منك مواهباً مشهورة لو سرن في فلك لكن نجوماً

أبو الطيب^(١):

أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالًا^(٢)



ابن الرومي^(٣):

أَخْشَى عَلَيْكَ اتِّقَادَ الْفِكْرِ لَا حَذْرًا

أبو الطيب^(٤):

أَشْفِقُ عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ يَشْتَعِلُ^(٥)



ابن الرومي:

وَمِنْ فَرَحَاتِ النَّفْسِ مَا فِيهِ حَتْفُهَا

أبو الطيب^(٦):

فَلَا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمَنْ فَرِحَ النَّفْسَ مَا يَثْقُلُ



بعضهم^(٧):

قَلُّوا أَنَا شَهِدْنَا كُمْ نُصْرَنَا بِذِي لَجَبٍ أَرْبُّ مِنَ الْعَوَالِي

أبو الطيب^(٨):

صَدَفْتَهُمْ بِخَسِيْسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(٩)



أبو تمام^(١٠):

وَرُحِبَ صَدْرِي لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْسَعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنِ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(١) ديوانه (٢: ٢٣٢).

(٢) يقول: أنت في علو قدرك وحسن خصالك سماء؛ وإن كانت كواكبها خصالاً.

(٣) التبيان (٣: ٢١٣). (٤) التبيان (٣: ٢١٣).

(٥) حذف أن ورفع الفعل، والتقدير: أن يشتعل.

(٦) ديوانه (٣: ٦٩). (٧) التبيان (٤: ٢٤).

(٨) ديوانه (٤: ٢٤).

(٩) الخميس: الجيش. والغرة: الوجه. والسهمرية: الرماح. والغمم: كثرة الشعر. جعل الرماح

في هذا الجيش كالغمم في وجه الإنسان.

(١٠) ديوانه ص ٥٧.

أبو الطيب^(١) :

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِينْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ



مُسلم^(٢) :

وَالعَيْسُ عَاطِفَةُ الرَّؤُوسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبْنَ سِرَّ مُحَدِّثٍ فِي الأَخْلَسِ

أبو الطيب^(٣) :

وَيُغَيِّرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبِ تَقْبِيلِهَا



البحري^(٤) :

وَمَنْ لَوْ تَرَى فِي مُلْكِهِ عُذَّتْ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرَجِّهِ مُقْتِرِ

أبو الطيب^(٥) :

خَفْتُ إِنْ صرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْ خُذْنِي فِي هِبَاتِكَ الأَقْوَامُ



البحري^(٦) :

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَيَسَانُ رَاحِيَتِهِ نَدَى وَنَجِيعَا

أبو الطيب^(٧) :

مَلِكٌ سِنَانٌ قَنَاتِهِ وَيَسَانُهُ يَتَبَارِيَانِ دَمًا وَعُزْفًا سَاكِبَا

ومنه^(٨) :

إِذَا الهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةً فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلِ التَّسَاوِيَا



ابن الرومي^(٩) :

يَا أَرْمَدَ العَيْنِ قُسْمٌ فُبَالَتَهُ قَدَاوٍ بِالأَلْحَظِ نَحْوَهُ رَمَدُكَ

أبو الطيب^(١٠) :

مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَسَقَى يَدِي مِنَ العُدْمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الأَعْيُنُ الرُّمْدُ

(٦) ديوانه (٢ : ٨٤) .

(٧) ديوانه (١ : ١٢٥) .

(٨) ديوانه (٤ : ٢٩٣) .

(٩) التبيان (٢ : ٨) .

(١٠) ديوانه (٢ : ٨) .

(١) ديوانه (٢ : ١٢٠) .

(٢) التبيان (٣ : ٢٣٤) .

(٣) ديوانه (٣ : ٢٣٤) .

(٤) ديوانه (٢ : ٦) .

(٥) ديوانه (٤ : ٩٩) .

البحثري^(١):

اللَّهُ أَكْبَرُ كُفُّوا إِنِ خِصَمَكُمُ أَبُو سَعِيدٍ وَضَرْبُ الْأُرْوَاسِ الْجَدَلِ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٢):

وَرَدَّ بَعْضُ الْقَتَا بَعْضًا مَقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ



ابن الرومي^(٣):

أَعْنِدِي تَنْقُضُ الصَّوَاعِقُ مِنْكُمْ مَا وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالْثَرَى الْجَعْدُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٤):

لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدُّيْمُ



البحثري^(٥):

مَلِكٌ بِقَارَعَةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ يَقْرِي الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضِيُوفُهُ
أَبُو الطَّيِّبِ^(٦):

وَمَلَأْتُ نَحْرَ عَشَارِهَا فَأَضَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ الْعِشَارَ لِمَنْ قَرَى



البحثري^(٧):

تَشَكَّكَتُ فِيهِ مِنْ سُورٍ وَخَلَّتُهُ خِيَالًا أَتَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَسْرِي



أَبُو الطَّيِّبِ^(٨):

مَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرْقَ بَيْنَهُمَا كُلُّ خِيَالٍ وَصَالَةٍ نَافِذٍ

كل واحد منهما جعله خيالاً، وإن كان البحتري ذهب فيه إلى حيرة السرور، وأراد أبو الطيب سرعة الزوال. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى على وجه آخر فقال^(٩):

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ

(١) ديوانه (٢: ٢١٤).

(٢) ديوانه (٣: ٣٧١).

(٣) التبيان (٣: ٣٧١).

(٤) ديوانه (٢: ١١٤).

(٥) ديوانه (٢: ٢)، وروايته هناك:

(٦) تشككت فيه من سرور وخلته خيالاً أتى في آخر الليل يسري

(٧) ديوانه (٢: ١٧١).

(٨) ديوانه (٣: ٩).

يزيد بن محمد المهلبي^(١) :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعاً فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُونَا إِذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ أَنْصَافِ
أبو الطيب - وقد زاد وأحسن^(٢) :
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعُيُونِ سَرَّهَا وَقُلُوبِ



ابن الرومي^(٣) :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتَ تَشْتَكِي مَوَاقِعُهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ تَرْمِي سِوَاكَ وَتَغْمِدُ
فاتحدي عليه أبو الطيب وقلب معناه فقال^(٤) :

مُسَى كُنُّ لِي أَنَّ الْبِيَاضَ خَضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ
فَكَيْفَ أَدَمَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ



إسحاق بن خلف^(٥) :

إِذَا مَا حُدَيْدِينَ بِذِكْرِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاطِظِ الْمَخْبِ الْعَجَلِ^(٦)
أبو الطيب^(٧) :

شَدُّوا بَابِنِ إِسْحَاقِ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ دَفَارِيهَا كِيرَانَهَا وَالنَّمَارِقُ^(٨)



ابن هرمة : [يذم بخيلاً]^(٩) :

نَكَّسَ لَمَّا أَتَيْتَ سَائِلَهُ وَاعْتَلَّ تَنَكُّيسَ نَاطِمِ الْخَرْزِ^(١٠)

(١) التبيان (١ : ٤٩) .

(٢) ديوانه (١ : ٤٩) .

(٣) التبيان (١ : ١٨٩) .

(٤) التبيان (٢ : ٣٤٥) .

(٥) رواه العكبري :

(٦) إذا ما حديدين بمدح الأمير سبقن لحاظ الحثيث العجل
ديوانه (٢ : ٣٤٥) .

(٨) شدوا بمدح إسحاق؛ أي غنوا. والذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين. والنمارق: الوسائد. يقول: لما غنوا بمدح ابن إسحاق نشطت الإبل للسير فرفعت رؤوسها حتى ضربت بذفرياتها كيرانها.

(٩) التبيان (٣ : ٣٢٩) .

(١٠) شبه هيئته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق.

أعرابي^(١):

وَهُنَّ حَيْرَى كَمْضَلَاتِ الْخَدَمِ

أبو الطيب^(٢):

وَقُوفٌ شَحِيحٌ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهُ^(٣)



وقد أتينا على ما حَضَرْنَا من هذا الكتاب، ونُبْنَا عنك في جمعه واستحضاره ولَقَطُهُ، وتَصَفَّحَ الدواوين، ولقاءِ العلماء فيه؛ وبَيَّضْنَا أوراقاً لما لَعَلَّهُ شَدُّ عَنَا من غريبه؛ وما عسانا نَظْفُرُ على مرورِ الأوقات به، وما نأبى أن يكونَ عندك، أو عند أحدٍ من أصحابك فيه زيادات لم نَعثرَ بها، أو لطائف لم نَظنْ إليها، إن كنتَ على ثقةٍ من عِلْمِكَ، وبصيرةٍ بما عندك، وعَرَفْتَ من طُرُقِ السَّرْقِ، ووجوه النقل ما يسوغ فيه حُكْمُكَ، وتُعَدَّلُ فيه شهادتك، فلا بأس أن تُلجِجَ به ما أصبته، وأن تضيف إليه ما وجدته، بعد أن تَتَجَبَّبَ الحَيْفَ، وتتنكب الجور، وتعلم أن وراءك من الثَّقَادِ من يَعْتَبِرُ عليك نَقْدَكَ، ومن لا يستسلم للعَصِيَّةِ استِسْلَامَكَ.

وأنا أعدل إلى ذكر ما رأيتُك تُنكِرُ من معانيه وألفاظه، وتَعْيِبُ من مذاهبه وأغراضه، وتُحِيلُ في ذلك الإنكار على حجة أو شُبْهة، وتعتمدُ فيما تعينه على بينة أو تهمة، إذا كان ما قَدِمْتَ حكايته عنك، وما عددته من مطاعنك، وأثبتته من الأبيات التي استَسَقَطْتَهَا، ومِلْتَ على هذا الرجل لأجلها من باب ما يُمتحن بالطبع لا بالفكر، ومن القِسْمِ الذي لاحظ فيه للمحاجة، ولا طريق له إلى المحاكمة، وإنما أقصى ما عند عائبه، وأكثر ما يمكن مُعارضه أن يقول: فيه جهامة سلبته القبول، وكَرَازةٌ نَفَرْتُ عنه النفوس، وهو خالٍ من بهاءِ الرُّؤْيُقِ، وَحَلَاوَةِ المنظر، وغُدُوْبَةِ المَسْمَعِ، ودماثةِ الشر، ورشاقة المعرض، قد حمل التَّعَسُّفُ على ديباجته، واحتكم العمل في طُلاوته، وخالف التَّكْلُفَ بين أطرافه، وظهرت فجاجَةُ التصنع في أعطافه، واستهلك التعقيدُ معناه، وقَيَّدَ التعويضُ مُرَادَهُ.

(١) التبيان (٣: ٣٢٨).

(٢) ديوانه (٣: ٣٢٨).

(٣) صدره:

مواقع الكلام

وهذا أمر تُستخبر به النفوس المَهْدَبَة، وتُسْتَشْهَد عليه الأذهان المثقفة؛ وإنما الكلام أصواتٌ محلُّها من الأسماع محلُّ النواظر من الأبصار. وأنتَ قد ترى الصُّورة تستكْمِلُ شرائطِ الحُسْنِ، وتستوفي أوصافَ الكمال، وتذهب في الأنفُس كلَّ مَذْهَب، وتقف من التَّمَامِ بكلِّ طريق، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن، والتَّتامِ الخُلُقَة، وتَنَاصُفِ الأجزاء، وتقابل الأقسام؛ وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأغلقُ بالنفس، وأسرع مَمازجة للقلب؛ ثم لا تعلم - وإن قاسيتَ واعتبرت، ونظرت وفكرت - لهذه المزية سبباً، ولما خَصَّتْ به مُقْتَضِيّاً.

ولو قيل لك: كيف صارت هذه الصورة، وهي مقصورةٌ عن الأولى في الإحكام والصَّنعة، وفي التَّرتيبِ والصَّيْغة، وفيما يجمع أوصافَ الكمال، وينتظم أسباب الاختيار أخلَى وأزشق وأحظى وأوقع؟ لأقمت السائل مقام المتعنّت المتجانف، ورددته ردَّ المُستبهم الجاهل! ولكان أقصى ما في وسعك، وغاية ما عندك أن تقول: مَوَقِعُهُ في القلب أَلْطَف، وهو بالطَّبْع أَلْيَق؛ ولم تُعَدِّمْ مع هذه الحال مُعارضاً يقول لك: فما عبتَ من هذه الأخرى؟ وأي وَجْهِ عَدَلْ بك عنها؟ ألم يجتمع لها كَيْت وكَيْت!! وتتكاملُ فيها ذيه وذيه!! وهل للطاعن إليها طريق! وهل فيها لغامز مغمز يحتاجك بظاهرٍ تُجسِّهُ النَّواظر؛ وأنتَ تحيله عى باطنٍ تُحصِّله الضمائر!

كذلك الكلام: منثورُه ومنظومُه، ومُجَمَّلُه ومُفَصَّلُه؛ تجد منه المُخَكَّم الوثيق والجَزُل القوي، والمُصَنِّع^(١) المُخَكَّم، والمنمَّق الموشَّح؛ قد هُدِّب كلُّ التَّهذِيب، وثُقِّف غاية التَّقْطِيف، وجُهد فيه الفِكر، وأُتعب لأجله الخاطر، حتى احتَمَى ببراءته عن المعائب، واختَجَرَ بصِحَّتِهِ عن المطاعن، ثم تجد لفؤادك عنه نَبْوة؛ وترى بينه وبين ضميرك فَجْوة؛ فإن خَلَصَ إليهما فبأن يُسهَّل بعضُ الوسائل أذنه، ويمهِّد عندهما حاله؛ فأما بنَفْسِهِ وجوهرِهِ، وبمكائنه وموقعِهِ، فلا. هذا قولِي فيما صفا وخَلَص، وهُدِّب ونُقِّح؛ فلم يوجد في معناه خَلَل، ولا في لفظه دَخَل؛ فأما المختل المَعِيب، والفساد المضطرب، فله وجهان: أحدهما ظاهر يُشترك في معرفته؛ ويقال التفاضل في

(١) التصنع: تكلف الحسن.

علمه؛ وهو ما كان اختلاله وفساده من باب اللحن والخطأ من ناحية الإعراب واللغة. وأظهر من هذا ما عرّض له ذلك من قبيل الوزن والدّوق، فإن العامي قد يميّز بدوقه الأعاريض والأضرب، ويفصل بطبعه بين الأجناس والأبْحُر، ويظهر له الانكسار البين، والزحاف السائغ. والآخر غامض يوصل إلى بعضه بالرواية، ويوقف على بعض بالدراية؛ ويحتاج في كثير منه إلى دقة الفطنة، وصفاء الفريضة، ولطف الفكر، وبعْد العَوْص. وملاك ذلك كله، وتماؤه الجامع له والزمام عليه صحّة الطبع، وإدْمَان الرياضة؛ فإنهما أمران ما اجتمعا في شخص فقَصُرا في إيصال صاحبهما عن غايته، ورضيا له بدون نهايته.

وأقلّ الناس حظاً في هذه الصناعة من اقتصر في اختياره ونقيته، وفي استبجاده واستسقاطه على سلامة الوزن، وإقامة الإعراب، وأداء اللغة. ثم كان همّه وبعيته أن يجد لفظاً مرّوقاً، وكلاماً مرّوقاً؛ قد حشي تجنيساً وترصيعاً، وشحن مطابقةً وبديعاً، أو معنى غامضاً قد تعمق فيه مستخرجه، وتغلغل إليه مستنبطه، ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب، واضطراب النظم، وسوء التأليف، وهلهلة السنج، ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها، ولا يسبر ما بينهما من نسب، ولا يمتحن ما يجتمعان فيه من سبب، ولا يرى اللفظ إلا ما أدى إليه المعنى، ولا الكلام إلا ما صور له الغرض، ولا الحُسن إلا ما أفاده البديع، ولا الرّونق إلا ما كساه التّصنيع، وقد حملني حُبّ الإفصاح عن هذا المعنى على تكرير القول فيه، وإعادة الذكر له؛ ولو احتمل مقدار هذه الرسالة استقصاؤه، واتسع حجمها للاستيفاء له لاسترسلت فيه، ولأشرفت بك على مُعظمه.

وإذا كان هذا محلي من التّحقيق بهذه الطريقة، ومقامي في نُصرة هذا الرأي فأنا أول موافق لك على ما ادّعيته، وراض منك بالمقدار الذي أوردته؛ غير أن العصبية ربما كدّرت صفو الطبع، وقلّت حدّ الذهن، ولبّست العلم بالشك، وحسنت للمُنصف الميل؛ ومتى استحكمت ورسخت صوّرت لك الشيء بغير صورته، وحالت بينك وبين تأمله، وتحطت بك الإحسان الظاهر إلى العيب الغامض. وما ملكت العصبية قلباً فتركت فيه للتشبت موضعاً؛ أو أبقت منه للإنصاف نصيباً!

دفاع المؤلف عن أبي الطيب

وقد تفقدت ما أنكروه أصحابك من هذا الديوان، بعد الأبيات التي حالها من امتناع المحاجة فيها، وتعدر المخاصمة عليها ما وصفت فوجدته أصنافاً، منها ألفاظ نُسبت إلى اللحن في الإعراب، وأدعي فيها الخروج عن اللغة، ومعان وصفت بالفساد والإحالة، وبالاختلال والتناقص، واستهلاك المعنى؛ وأخرى أنكروا منها التخصيص عن الغرض، والوقوع دون القصد. وأغيب ما فيها ما عيبه من باب التعقيد والعويص^(١) واستهلاك المعنى وعموض المراد؛ ومن جهة بُعد الاستعارة، والإفراط في الصنعة، وقد حكيت في كل باب منها ما علقته من كلام أصحابك، وما قابلهم به خصومك، ورأيت السلامة في أن اقتصر من هذه (الوساطة) على حسن التبليغ، وحسن التأدية، وتقريب العبارة، وجمع المتفرق، ثم أقب منكما حجة، وأخرج عنكما صغراً؛ قد أديت عن كل فريق ما تحملته، وسلمت من الميل فيما تكلفته.

وكما لا أحكم على خصمك بالخطأ في كل ما يذكره، فكذلك لا أبعدك من الصواب في أكثر ما تصفه. وجملة القول في هذه الأبيات وأشباهها أنه لو وقي فيها التهذيب حق؛ ولم ينحس التثقيف شرطه لانقطعت عنها ألسن العيب؛ وانسدت دونها طرُق الطعن، ولدخلت في جملة أخواتها، ولجرت مجرى أغيارها؛ ولا استغنت عن تكلف البحث والتثقيف؛ واستغنى خصمك عن تمحل الحجج والمعاذير. لكننا لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعره أجمع، بل قلما تجد ذلك في القصيدة الواحدة، والخطبة الفردة؛ ولا بد لكل صانع من فترة، والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال؛ ولا يدوم في الأحوال على نهج. وقد قدمنا لك في صدر هذه الرسالة من شعر أبي نؤاس وأبي تمام وغيرهما ما مهذنا به الطريق إلى هذا القول، وأقمناه علماً يرجع إليه في هذا الحكم، وأعلمناك أنه ليس بنيتنا الشهادة لأبي الطيب بالعصمة، ولا مرادنا أن نبرئه من مقارفة زلة، وأن غايتنا فيما قصدناه أن نلحقه بأهل طبقته، ولا نقصر به عن رتبته، وأن نجعله رجلاً من فحول الشعراء، ونمنعك عن إحباط حسناته بسيئاته، ولا نسوغ لك التحامل على تقدمه في الأكثر بتقصيره في

(١) العويص من الشعر: ما يصعب استخراج معناه.

الأقل، والغض من عامّ تَبْرِيْزِهِ، بخاصّ تَعْذِيْرِهِ. ومتى وجدتك تحتمل للفرزدق قوله:
وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وقوله:

مَا بِالْمَدِيْنَةِ دَارٌ غَيْرٌ وَاحِدَةٌ دَارِ الْخَلِيْفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَ
وقوله:

فإنّ التي ضرتك لو ذقت طعمها عليك من الأعباء يوم التخاصم
وأشباهاها. وإن لم تحتمله لم تتعمده بالعيب، ولم تتناول قلائده بالعَضِّ، ولا
تسلك بأبي الطيب هذا المسلك، وتحمله على هذا المنهج علمت أنّك متعصب مائل،
ومتحامل جائر.

ولقد حدثني بعض أهل الأدب أنه حضر عند أبي الحسن بن لنكك البصري -
وكان على فضله في العلم، وتقدمه في الأدب - شديد التحامل على أبي الطيب، وهو
يذكر شيئاً من شعره حتى انتهى إلى قوله^(١):

بقائي شاء ليس هم ارتحالا

فجعل يُعْجِبُ من هذا المصراع مَنْ حضره ويقول: هل رأيتم أشد تعقيداً وأظهر
تكلفاً، وأسوأ ترتيباً من هذا الكلام! قال: فقلت له: هب الأمر على ما ادّعيته، وأنا
سلمنا لك ما زعمته، أين أنت من قوله في إثر هذا البيت^(٢):

كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا نُزِنَ سَالَا

قال: فاستشاط غيظاً، ثم قال: هذا المصراع يسقط دواوين عدة شعراء!
فإن كان هذا الحكم سائغاً، وكان ما قاله مقبولاً، فإن أحد أبيات الفرزدق يسقط
شعر بني تميم جُمْلَةً؛ فقد ترى ما بينها من الفضل في النقص، وتبين تفاوتها في سوء
الترتيب واختلال النظم. ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب أن لا
يرى لأبي تمام بيت واحد؛ فإننا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين قد وقر من
التعقيد حظهما؛ وأفسد به لفظهما، ولذلك كثر الاختلاف في معانيه، وصار
استخراجها باباً منفرداً؛ ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب، وصارت تُتطرح في
المجالس مطارحة أبيات المعاني، وألغاز المعنى.

وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض

(١) ديوانه (٣: ٢٢١) وبقية:

وحسن الصبر زمو لا الجمالا

(٢) ديوانه (٣: ٢٢٢).

مستتر؛ ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر، ولم تُفردَ فيها الكتبُ المصنّفة، وتُشغل باستخراجها الأفكارُ الفارغة.

ولسنا نريدُ القِسْمَ الذي خفاءُ معانيه واستتارُها من جهةِ غرابةِ اللَّفْظِ وتوحش الكلام، ومن قبل بُعْدِ العَهْدِ بالعادة وتغيّر الرِّسْمِ، كاختلاف الناس في قول تميم بن مُقبل^(١):

يَا دَارَ سَلَمَى خَلَاءَ لَا أَكَلَّفُهَا إِلَّا الْمِرَانَةَ حَتَّى تَعْرِفَ الدَّيْنَا

فإن الذي خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المرانة، فقال قائل: هي ناقته، وقال آخر: هي موضع دار صاحبه، وقال آخر إنما أراد الدوام والمُرونة^(٢). وكقول امرئ القيس^(٣):

نَطَعَنَهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لِأَمِينٍ^(٤) عَلَى نَابِلِ

لَمَّا لَمْ يَعْرِفُوا: هل الكاف من كَرَّكَ فتكون اللأمان مُفردين، أو الكَرز مفرداً، ويكون اللأم موصولاً اختلفوا.

وإنما أريد مثل قول الأعشى:

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبَلَا دَصَدَرَ الْقَنَاةَ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

فإن هذا البيت - كما تراه - سليمُ النظم من التعقيد، بعيدُ اللَّفْظِ عن الاستكراه، لا تشكل كل كلمة بانفرادها على أذني العامة، فإذا أُرِدَتْ الوقوف على مراد الشاعر فمن المحال عِنْدِي، والممتنع في رأيي أن تصل إليه إلا من شاهد الأعشى بقوله، فاستدل بشاهد الحال، وفحوى الخطاب، فأما أهل زماننا فلا أجزى أن يعرفوه إلا سماعاً إذا اقتصر بهم من الإنشاد على هذا البيت المفرد؛ فإن تقدموه أو تأخروا عنه بأبيات لم أبعد أن يُسْتَدَلَّ ببعض الكلام على بعض، وإلا فمن يسمع بهذا البيت فيعلم أنه يريد: أن الفتى إذا كبر فاحتاج إلى لزوم العصا أطاع لمن يأمره وينهاه، واستسلم لقائده، وذهبَتْ شِرَّتُهُ!

وكقول المَعْلُوط:

بَلْ رَبِّ مِخْرَارٍ تَجَاوَزَنَهُ بِبَسْطَةِ الْهَامَةِ وَالْمِشْفَرَيْنِ

(١) اللسان: مادة - مرن.

(٢) قال في اللسان: «وقيل هي هضبة من هضبات بني عجلان»؛ يريد؛ لا أكلفها أن تبرح ذلك المكان، وتذهب إلى موضع آخر. وقال الأصمعي: المرانة: اسم ناقه كانت هادية بالطريق. وقال: الدين: العهد والأمر الذي كانت تعهده.

(٣) اللسان: مادة - لأم.

(٤) ويروي: «لفتك لأمين نابل».

مأهولة الأرض إذا أصبحت مجدبة الحيزوم والميزققين
 البيت الأول منكشف المعنى، وأما الثاني فلا يُعَلِّمُ إلا وَخِيّاً أو سَمَاعاً، ولو بلغ
 طالبه في علم العرب كلَّ مَبْلَغ، وحمل على فكره فوق الطاقة، وإنما معناه أنَّ هذه
 الناقة إذا أصبحت وانقادت فإن رؤوس الإبل عند رجلها، لأنها أقوى على السير
 منها، وصدورها خال لم تلحق بها ناقة لقصورهن عنها.
 وكذلك قول الآخر:

فَجُنُبْتُ العَوَارِ أَبازنِيبَ وِجَادَ عَلى مَحَلَّتِكَ السَّحَابِ
 من يسمع هذا البيت يظنه دعاء له واستسقاء لأرضه، وإنما مراد الشاعر الدعاء
 عليه أن يُهْلِكَ اللُّهُ إِبِلَهُ فلا يملك منها ما يُعار عليه، وأن تجود السحاب على أرضه
 وهو مملق، فيشتد أسفه على ما ذهب من ماله إذا رأى الأرض مخصبة، وسائمة الحي
 راعية.

وقول الآخر:

وَإِنِّي لَظِلَّامٌ لِأَشْعَثَ بَائِسٍ عَرَانَا وَمَقْدُورَ بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ
 وَجَارٍ قَرِيبِ الدَّارِ أَوْ ذِي جِنَايَةِ بَعِيدِ مَحَلِّ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَقْرُ
 هل يشك من أنشدهما أن الشاعِرِ وصف نفسه بأقبح الصفة، وأضاف إليها أشنع
 الظلم؛ وإنما يريد أني أظلم الناقة فأنحرُ فصيلها لأجل هذا الأشعث والجار، ولو
 قال: وإني لنحار لأنصح المعنى، ولم يختل البيت. وأمثال هذه الأبيات موجودة
 شائعة، واستقصاؤها مُفَارِقٌ للرَّسْمِ، وخارج عن الشَّرْطِ، والكتب المُصَنَّفَةُ فيها
 مَعْرُوفَةٌ، والرُّجُوعُ إليها مُمَكِّنٌ.

وأنت لا تجد في شعر أبي الطيب بيتاً يزيدُ مَعْنَاهُ على هذا الغموض، أو تتعَدُّ
 ألفاظه تَعَقُّدَ أبيات الفرزدق. فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين، ومن
 أنصف حجزه حضور البيئة عن المنازعة.

غلو القدامى

فأما الإفراط فمذهب عام في المُحدَثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقيح راذ، وله رسوم متى وقف الشاعرُ عندها، ولم يتجاوز الوصفَ حدَّها جمع بين القصد والاستيفاء، وسلم من النقص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشُعْبَةٌ من الإغراق، والباب واحد، ولكن له درج ومراتب.

فإذا سمع المحدث قول الأول:

إلا إنما غادرت يا أم مالك
وقول آخر من المتقدمين^(١):

ولو أن ما أبقيت مني معلق
جسر على أن يقول:

أسر إذا تجلث وذاب جسمي
واستحسن غيره أن يقول^(٢):

ذاب فلورج بجسمانيه
وسهل لأبي الطيب الطريق فقال^(٤):

ولو قلتم ألقى في شق رأسيه
وقال^(٥):

كفى بجسمي تحولاً أنني رجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني^(٦)

(١) اللسان. مادة - ثم، والعمدة (٢: ٤٩)، ونسبه للأعشى.

(٢) الثمام: نبت ضعيف شبيه بالخص؛ وربما سد به خصاص البيوت.

(٣) التبيان (١: ١٤٩).

(٤) ديوانه (١: ١٤٩).

(٥) ديوانه (٤: ١٨٦).

(٦) قال العكبري: هو مأخوذ من قول الأخطل:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت
قال: ولبعضهم، ولقد أحسن:

فاستبق ما أبقيت لي فلعلني
من مهجة ذابت أسى فلو أنها
فدل عليها صوتها حية البحر
يوماً أقبيك به من الأعداء
في العين لم يمنع من الإغفاء

وإذا قال عترة ^(١) :	وأنا المنيئة في المواطن كلها
والطعن مني سابق الآجال	وقال النابغة [الجعدي] ^(٢) :
وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرا	بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
عاش ولم يُنقل إلى قابر	وقال الأعشى:
ترى الأكم منه سجداً للخوافر	لو أسندت ميتاً إلى نحرها
وتوقد بالصفاح نار الحباب ^(٤)	وقال عروة بن زيد:
بغد الذراعين والساقين والهادي ^(٦)	بجيش تطل البلق في حجراته
صليل البيض تُقرع بالذكور ^(٨)	وقال النابغة ^(٣) :
تحزقت الأرض واليوم قر	تقد السلوقي المضاعف نسجه
لأصبح بخراً بالمفازة جاريا	وقال التمر بن تolib ^(٥) :
ويصرف حد الشمس حتى تكررا	يظل يحفز عنه إن ضربت به
	وقال مهلهل ^(٧) :
	ولولا الريح أسمع من بجبر
	وقال امرؤ القيس ^(٩) :
	إذا ركبوا الخيل واستلأموا
	وقال الأعور الشني:
	ولو حل بالدهناء حرث بن جابر
	وقال الهذلي:
	يرد شعاع الشمس عار رماحنا

(١) ديوانه ص ١٠٩، وروايته هناك:

(٢) وأنا المنيئة حين تشتجر القنا والطعن مني سابق الآجال

(٣) مهذب الأغاني (٢: ٧٥). (٣) اللسان، مادة - حيب.

(٤) السلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق؛ وهي قرية باليمن. والصفاح: الحجر العريض، ونار الحباب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة.

(٥) العمدة (٢: ٤٩).

(٦) الهادي: العنق.

(٧) الأمالي (٢: ١٣٣).

(٨) حجر: قصبة اليمامة، وإقامتهم كانت بالجزيرة. والصليل: الصوت. والذكور: السيوف التي عملت من حديد غير أنيث. قال أبو العباس الأحول: أول كذب سمع في الشعر هذا.

(٩) ديوانه ص ٥.

وقال قيس بن الخطيم:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَقَّهَا
تَرَى قَائِماً مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا
وقال هذية:

بِإِجَانَةٍ فَيَسْحَاءُ لَوْ خَرَّ بِأَزَلٍ
مِنَ الْبُخْتِ فِيهَا ظَلٌّ لِلْجَنْبِ يَسْبُحُ
وقال ابن ميادة:

وَلَوْ أَنَّ قَيْساً قَيْسَ عَيْنَانَ أَقْسَمْتَ
عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهَا حِجَابَهَا
وقال الطرمّاح:

وَلَوْ أَنَّ بَرَعُوثاً عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ
يَكُرُّ عَلَى صَفْنِي تَمِيمٍ لَوَلَّتِ
وقال العيني في جوابه:

وَلَوْ أَنَّ عُضْفوراً يَمُدُّ جَنَاحَهُ
عَلَى طَيْئٍ فِي دَارِهَا لاسْتَقَلَّتِ
وقال طريح:

لَوْ قُلْتَ لِلسَّيْلِ دَعِ طَرِيقَكَ وَالْمَوْ
جِ عَلَيْهِ كَالهَضْبِ يَغْتَلِيحُ
لَارْتَدَّ أَوْ سَاخَ أَوْ كَانَ لَهُ
فِي سَائِرِ الأَرْضِ عَنكَ مُنْعَرَجُ

وقال العوام بن عمرو:

وَلَوْ أَنَّهَا عُصْفُورَةٌ لِحَسْبِئِهَا
مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عُبَيْداً وَأَزْئِماً
وقال تميم بن مقبل:

وَلَوْ كَحَلَّتْ حَوَاجِبَ خَيْلِ قَيْسٍ
بِكَلْبٍ بَعْدَ تَغْلِبِ مَا أَقْدِينَا

وأمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد من بعدهم سبيلاً
مسلوكاً وطريقاً موطأً، فقصدوا، وجاروا، واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة،
واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم، فاجتذبه الإفراط
إلى النقص، وعدل به الإسراف نحو الذم.

عود إلى الدفاع عن أبي الطيب

ولما سمع أبو الطيب قولَ قَيْسِ بنِ الخطيمِ في الطعنةِ نافسه فقال^(١) :
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي فَكَيْلٌ ذَهَابًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ^(٢)
 فلم يحفلُ بسوءِ النظمِ، وهَلْهَلَةَ النَّسْجِ لَمَّا حَصَلَ لَهُ الْغَرَضُ فِي إِنْهَارِ^(٣) الطعنةِ،
 وتوسيعِ الجرحِ .

ولمَّا سمع قولَ العوّامِ بنِ عبدِ عمرو^(٤) :
 وَلَوْ أَنَّهَا عَصْفُورَةٌ لِحَسْبَتِهَا مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عَيْدِنَا وَأَزْنَمَا
 وَوَجَدَ الْمُحَدِّثِينَ قَدْ تَبِعُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ مَذَاهِبَ طَلَبِ الزِّيَادَةِ فَقَالَ^(٥) :
 وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا^(٦)
 فلم يكثرُ بالإجالةِ، ولم يستقبح أنْ يجعلَ غيرَ شيءٍ مرثياً لما استوفى عند نفسه
 الغايةَ، ولم يبق وراءها مَرْمَى لشاعرٍ، وشجَّعه على ذلك أيضاً أنه سمع قولَ عمرو بنِ لجأ
 وقعنِبِ يابُنِ لا شيءٍ هتفت به

وقول أبي تمام:

أَفِي تَنْظِمٍ قَوْلِ الزُّورِ وَالْفَنْدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ
 فقال: قد أجاز هذا أن يكون لا شيء واحداً، وهذا أن يكون معدوداً فكيف
 يحظر عليّ أن أجعله مرثياً^(٧)!

- (١) ديوانه (٤ : ٥٧) .
- (٢) القرن: كفاء الرجل في شجاعته . والجائزة: ما يعطاها الشاعر . والكلم: الجرح . يقول: إذا
 أجزتني فكل لي ذهباً في جرح القرن إذا نازلته وجرحته . يريد: إنك واسع الضربة؛ فأعطني
 مقدار ما تسع الضربة من الذهب .
- (٣) إنهار الجرح: توسيعه .
- (٤) عيون الأخبار (١ : ١٦٦) .
- (٥) ديوانه (٣ : ١٦٩) .
- (٦) قال الخوارزمي: رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين؛ وإنما هي من رؤية القلب؛ يريد به
 التوهم، وغير الشيء يجوز أن يتوهم .
- (٧) قال ابن القطاع: قد أُوخذ في هذا البيت؛ فقيل: كيف يرى غير شيء، وغير شيء معدوم،
 والمعدوم لا يرى؟ وليس الأمر كما قالوا؛ بل أراد غير شيء يعبأ به .

ولما رأى مُهْلَهْلًا قد أسمع أهلَ حِجْرٍ صَليْلَ البَيْضِ، وهو بالذنائب وبينهما
عَرَضُ نِجْدٍ^(١) أقدم على أن قال^(٢):

سَلُّهُ الرُّكْبُ بَعْدَ وَهْنٍ بِسَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلغَيْثِ أَهْلُ الحِجَازِ^(٣)

وإذا رآهم قد احتملوا لطريح أن يجعل الوليد بن يزيد يرُدُّ السَّيْلَ^(٤) بقوله من
جهة، ويصرفه عن طريقه سامهم أن يَحْتَمِلُوا في ابن حَمْدَانَ قوله^(٥):

أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا فلو دَعَوْتُ بلا ضَرْبِ أَجَابَ دَمٌ

ومتى سامح الرواة وحملة الشعر الفرزدق في قوله:

لِعَمْرِكَ ما الأرزاقُ حين احتفالها بأكثرَ حَيْرًا من خِوانِ العُدَافِرِ^(٦)

ولو ضافه الدجال يلتوس القيرى وحل على خبازِه بالعساكر

بعده يأجوج ومأجوج كلهم لأشبعهم يوماً غداء العُدَافِرِ^(٧)

وسامحوا سخيماً عبد بني الحسحاس في قوله^(٨):

وما زال بُرْدِي طَيِّباً من رِداثِها إلى الحَوْلِ حتى أَنهَجَ^(٩) البردُ باليا

وجمياً في قوله:

ولو أن جِلْدًا غَيْرَ جِلْدِكَ مَسْنِي وباشرنى دون الثيابِ شَرِيثُ

ولو أن واقى الموت يدعو جنازتي بمنطقةها في الناطقين حَيِيثُ

(١) وذلك قوله:

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل الببيض تفرع بالذكر

(٢) ديوانه (٢: ١٧٧).

(٣) يقول: لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد فرأى أهل الحجاز بريقه، فظنوه برقاً،
فارتقبوا المطر.

قال العكبري: هو منقول من قول الوائلي:

ما سله أهل الحجاز لحاجة إلا يبشر بالسحاب الشاما

وأخذه علي بن الجهم في قوله في قبة المتوكل:

وقبة ملك كأن النجوم م تصغي إليها بأسرارها

إذا أوقدت نارها بالعراق أضاء الحجاز سنا نارها

(٤) وذلك قوله:

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ج عليه كالهضب يعتلج

لارتد أو سناخ أو كان له في سائر الأرض عنك منعرج

(٥) ديوانه (٤: ٢٦).

(٦) العذافر: اسم رجل.

(٧) العذافر هنا: الجمل.

(٨) اللسان: مادة - نهج.

(٩) أنهج البرد: أخذ في البلى.

لزمهم أن يسامحوا أبا نُوَاس في قوله يصف قِدْرًا:

يعضّ بحَيَزُومِ الجِرادَةِ صَدْرُها وينضج ما فيها بِعُودِ خِلالِ
تَغْلِيهِ بذكر النار من غير قُرْبِها وينزلها عفوًا بغير جعالِ
والعَكُوكِ في قوله يصف رِجله ومشيتها:

إذا اتسعت لم يلحق الدُرُّ شَأُوها وخامرها دون الذراع ابتهاؤها
وأبا الطيب في قوله^(١):

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي العِظَامَ وَعَضْبَةٌ بها فَضْلَةٌ لِلجُرْمِ عن صاحبِ الجُرْمِ
وَرِيقَةٌ وَجْهٌ لَوْ حَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ على وَجنتَيْهِ ما أمحى أَثْرُ الخَثْمِ
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الجِنِّ وَالإنْسِ سَيْفُهُ فما الظنُّ بعد الجِنِّ بالعُرْبِ والعُجْمِ
وَأزْهَبَ حَتَّى لو تَأَمَّلَ دِزْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا من غير نار ولا فحمِ

فإن قالوا: أَلَسْنَا نسامح المتقدمين بالخطأ؟ ولا نحتمل لهم هذا الإغراق الفاحش؟ قلنا: أولستُم قد سلّمتم لهم الإحسان في غير ذلك، ولَمَ تسقطوهم من عداد الشعراء لأجله فأجروا هذا الرجل مجراهم، وألحقوه في الحكم بهم. وإذا احتملوا لامرئ القيس قوله^(٢):

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحُولٌ من الدُرِّ فَوْقَ الإِثْبِ منها لأثرا^(٣)
ولحميد قوله^(٤):

مُنْعَمَةٌ لو يُضِيحُ الدُرُّ سَارِيًا على جِلْدِها صَبَّتْ^(٥) مَدَارِجُهُ دِما
فاحتملوا للمحدث قوله:

يَجْرُحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرَّارِهِ ويشتكى الإيماءَ بالكَفِّ
ولأبي الطيب قوله^(٦):

تَأَلَّمُ دَرَزَةٌ وَالدَّرَزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأَلَّمُ العَضْبُ الصَّنِيْعَا^(٧)

(١) ديوانه (٤ : ٥٥).

(٢) ديوانه ص ١٠٣.

(٣) القاصرات: النساء: اللاتي قصرن أعينهن عن الرجال؛ أي حبسها إلا على أزواجهن. والمحول: الصغير من الدر. والإثب: القميص غير مخيط الجانبين؛ يريد أن يصفها بالنعمة.

(٤) شرح ديوان امرئ القيس للبطلبوسى ص ١٤٠، وروايته هناك:

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

(٥) في الديوان ١٧: بضت.

(٦) ديوانه (٢ : ٢٥١).

(٧) الدرز: موضع الخياطة المكفوفة من الثوب. والتألم: التوجع. والعضب: السيف. والصنيع: المعكم الصقال.

وإذا لم ينزل عندكم حميد بن ثور عن مكانه، ولم يؤخره عن مقامه إفراطه في قوله يصف امرأة ركبت هودجها^(١):

فما دخلت في الخدر حتى تنقضت
وما ركبت حتى تطاول يومها
فجزجر لما كان في الخدر نصفها
وما كاد لما أن علته يقلها
وحتى تداعث بالنقيض حبائه
وأثر في ضم الصفائفائه
تأسير أعلى قده وتحطما^(٢)
وكانت لها الأيدي إلى الحذب^(٣) سلما
ونصف على آياته ما تجر ما
بنهضته حتى اكلاز وأعصما^(٤)
وهمت بواني زوره أن تحطما^(٥)
ورام بلما أمره^(٦) ثم صمما

قال الأصمعي - وقد قرئت عليه هذه الأبيات: لو كانت هذه المرأة المازندر ما زاد؛ فكيف ملتم على أبي الطيب لإفراطه في قوله^(٧):

ذراعاهَا عَدْوًا دَمَلَجَيْهَا
إذا ساغ للمتقدم أن يقول:

فَلَمَّا جِئْتَهُ أَعْلَى مَحَلِّي
فَأَمَا مَا جَرَى مَجْرَى قَوْل أَبِي نُؤَاسِ^(٨):

وَأَخْفَتَ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ
لتخافك التطف التي لم تخلق

فهو من المحال الفاسد، وله باب غير هذا، وكل هذا عند أهل العلم معيب مزود، ومنفي مردول، وإن كان أهل الإغراب وأصحاب البديع من المخدثين قد لهجوا به واستحسنوه، وتنافسوا فيه؛ وبارى بعضهم بعضاً به.

ولسنا نذهب بما نذكره في هذا الباب مذهب الاحتجاج والتحسين، ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ؛ وإنما نقول إنه عيب مشترك، وذنب مقتسم، فإن احتمل للكل، وإن رد فعل الجميع، وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد

(١) ديوانه ١٩.

(٢) تنقضت: انحلت، وتأسير السرج: السور التي يؤسر بها.

(٣) في الأصل: إلى الخدر.

(٤) اكلاز وأعصم: تجمع واستمسك.

(٥) بواني زوره: أضلاع صدره. والنقيض: صوت المحامل.

(٦) في الأصل: بسلمي. ورام بلما: أي أراد ألا يقوم؛ من قولهم: كدت أفعل ولما، ويروى

ورمت سلیمی أمره ثم صمما.

(٧) ديوانه (٢: ٢٥٢).

(٨) ديوانه ص ٦٢.

من عرض الشعراء، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين .
 فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعوّل في التوسّع
 والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر، وقد قدمنا عند
 ذكرنا البديع نبدأ منها مثلنا بها المُستخسَن والمستقيح، وفصلنا بين المقتصد
 والمفطر .

الإفراط في الاستعارة

وقد كانت الشعراء تجري على نهج منها قريب من الاقتصاد، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة، فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة. وأكثر هذا المصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه، وأقمت لك الشواهد عليه، وأعلمتك أنه يُميّز بقبول النفس ونفورها، وينتقد بسكون القلب وتبوّه. وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه أو غلطه، وقد كان بعض أصحابنا يجاريني آياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة، وخرج عن حد الاستعمال والعادة؛ فكان مما عدد منها قوله^(١):

مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرُفُهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ^(٢)
وقوله^(٣):

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها
فقال: جعل للطيب والبييض واليَلْب قلوباً وللزمان فؤاداً. وهذه استعارة لم تجر على شبه قريب ولا بعيد؛ وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة. فقلت له هذا ابن أحمر يقول:

ولهمت عليه كل مُغصفة هُوْجاء ليس لِلبِّها زَبْر^(٤)
فما الفصل بين من جعل للريح لباً، ومن جعل للطيب والبييض قلباً! وهذا أبو رميلة يقول:

هم ساعِدُ الدَّهرِ الذي يتقي به وما خير كف لا تنوء بساعِدِ
وهذا الكميّ يقول:

ولما رأيت الدَّهْرَ يَثْلِبُ ظَهْرَهُ على بطنه فعل الممَعك^(٥) بِالرَّمْلِ
وشاتم الدهر العبقّي يقول:

ولما رأيت الدَّهْرَ وَغَرّاً سَبِيلَهُ وأبدي لنا ظهراً أجب مسمعا

(١) ديوانه (١: ٩٠).

(٢) اليب: الدروع تتخذ من الجلود.

(٤) الزبر: الرأي أو القوة.

(٥) التمعك: التمرغ.

(٣) ديوانه (٤: ٢٧٧).

ومعرفة حصاء غير مفاضة عليه ولوناً ذا عثانين أجدعاً
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وصغر خديه وأنفاً مُجدعاً
فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصاً متكامل الأعضاء، تام الجوارح؛ فكيف أنكرت على
أبي الطيب أن جعل له فؤاداً! فلم يُجز^(١) جواباً غير أن قال: أنا استبزت^(٢) ووجدت بين
استعارة ابن أحمز للريح لباً، واستعارة أبي الطيب للطيب قلباً بوناً بعيداً، وأصبت بين
استعمال ساعد للدهر في بيت ابن رميلة، واستعمال فؤاد للزمان في بيت أبي الطيب فصلاً
جلياً، وربما قصر اللسان عن مُجاراة خاطر، ولم يبلغ الكلام مبلغ الهاجس.

حدثني جماعة من أهل العلم عن أبي طاهر الحازمي وغيره من شيوخ المصريين
عن يونس بن عبد الأعلى قال: سألت الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فقال: إني
لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطلق به لساني.

وما أقرب ما قاله من الصواب وأخلقه بالسداد! وقد أجد هذا الفصل الذي تخيل
له بعض البيان؛ وذلك أن الريح لما خرجت بعُصوفها من الاستقامة، وزالت عن
الترتيب شُبهت بالأهوج الذي لا مُسكّة في عقله، ولا زبر لبّه؛ ولما كان مدار الأهوج
على التباس العقل حسن من هذا الوجه أن يجعل للريح عقلاً، فأما الدهر وإنما يراد
بذكره أهله؛ فإذا جعل للدهر ساعداً وعُصداً ومُنكباً فقد أقيم أهله مقام هذه الجوارح
من الإنسان؛ وليس للطيب والبيّض واليَلْب ما يُشبه القلب، ولا ما يجري مع هذه
الاستعارة في طريق.

وقوله:

ملء فؤاد الزمان إحداهما^(٣)

إن عدل به إلى أهله وأزيل عن مقتضى لفظه اختل المعنى وانقطع عن قوله
بعده^(٤):

فإن أتى حظها^(٥) بأزمئته أوسع من ذا الزمان أبداها

فهذا فصل واضح وفرق ظاهر. وأما أبيات شاتم الدهر^(٦) فإنما صدرت مصدراً

(١) يقال كلمته فما أحرار جواباً؛ أي ما رد جواباً.

(٢) سبر الشيء: خبره، والسبر: استخراج كنه الأمر كالاستبصار.

(٣) بقية البيت؛ وصدرة:

تجمعت في فؤاده همم

(٤) ديوانه (٤: ٢٧٨).

(٥) حظها: أي الدنيا إن كان لها حظ.

(٦) السابقة التي أولها:

ولما رأيت الدهر وعرا سبيله

الهزل، وجرت على عادة في الاستعمال مُتَدَاوِلَةً؛ وذلك أنهم لما ابتدلوا اسمَ الدهر واعتمدوا على صَرْفِهِ في الشكاية والشكر، وأحالوا عليه باللُّومِ والعُتْب، وألْفَوْا ذلك واعتادوه حتى صارَ أَعْلَبَ على كلامهم، وأكثرَ في شعرهم وخطابهم من ذِكْرِ أَهْلِهِ وأبنائه، وَمَنْ تَقَعُ هذه المحامد والملاوم عنه، وَيَخْدُثُ أسبابُها عن جِهَتِهِ صار كالشخص المحمود المذموم، والإنسانِ المحسنِ المسيءِ، فوصف بأوصافه، وحلي بحلاه، وجعل له أعضاء تعدّ وتُنعت، وتستكرم وتستهنجن، ومثل هذه الألفاظ قول امرئ القيس^(١)؛ يريد الليل:

فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ^(٢)
فجعل له صُلْباً وَعَجْزاً وَكُلِّكَلًا لما كان ذا أولٍ وآخِرٍ وأوسط، مما يوصف بثقل الحركة إذا استطيل وبخفة السير إذا استقصر؛ وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غيرُ مستكرهة، وقريبةُ المشاكلة ظاهرةُ المشابهة، وإنما يُحْمَلُ ما جاء من ألفاظِ المحدثين وكلام المولدين زائلاً عن هذا الموضوع وغيرَ مستمرٍ على هذا السَّنن على وجوه تقرّيبهم من الإصابة، وتقييم لهم بعضُ العُدْر، وتلك الوجوه تختلفُ بحسب اختلاف مواضعه، وتباين على قَدْرِ تباين المعاني المتضمنة له، فإذا قال أبو الطيب:

مَسْرَةً فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرِقُهَا

فإنما يريد أن مباشرة مَفْرِقُهَا شرف، ومجاورته زَيْنٌ وَمَفْخَرَةٌ، وأن التحاسد يقع فيه، والحسرة تقع عليه، فلو كان الطَّيِّبُ ذا قَلْبٍ كما لو كانت البَيْضُ ذوات قلوب لَأَسِفْتُ؛ وإذا جعل للزمان فؤاداً أمَلَتْه هذه الهمة فإنما أورده على مقابلة اللفظ باللفظ، فلما افتتح البيت بقوله:

تَجَمَّعَتْ فِي فؤَادِهِ هِمَمٌ

ثم أراد أن يقول إن إحداها تشغل الزمان وأهله ولا يتسع لأكثرَ منها ترخُّص بأن جعل له فؤاداً وأعانته على ذلك أن الهمة لا تحل إلا الفؤاد، وسهّله في استعارة الأوصاف. وإذا قال أبو تمام^(٣):

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ

فإنما يريد: اعدل ولا تجر، وأنصف ولا تحف^(٤). لكنه لما رآهم قد استجازوا

(١) ديوانه ص ٣٣.

(٢) لما تمطى بصلبه: لما تمدد بوسطه. والكلكل: الصدر. وناء بكلكل: تهيأ لينهض.

(٣) ديوانه ص ٢١٠، والبيت بتمامه:

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

(٤) لا تحف: لا تجر ولا تظلم.

أن ينسبوا إليه الجور والميل، وأن يقدفوه بالعسف والظلم، والخزق والعنف، وقالوا: قد أعرض عنا، وأقبل على فلان، وقد جفانا وواصل غيرنا، وكان الميل والإغراض إنما وقع بانحراف الأخذع^(١) وأزوار المنكب، استحسناً أن يجعل له أخدعاً، وأن يأمر بتقويمه. وهذه أمور متى حُملت على التحقيق، وطلب فيها محض التقويم أُخرجت عن طريقة الشعر، ومتى أتبع فيها الرخص، وأجريت على المسامحة، أدت إلى فساد اللّغة، واختلاط الكلام. وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعُرف. والاختصار على ما ظهر ووضح.

(١) الأخدعان: عرقان في العنق.

من مآخذ العلماء على أبي الطيب ودفاع المؤلف عنه

قد قلت في هذه الأبواب بقدر ما احتملت الرسالة قولاً مجملاً يسهل لك السبيل، ويوقفك على جهة الاحتجاج. ولم أجد لإثبات كل لفظة، واستعراض كل بيت موقفاً من التدبر مرضياً إذا كان أكثرها مذكوراً في الأبيات المتقدمة، وكان ما لم يذكر منها دالاً على نفسه، وتميزاً عن غيره، لا سيما وقد كشفت لك هذه الجملة عن وجه التمييز، ودلتك على مطلب العيب، كما مهّدت لك طريق العذر، فأما ما وقع الطعن عليه من جهة الإعراب، واللكنة في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البيّنة، والتقصير الفاحش، فلا بد من تعديده، والحكم على كل واحد بعينه؛ لاختلاف مأخذ حججه، وتشعب مذاهب القول في قبوله وردّه؛ وإنما أذكر ما انتهى إليّ منه سماعاً وبلاغاً، وما وقفت عليه كشفاً واستقراء؛ غير أنني لا أتجاوز ما يقع الاعتراض عليه من أهل العلم، وما يجري التنازع فيه بين أهل التحصيل والفهم؛ فإني لو شرعت في تبين كل ما يشكل منه على الشاذي^(١) والمتوسط، وعلى الطبقة الأولى من أهل الأدب لاحتججت إلى تفسير الديوان بأسره، فإن اقتصررت فعلى مُعظّمه وأكثره فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحويّ لُغوي لا بصّر له بصناعة الشعر؛ فهو يتعرّض من انتقاد المعاني لما يدلّ على نقصه، ويكشف عن استحكام جهله؛ كما بلغني عن بعضهم أنه أنكّر قوله^(٢):

تخطّ فيها العوالي ليس تُنفذها كأن كل سنان فوقها قلم^(٣)

فزعم أنه أخطأ في وصف دِرْع عدوّه بالحصانة، وأسنة أصحابه بالكلال. ومن كان هذا قدر معرفته، ونهاية علمه فمناظرته في تصحيح المعاني وإقامة الأغراض عتاء لا يُجدي، وتعب لا يُنفع؛ كأنه لم يسمع ما شحّنت به العرب أشعارها من وصف ركض المنهزم، وإسراع الهارب، وتقصير الطالب، وقولهم: إن الذي نجى فلاناً كرم

(١) الشاذي: المبتدئ.

(٢) ديوانه (٤: ٢٥).

(٣) العوالي: الرماح. يعني إن الرماح تؤثر فيها ولا تنفذها؛ حتى كأنها قلم في كاغد.

فرسه، والذي ثبطني عنه سرعة طُرْفه^(١)، ولم يعلم أن مذاهب العرب المحمودة عندهم، الممدوح بها شجعانهم التفضل عند اللقاء، وترك التحصن في الحرب، وأنهم يرون الاستظهار بالجنن^(٢) ضرباً من الجبن، وكثرة الاحتفال والتأهب دليلاً على الوهن، ولم يسمع قول الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبة ملمومة خرساء يخشى الدارعون نزالها
كنت المقدمَ غير لابس جُنَّة بالسيف تضرب معلماً أبطالها
ولما أنشد كثيرُ عبد الملك بن مروان^(٣):

على ابن أبي العاصي دِلاصَ حَصِينَةٍ أجدادِ المُسدِّي سَزَدَها وأذالها^(٤)

قال له عبد الملك: وصفتني بالجبن! هلا قلت كما قال الأعشى، وذكر البيتين المتقدمين. فقال: وَصَفْتُكَ بِالْحَزْمِ وَوَصَفَهُ بِالْحُرْقِ. وأنشد الأصمعي قول مُزَرَّد ابن ضِرار^(٥):

ومسْفُوحَةٌ ففضفاضةٌ تُبَعِيَّةٌ وآها القَتِيرُ تَجْتَوِيهَا المَعَابِلُ^(٦)
دِلاصَ كظْهرِ النُّونِ^(٧) لا يَسْتَطِيعُها سِنَانٌ ولا تلك الحِظَاءِ الدَّوَاحِلُ^(٨)
مُوشِحَةٌ بيضاء دَانِ حَبِيكُها^(٩) لها حَلَقٌ بعد الأنايلِ قَاضِلُ^(١٠)

قال الأصمعي: لئن كان أجداد في وصف الدرع لقد عاب لابساها؛ لأن فرسان العرب المذكورين لا يحفلون بسبوغ الدروع وحصانتها؛ وأنشد:

الدرعُ لا أبغي لها ثروة كل امرئ مستودع ماله
ويروى غيره: «لا أبغي لها نثرة» هكذا الأصمعي ينشده ويقول في معناه: كل من قدر عليه شيء أصابه. وأنشد أيضاً بيتي الأعشى اللذين ذكرناهما. فهذا مذهب العرب:

(١) الطرف: الكريم من الخيل.

(٢) الجنن: جمع جنة: والجنة: ما وراك من السلاح.

(٣) اللسان - مادة ذال.

(٤) الدلاص: الدروع البراقة الملساء اللينة. وأذال فلان ثوبه: إذا أطال ثوبه.

(٥) المفضليات (١: ٩٦). ومزود لقبه، واسمه يزيد بن ضرار، وهو أخو الشماخ بن ضرار.

(٦) المسفوحه: الدرع المصبوبة، وكأنه يريد الواسعة. الفضفاضة: الواسعة. تبعية: منسوبة إلى ملوك اليمن. القتير: المسامير. وآها: شددها. المعابيل: سهام طوال عراض التصال. تجتويها: تكرهاها؛ يريد أنها تنبر عنها.

(٧) النون: السمكة.

(٨) الحظاء: السهام الصغار؛ لا نصال لها؛ جمع حظوة.

(٩) موشحة: فيها طرائق صفر، أي نحاس. الحبيك: الطرائق من النسج.

(١٠) فاضل: زائد، يريد أنها سابعة.

وقد قال الكَلْحَبَةُ العُرْنِي^(١) - لما فاته حزيمة بن طارق التُّغَلْبِي:
فَأُذْرِكْ إِبْقَاءَ العَرَادَةِ ظَلْعُهَا وقد تَرَكَتْنِي من حزيمة إصْبَعًا^(٢)
فاعتذر إذ فاته حزيمة بظلع فرسه، وإنما يريد تقصيرها لا امتلاءها الماء؛ ألا
تراه يقول^(٣):

وَنَادَى مُنَادِي القوم^(٤) أَنْ قد أُتَيْتُمْ وقد شَرِبَتْ ماءَ المَزَادَةِ^(٥) أَجْمَعًا
وقال سَلَمَةُ بن الحُرْشُب يذکر هَرَب عامر بن الطفيل وأنه نجا بسرعة فرسه^(٦):
نَجَوْتُ^(٧) بِنَضْلِ السيفِ لا غِمْدَ فوقه وسَرَجَ على ظَهْرِ الرحالة قاتر^(٨)
فَأُتِنَ عليها بِالَّذِي هي أهلُه ولا تُكْفَرُنَهَا، لا فِلاَحَ لِكَافِر^(٩)
فلو أَنَّها تُجْرِي على الأرض أذْرِكْتُ ولكنها تُهْفُو بتمثالِ طائر
وقال أوس بن حجر يذکر هَرَب طفيل بن مالك يوم السوبان:

تقبل من خيفانة جرشعية سليلة معروق الأباجل جرشع
ولو أدركته الخيل شال برجله كما شال يوم الخال كعب بن أصمغ
في شعر كثير يكاد يفوت الجمع، ولا يأتي عليه العد؛ كل يحيل الأعداء بالسُّبُق
والنِجاء، وينسب خيله إلى التقصير ولا يرى ذلك عيباً، ولا يعده نقصاً، ولم ينقم
نأقِم، ولم يعبه به عائب.

وقد قالت العرب في معنى أبي الطيب بعينه. قال شريح بن قرواش العبسي:
عشية نازلت الفوارس عنده وزلّ سناني عن شريح بن مسهر
وأقسم لولا درعه لتركته عليه عواف من ضباع وأنسر
وقال ورقاء بن زهير في هذا المعنى لما ضرب خالد بن جعفر وهو بارك على
زهير بن جزيمة^(١٠):

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الحَدِيدُ المُظَاهِرُ

- (١) المفضليات (١ : ٣٠)، واسمه هبيرة بن عبد مناف، والكَلْحَبَةُ لقب له.
- (٢) المبقية من الخيل: التي تبقى بعض جريها تدخره. الظلح: العرج في المشي. ويريد بقوله:
«وقد جعلتني من حزيمة إصبعاً»: أن حزيمة فاته وهو قيد إصبع منها.
- (٣) المفضليات (١ : ٣٠). (٤) في المفضليات: ونادى منادي الحي.
- (٥) المزادة: إناء كبير من جلد يتزود فيه بالماء.
- (٦) المفضليات (١ : ٣٥). (٧) يخاطب عامر بن الطفيل.
- (٨) الرحالة: فرسه. والسرج القاتر: الجيد الوقوع على ظهر الدابة ليس بصغير ولا كبير.
- (٩) أُننَ عليها؛ إذ نجتك. والكافر: السائر للنعمة والإحسان.
- (١٠) أيام العرب ٢٤٠، لسان العرب - مادة ظهر.

فهو إنما دعا على يمينه بالشلل تأسفاً، ولم يذم سيفه ولم يذكر نبوه، ولا نعاه عليه ناع من أعدائه، كما نعي على الفرزدق نبوه سيفه عن عنق العلج الخراساني، ولو كانت فيه وضمة أو لحق سيف وزقاء منه معابة لما جعله الفرزدق غدراً يحسن به فعله، وحجة يناضل بها خصمه فيقول:

فسيف بني عبس وقد صرّبوا به نَبَا يَيْدِي وَرَقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدِ
ولو كان مراده بهذا تقريع بني عبس لا الاحتجاج لنفسه لما قال:
كذا سيوف الهند تَنبُو ظبَاتِهَا وَيَقْطَعْنَ أحياناً مَنَاطَ القَلَائِدِ
وقال طريف بن تميم لما طعن شيطان بن عمرو الشيباني:

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرة بما أب شيطان بن عمرو بن مرثد
ولم أدر ما أثوابه غير أنسي غبأت^(١) له بالرمح مُسْتَمَكِناً يدي

فهذا يذكر أنه قد طعن مستمكناً مُتَّيَّباً؛ وأنه قد استفرغ ما عنده، وبلغ جهده، ولم يعلم ما أثوابه وكيف كانت برثته؟ وهل منعت سنان الرمح من الخلوص إلى المقتل، والوصول إلى المقصد، ومن زعم أنه أراد بقوله: لم أذر من أثوابه؛ أي لم أسلبه، فلم يصنع شيئاً؛ لأنه لا يتمكن من سلبه إلا وهو صريح طريح، ولو كان ذلك لم يمكنه الإياب ولم يشك، وقد قتله بما أب به.

وللعرب في وصف السلاح والخيل مذهبان؛ فإذا وصف شاعرهم خيل قومه، وأداة رهنه، وسلاح عشيرته، وما أدخره هو من عتاد، واقتناه من رباط^(٢)، فإنما يريد أننا أهل حروب ومغارات، ولنا النجدة والمنعة، وأنا فينا العز والقهر، ولنا الغلبة والفضل، وإذا وصف بذلك عدوه ومحاربه فإنما يطلب الغض منه والنعي عليه، وليس يفعل ذلك إلا وقد حاد ذلك العدو عنه في ملتقى، أو حاجزه في معترك، أو دعاه إلى البراز فلم يجبه، أو أجابه فلم يثبت له؛ فهو إذا وصف سلاحه فإنما يقول له: إنك هربت وأنت مؤد^(٣) شاك السلاح، تام الآلة، حديد السيف، ماضي السنان؛ فهو أثلّم لعرضك، وأدل على عجزك، وأبلغ في ذمك. وإذا وصف فرسه فإنما يعتذر من بقائه بعد لقائه، ومن خلاصه بعد تورطه. ويريد أن الفرس نجته وأطلقته؛ وإنما منّت عليه وأنقذته، فهو طليقها، وأسير منّها وريقها، كما قال:

ولا تكفّرئنها، لا فلاح لكافرٍ

(١) غبأت: قصدت.

(٢) الرباط من الخيل: الخمس فما فوقها، والرباط: ملازمة ثغر العدو، وربما سميت الخيل رباطاً.

(٣) رجل مؤد: ذو أداة، وهو شاك في السلاح.

فهذا هذا.

أو معنوي^(١) مدقق لا علم له بالإعراب، ولا اتساع له في اللغة؛ فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البين، كفعل بعضهم في قوله^(٢):

لأنت أسود^(٣) في عيني من الظلم

إنه أنكر أسود من الظلم، ولم يعلم أنه قد يحتمل هذا الكلام وجوهاً يصح عليها، وأن الرجل لم يرد «أفعل» التي للمبالغة. كإنكار آخر قوله:

فالغيث أبخل من سعي

فزعم أن من لا تكون إلا لما يعقل، و«أفعل» لا يجري إلا على البعض من تلك الجملة، تقول: زيد أفضل من الناس؛ فلا بد أن يكون زيد من الناس، ولو قلت: أفضل الحمير لم يصح. وكذلك لو قلت: أفضل ما يقضم الشعر ويرعى الكلاب لم يجز. قال: فمن سعى لا يقع إلا على عاقل، والغيث ليس من هذه الجملة. وهذا الاعتراض يدل على تقصير شديد في العلم بكلام العرب؛ لأن العرب إذا وصفت الشيء بصفة غيره استعارت له ألفاظه، وأجرته في العبارة مجراه، وإن كان لو انفرد انفرد عنه بصفته، وتمييز دونه بعبارته؛ فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُمُ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: ٤] لما وصفهما بالسجود جمعهما بالياء والنون، ولا يجمع بهما إلا جنس من يعقل، أو ما خرج عن بابه لعلل مذكورة في مواضعها، لكنه لما أجرى على الكواكب صفة من يعقل أحقها في العبارة بهم. وكذلك قوله حاكياً عن السموات والأرض: ﴿قَالَتَا أَنِنَا طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١] لما حكى عنهما النطق والقول والطاعة والائتمار أجرى الكلام على ذلك فقال: ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢] وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وهو كثير. وفي الشعر؛ فإذا جعل الغيث بخيلاً أو جواداً، ووجد العرب قد أجازت وتكلمت به جاز له إلحاقه بالخلاء والأجواد في استعمال العبارة، فكأنه قال: الغيث أبخل السعاة، ولو قال ذلك لم ينكره منكر، وإن كان هذا السعي ابتناء المعالي لا السعي على الأقدام، وقد أنشدني بعض من أتقن به لبعض العرب:

متى نوهت في الهيجاء باسمي أتاك السيف أول من يجيب

(١) الثاني الذي يقابل قوله قبل: فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحوي أو لغوي.

(٢) ديوانه (٤: ٣٥). وصدر البيت:

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له

(٣) لا يقال: أسود من كذا؛ لأن الألوان لا يبنى منها أفعل التفضيل، على أن الكوفيين قد حكى عنهم: ما أسود شعره وما أبيضه! ولصاحب التبيان هنا كلام يوجه به كلام المتنبي ويصححه.

لَمَّا جَعَلَ السِّيفَ مُجِيباً لَهٗ أَحَقَّه بِمَنْ تَصَحُّ مِنْهُ الْإِجَابَةُ مِنَ الْعُقْلَاءِ . وَكَإِنْكَارِهِمْ
قَوْلُهُ ^(١) :

أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمِطْيِي وَرَازَمُهُ ^(٢)

فزعموا أن كلام العرب: ثاب جسم فلان: رجع لقوته بعد المرض؛ وهذا أبو زيد يروي عن العرب: أثناب الرجل إذا ثاب إليه جسمه، وقد حكاه عنه أبو عبيد في الغريب المصنف، وحكى غيره ثاب وأثناب بمعنى واحد.

ولو عرَّجنا على كل مُعْتَرِضٍ وَأَصْغَيْنَا لِكُلِّ قَائِلٍ لَامْتَدُّ بِنَا الْقَوْلُ وَالْأَعْجَزْنَا كَثْرَةَ الْخَصْمِ عَنْ امْتِحَانِ الشَّهَادَاتِ، وَشَغَلْنَا بِاتِّصَالِ الدَّعْوَى عَنِ التَّوَسُّطِ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ بِالْكَشْفِ مَا يَشْتَبِهُ، وَيَتَوَسَّطُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَشْكَلُ وَيَلْتَبَسُ. وَنُصُونُ كِتَابِنَا عَنْ سَخِيفِ الْإِعْتِرَاضِ، كَمَا نُصَوْنُهُ عَنِ ضَعِيفِ الْإِنْفِصَالِ.

(١) ديوانه (٣: ٣٣١) وصدرة:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة

(٢) الرازمة من النوق، والرازم من الإبل: الذي نام من الإعياء وأقعده الهزال عن الشيء.

ما عاب العلماء على أبي الطيب

فمما أنكره عليه أهل العلم واستضعفوه قوله^(١):

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَعْدَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنُ الشُّيْحُ^(٢)

فقال أهل الإعراب: حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرك إلى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت، فقال لهم المحتج عن أبي الطيب: لعمرى إن وَجَهَ الكلام ما ذكرتم، لكنَّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاها أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر، وأنشد فيه لحسيل بن عُرْفُطَةَ^(٣):

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ^(٤) رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى^(٥) بِالسُّرَرِ

غَيْرِ الْجِدَّةِ عَنْ عِرْقَانِهَا حُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ المَطَرِ

وأبو زيد ثقةٌ والرواية عن العرب حجة، وقد جاء مثله^(٦):

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَشْتَطِيْعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلِ

كأنه حذف ثم جاء بالساكن من بعد فتركه على الحذف. وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى، فقال المحتج عنه إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام، وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأول بقية، فأما أن يستوفي مراده، ثم ينتقل إلى غيره فليس بعيب، وإنما المصراعان كالبيتين، وهو قد استوفى بقوله:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ

(١) ديوانه (١: ٢٤٣).

(٢) التبريح: الشدة. والجلل: الأمر العظيم. والرشاء: ولد الظبية. والأغن. الذي في صوته غنة، وهي صوت من الخيشوم.

(٣) التبيان (١: ٢٤٣).

(٤) في الأصلين:

لم يك الحق على إنهاجه

(٥) في التبيان: «قد تعفت».

(٦) التبيان (١: ٢٤٣).

هذا المعنى، ثم ابتدأ بالمصرع الثاني مستفهماً فما في هذا من العيب! وقال بعضهم: قد يفعل الشاعر مثل هذا في النسيب خاصة ليدل به على تمكن الشوق منه، وغلبة الحب عليه، وليزى أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خطابه، قالوا: ولذلك قال:

أَغْدَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَعْنُ الشَّيْخُ

وجعلوا من هذا الباب قول زهير^(١):

قِفْ بِالذَّيَارِ الَّتِي لَمْ يَغْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَعَيْرَهَا الْأُرُواحُ^(٢) وَالذَّيْمُ

فتنقض بالمصرع الثاني الأول ولم يحفل بتكذيب نفسه، وأنكر هؤلاء قول من ذهب إلى أن معنى البيت أن القدم لم يغفها، وإنما غيرها الأرواح والذيم. ومن النقص الظاهر قول بشار:

لَمْ يَطْلُ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفْسِي عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمَ

فقال: لم أنم، ثم زعم أن الطيف ألم به، وهو لا يلم إلا بنائم. وقال غيره إن بين المصراعين اتصالاً لطيفاً، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه، وشدة أسفه بين أن الذي أورثه التبريح والأسف وهدى إليه الشوق والقلق هو الأعن الذي شككته غلبة شبه الغزلان عليه في غذائه، وهذا الاعتذار قريب.

وعابوا له^(٣):

أَمِطْ عَنكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَلَأَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي

فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بمثل وشبهه ونحوهما، ومن الأدوات بالكاف، ثم تدخل على أن فيقال: كأنه الأسد، وقد تُقَرَّبُ العَرَبُ التَّشْبِيهِ بِأَنْ تَجْعَلَ أَحَدَ الشَّيْئِينَ هُوَ الْآخَرَ، فَتَقُولُ زَيْدَ الْأَسَدِ عَادِيًا، وَالسَّيْفُ مَسْلُولًا، فَأَمَّا مَا فَلَهَا مَوَاقِعُ مَعْرُوفَةٌ وَلَيْسَ لِلتَّشْبِيهِ فِي أَبْوَابِهَا مَدْخَلٌ. وَهَذَا مِمَّا سُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ عَنْهُ فَذَكَرَ أَنَّ مَا تَأْتِي لِتَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ؛ تَقُولُ: عَبْدَ اللَّهِ الْأَسَدِ وَمَا عَبْدَ اللَّهِ إِلَّا الْأَسَدُ وَإِلَّا كَالْأَسَدِ، تَنْفِيٌّ أَنْ يَشْبَهَ بغيره، قال:

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةٌ أَفْرَاسٌ تَجَلَّلَتْهَا بَغْلٌ

وقد تجيء مع الكاف قال لبيد:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ زَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ

(١) ديوانه ص ١٤٥، والبيان (١: ٢٢٤).

(٢) الأرواح: جمع ربح. والذيم: جمع ديمة، مطر يدوم مع سكون يوماً أو يومين.

(٣) ديوانه (٣: ١٦٦).

فَكَانَ قَائِلاً قَالَ: ما هو إلا كَذَا، وَأَخْرَجُ قَالَ: كأنه كَذَا، فقال: أمط عنك تشبيهي بما وكأنه. وأقول: إن التشبيه بما محال وإنما يقع التشبيه في هذه المواضع التي ذكرها بحرفه، فإذا قال: ما المرء إلا كالشهاب فإنما المفيد للتشبيه الكاف ودخلت ما للنفي فنفت أن يكون المرء إلا كالشهاب، فهي لم تتعد موضعها من النفي، لكنها نقت الاشتباه سوى المستثنى منها، وإذا قال: ما هند إلا مهرة فإن ما دخلت على المبتدأ والخبر، وكأن الأصل هند مهرة، وهو في تحقيق المعنى عائد إلى تقريب الشبه، وإن كان اللفظ مُبَايِنًا، ثم نفى أن يكون كذلك فأدخل حرفي النفي والاستثناء، فليس بِمُنْكَرٍ أن يُنسَبَ التشبيه إلى ما إذا كان له هذا الأثر^(١)، وباب الشعر أوسع من أن يضيق عن مثله.

وأنكروا قوله^(٢):

إذا كان بعضُ الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقاتٌ لها وطُبولُ

فقالوا: إنَّ جمعَ بوقٍ على بوقاتٍ خَطَأً، وإنما يجمع باب فُعْلٍ على أفعالٍ في أدنى العدد له: قُفْلٌ وأقْفَالٌ. وعودٌ وأعوادٌ، وقد يخرج عنه إلى أفْعَلٍ؛ مثل بُزْدٍ وأبردٍ، فأما في أكثر العدد فالباب فُعُولٌ؛ نحو جند وجنود، وبُزْدٍ وبرود، فإن كان من المضاعف ففِعَالٌ، نحو خُفٍّ وخفاف، وحُبٍّ^(٣) وجِبابٍ، وقد جاء على فِعْلةٍ نحو تُرْسٍ وتِرْسَةٍ، وجُحْرٍ وجَحْرَةٍ، وعلى فِعْلانٍ، نحو كُوزٍ وكِيزَانٍ، وعلى فِعْالةٍ، نحو مُهْرٍ ومِهْارةٍ، وإنما يجمع على فعلات^(٤) ما كان على فُعْلةٍ؛ نحو ركةٍ وركباتٍ، فيكون فيها ثلاثة أوجه: فتح الكاف وضمها وتسكينها، فأما فُعْلٌ وفعلات فمما لا يُعرَفُ في شيء من الكلام في صحيح ولا معتلٍ. وسئل أبو الطيب عن ذلك فقال: هذا الاسمُ مولدٌ لم يُسمَعِ واحده إلا هكذا ولا جمعه بغير التاء، وإنما هو مثل حَمَامٍ وحَمَاماتٍ وساباطٍ وساباطاتٍ؛ وسائر ما جَمَعُوهُ من المذكر بالتاء. وقال المحتج عنه: إن أصل الجمع التأنيث، ولذلك جاء ما جاء منه بالتاء، وإن كان في الأصل مذكراً. قال: فمن جمع اسماً لم يَجِدْ عن العرب جَمْعَهُ فأجراه على الأصل لم يَسْغُ الرُدُّ عليه، ولم يَجْزَ أن ينسب إلى الخطأ لأجله، وهذا اسمٌ أعجمي تكلمت به العرب، ولم يحفظ عنهم جمعه، فلما احتاج المولدون إليه أجروه على أصل الجموع، وتبعوا فيه عادة العرب في الأسماء المنقولة عن الأسماء الأعجمية، نحو سُرَادِقٍ وسُرَادِقاتٍ،

(١) قال في التبيان: الصحيح من معنى هذا البيت أن ما نكرة بمعنى شيء موضوعة للعموم، كأنه قال: أمط عنك تشبيهي بشيء من الأشياء.

(٢) ديوانه (٣: ١٠٨).

(٣) الحب: الجرة، ويجمع على أحباب أيضاً.

(٤) في الأصلين فعلان - بالنون.

وَسَابَاطُ وَسَابَاطَاتُ، وَخَانَ وَخَانَاتُ، وَهَارُونَ وَهَارُونَاتُ، وَإِوَانٌ^(١) وَإِوَانَاتُ، فَعَدَلُوا بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَبْنِيَةِ عَنْ أَصُولِ قِيَاسِهَا، وَالْحَقُّهَا بِأَصْلِ الْجَمْعِ وَغَلَبُوا فِيهَا التَّأْنِيثَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَازَ فِي خَانَ وَهُوَ مِثْلُ مَالٍ أَنْ يُجْمَعَ عَلَى خَانَاتٍ، كَمَا لَا يُقَالُ: مَالٌ وَمَالَاتٌ، وَلَا فِي إِوَانٍ وَهُوَ مِثْلُ جِرَابٍ، وَقَدْ تَرَخَّصُوا فِي الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ تَغْلِيبًا لِلتَّأْنِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَأَخْرَجُوهَا عَنْ أَبْوَابِهَا، وَخَالَفُوا فِيهَا أَخْوَاتِهَا؛ قَالُوا: بُوَانٌ وَبُؤَانَاتٌ^(٢)، وَخَيْالٌ وَخَيْالَاتٌ، وَجَمَلٌ سِجَلٌ وَجَمَلٌ سِجَلَاتٌ، وَلَمِيلُهُمْ لِهَذَا الْاِخْتِيَارِ قَالُوا فِي جَمْعِ ذِي الْقَعْدَةِ: ذَوَاتُ الْقَعْدَةِ، وَفِي جَمْعِ ابْنِ آوَى بَنَاتُ آوَى، وَكَذَلِكَ بَنَاتُ عَرَسٍ، وَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الشُّهُورِ، فَجَمَعُوا رَمَضَانَ وَشَوَالَ رَمَضَانَاتٍ وَشَوَالَاتٍ؛ كُلُّ هَذَا تَقْدِيمًا لِلتَّأْنِيثِ فِي بَابِ الْجَمْعِ، وَمِثْلًا بِهِ عَنِ التَّذْكِيرِ، وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ قِيَاسٌ مَطْرِدٌ وَبَابٌ مُتَّسِقٌ، عَدَلُوا بِهِ عَنْهُ وَهُوَ مَعْرُضٌ. وَتَرَكُوهُ وَهُوَ سَهْلٌ مُمْكِنٌ. فَلِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ اخْتَارَ أَبُو الطَّيِّبِ بَوَاقَاتٍ عَلَى أَبْوَاقٍ، وَالْوِزْنَ يَتِمُّ بِهِمَا، وَالضَّرُورَةُ لَا تَدْفَعُ أَحَدَهُمَا.

قال الخُضَم: هذه اللفظة وإن كانت قليلة عن العرب فقد تكلمت بها، وعرفت قديماً في لغتها: وأنشدوا:

رَحَى طَحَّانَةٌ صَاحَ بُوقُهَا^(٣)

وقد روي في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما استشار أصحابه في أمرٍ ينصبه علماً للصلاة؛ يجمع الناس عليها؛ قال بعضهم: ناقوسٌ كناقوس النصارى، وقال آخرون: بُوقٌ كبُوق اليهود، ولَسْنَا نَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ عَرَبِيَّةً صَحِيحَةً، وَأَنْ تَكُونَ اللَّغْتَانِ اتَّفَقَتَا فِيهَا، فَإِنَّا نَجِدُ لَهَا اشْتِقَاقًا وَأَصْلًا فِي الْعَرَبِيَّةِ مَشْهُورًا، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: أَصَابَتْنَا بُوقَةٌ مِنَ الْمَطْرِ؛ أَي دَفَعَتْ. قال رؤبة^(٤):

مَنْ بَاكِرِ الْوَسْمِيِّ نَضَّاحِ الْبُوقِ

ويقولون للشيء إذا انفجر دَفَعَةٌ: انْبَاقٌ، وهذا البوق المصنوع يندفع فيه الصوت فكأنه ينفجر منه، وَيَتَّقَلَّتْ انْفِلَاتُ الْبُوقَةِ مِنَ الْمَطْرِ، فَإِنْ كَانَتْ عَرَبِيَّةً فَبَابُ جَمْعِهَا مَعْرُوفٌ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْجَمِيَّةً فَالْعَرَبُ إِذَا عَرَّبَتْ أَعْجَمِيًّا أَحَقَّتْهُ بِكَلَامِهَا، وَأَجْرَتْهُ عَلَى أَبْنِيَّتِهَا؛ أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا: مُهْرَقٌ^(٥) وَمَهَارِقٌ، وَبَلَّاسٌ^(٦) وَبُلَّاسٌ، وَبُسْتَانٌ وَبِسَاتِينَ،

(١) هو الإيوان. (٢) البوان: عمود للخباء.

(٣) البوق: شبه منقاف ملتوي الخرق يتفخ فيه الطحان فيعلو صوته فيعلم المراد به.

(٤) اللسان - مادة بوق.

(٥) المهرق: الصحيفة البيضاء، وقيل: المهرق: ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل، ثم يكتب فيه؛ وهي فارسية معربة.

(٦) البلاس: المسح. قال أبو عبيدة: ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المسح.

وَيَلْمَقُ^(١) وَيَلَامِقُ، وَرَزْدَقٌ وَرَزَادِقُ^(٢)، وأمثال ذلك كثير موجود؛ وإنما يعدلون ببعضها عن بابها إلى التاء كما يعدلون بالعربي في نحو قولهم: بُوَانٌ وَبُؤَانَاتٌ^(٣)؛ وإنما هذه الأحرف التي عَدَدْتُموها ألفاظٌ خرجت عن القياس، وشَدَّتْ عن العبرة، وإنما يتبع فيها السماع، ويوقف عند الرواية، لا يتعدى إلى غيرها، ولا يتجاوز تلك الحروف بأعينها. ولا تكاد تجد باباً من العربية يخلو من نوادر وشواذ؛ ولو جعلت أصولاً وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الكلام، ولجاز أن يقال في جمل أجمل كما قالوا: جَبَلٌ وَأَجْبِلٌ، وِجَارٌ كَلْبٌ وَأَكْلَابٌ كما قالوا: فَرُخٌ وَأَفْرَاخٌ. قال المحتج: ليس هذا من الباب الذي ذكرته، وليس بجار مجرى الشاذ والناذر، بل قياسٌ مستمر في جميع ما لا يوجد له مثال القلَّة من المذكَر، وقد جاء أيضاً فيما له مثال القلَّة وإن لم يكن مستمراً، وأنشد قول أوس بن حَجْر:

تَكْتَفُنَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِيَنْتَزِعُوا عِلْقَاتِنَا ثَمَّ تَرْبِعُوا
فَجَمَعَ عِلْقاً عَلَى عِلْقَاتٍ لغيره:
يَسْرِي عَيْساً يَسُودُهِنَّ مَاءٌ مِنْ النَّجْدَاتِ يَحْلِبُهَا الذَّمِيلُ
يريد جمع النَّجْدِ، وهو العَرَقُ؛ في أبيات كثيرة تشهد لما قاله.



قد قال الفريقان ما حكيناه؛ وقد كان لأبي الطيب في الصَّحِيح مندوحة، وفي المُجْتَمَع عليه مَتَّسَعٌ.
وعابوا قوله^(٤):

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا بِهَا أَنْفٌ^(٥) أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
فقالوا؛ قَطَعَ الكَلَامُ الأوَّلُ قبل استيفاء الكلام وإتمام الخبر، وإنما كان ويجب أن يقول: كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ لِيَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى القَوْمِ، فيتم به الكلام. وهذا من شنيع ما وُجِدَ في شعره، وقد اعتذر له بأمور سنذكرها على ما فيها بمشيئة الله تعالى.

زعم بعضُ المحتجين عنه أنَّ العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرف الضمير عن وَجْهِهِ، وتترك رَدَّهُ مع الحاجة إليه؛ لأنَّ المراد بالضمير الثاني هو الأوَّل في الحقيقة، وإن اختلفت العلامتان. قالوا: وقد جاء ذلك عن العرب في الأسماء الناقصة

(١) اليلمق: البقاء المحشو، وهو فارسي.

(٢) الرزدق: السطر من النخيل، والصف من الناس، وهو معرب من الفارسية.

(٣) البوان: بكسر الباء وضمها: عمود للخباء.

(٤) ديوانه (٤: ١٠٩).

(٥) الأنف: الاستكاف من الشيء.

التي تَمَّ صَلَاتُهَا وهي أحوَجُ إلى الضمير الراجع إليها؛ لأنها كالحَرْفِ المفرد لا يتم إلا بالحروف التي تَنْصَافُ إليه؛ فَصَلَّتْهُ بما فيه من الضمير كبقية حروف الاسم، فهو أَمْسٌ حاجةً، وأشدُّ افتقاراً إلى رَدِّ الضمير إليه، وتكميل ذلك التَّقْصُّ به، فمَّا جاء في ذلك قول المهلهل:

وأنا الذي قتلْتُ بَكْرًا بِالْقَنَا وتركْتُ تُغْلِبَ غير ذاتِ سِنَامِ
وإنما وَجْهَ الكلامِ: وأنا الذي قَتَلْتُ؛ ويكونُ في قَتْلِ ضميرٍ تقديرُهُ وأنا الذي قتل هو.
وقول أبي التُّجْمِ:

يا أيها الذي قد سُوِّئَ نِيَّي وفضحتني وطردت أمَّ عِيَالِيَا
ولو ردَّ الضميرَ على حقيقةِ الكلامِ لقال: الذي قد ساءني.

وكلُّ هذا حُمِلَ على المعنى، قالوا: وقد جاء في القرآن العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. وليس في الخبر ما يرجع إلى الأول، ولو ردَّ الضميرُ إلى الأول لقل: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ؛ لكنه لما كان من أَحْسَنَ عَمَلًا هم المُضْمَرُونَ بهم، الذي في أَجْرَهُمْ جاز أن ينوب أحدهما عن الآخر، لأنَّ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا هُوَ مَنْ آمَنَ.

ومثلُ هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] لما كان معنى المصلحين معنى الذين يمسكون بالكتاب جاز أن يُقَامَ مقامه فيعود الذكر إليه في المعنى، فكأنه قال: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ. وعلى هذا أجاز النحويون: المؤمنُ أَكْرَمُ من اتَّقَى اللَّهَ، لأنَّ معنى مَنْ اتَّقَى اللَّهَ معنى المؤمن؛ قالوا: فكذلك هذان الضميران في اتفاق المعنيين.

قالوا: وقد جاء في شعر العرب ما يُشْبِهُ هذا مما أُقِيمَ فيه أحد الكنايتين مقام الأخرى اعتماداً على المعنى؛ مثل قول لبيد^(١):

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمَكَةً^(٢) فَسَمَا إِلَيْهِ كَهَلْهَا وَعُغْلَامُهَا

يريد كَهَلُنَا وَعُغْلَامُنَا. قالوا: وشبيهة بهذا قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرْتُمْ بِهِمِ رِيحَ طَيْبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب اعتماداً على ظهور المعنى. قالوا: ويجوزُ أن يكونَ اكتفى بقوله: وإني لمن قومِ كرامٍ وأشرفٍ.

فخذف الصفة استغناء بما تقدم، وما تعقب من الكلام، ثم ابتداء خبراً ثانياً،

(١) شرح المعلقات للتبريزي ص ١٦٨.

(٢) السمك: الارتفاع.

وصرفَ الخطابَ عن الأول، وهذا سائغ لا يُرَدُّ. ألا تراه لو قال: وإني لمن قوم كرام، ثم أمسك لكان قد استكمل الفائدة، واستوفى الغرض، ولم يُخَطِّر عليه العدولُ إلى غيره، ولم يُطالبَ بردَّ الضمير إلى ما تقدّمه. ومن طلب أبواب الحذف والاختصار، والانتقال من كلام إلى كلام، والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجترأ بظهور الغاية واستيانة المراد. وتَبَّع ذلك في معادنه. والكتب المصنفة فيه تُصوِّر صحة ما قلناه؛ فأما استقصاء ذلك وذكرُ جميعه فمما يُعْظِم حجم الكتاب، ويُطِيل حواشي الكلام، ولا يحصلُ منه على كبير فائدة.

وَأَشْدُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ:

فتاتان أمّا منهما فشبّهة هلالاً وأخرى منهما تُشبهُ الشمسا
فتاتان بالنجم السعيد ولِدْتُمَا ولم تلقيا يوماً هواناً ولا نُحْسَا

فلم يقل فتاتان ولِدْتَا، وهو حقُّ الكلام؛ لكنه عدل إليهما مخاطباً، ولم يَحْفَل بتغيير الكنايات والضمائر. قوله: فتاتان كالمقطع من الكلام قبل استقلاله بفائدة، والكلام الثاني كالمبتور قبل تمامه إلا أن يُخْمَل على ما حملنا عليه بيت أبي الطيب، ونحو بيت ابن الرقيات قول أبي الطيب^(١):

قَوْمٌ تَمَرَّسَتْ^(٢) المنايا فيكم قرأت لكم في الحرب صَبْرَ كِرَامٍ^(٣)
كأنه قال: أنتم قوم هذه حالكم، وقوله^(٤):

كريمٌ متى استوهبت ما أنت ركبٌ وقد لَقِحتُ حَرْبُ فإِنَّكَ باذِلٌ^(٥)

وأقول: إن هذه القضية إذا استمرت على ظاهرها، واقتصر على القدر المذكور منها، اختلقت الكنايات وتداخلت الضمائر، ولم يَنْفَصِلْ غائب عن حاضر، ولم يَتَمَيَّز مخاطب. وله مواضع تختصُّ بالجواز، وأخرى تَبْعُدُ عنه، وبينهما فصولٌ تَدِقُّ وتَعْمُضُ، ولِدِكْرِها موضعٌ هو أملك بهما، وأبيات أبي الطيب عندي غير مُسْتَكْرَهة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتجُّ منه مبلغاً، غير أن أبا الطيب عندي غيرٌ معذور بتركيه الأمر القوي الصحيح إلى المُشْكِل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية، ولا حاجة ماسة؛ إذ موقع اللفظتين من الوزن واحد؛ ولو قال: نفوسهم لأزال الشبهة، ودفع القالة، وأسقط عنه الشَّعْب، وعناء التعب.

(٢) تفرست: تأملت.

(١) ديوانه (٤: ١٤).

(٣) وكان الوجه أن يقول: فيهم قرأت لهم، ولكنه حمله على المعنى، لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح.

(٤) ديوانه (٣: ١١٦).

(٥) في الأصل: نازل. لفتحت الحرب: اشتدت.

وقوله^(١):

مَضَى بَعْدَ مَا أُنْفَ الرُّمَاحَانِ^(٢) سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا^(٣)
فَأُنْكِرُوا ثَنِيَةَ الرَّمَاحِ، وَهُوَ جَمْعُ رَمَحٍ فَحَاجَّهُمْ أَبُو الطَّيِّبِ بَيْتَ أَبِي النَّجْمِ^(٤):
تَنْقَلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّنْقَلِ بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَتَهَشَّلِ
والثنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس، وأكثر
ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النجم وأضرابه من شعراء العرب، فهم القدوة وبهم
الالتزام، وفيهم الأسوة.

وقوله^(٥):

فَأَرْحَامُ شِعْرِي تَصِلُنْ لَدُنَّهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ مَا تَنِي^(٦) تَتَقَطَّعُ
فَأُنْكِرُوا تَشْدِيدَ النَّونِ مِنْ لَدُنْ، وَإِنَّمَا هُوَ لَدُنْ وَلَدُنْ؛ فَأَمَّا تَشْدِيدُ النَّونِ فَغَيْرُ
مَعْرُوفٍ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ حُوِّطِبَ فِي ذَلِكَ فَجَعَلَ مَكَانَ لَدُنَّهُ بِيَابَهُ،
ثُمَّ احْتَجَّ بِمَا أَذْكَرَهُ جَمَلَةً. قَالَ: قَدْ يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِ لَا
لِلضَّرْطِ رِإِئِيهِ، وَلَكِنْ لِلتَّسَاعِ فِيهِ، وَاتِّفَاقِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، فَيُحَذِّفُونَ وَيُزِيدُونَ، وَرَوَى
أَبْيَاتًا مِنْهَا:

إِذَا غَابَ غَدَوْأَ عَنْكَ بَلَعَمَ لَمْ تَكُنْ جَلِيدًا وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْكَ الْعَوَاطِفُ
إِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْعَمِّ؛ وَمِنْهَا قَوْلُ قَطْرِي:
عُدَاةٌ طَغَتْ عِلْمَاءَ بَكْرِبِنِ وَائِلِ وَعُجْنَا صَدُورَ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمِ
وقول لبيد^(٧):

دَرَسَ الْمَنَّا بِمُتَالِعِ فَأَبَانَ

يريد المنازل.

وقول الآخر:

ثُمَّ تَنَادَوْا بَعْدَ ذَلِكَ الضُّرُوضَا مِنْهُمْ بِهِاتٍ وَهَلَا وَيَابَا
نَادَى مَنَادٍ مِنْهُمْ أَلَا تَا قَالُوا جَمِيعًا كَلِمَةً أَلَا تَا

- (١) ديوانه (١: ٦٤).
(٢) يريد رماح الفريقين.
(٣) الهدب: أشجار العين.
(٤) النبيان (١: ٦٤).
(٥) ديوانه (٢: ٢٤٠).
(٦) في الديوان: «لا تني».
(٧) بقية البيت:

بالحبس بين البيد والسويان

ومتالع: جبل بناحية البحرين.

آخر^(١):

قد وَعَدْتَنِي أُمُّ عَمْرٍو وَأَنْ تَأَ تدهن^(٢) رَأْسِي وَتُقَلِّبِي وَ
وَتَمْسَحُ الْقَنْفَاءَ^(٣) حَتَّى نَتَنَا^(٤)

ومما زاد فيه قول شبيب بن ثعلبة:

وَلَسْبَةُ الْحُرْقُوصِ بِالْقَفْنِ^(٥) وَدُمَلٌ فِي الْإِسْتِ مُسْتَقْرَنٌ
أَجِبُّ مِنْكَ مَوْضِعَ الْوُشْحَرِنِ فَذَاكَ مِنْ ذَاكَ إِلَى السِّنَنِ
قَطْنَةٌ مِنْ أَجُودِ الْقَطَنِ

فزاد هذه التونات.

وقول الآخر:

تَعْرَضْتَ لَمْ تَأَلْ عَنِ قَتْلِ لِي تَعْرَضُ الْمَهْرَةَ فِي الطَّوْلِ
فَزَادَ لَامًا. وَقَالَ الْآخَرُ:

يَا لَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ

وقول الآخر:

وَلَيْسَ الْمَالُ فَاعِلُهُ بِمَالٍ وَإِنْ أَعْيَاكَ إِلَّا الْدَيْنِي

والتشديد في لَدْنٌ أحسن من هذا كله؛ لأن النون ساكنة مع هاء، والنون تبين عند حروف الحلق لتباعدها منها؛ فزاد في تبينها فاجتلب التشديد، وهذه زيادة نون. وقد قال بعض العرب^(٦):

مُذَلِّدٌ شَوْلًا فِإِلَى إِثْلَامِهَا

فحذف النون من لَدْن. وقال آخر:

مَنَا إِنْ ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ حَتَّى أَغَاكَ شَرِيدَهُمْ غَلَسُ الظَّلَامِ
فَزَادَ أَلْفًا فِي مَنْ وَقَالَ آخَرُ^(٧):

إِنْ شَكَلِي وَإِنَّ شَكْلَكَ شَتِي فَاَلْزَمِي الْخُصَّ وَاحْفَظِي^(٨) تَبْيِضِي

(١) أنشده الأَخْفَشُ كما في اللسان - مادة قنف، نتأ.

(٢) في اللسان: «تمسح».

(٣) في الأصلين: القيفاء؛ والقنفاء؛ الحشفة.

(٤) في الأصلين: حتى سا، وهذه رواية اللسان - قال: أراد ننتأ، فإما أن يكون خفف تخفيفاً قياسياً، وإما أن يكون أبدل إبدالاً صحيحاً، وكل ذلك ليوافق قوله: تا.

(٥) لسبة الحرقوص: عضتها، والحرقوص: دوية كالبرغوث لها حمة كالزنبور.

(٦) اللسان - مادة شول.

(٧) اللسان - مادة بيض.

(٨) في اللسان: «فاخفضي».

أراد: تَبَيَّضِي، فزاد ضاداً أخرى، والعرب تقول: أنظور بمعنى أنظر؛ وأنشدوا:
 وإنني حيث ما يشني الهوى بصري من حيث ما سلكوا أذنو فأنظور
 قال: وللفصحاء المدلين في أشعارهم ما لم يُسمع من غيرهم؛ كقول امرئ القيس:
 «دِيمَةٌ هَطْلَاء»^(١). وذي الرُمة: «أَدْمَانَةٌ»^(٢) يعني أدماء. وفي شعر ابن أحمر وأمية:
 «الهِمَّان»^(٣)، و«البلقوس»، و«الفساوسنة»؛ في جمع قَس. ومثل هذا أكثر من أن يُحصى.
 فقال الخصم: قد خلط هذا الرجل في احتجاجه، وجمع بين أمور مختلفة،
 ودلنا على بُعده عن تحصيل المعاني، وذهابه عن مقاييس النحو، وأجرى كلامه إلى
 غاية توجب قلب اللغة، ونقص مباني العربية؛ لأنه جعل الشعراء بزعمه أمراء الكلام،
 وأباح لهم التصرف على غير ضرورة؛ وهذه القضية إن سبقت على أطراد قياسها زال
 نظام الإعراب، وجاز للشاعر أن يقول ما شاء، وأن يتناول ما أراد عن قرب، فيثقل
 كل مخفف، ويخفف كل مثقل، ويحذف ويزيد، ويغير الجموع، ويتحكم في
 التصريف، ويتعدى ذلك إلى حركات الإعراب، ويتجاوزها إلى ترتيب الحروف؛ فإذا
 كان هذا ممتنعاً محظوراً، ومتعذراً محجوراً، فلا بُد من حد يقف عنده الشاعر،
 وينتهي إليه الفرق بين النظم والنثر، فيزول هذا الأساس الذي مهّده، والأصل الذي
 قرّره، ويرجع إلى ما قالت العلماء فيه، وما أجزى للمضطر من التسهيل، وفُضِّلَ به
 النظم من التسامح، وهي أبواب معروفة، ووجوه محصور أكثرها، ومُعظّم ما يوجد
 فيها رد الكلمة إلى أصلها، وإلى ما أوجب القياس الأعم لها؛ مثل صرف ما لا
 ينصرف؛ لأن ترك الصرف لعله، فأزيلت وألحق الاسم بأصل الأسماء. ومثل قصر ما
 يمد، لأن المدة زيادة عارضة فحذفت. ومثل إظهار التضعيف كقوله:

إنني أجود لأقوام وإن ضننوا

(١) من بيت لامرئ القيس:

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر
 قال النحويون: قولهم هطلاء جاء على غير قياس؛ لأنه لا يقال سحاب أهطل، ولا مطر
 أعطل. اللسان - مادة هطل.

(٢) من بيت له:

أقول للركب لما أعرضت أصلاً أدمانة لم تريبها الأجليد
 والأدمانة: الأدماء.

وقد جاءت هذه الكلمة في شعر آخر له:

والجيد من أدمانة عتود

قال في اللسان: وقد عيب عليه، فقيل: إنما يقال هي أدماء، والأدمان كأحر وحران، وأنت لا تقول:
 حرانة ولا صفرانة، وكان أبو علي يقول: بني من هذا الأصل فعلانة كخمصانة. اللسان - مادة آدم.

(٣) الهمنان: الصوت الخفي.

لأنه الأصل، ونحو هذا وشبهه.

وقد يجيء عن العرب شواذ لا تجعل أصولاً، ولا يُلزَم لها قياس؛ لأن ذلك لو ساغ واستمر لأنقلب اللغة، وانتقضت الحقائق، وهُم إلى الحذف فيه أميل، وبالتخفيف أولع، وعلى ذلك قالوا: دَرَسَ المنا؛ يريد المنازل. وقالوا: قواطن مكة من وُزِقَ الحما يريد الحَمَام. وهذا باب يتسع فيه القول، وتشعب فيه الوجوه، وقد صنفت فيه كتب معروفة. ولأهل الكوفة فيه رُخص لا تكاد توجد لغيرهم من النحويين؛ كإجازتهم مد المقصور، وترك صرف الاسم المنصرف، ونحو ذلك؛ غير أنهم لا يبلغون به مرتبة الإهمال، ولا يُعرضونه لتحكم الشعراء، ويجعلون هذا الباب من الضرورة، ويقتصرون به على الحاجة.

فأما ذكر أبي الطيب في هذا الكلام بَلَعَمَ وَعَلَمَاءَ، ونحو ذلك فبمعزل عن هذا الشأن؛ لأنه سائغ في غير الشعر، وجائز في كل الكلام، وأكثر ما تقول العرب: عَلَمَاءُ بني فلان، وله باب ولا حاجة بنا إلى ذكره، بعد أن عرفنا أنه غير متصل بما تنازعه من ضرورات الشعر، وكذلك الأبيات التي عددها في الحذف، فقد قدمنا لك مِثْلَ العرب إلى الاختصار، وإثارتها الإيجاز، وغلبة الحذف على كلامها، وكثرته في خطابها.

وقد حكى الأصمعي أن أحوين من العرب مكثا متهاجرين زماناً، وهما يَحْلَان ويرتحلان معاً فإذا أراد أحدهما الرحيل، قال: أَلَا تَأْ، فيجيبه الآخر آلافا، وعلى هذا الطريق جروا في استعمال الترخيم، وترك الخبر في كثير من الابتداءات في مواضع من الشروط، وهذا لا يوجب التعدي إلى ما ترخص به أبو الطيب، وسوغه لنفسه واحتج به لشعره. فأما قوله: تبيضضي، فجار على ما خبرناك باحتمال الشعر له من إظهار التضعيف، فأما التشديد الزائد فيه، وفي مستقرّ والطول ونحو ذلك، فلأنها حروف الروي وخواتم القوافي، ومُنْقَطع الكلام، فاحتملت ما لا يحتمله غيرها. ولو ساغ أن يُنصب ذلك عَلَمًا، ويجعل عبرة، وَيَسْتَمِرَّ على شريطة القياس لوجب أن لا ينكر على الشاعر إذا قال: رأيت حسناً؛ فشدد النون، أو ضربت محمداً فثقل الدال؛ كما جاز لك في الطول ومستقرّ، ويجري ذلك في سائر الأسماء وجميع الحروف والأفعال، وهذا أمر لا ينتهي إليه عاقل. وقد جاء عن العرب التشديد في أواخر الأسماء إذا وقفوا عليها، وهذا ما يؤكد ما قلناه في تمييز القوافي عن غيرها؛ مِنْ حيث كانت العرب تقفُ عليها، وإن كانت مطلقة.

فأما الألفاظ التي زعم أن الشعراء تفرّدوا بها فإنها موجودة عن أئمة اللغة، وعمن ينتهي السند إليهم، ويُعْتَمَدُ في اللسان عليهم؛ وإنما تتكلم بما تكلموا به، وواحد كالجميع، والنقَر كالقبيلة، والقبيلة كالأمة، فإذا سمعنا من العربي الفصيح

الذي يعتد حجة كلمة اتبعناه فيها. ثم إن لم تبلغنا عن غيره، ولم نسمع بها إلا في كلامه لم نزعم أنه اخترعها، ولم نحكم أنه أبو عُذْرُها.

وعلى هذا أكثر اللغاة؛ لا سيما الألفاظ النادرة، والحروف الفردة. وكم نقل الناس عن أبي مهدية، وأبي الدقيش، وأبي الجراح، وأبي الصقر، والقناني، وأم الهيثم؛ وفلان وفلانة من لفظه لم تسمع قَبْلَهُمْ، ولم تؤخذ إلا عنهم، ثم ليس لنا أن نجعلهم منفردين بتلك الكلمات، ومُختصين بتلك الحروف. وهذا سبيل ما وجد في شعر هؤلاء من الشواذ الغريبة، والألفاظ النادرة. وقد أيد بعض من يحتج لأبي الطيب ما قدمناه من كلامه بأن قال: قد بيّن الرجل العلة في حُسن هذه الزيادة، وذكر أنّ النون كما كانت خفيفة وكانت ساكنة، ومن حقها أن تتبيّن عند حروف الحَلَقِ حسن تشديدها لتظهر ظهوراً شافياً، فهذه علة قريبة قد يحتمل للشاعر تغيير الكلام لأجلها. ويؤكد ذلك أنّ النون أقرب الحروف إلى حروف العلة: الياء والواو، وأكثرها شبهاً بهما؛ ومناسبة لهما؛ لأنها تُدْعَمُ فيهما، وتزاد حيث يزدان؛ فتنصب علماً للصرف، كما يجعلان علامة للإعراب، وتبدل الألف منها في قولك: اضْرِبْنِ؛ إذا أزدت النون الخفيفة؛ كما تبدل منها في مواضع البدل، وتحل محل الواو في قولك: نُهْرَانِي وصنعاني؛ وإنما هو نهراوي وصنعاي، وتحذف إذا كانت خفيفة كما يحذفان لالتقاء الساكنين فلما جرى معهما هذا المجرى، وحل من مناسبتها هذا المحل، احتتمل ما يحتملانه من حذف وزيادة، وحروف العلة أكثر الحروف احتمالاً، وأوسعها مُتَصَرِّفاً؛ ولذلك يحمل عليها في الحذف، ويتجاوز فيها بالزيادة، وعلى هذا استجازوا زيادة الياء في صياريف؛ وإنما هو صيارف؛ إشباعاً للمدة للزوم الكسرة في هذا الموضع. قال الشاعر:

تَثْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفِي الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ
وقد قال الفرزدق - فزاد ياء لغير علة إلا لإقامة الوزن:

تَبْكِي عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الَّذِي بِهِ يَبْهَجُ السَّارُونَ لَيْلَ التَّمَايِمِ
أراد التمام فزاد الياء. وقال الهذلي:

بِهِ الرُّومُ أَوْ تَنْسُوخُ أَوْ الْآ طَامَ مِنْ صَوْرَانَ أَوْ زِيدَ

فشدد الواو من صوران، وإنما هو صوران، وإلجرائهم النون هذا المجرى قالوا:

قَطِئَةٌ مِنْ أَجُودِ الْقَطَنِ

فشدد التون من قُطِئَةٌ وليس هو في موضع قافية، ولا هو حرف روي. وقد احتتمل للشعراء لأجل الشعر ما هو أبلغ من تغيير الألفاظ وإزالة الكلام عن موضعه. قال الفرزدق:

وَمَا فَارَقْتُهَا شَبَعاً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَأْخُذُ مَا يُعَارِ

أراد يُعير، فغير البناء كما تراه. وقال زُهَيْر^(١):

ماءٌ بشرقيّ سَلَمَى فَيُنْدُ أَوْ رَكَكُ

وإنما اسم الماء رك، وليس هذا موضع إظهار التضعيف عند أكثر النحويين.
وقال دُرَيْد:

فإن تُغَيَّب الأيَّامَ والدَّهْرَ تَعْلَمُوا بني قارب أتا غضاب بمعبد

يريد بعبد الله؛ فغير اسمه كما ترى. وقال حسان بن ثابت:

من مَغْشَرٍ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ أَلِ حَارِثِ بنِ حَبِيبِ بنِ سَحَامِ

إنما هو حبيب. والكلام في هذا الباب يكثر من الفريقين.

وقوله^(٢):

ليس إلاك يا علي همام سيفه دون عِرْضِهِ مَسْئُولُ

وقوله^(٣):

لم ترم من نادمت إلاكاً

فأنكروا اتصال الضمير بإلا، وحق الضمير أن ينفصل عنها، وبذلك جاء القرآن.
قال الله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَدْعُنْ إِلَى آيَاتِهِ﴾ [الإسراء: ٦٧] وهو الظاهر في قياس النحو،
والمشهور عن العرب. وقد روى الفراء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى
عليه:

فما تُبالي إذا ما كُنْتِ جَارَتِنَا أَلَا يَجَاوِرُنَا إِلَّا كِ دِيَارُ

وأنا أرى أن لا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة
وناهيك بالفراء! وقوله^(٤):

أَحَادُ أُمِّ سُدَّاسٍ فِي أَحَادِ

وقد مضى في صدر هذه الرسالة المواضع التي أنكرت في هذا البيت: وقد كان
أبو الطيب سئل عنه فأجاب عن قولهم: إن سُدَّاساً غير محكي عن العرب، وأن أهل

(١) ديوانه ص ٤٢، وصدوره:

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم

(٢) ديوانه (٣: ١٥٦).

(٣) ديوانه (٢: ٣٨٣) وبقية البيت:

لا لسوى ودك لي ذاكاً

(٤) ديوانه (١: ٣٥٣)، وبقية البيت:

ليملتنا المنوطة بالتناد

اللغة يزعمون أنهم لم يزيدوا على رُباع، وإنما هي ألفاظ معدولة يوقف بها على السماع بأن قال: إنه قد جاء عن العرب خُماس وسُداس إلى عُشار؛ حكاه أبو عمرو الشَّيباني وابن السُّكيت، وذكره أبو حاتم في كتاب الإبل، وزعم أبو عبيدة في المجاز أنه لا يعلمهم قالوا فوق رُباع؛ وهؤلاء ثقات لم يَحْكُمُوا إلا ما علموا، وقد جاء ذلك في الشعر. قال الكمي^(١):

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرُّجَالِ^(٢) خِصَالاً عُشَاراً
آخر:

ضربتُ خُماس ضربة عبْشَمي أدار سُداس أن لا يستقيما
وقد نسبت العرب إلى كل ذلك فقالوا: حُماسي وسُداسي وعُشاري. قال أبو النجم:

فوق الخماسي قليلاً تُفْضَلُه

فأما قولهم: إن هذه الألفاظ إنما عدلت في المعنى، فأجريت مجرى واحد واحد، اثنين اثنين، فقد قال المحتج له: إن أصل عدلها وإن كان على ذلك فقد تكلم بها في معنى الأعداد المفردة، وعلى ذلك وقع النسب إليها في الحُماسي والعُشاري، والنسب لا يصح إلا على هذا المعنى. وقد استدلوا بقوله: ضربت خماس . . . البيت. وهذا غير المعنى الذي ذهبوا إليه، وإنما هو اسم معدول عن خمسة، ولا مدخل للتكرير فيه. وقالوا في إنكارهم تخصيص سُداس من بين الأعداد: إن الأعداد إذا استولت في المعنى لم يحظر على ذكر أحدهما، ولو قال خُماس أو رُباع لكان الأمر واحداً، ولو بلغ العُشار لم يزد غير فضل الاستطالة، وليس على الشاعر إذا بالغ في وصف أن ينتهي إلى الغاية، ولا يترك في الإفراط مذهباً؛ على أنه قد يجوز أن يكون قصد استيفاء الأسبوع فقال: أهي ليلة أم ست؟ مضافة إليها، ولم يرد به الحساب، فيحمل على ما يوجهه حكم الضرب، فيكون الواحد في الستة ستة، وإنما قال أواحدة هي أم ست في واحدة، فإذا جعلت الست في الواحدة على جهة الظرف والوعاء صارت سبعاً، فهذا وجه قريب.

قال الخصم: قد صغر الليلة ثم استطالها فقال: لُيُنَّتْنَا المُوْتَةُ بالتناد.

قال أبو الطيب: هذا تصغير التعظيم، والعرب تفعله كثيراً. قال لبيد^(٣):

وكلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دَوْبِيهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأُنَامِلُ

(١) التبيان (١: ٣٤٨).

(٢) قال الصاغاني: والرجال (باللام) تصحيف، والرواية: «فوق الرجاء»، أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه.

(٣) التبيان (١: ٣٥٤).

أراد لطف مَدْخَلَهَا فصغرها. وقال الأنصاري^(١): «أنا عُدَيْقُهَا المُرْجَب، وَجُدَيْلُهَا المَحْكُكُ؛ فصغر وهو يُريد التعظيم.

وقال آخر:

يَا سَلْمُ أَسْقَاكَ البُرَيْقُ الوَامِضُ والدَيْمُ العَادِيَةُ الفَضَافِضُ

أما تصغير اللفظ على تَكْثِيرِ المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ لكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دُوِيَهِيَةٌ في هذا الموضع تصغير في المعنى واللفظ، وكذلك جَدَيْلُهَا المحكك لأن هذا الجدل لا يكون إلا لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتكُ به الإبل، وكما زاد تحكُّكُ الإبل به زاد لطفاً وصِغَرًا وضؤولة. وإنما وجه القول في هذا أن من التصغير ما يكون جارياً على طريق الاستهانة والتحقير، ومنه ما يراد به الصِّغَرُ واللطافة؛ فأنت إذا قلت: جاءني رُجِيلٌ لم تُبَالِ بِصِغَرِ جسمه، وتفاوت خَلْقِهِ، وقَصَرَ قامته، إذا أردت تحقير شأنه والإهوان به، ومتى أردت الإخبار عن ضؤولته، ودَمَامَةِ خَلْقِهِ لم تعرِّج على حاله، ولم تفكر في محله. وقد تقول ذلك للملك على هذا الوجه، وتقول للرجل العادي على الوجه الأول، وقد تفعل ذلك وأنت تريد دَمَّهُ؛ وإن كان قوي الخلق، عظيم الشأن. وذكرُ لَيْدِ الدُّوِيَهِيَةِ على لفظ التصغير من باب اللطافة دون النكاية؛ وقول أبي الطيب «لَيْلَتَنَا» خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله: «المنوطة بالتناد»، إذ قد بين أنه لم يرد قَصَرَ مدتها. ولا قرب انقضائها. فأما قول أبي الطيب: إني لم أرد بالتناد القيامة، وإنما أردت مصدر تنادى القوم، وعנית أنها منوطة بما أهم منه فهو أعلم بقصده، وأعرف بنيته؛ غير أن نَسَقَ الكلام يشهد عليه. ومن تأمله عرف أنه بأن يراد به القيامة أشبه، ولا عيب فيه لو أراده؛ إنما هو ضرب من الإفراط قد استعمله الشعراء. قال بشار^(٢):

أَضَلَّ النَهَاؤُ المَسْتَنِيرُ طَرِيقَهُ أم الدهر ليلٌ كله ليس يَبْرَحُ

ومثله كثير موجود.

وقوله^(٣):

وَلَمْ تَرُدْ حَيَاةَ بَعْدَ تَوَلِيَةٍ وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيَاً بِأَلْوَيْلٍ وَالْحَرَبِ

(١) هو الحباب بن المنذر. والعديق: تصغير عذق (بفتح العين) وهي النخلة. والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط؛ فيكون المراد من قوله: «أنا عديقها المرجب» أن لي عشيرة تعضدني وتمنني وترفدني. والجدل: عود ينصب للإبل الجري تحتك به فتشتفى؛ أي قد جربتني الأمور؛ ولي رأي وعلم يشتفى بهما؛ كما تشتفى هذه الإبل الجري بهذا الجدل.

قالوا: العرب لا تقول دَعَا بالويل والحرب، وإنما يقال: دعا ويَلَهُ؛ كما يقال دعا فلاناً. قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]. وإنما يقال: دعا بكذا إذا طلب أن يؤتى بذلك الشيء؛ كقول الفرزدق^(١):

دَعَوْتُ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى لَهَا الرَّكْبُ مِنْ نُعْمَانِ أَيَّامِ عَرَفُوا
وَتَدَاعَوْا بِشِعَارِهِمْ، وَدَعَا لِكَذَا، أَي مِنْ أَجْلِهِ، فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: فَقَالَ دَعَا لِلْقِتَالِ
وَاللَّخِيرِ وَاللُّشْرِ وَلَمَّا بِهِ، أَي إِلَيْهِ. وَمِنْ أَجْلِهِ قَالَ طَرْفَةُ^(٢):

وَإِنْ أَدْعَ لِلْجُلَى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وَإِنْ يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ أَجْهَدِ
وَيُقَالُ: دَعَا بِاللَّهْفِ وَبِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ بِيَا، وَأَيًّا؛ لِأَنَّهُ لَفْظُ الدَّاعِي. وَقَالَ ذُو
الرُّمَّةِ^(٣):

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ مِنْ مُتَمَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةَ وَسِلَامٍ^(٤)
وَقَالَ الرَّاعِي^(٥):

إِذَا مَا دَعَتْ شَيْبًا بِجَنْبِ غُنَيْزَةَ مَشَافِرُهَا فِي مَاءِ مُزْنٍ وَبِاقِلِ
وَقَالَ:

دَعَا الدَّاعِي بِحَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ

وَقَالَ عَتْرَةَ^(٦):

دَعَائِي دَعْوَةٌ وَالْخَيْلُ تَزْدِي^(٧) فَمَا أُدْرِي أَيْسَمِي أَمْ كَنَانِي
وَإِنَّمَا يُقَالُ: دَعَا بِكَذَا إِذَا أَمْرٌ أَنْ يُؤْتَى بِهِ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ اسْمَهُ. وَالَّذِي قَالَهُ أَبُو الطَّيِّبِ
مُخَكِّبِي عَنِ الْعَرَبِ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِذَا أَرَادَ ذَكَرَ الْمَدْعُودَ قَالَ: دَعَوْتَهُ، وَإِذَا
أَرَادَ مَا يَلْفِظُ بِهِ قَالَ: دَعَا بِكَذَا وَكَذَا، وَعَلَى هَذَا بَيْتُ عَتْرَةَ، وَقَوْلُ الْآخَرِ:

دَعَا الدَّاعِي بِحَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ

وَقَوْلُهُ^(٨):

بَيَاضٌ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرٌّ لَفْظٌ يُرِيكَ الدَّرَّ مَخْشَلَبًا^(٩)

قالوا: «مخشلبا» ليس من كلام العرب. فقال أبو الطيب: هي كلمة عربية
فصيحة، وقد ذكرها العجاج. ولست أعرفها في شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن

(١) ديوانه (٢: ٢٤٥).

(٢) ديوانه (٦٠٩)، واللسان: شيب.

(٣) من ديوان ذي الرمة.

(٤) ديوانه ص ١٥٤.

(٥) تردى: تعدو. وفي الديوان: «تجري». (٨) ديوانه (١: ١١٣).

(٦) المخشلب: من حجارة البحر، وليس درأ.

العرب؛ غير أنني أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظ لأنني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العَجَم إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن، وإتمام القافية، وقد تتجاوز ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه؛ كما سمو الحَمَلَ بَرَقاً^(١) مع كثرة أسماء الغنم عندهم، وكما قال التغلبي^(٢):

وكنا إذا القيسي نَبَّ عَثُوده ضَرَبناه دون الأثيين على الكَرْدِ^(٣)
أراد الكَرْدَن، وهو العُنُق، فأقام به القافية. وقال الآخر^(٤):

قد علمت فارس جَمِير^(٥) والأعـ رابُ بالدُّشت^(٦) أيهم نَزَلَا

أراد الدُّشت وهو فارسي، وأسماءه عند العرب كثيرة، فلم يمنعهم ذلك من الارتفاق به. وكذا قال الآخر:

تضمنها وهم ركوب كأنه إذا ضم جنبيها المخارق رَزْدَقُ

يريد رَسْتَهُ، وهو الصف من النخل وغيره، إلا أنهم زعموا أنه أراد النخل هنا. وقد استعمل العجاج في قوافي جيمته ألفاظاً منه. قال:

كما رأيت في الملاء البرَدَجَا

يريد الرقيق؛ وهو بالفارسية بَرْدَه. وقال:

كالْحَبَشِيِّ التَّفِّ أو تَسَبَّجَا^(٧)

يريد لبس قميصاً، وإنما هو بالفارسية شَبِي^(٨) فعربه بسبيجة^(٩) ثم صرّف منه فِعْلاً، في أبيات غيرها.

فليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم في أمثال ذلك إذا احتاج إليه؛ فأما المحدثون فقد اتسعوا فيه حتى جاوزوا الحدّ لما احتاجوا إلى الإفهام، وكانت تلك

(١) البرق؛ قال في اللسان: هو تعريب بره بالفارسية.

(٢) لسان العرب - مادة كرد. قال ابن بري: البيت للفرزدق. وذكر في اللسان رواية أخرى:

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه دون الأثيين على الكرد

(٣) العتود: ما اشتد وقوي من ذكور أولاد الغنم. ويقال: نب عتود فلان إذا تكثر. وأراد بالأثيين هنا الأذنين.

(٤) لسان العرب - مادة دشت. ونسبه للأعشى.

(٥) في الأصلين: «وجرير»، وما أثبتناه عن اللسان.

(٦) الدشت: الصحراء.

(٧) في الأصلين؛ كالحبشي التفت أو تشبجا. والتصحيح عن المعرب للجواليقي: ١٨٢.

(٨) في الأصلين شي؛ والتصحيح عن المعرب.

(٩) في المعرب: هو قميص من صوف.

الألفاظ أغلَبَ على أهلِ زمانهم، وأقربَ من أفهامِ مَنْ يقصدون إفهامه .
وقد أفرط أبو نُواس حتى استعمل زمرده، وبازبنده، وباريكنده، وغير ذلك،
فإن كانت اللفظة مسموعةً عن العرب على ما حكاه أبو الطيب، فقد زالت الكلفة،
وإن لم تكن محفوظةً فما رويناها من أمثالها عن العرب والمحدثين يعتذر عنه، ويقوم
بحجته .

وقوله^(١) :

ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القنوع بضئك العيش من شيمي
قالوا: القنوع خطأ وإنما هي القناعة، فأما القنوع فالمسألة، يقال: قنَع يَفْتَعُ
قناعة؛ إذا رضي، وقنَع يَفْتَعُ قنوعاً؛ إذا سأل^(٢) والفاعل فيهما قانع .
قال المحتج: الرواية المسموعة هي:

ولا القناعة بالإقلال من شيمي

وقد سمعت رواة الشاميين يذكرون أنه أنشدهم قديماً القنوع ثم غير الإنشاد،
ورجع إلى القناعة، ثم إن القنوع بمعنى القناعة مخيئة عن العرب، وإن لم تكن
مشهورة، وقد ذكرها أهل اللغة، وحكوا عن أوس بن الحارث الطائي أنه أوصى ابنه،
فقال في بعض وصيته: خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع . ولا يَحْتَمِل معنى
القنوع هنا في هذا الكلام إلا الرضا والقناعة . وقوله^(٣) :

واحرر قلباه ممن قلبه شيم

فألحق الهاء في قلباه . قالوا: وإنما تلحق في الوقف لخفاء الألف فتيين بها،
فإذا وصلت حذفت .

قال المحتج: هذا هو الأكثر عند العرب، والاختيار عند النحويين، غير أنه ليس
على الشاعر عيب في اتباع اللفظة النادرة إذا رواها الثقات، ومتى وجدَّت الرواية على
ثقة لم يُحْظَر على الشاعر قبولها، والعمل بها لأجل اختلاف النحويين، وقد أجاز
الفراء وغيره إلحاق هذه الهاء في الوصل، وروى فيه:

يارب يارب يارب إياك أسل عفواً أيأرباه من قبل الأجل

(١) ديوانه (٤ : ٣٩)، وروايته هناك:

ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القناعة بالإقلال من شيمي
(٢) ومنه قول الشماخ:

لحال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعف من القنوع
(٣) ديوانه (٣ : ٣٦٢)، وبقية:

وأنشدوا:

يا مرحباه بحمار ناجية

وأنشدوا للمجنون:

فقلت أياربّاه أوّل سؤلتي لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها
وقد قال أبو زيد في بيت امرئ القيس^(١):
وقد رابني قَوْلُها يا هَناه وَيَحْكُك أَلْحَقْتِ شراً بِشَر

أن هذه الهاء هاء الوقف، وخالفه جُلّ النحويين؛ ففي هذه الأبيات عذر واضح للمتنبّي. وأضعف من إلحاق هذه الهاء إسقاط الياء في قلبه؛ وإنما الوجه واجر قلبِيّاه، وكذلك: وانقطاع ظهرياه، لأن الياء إنما تسقط حيث يحذف التنوين من المنادى، فلما كنت تقول: يا زيد فتحذف التنوين قلت واغلاماه، فأسقطت الياء، ولو قلت واغلام غلامياه أثبت الياء؛ لأنك تقول في النداء يا غلام زيد فتنون المضاف إلى المنادى، ولك في المفرد إثبات الياء تقول: واغلامياه، وإذا جاء موضع تثبت فيه النون فليس غير إثبات الياء؛ هذا الذي عليه جلة النحويين وحذاقهم، وقد أجاز بعضهم إسقاط الياء في هذا الموضع، وهو في الشعر أقوى منه في الكلام. وقوله^(٢):

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ نَسَائِي حَدِيْقَةً سَقَاها الْحِجْي سَقْيِ الرِّياضِ السُّحَابِ

قالوا: فصل بين المضاف والمضاف إليه [بالمفعول]؛ وإنما يفصل بينهما بالظروف والحروف وما أشبههما؛ لقول الشاعر^(٣):

لما رأت سَاتِيْدَ ما اسْتَعْبَرْتُ^(٤) لَلَّه دَرَّ السُّيُومَ مَنْ لَامَها

ساتيدما: جبل؛ يقال: ما طلعت عليه الشمس إلا أريق فيه دم، معناه لَلَّه دَرَّ من لامها اليوم. وقول الآخر^(٥):

كَتَّخْبِيرِ الكِتابِ بِكُفِّ يَوْماً يَهُودِيّ يِقارِبُ أو يَزِيلُ

وقول الآخر:

كَأَنَّ أَصْواتَ مَنْ إِيْغالِهن بِنّا أو اِخْر المَيْسِ^(٦) أَصْواتِ الفِرايِجِ

(١) ديوانه ص ٩. (٢) ديوانه (١: ١٥٨).

(٣) معجم البلدان (٥: ٦)؛ ونسبه لعمرو بن قميّة، وأنشد قبله:

قد سألتني بنت عمرو عن الد أرض التسي تمنسكرا أعلامها

(٤) قال في معجم البلدان: سبب بكائها أنها لما فارقت بلاد قومها ووقعت إلى بلاد الروم ندمت على ذلك، وإنما أراد عمرو بن قميّة بذلك نفسه.

(٥) التبيان (١: ١٥٨). (٦) الميس: الرحل.

يريد. كأن أصوات أواخر الميس، فأما في هذا فلا يجوز الفصل بينهما؛ لأنهما كالاسم الواحد.

قال المحتج: قد أجاز الفراء هذا وأنشد فيه:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائر به باد إلى الشمس أجمع
والرواية المشهورة رأسه - بالنصب - وأنشد أبو عبيدة:

تفرق آلاف الحجيج على منى وصدعهم مشي النوى عنك أربع
أراد: وصدعهم النوى عنك مشي أربع ليال. وأنشد أيضاً:

وَحَلَقَ الْمَازِي^(١) وَالْقَلَانِسَ فِدَاسَهُمْ دَوْسَ الْحِصَاءِ الدَّائِسِ
وقال آخر^(٢):

يَفْرُكُ حَبَّ السُّنْبُلِ الْكُنَافِجِ^(٣) بِالْقَاعِ فَرَكُ الْقَطْنِ الْمَحَالِجِ

ومما يقارب هذه الأبيات، مما يحتاج في بعضها إلى تبيين وكشف، ويتجه في بعضها الطعن عليه، ويضعف في بعضها الاحتجاج عنه قوله^(٤):

هَذي بَرَزَتْ لَنَا فَهَجَتْ رَسِيْسًا^(٥)

قالوا: حذف علامة النداء من هذي؛ وحذفها خطأ؛ لأن هذي تصلح أن تكون نعتاً لأي، وكل معرفة تصلح جاز أن تكون نعتاً لأي، فحذف علامة النداء منه غير جائز.

قال المحتج: هذا لعمري أصل القياس في النحو؛ غير أن ضرورة الشعر تجيز ترك القياس في النحو، وقد أجازوا ذلك في النكرات، وهو أبعد في الجواز من هذه المعارف؛ قال الشاعر:

صَاحَ هَلْ أَبْصُرْتُ بِالْحَبِّ تَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ نَاراً
وقال العجاج:

جاري لا تستنكري عذيري

فإذا جاز هذا في النكرات فهو في المعارف أجوز؛ مع أن النحويين قد ذكروا ذلك وأدخلوه في أبواب ضرورة الشعر.

(١) المازي: السلاح كله من الحديد. (٢) لسان العرب - مادة كنفج.

(٣) الكنافج: المكتنز من السنايل.

(٤) ديوانه (٢: ١٩٣)، وبقيته:

ثم انشيت وما شفيت نسيسا

(٥) الرسيس: مسل الحمى وأولها: والنسيس: بقية النفس. يقول: لما برزت هيجت ما كان في القلب من حبك، وانصرفت وما شفيت نفوسنا التي أبقيت بقاياها بوصل منك.

وقوله^(١):

بَيْضَاءَ يَمْنَعُهَا التَّكَلَّمَ ذُلُّهَا تَيْهَاءَ وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا^(٢)

فنصب تميم مع حذف أن، وهو عند النحويين ضعيف، لا يجيزون النصب على إضمار أن، إلا أن يكون منها عوض، وقد أجازوه الكوفيون. وأنشدوا قول طرفة^(٣):

أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعَى

بإضمار أن، والبصريون يروونه على الرفع.

وقوله^(٤):

عَوَائِسَ حَلَّ يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا فَهَنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ^(٥)

قالوا: الماء لا يوصف باليبس، وإنما يقال جمد الماء وجمس السمن، ويس العود والنبت، ونحو ذلك.

قال المحتج: قد جاء عن العرب ووصف الماء باليبس. قال بشر^(٦) [يصف

خيلاً]:

تِراها من يَبِيسِ الْمَاءِ شُهْبًا مُخَالِطُ دَرَّةٍ فِيهَا غِرَارُ^(٧)

قالوا: وقد استعار الجموس في الماء ذو الرمة فقال^(٨):

وَنُقْرِي سَدِيفَ^(٩) اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسَ

قال الخصم: أما يبيس الماء فإن العلماء رووا عن العرب أنها تسمى العرق

يبس الماء، فليس هو من هذا الباب بسبيل، وأما بيتُ ذي الرمة فقد رده الأصمعي، وعاب ذا الرمة به.

قال المحتج: أما تسمية العرق يبيس الماء فلسنا ندفعه؛ غير أن هذا البيت يشهد

بخلاف ما قلت؛ لأنه جعلها شهباً، والعرق لا يغير ألوانها، وإنما أراد ما جمد من

(١) ديوانه (٢: ١٩٥).

(٢) يقول: هي ذات حياء، فحياؤها يمنعها من التثني، ودلالها يمنعها من الكلام.

(٣) شرح المعلقات للتبريزي ص ٨٠، وبقيته:

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي

(٤) ديوانه (٢: ٢٢٣).

(٥) الحزم: جمع حزام؛ ويابس الماء: العرف. والمناطق: جمع منطقة وهو ما يشد به الوسط.

(٦) لسان العرب - مادة يبس.

(٧) قال في اللسان: الغرار: انقطاع الدرّة؛ يقول: تعطي أحياناً وتمنع أحياناً؛ وإنما قال: شهباً، لأن العرق يجف عليها فتبيض.

(٨) لسان العرب - مادة جمس. (٩) في اللسان: عيب اللحم.

الماء عليها، وبيت ذي الرّمة صحيح عنه، وهو حجة تلزم الأصمعي وغيره. وهل ينكر الأصمعي ذلك إلا برواية عن العرب؟ ومتى ثبتت الرواية عن موثوق بفصاحته فقد وجب التسليم له.

وقوله^(١):

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَيَاطِنُهُ دَيْسٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ

قالوا: خرج عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب مفاعِلن في عروض الطويل غير مصرّع.

قال المحتج: إنما جاء البحر على مفاعيلن، وليس يُحْظَرُ على الشاعر إجراؤه على الأصل، وقد جاء عن العرب مفاعيلن في المصرّع، وما خرج عن الوزن لم يحتمله المصرّع ولا غيره. قال امرؤ القيس^(٢):

أَلَا انْعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ البَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي

فجاء بالعروض على مفاعيلن لَمَّا صرّع. قالوا: وقد جاء في شعر المحدثين ما أجروا فيه غير المصرّع مُجْرَى المصرّع، فقال شاعرهم:

فَالوَجْهَ مِثْلَ الصَّبْحِ مُبَيَضٌ وَالشَّعْرُ مِثْلَ اللَّيْلِ مَسْوَدٌ

وأبو الطيب أعذر من هذا، لأنه جرى على أصل البحر في الدائرة. وقد جرى أبو تمام إلى ما هو أقيح من الأمرين، فصرّع المصرّع في قوله:

يَقُولُ فَيُسْمِعُ، وَيَمْشِي فَيَسْرَعُ وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الإِلَهِ فَيُوجِعُ

وعلى مثل هذا الطريق يعاب أبو الطيب بقوله^(٣):

إِنَّمَا بَدْرُ بِنِّ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَطَلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ

فإنه أخرج الرَّمْلَ على فاعلاتن في العروض، فأجرى على ذلك جميع القصيدة في الأبيات الغير مُصْرَّعة، وإنما جاء الشعر منه على فاعِلن؛ لكن أصله في الدائرة فاعلاتن، وإن كان غير محفوظ عن العرب.

وقوله^(٤):

وَلَعَلِّي مُؤَمَّلٌ بَعْضَ مَا أَبَدَ لُعُجٌ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيْزِ حَمِيدِ

قالوا: تمنى أن يؤمّل بعض ما يبلغ، وهذا لا يليق بالكلام، وإنما وجهه أن يقول: ولعلي بالغ بعض ما أوَمَّل.

(٣) ديوانه (١: ١٣٣).

(٤) ديوانه (١: ٣٢٠).

(١) ديوانه (٢: ٢٨٧).

(٢) ديوانه ص ٤٩.

قال المحتج: قد يجوز أن يكون أراد: لعلني أبلغ آمالي، وأزيد عليها بلطف الله تعالى حتى يكون ما أومله بعض ما أصل إليه، وهذا غير مُستنكر. وقوله^(١):

وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دُقْتُه فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ

قالوا: صعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت من لا يعشق فيعجب منه، وإنما يقتضي أن كل من يعشق يموت؛ وكأنه أراد: كيف لا يعرف من يعشق! فذهب عن مراده.

قال بعض من يحتج عن أبي الطيب: إنه خرج مخرج القلب، وهو كثير في شعر العرب، ومنه قول الأعشى^(٢):

وكل كميته كأن السلي ط في حيث واري الأديم الشعارا

يريد: حيث واري الشعار الأديم، فقلب الكلام. وكقول الأخطل^(٣):

مِثْلُ الْقَنَاذِ هَذَا جُونٌ قَدْ بَلَعَتْ نَجْرَانٌ إِنْ بَلَغَتْ سَوَاءَتَهُمْ هَجْرٌ^(٤)

يريد بلغت سوءاتهم هجر. وقال الشماخ^(٥):

منه ولدت ولم يؤشَبْ به حسبي ليا كما عُصِبَ الْعَلْبَاءُ بِالْعُودِ

أراد كما عصب العود بالعباء. وقال آخر:

أسلمته في دمشق كما أسلمت وحشية وهقا^(٦)

أراد كما أسلم وهق وحشية. وقال آخر:

كان الزناء فريضة الرجم

أراد كأن الرجم فريضة الزناء، ومثل هذا كثير.

وقال غيره: إن الكلام جار على طريقته، غير محتاج الحمل على القلب، وإنما المراد كيف تكون المنية غير العشق؛ أي أن الأمر المتقرر في النفوس أنه على مراتب

(١) ديوانه (٢: ٣٣٣).

(٢) ديوانه ٥٣.

(٣) ديوانه ص ١١٠، وروايته هناك:

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أوحدثت سوءاتهم هجر

(٤) القنفاذ: جمع قنفاذ؛ وهو حيوان معروف، يضرب به المثل في سرى الليل. وهداجون: من الهدج (بالإسكان) وهو السير السريع. يقول: إن رهط جرير كالقنفاذ بمشبههم في الليل للسرقة والفجور.

(٥) ديوانه ٢٤.

(٦) الوهق: حبل في طرفه أنشوطة، تصاد به الدابة.

الشدة هو الموت، وإنني لما ذقت العشق فعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتفق على شدته غير العشق، وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولي على الناس، حتى تكون مناياهم منه، وهلاك جميعهم منه.
وقوله^(١):

شَدِيدُ البُعْدِ من شَرِبِ الشَّمُولِ تُرْئِجُ الهِنْدِ أو طَلَعُ النَخِيلِ
قالوا: المعروف من العرب الأترج والتُرْج مما يغلط به العامة، فقال أبو الطيب:
يقال أترجة وأترج وترنج، حكاها أبو زيد، وذكرهما ابن السكيت في أدب الكاتب.
وقوله^(٢):

فِدَى مَنْ على الغبراءِ أولهم أنا لهذا الأبيِّ المائدِ الجائدِ القَرَمِ
قالوا: لم يُحك عن العرب: الجائد، وإنما المحكى عنهم رجل جواد، وفرس جواد، ومطر جواد.

قال المحتج: هذا الباب يستغنى فيه بالقياس عن السماع لأطراده، واتساق أمره على الاعتدال، فكل فعل في الكلام يقتضي التصريف إلى فاعل ومفعول، وكل فعل فله مُفْعِلٌ ومُفْعَلٌ، ولسنا نحتاج في مثل هذا إلى التوقف واتباع المسموع، وهذا أشبه بمذاهب القياس، والأصل الذي عليه أهل اللغة.
وقوله^(٣):

خَلَاتِقٌ لو حَوَّاهَا الزَّنْجُ لَانْقَلَبُوا ظُمِّي الشِّفَاهِ جَعَادَ الشَّعْرِ غُرَانًا^(٤)

قالوا: الزَّنْجِي لا يوجد إلا جَعَدَ الشعر، وإنما تُفْرِطُ الجعودةُ فيهم حتى تخرج عن حدِّ الاعتدال، فكيف يَنْقَلِبُونَ من الجَعُودَةِ إلى الجعودة! قال المحتج: إن للأوصاف حدوداً إذا فارقتها إلى نُقْصٍ أو زيادة زالت الصفات إلى ما يخالف حقيقة اللغة، أو عادة الاستعمال، ولِلْوَصْفِ بِالْجَعْدِ نهاية، فإذا زاد فإنما هو الْمُقْلَعُطُ والمُقْلَعِدُ^(٥)، وإن كان على هيئة شَعْرِ الزنج فهو الْمُقْلَقَلُ، ونحو ذلك من الأوصاف؛ ولذلك صاروا يمدحون بجعودة الشعر ويَدْمُونَ بشعور الزنج، فلا شك أن ما حمدوه غير ما دَمَوْه، وإنما مراد الشاعر بقوله انقلبوا جَعَادَ الشعر أنهم صاروا إلى حدِّ الاعتدال الذي يُحْمَدُ وَيُسْتَحْسَنُ ويوصف به ويختار.

(١) ديوانه (٣: ٩٠).

(٢) ديوانه (٤: ٥٥).

(٣) ديوانه (٤: ٢٨٨).

(٤) خلاتق: جمع خليفة، وهي الخلق. والزنج: جنس من السودان. وظمي الشفاه: رقاق الشفاه مع سمرة. وغران: جمع أغر، وهو الأبيض.

(٥) اقلعط الثوب: جعد، واقلعد مثله.

وقوله^(١):

بَلِيصٌ بَلَى الْأَطْلَالَ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُهُ^(٢)

قالوا: أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره؛ وكم عسى هذا الشحيح بالغاً ما بلغ من الشح، وواقعاً حيث وقع من البخل أن يقف على طلب خاتمه، والخاتم أيضاً ليس مما يخفى في التراب إذا طلب، ولا يعسر وجوده إذا فتش. وقد ذهب المحتجون عنه في الاعتذار له مذهب لا أرضى أكثرها، وأقرب ما يقال في الإنصاف ما أقوله إن شاء الله تعالى:

أقول إن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة؛ فإذا قال الشاعر - وهو يريد إطالة وقوفه: إني أقف وقوف شحيح ضاع خاتمته، لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وإنما يريد لأقفن وقوفاً زائداً على القدر المعتاد خارجاً عن حد الاعتدال، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله، وعلى ما جرت به العادة في أضرابه، وإنما هو كقول الشاعر:

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شِقِي طُولاً قَطَعْتُهُ بِأَنْتِحَابِ

ونحن نعلم أن العاشق بالغاً ما بلغ لا يمتد نفسه امتداد أقصر أجزاء الليل، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أنفاس لا تخصي؛ كائنة ما كانت في امتدادها وطولها، وإنما مراد الشاعر أن الليل زائد في الطول على مقادير الليالي كزيادة نفس العاشق على الأنفاس؛ فهذا وجه لا أرى به بأساً في تصحيح المعنى، وإن كنت لا أرى أن يؤخذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية ما لم يأخذ نفسه بها، ويتكلف العمل لها، فيؤخذ حينئذ بحكمه، ويطلب بما جنى على نفسه.

وقوله^(٣):

كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ عَلَّمَ بُقْرَاطَ فِصَادَ الْأَكْحَلِ^(٤)

قالوا: لم يكن بقراط فصياداً ولا كان الفصد غالباً عليه في زمانه، وإنما كثر

(١) ديوانه (٣: ٣٢٨).

(٢) الأطلال: جمع طلل؛ وهو ما شخص من آثار الديار.

(٣) ديوانه (٣: ٢٠٨).

(٤) رواية الديوان:

كأنها من سعة في هوجل كأنه من علمه بالمقتل
علم بقراط فصاد الأكحل فحال ما للقفز للتعجل
وبقراط حكيم قديم، وبه يضرب المثل في الطب والحكمة، والأكحل: عرق في الذراع.

بعده . قال المحتج : أما هذه الدعوى فلا يُعْلَمَ كَيْفَ وَجْهها؟ وهل أنتم صادقون فيها؟ وقد كان الفُضْدُ قديماً، ولكنهم كانوا يحتذبون العِرْقَ بآلَةٍ شبيهة بالقِنَّارَةِ^(١) ثم يَبْضَعُونه، فهذا أَحْوَجُ إلى الحِذْقِ واللُّطْفِ، ولسنا نأبى أن يكون بُقْرَاطُ لا يفضد، وليس مُفْصِدُ الشاعر إلا علمه بالفُضْدِ، وقد عَلِمَ موقعَ المعرفة بالتشريح من هذا العلم، وكيف يفتقر إلى الوقوف على تشعب العروق، واتصال ما اتصل منها، وانفصال ما انفصل، وليس بمثل بُقْرَاطٍ - على عِلْمِهِ ومعرفته بالطب، واجتماع الألسن على تقديمه جَهْلُ ذلك، وقد يعلمُ الشيء مَنْ لا يعالجه بيده، ولا يتولاه بنفسه، وليس تَرْكُهُ مباشرةً ذلك بَدَالٌ على جَهْلِهِ به . ولو كان بُقْرَاطُ أَجْهَلَ الناسِ بذلك لم يَلْحَقْ أبا الطيب من هذا القول نقيصةً على طريقتة؛ لأنهم لا يُؤْخِذُونَ بمعرفة الأطباء ومواقعهم من الصناعة، ومهارتهم في العلم والعمل، ولما رأى الأطباء لا يَخْلُونُ من معرفة العروق ومَوَاقِعِ الفُضْدِ، ورأى بقراط هو المُقَدَّمُ في الطب ضرب به المثل في ذلك، وهو ليس بأكبر من غلط العربي في اسم داود عليه السلام إلى اسم ابنه سليمان عليه السلام، ثم غَلَطَه في اسمه حتى يجعله مرة سَلَاماً، ومرة يسميه سُلَيْمِماً .

وقال الآخر منهم :

مثل النَّصَارَى قتلوا المَسِيحاً^(٢)

لما سمع القصة ولم يدر كيف حقيقة القول فيها أجزاها على ما خطر بباله .
وقوله^(٣) :

الفاعلُ الفِعْلُ لم يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ والقائلُ القَوْلُ لم يُتْرَكَ^(٤) ولم يُقَلِّ

قالوا: كيف يكون القول غير متروك ولا مقول؟ وهل هذه إلا مناقضة ظاهرة! قال المحتج: إن من عادة الناس إذا استقصروا فعل الفاعل قالوا: فعلت وما فعلت؟ أي لم تفعله على وجه التمام، ولم تبُلِّغْ به شريطة الكمال؛ فقد تكَلَّفْتَ الفعلَ، وكأنك لم تفعل . فكذا هذا القول لم يُتْرَكَ ولم يُقَلِّ؛ لأنه قد تعرَّض له فلم يُوقِفْ حَقَّهُ، ولم يَبْلُغِ المراد فيه؛ فكأنه لم يُقَلِّ . وقد يجوز أن يكون المراد به أنه لم يُتْرَكَ، لأنه لم

(١) القنارة: الخشية يعلق عليها القصاب .

(٢) الرواية في اللسان :

إذ المسيح يقتل المسيحا

قال: يعني عيسى ابن مريم يقتل الدجال . فكلمة المسيح الثانية المراد بها الدجال .

(٣) ديوانه (٣: ٣٧) .

(٤) أي لم يترك القائلون طلبه، ولما لم يصلوا إليه كان كأنه لم يقل . والمعنى أنه يفعل الفعل الذي قصر عنه الفاعلون؛ ويقول القول الذي قصر عنه القائلون .

يَخْطُرُ بِالْبَالِ فَيُتْرَكُ، وَإِنَّمَا ابْتَدَعْتَهُ أَنْتَ وَسَبَقْتَ إِلَيْهِ؛ وَالشَّيْءُ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِالْبَالِ، وَلَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ الِهْمَةُ لَمْ يُسَمَّ مَتْرُوكًا فِي الْمُتَعَارَفِ مِنَ الْكَلَامِ؛ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَكْمُ بِالْمُنَاقِضَةِ مَقْصُورًا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا الْمَعْوَلُ عَلَى الْمَعْنَى وَالْمَقَاصِدِ؛ وَلَوْ ادَّعَى ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ كَانَ أَسْوَعَ:

فِي كِفِّهِ مَعْطِيَةٌ مَنُوعٌ

وقوله:

حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ وَمَا نَجَا

فقيل: كيف تكون معطية منوعاً وكيف ينجو ولا ينجو لكان دالاً على جهل المدعي وقصور علمه عن الأغراض.
وقوله^(١):

يَفْضُخُ الشَّمْسُ كُلَّمَا رَزَّتِ الشَّمْسُ سُبُ بِشَّمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ

قالوا: الشمس لا تكون سوداء، والإنارة تضاد السواد، فقد تصرف في المناقضة كيف شاء.

قال المحتج: إنه لم يجعله شمساً في لونه فيستحيل عليه السواد. وللشعراء في التشبيه أغراض، فإذا شبها بالشمس في موضع الوصف بالحسن أرادوا به البهاء والرواق والضياء، ونصوغ اللون والتمام، وإذا ذكروه في الوصف بالئباهة والشهرة أرادوا به عموم مطلعها وانتشار شعاعها، واشتراك الخاص والعام في معرفتها وتعظيمها وإذا قرنوه بالجلال والرفعة أرادوا به أنوارها وارتفاع محلها. وإذا ذكروه في باب النفع والإزفاق قصدوا به تأثيرها في النشوء والنماء، والتحليل والتصفية. ولكل واحد من هذه الوجوه باب مفرد، وطريق متميز؛ فقد يكون المشبه بالشمس في العلو والئباهة، والنفع والجلالة أسود، وقد يكون منير الفعال كمد اللون، ووضح الأخلاق كاسف المنظر؛ فهذا غرض الرجل؛ غير أن في اللفظ بشاعة لا تدفع، وبعداً عن القبول ظاهر.
وقوله^(٢):

لَا يَأْتِلِي فِي تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتِلِي

قالوا: أفسد المعنى، لأن ما يأتلي لا يقصر؛ فكأنه قال: لا يقصر في ترك أن لا

(١) ديوانه (١: ٣٤).

(٢) ديوانه (٣: ٢٠٧) وصدده:

فِي هِبَةِ كِلَاهِمَا لَمْ يَذْهَبْ

والهبة: الغبرة. وما ألوت في كذا، وما اتليت، وما أليت: أي قصرت.

يُقَصِّرُ فوصفه بالتقصير. وبيان ذلك أنه لم يَأْتَلْ؛ فقد جَدَّ في تَرْكِ الجِدِّ، وهو نهايةُ التقصير.

قال المحتج: لا أرى «لا» إلا زائدة؛ فتقديرُ الكلام: لا يأتلي في تَرْكِ أن يأتلي؛ فكأنه لا يُقَصِّرُ في تَرْكِ التَّقْصِيرِ، وهذا هو الجِدُّ؛ وزيادة «لا» غيرُ مُسْتَنَكَّرٍ، وقد جاء في القرآن والشعر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْزَّزُ﴾ [الحديد: ٢٩] فمعناه ليعلم. وقال أبو النجم:

وما ألوم البيض ألا تسحرا

فزاد «لا»، فأما زيادةُ ما فكثيرٌ مشهور. وقال العجاج في زيادة لا:

في بئرٍ لا حورٍ سرى وما شَعَرَ^(١)

أي في بئر حور.

وقوله^(٢):

كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِفَّتْهُ إِذَا عَشْتَ فَاخْتَرْتَ الْجِمَامَ عَلَى الثُّكُلِ^(٣)

قالوا: هذا الكلامُ الذي لا طريقَ للفهم إليه لَتَحَالُفِ أَطْرَافِهِ وَتَنَافُرِ مَعَانِيهِ وَالْفَاضِطَةِ؛ يقول: كأنك أبصرت ما بي من الحزن عليك، وخِفَّتْهُ إِذَا عَشْتَ، فاخترت أن تموت على أن تشكل، ولو عاش ما أبصر شيئاً مما لِحَقَّه ولا خافه، لأنَّ الذي جرَّ ذلك الحزن والضنى هو موته، فكيف يكون - لو عاش - مُبْصِراً له وخائفاً! وما معنى هذا الثُّكُلِ هاهنا؟ أهو تُكُلُ هذا الميت له أم ثكله للميت؟ فإن كان ثكله للميت فهو الجِمام الذي قد حصل، وإن كان ثكل الميت له فكأنه قال:

قد اخترت موتك على موتي، ووجدت الجِمام أهون من ثكلك لي! فكيف يقول ذلك وهو لو عاش لم يكن لثكله له سبب! ولو كان له ما يؤذيه إلى هذا الضنى الذي ذكره في حياة هذا الميت لكان مَثْكَولاً وهو حي، مُصِيباً منه الضنى ما أصاب المتنبئ! قالوا: وما نعرف بيتاً يُقَارِبُ هذا الخطأ إلا بيت أبي تمام^(٤):

لَوْ لَمْ يَمُتْ أَطْرَافُ بَيْنِ الرُّمَاحِ إِذَا لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

(١) اللسان - مادة حور، و«لا»:

في بئر لا حور يرى وما شفر

وتمامه:

بإفكه حتى رأى الصبح جشرا

(٢) ديوانه (٣: ٤٣).

(٣) الحمام: الموت، والثكل: فقد الحبيب العزيز.

(٤) ديوانه ص ٣٨٨.

قال المحتج: إنكم ذهبتم عن غرض الرجل، وظننتم أنه أراد: أنك خفت نُزُولَ هذا الضنى بي لأجلِك، وأنت حي، ولم يُرِدْ ما خطر لكم؛ وإنما مذهبُه فيه أنك خفت أن يصيبني هذا العارض من الضنى وأنت حي، فيبلغ منك الغم به مبلغ الثكل، فاخترت الحمام عليه.

فقال الخضم: هب الأمر على ما قلتم، ما وجهُ هذه المخافة؟ وكيف يصيبه ذلك الحزن وهو يتكل حبيباً ولم يفقد عزيزاً؟ وما وجهُ شفقة ابن سيف الدولة على المتنتبي حتى يفدي حزنه بنفسه، ويختار الحمام على ثكله، على أنه له في ذلك عادات، منها قوله يرثي والده هذا الممدوح^(١):

بَعِيثِكَ هَلْ سَلَوْتُ؟ فَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ جَائِبْتُ أَرْضَكَ غَيْرَ سَالِي^(٢)
وقوله يرثي أخته^(٣):

وَهَلْ سَمِعْتِ سَلَاماً لِي أَلَمَّ بِهَا فَقَدْ أَطْلَعْتَ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثِبِ

وما باله يسلم على الحرم، ويتشوق إلى الأمهات! ومن سبقه إلي هذا! وإنما يفعل ذلك من يرثي بعض أهله، وأما استعماله إياه في هذا الموضع فдал على ضعف البصر بمواقع الكلام. ومما تحقّق ذلك فيه قوله^(٤):

وَعَرَّ الدُّمُسْتُقَّ قَوْلُ الوُشَا وَإِنَّ عَلِيّاً ثَقِيلٌ وَصِبِ^(٥)

فجعل الأمراء يُوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه؛ لا سيما إذا كان الممدوح مثل ابن حَمْدَانَ والعدو الدُّمُسْتُقَّ، وليس بسائغ في اللغة أن يُقال: وشى فلان بالسلطان إلى رعيته، ولو قيل ذلك في أميرين لكان قصّر بالموشى به لا محالة؛ وإنما المعروف الصحيح أن يُوشى بالأصغر إلى الأكبر، فإن توسع في ذلك فبالنظير.

قال المحتج: أصل الوشاية استخراج الحديث بالمسألة والتلطف، كما يستوشى الرجل جزيّ الفرس بتحريكه وغمزه بعقبه؛ فقد يجوز أن يجري هذه الكلمة على أصلها، ويجعل هؤلاء وشاة لما أتوه بهذا الخبر: والكلام هو الأول عندي والعدو فيه

(١) ديوانه (٣: ١٥).

(٢) يقسم عليها بحياتها، ويقول: هل سلوت عن النوال وجهه؛ فإن قلبي - وإن بعدت عن أرضك - غير سال.

(٣) ديوانه (١: ٩٢). (٤) ديوانه (١: ١٠١).

(٥) الوصب: المرض، وفي الديوان: قول العدة بدل: قول الوشاة، وفسر البيت في التبيان بما يأتي: إنما جاءهم العدو، لأن الأعداء أرحفوا بأنك عليل، وأنت لا تطيق المعجىء إليهم لثقل المرض.

يضعف، وإنما أرادَ بالوُشاة الذين بعثوه على قَصْدِ الثغور، فإنما وشوا بأهلها لما دَلَّوه على ضَعْفِهِمْ واشتغال ناصرهم .

ومن هذا الضَّرْبِ قوله^(١):

ما يُقِصُّ المَوْتُ نَفْساً مِنْ نُفُوسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَشْنِهَا عُوْدٌ

قالوا: والعودُ لا يشتَم، ولو اشتَم لم يحظ من ريحه بطائل، وإنما يظهر عَرَفُه إذا حللت النار أجزاءه ولطفتها، فانبثت في الهواء ودخلت في الخياشيم .

قال القاضي: وليس في المعنى عندي ما ذكره، ولا ذهب الرجلُ حيث ظنوا، وإنما أراد أنه لا يباشرها إذا قبضها، ولكن يقبضها وفي يده عودٌ يتناولها بطرفه، كما يريدُ الإنسان أخذَ الشيء يستقذره، فيصونُ عنه يده، ويتناوله بحاجز، ولم يردُ عود الطيب . وإنما أراد عوداً من العيدان أيها كانت .

وأمثالُ هذه الاعتراضات كثيرةٌ واستقصاء جميعها بابٌ من التطويل، وإنما يصلح استيفاء ذلك إذا قصدنا شرح المعاني المستغلقة من شعره، فإنَّ القولَ في ذلك يتصل بالكشفِ عن هذه الأمور، ويتناول الغامضَ الخفي، والمتوسط المحتمل، والظاهر الذي فيه بعضُ اللبس؛ فينفي ما يجب أن ينفي؛ ويعتذر لما يحتمل العذر، ويذكر مثل قوله^(٢):

إِذَا صَوَّوْهَا لَأَقَى مِنَ الطَّيْرِ فَرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

ويبين كيف صار ما يقع من الشمس على البيض إذا وجدَتْ من الطير فرجةً مستديراً ولم يكن مستطيلاً، وإن كانت المشاهدة صححت قول الشاعر، وإنما بقي علينا تعرفُ العلة . ومثل قوله^(٣):

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الوَرَى اللَّذِّ مِثْلَكَ هُوَ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَاءٌ^(٤)

كيف يكون من الورى، والورى منه: ونحو هذه المعاني وما يشاكلها . وقد قدّمنا عند ذكرنا الاستعارات ووجوه الإغراق والإفراط ما يبين لك القول في مثل قوله^(٥):

وضاقت الأرض حتى كادَ هاربُهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّه رجلاً

(١) ديوانه (٢: ٤٢).

(٢) ديوانه (٤: ١١٤).

(٣) ديوانه (١: ٣١).

(٤) اللذ: بمعنى الذي؛ ويريد: لو لم تكن من هذا الورى الذي كأنه معك، لأنك جماله وشرفه، وأنت أفضل أهله لكأنك حواء في حكم العقيم التي لم تلد، ولكنها صارت ذات ولد بك ولولا أنت لكان ولدها كلا ولد .

(٥) ديوانه (٣: ١٦٨).

وقوله^(١):

قَلَّوْ سِرْنَا وَفِي تَشْرِيْنَ خَمْسُ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَسْرُوا السَّمَاكَ
وإنما يطلع السماك في تلك الليلة .
وفي مثل قوله^(٢):

فصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَثْمَانِي^(٣)

فجعل للكثمان جسماً . وما لحق بهذين البابين من استعارة بعيدة، وإفراط فاحش .

فأما كتابنا هذا فقد وقَّيناه حقه، وبلغنا به نهايته، وآتينا على ما وصلت الطاقة إليه، وما أسعقنا الإمكان به؛ فإذا زادنا النظرُ والفكرُ والمطالعةُ والبحثُ بعض ما يليق به أضفناه إليه؛ وإن أفادنا غيرنا منه ما قَصَّرَ علمنا عنه استفدناه وأعظمنا النعمة فيه، وعرفنا لصاحبه فضلَ التقديم، ولرجعنا له بحق التعليم . وباللَّهِ نستعين على كل خير، وإياه نسأل التوفيق، ونستوهب العِصْمة والتسديد، وهو حسينا ونِعَم الوكيل .

(١) ديوانه (٢ : ٣٩٥) .

(٢) ديوانه (٤ : ١٩٢) .

(٣) صدره :

كأنه زاد حتى فاض من جسدي

